

شرح
القصيد الأونيزي

المسماة

الكافية الشافية في الانتصار
للفرقة الناجية

للإمام ابن القسيم الجوزي

شرحها وحققتها

الدكتور محمد خليل فراس

الجزء الأول

منشورات

محمد عيسى بيضون

لشركة تب الشئنة والجماعة

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

منشورات دار الكتب العلمية بيروت



دار الكتب العلمية

جميع الحقوق محفوظة

Copyright

All rights reserved

Tous droits réservés

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة
لدار الكتب العلمية بيروت - لبنان.
ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو
مجراً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر
أو برمجته على اسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً

Exclusive rights by

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Beirut - Lebanon

No part of this publication may be translated,
reproduced, distributed in any form or by any means,
or stored in a data base or retrieval system, without the
prior written permission of the publisher.

Droits exclusifs à

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Beyrouth - Liban

Il est interdit à toute personne individuelle ou morale
d'éditer, de traduire, de photocopier, d'enregistrer sur
cassette, disquette, C.D, ordinateur toute production
écrite, entière ou partielle, sans l'autorisation signée
de l'éditeur.

الطبعة الثالثة

٢٠٠٣ م - ١٤٢٤ هـ

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

رمل الظريف - شارع البحري - بناية ملكارت

الإدارة العامة: عرمون - القبة - مبنى دار الكتب العلمية

هاتف وفاكس: ١٣/١١/٨١٠٤٨٠ (+٩٦١ ٥)

صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

Beirut - Lebanon

Rami Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg. 1st Floor

Head office

Aramoun - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.

Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13

P.O.Box: 11-9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kutub Al-ilmiyah

Beyrouth - Liban

Rami Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1er Étage

Administration général

Aramoun - Imm. Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13

P.P: 11-9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-0986-3



9 782745 109866

<http://www.al-ilmiyah.com/>

e-mail: sales@al-ilmiyah.com

info@al-ilmiyah.com

baydoun@al-ilmiyah.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الشارح

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين، وبعد: فلما كانت القصيدة النونية للعلامة « ابن قيم الجوزية » التي سماها « الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية » من أعظم ما ألف في التعريف بمذهب السلف الصالح في اثبات الصفات لله تعالى مع تنزيهه عن مشابهة المخلوقات، والرد على فرق الزيغ والضلال من المعطلة النفاة أو المجسمة الغلاة. وكانت هذه القصيدة حتى الآن بكرا لم يفتض ختامها، وحمى لم يحم حوله أحد بالشرح والتحليل، اللهم إلا بعض محاولات يسيرة ليس فيها شفاء لعليل، ولا ريّ من غليل قام بها بعض الفضلاء من علماء مذهب السلف، مثل الشيخ « ابن عيسى » والشيخ « عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي » علامة القصيم رحمهما الله تعالى وأجزل لهما المثوبة.

لهذا استخرت الله عز وجل في عمل شرح لها يجلي غوامضها ويبرز محاسنها، ويجعلها من القارىء على طرف الثام حتى ينتفع بها عشاق الفكر ورواد البحث. ويجدوا فيها امتاعا لعقولهم، وصقلا لأذهانهم، وحتى تطمئن إليها القلوب المؤمنة التي استجابت لداعي الحق والهدى وتجد فيها زادا لايمانها، ونورا لبصائرهما، وإني إذ أخذ فيما أنا بسبيله من ذلك العمل الجليل أقدر ثقل المهمة التي اضطلعت بها، وما تقتضيه من وافر الجهد ودائب العمل نظرا لما حوته هذه القصيدة من الآراء والمذاهب، وما اشتملت عليه من فنون الحجاج والجدل.

وقد رأيت أن يكون هذا الشرح وسطاً لا غاية في البسط ولا نهاية في الإيجاز.

والله جلت قدرته أسأل أن يكون لي نعم العون على ما أنا بسبيله من ذلك، وان يشرح له صدري، وييسر لي أمري، انه واهب النعم، ومواليها وهو نعم المولى ونعم النصير؟.

الشارح

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة القصيدة النونية للإمام ابن القيم

الحمد لله الذي شهدت له بربوبيته جميع مخلوقاته، وأقرت له بالعبودية جميع مصنوعاته، وأدت له الشهادة جميع الكائنات انه الله الذي لا إله الا هو بما أودعها من لطيف صنعه وبديع آياته، وسبحان الله وبجمده عدد خلقه ورضاء نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته، ولا إله إلا الله الأحد الصمد الذي لا شريك له في ربوبيته ولا شبيه له في أفعاله ولا في صفاته ولا في ذاته والله أكبر عدد ما أحاط به علمه وجرى به قلمه ونفذ فيه حكمه من جميع برياته، ولا حول ولا قوة إلا بالله تفويض عبد لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، بل هو بالله وإلى الله في مبادئ أمره ونهاياته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا صاحبة له ولا ولد له ولا والد له، ولا كفؤ له الذي هو كما أثنى على نفسه وفوق ما يثني عليه أحد من جميع برياته، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وأمينه على وحيه وخيرته من بريته، وسفيره بينه وبين عباده وحجته على خلقه، أرسله بالهدى ودين الحق بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله باذنه وسراجاً منيراً، أرسله على حين فترة من الرسل وطموس من السبل، ودروس من الكتب، والكفر قد اضطربت ناره وتطايرت في الآفاق شراره، وقد استوجب أهل الأرض ان يحل بهم العقاب، وقد نظر الجبار تبارك وتعالى إليهم فمقتهم، عربهم وعجمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب.

وقد استند كل قوم إلى ظلم آرائهم وحكموا على الله سبحانه وتعالى بمقالاتهم الباطلة وأهوائهم، وليل الكفر مدلمهم ظلامه، شديد قتامه، وسبل الحق عافية

آثارها مطموسة أعلامها، ففلق الله سبحانه بمحمد ﷺ صبح الإيمان، فأضاء حتى ملأ الآفاق نورا، وأطلع به شمس الرسالة في حنادس الظلم سراجا منيرا، فهدى الله به من الضلالة، وعلم به من الجهالة، وبصر به من العمى وأرشد به من الغي، وكثر به بعد القلة، وأعز به بعد الذلة، وأغنى به بعد العيلة، واستنقذ به من الهلكة، وفتح به أعينا عمياً وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً، فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة ونصح الأمة وكشف الغمة وجاهد في الله حق جهاده وعبد الله حتى أتاه اليقين من ربه وشرح الله له صدره، ورفع له ذكره ووضع عنه وزره، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره، وأقسم بحياته في كتابه المبين، وقرن اسمه باسمه فإذا ذكر ذكر معه كما في الخطب والتشهد والتأذين، فلا يصح لأحد خطبة ولا تشهد ولا أذان ولا صلاة حتى يشهد أنه عبده ورسوله شهادة اليقين، وصلى الله وملائكته وأنبيأؤه ورسله وجميع خلقه عليه، كما عرفنا بالله وهدانا إليه، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد : فإن الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه إذا أراد أن يكرم عبد بمعرفته ويجمع قلبه عى محبته شرح صدره لقبول صفاته العلى وتلقيها من مشكاة الوحي، فإذا ورد عليه شيء منها قابله بالقبول وتلقاه بالرضا والتسليم وأذعن له بالانقياد فاستنار به قلبه واتسع له صدره وامتلاً به سروراً ومحبة، فعلم أنه تعريف من تعريفات الله تعالى تعرف به إليه على لسان رسوله، فأنزل تلك الصفة من قلبه منزلة الغذاء، أعظم ما كان إليه فاقة ومنزلة الشفاء أشد ما كان إليه حاجة، فاشتد بها فرحه، وعظم بها غناؤه، وقويت بها معرفته، واطمأنت إليها نفسه، وسكن إليها قلبه، فجال من المعرفة في ميادينها، وأسأم عين بصيرته في رياضها وبساتينها لتيقنه بأن شرف العلم تابع لشرف معلومه، ولا معلوم أعظم وأجل ممن هذه صفته، وهو ذو الأسماء الحسنى والصفات العلى، وأن شرفه أيضاً بحسب الحاجة إليه، وليست حاجة الأرواح قط إلى شيء أعظم منها الى معرفة بارئها وفاطرها ومحبته وذكره والابتهاج به، وطلب الوسيلة إليه والزلفى عنده، ولا سبيل إلى هذا إلا بمعرفة أوصافه وأسمائه، فكلما كان العبد بها أعلم كان بالله

أعرف وله أطلب وإليه أقرب، وكلما كان لها أنكر كان بالله أجهل وإليه أكره
ومنه أبعد، والله تعالى ينزل العبد من نفسه حيث ينزله العبد من نفسه، فمن
كان لذكر أسمائه وصفاته مبغضاً، وعنهما نافرأ ومنفراً، فالله له أشد بغضاً، وعنه
أعظم اعراضاً، وله أكبر مقتاً، حتى تعود القلوب إلى قلبين: قلب ذكر الأسماء
والصفات قوته وحياته ونعيمه وقرّة عينه، لو فارقه ذكرها ومحبتها لحظة
لاستغاث، يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، فلسان حاله يقول:

يراد من القلب نسيانكم وتأبى الطباع على الناقل
ويقول:

وإذا تقاضيت الفؤاد تناسيا ألفت أحشائي بذاك شاحا
ويقول:

إذا مرضنا تداوينا بذكرم فنترك الذكر أحياناً فننتكس
ومن المحال أن يذكر القلب من هو محارب لصفاته نافر من سماعها معرض
بكليته عنها زاعم أن السلامة في ذلك. كلا والله ان هو إلا الجهالة والخذلان،
والاعراض عن العزيز الرحيم، فليس القلب الصحيح قط إلى شيء أشوق منه إلى
معرفة ربه تعالى وصفاته وأفعاله وأسمائه، ولا أفرح بشيء قط كفرحه بذلك
وكفى بالعبد عمى وخذلانا أن يضرب على قلبه سرادق الإعراض عنها والنفرة
والتنفير والاشتغال بما لو كان حقاً لم ينفع إلا بعد معرفة الله والإيمان به
وبصفاته وأسمائه.

والقلب الثاني قلب مضروب بسياط الجهالة، فهو عن معرفة ربه ومحبه
مصدود، وطريق معرفة أسمائه وصفاته كما أنزلت عليه مسدود، قد قمش شبها
من الكلام الباطل وارتوى من ماء آجن غير طائل تعج منه آيات الصفات
وأحاديثها إلى الله عجيجاً، وتضج منه إلى منزلها ضجيجا بما يسومها تحريفاً
وتعطيلاً ويؤول معانيها تغييراً وتبديلاً، قد أعد لدفعها أنواعاً من العدد وهياً
لردها ضروباً من القوانين وإذا دعي إلى تحكيمها أبى واستكبر وقال: تلك أدلة

لفظية لا تفيد شيئاً من اليقين، قد أعد التأويل جنة يتترس بها من مواقع سهام السنة والقرآن وجعل اثبات صفات ذي الجلال تجسماً وتشبيها يصد به القلوب عن طريق العلم والإيمان، مزجي البضاعة من العلم النافع الموروث عن خاتم الرسل والأنبياء لكنه ملئ بالشكوك والشبه، والجدال والمراء، خلغ عليه الكلام الباطل خلعة الجهل والتجهيل، فهو يتعثر بأذيال التفكير لأهل الحديث، والتبديع لهم والتضليل، قد طاف على أبواب الآراء والمذاهب يتكفف أربابها، فانثنى بأخسر المواهب والمطالب، عدل عن الأبواب العالية الكفيلة بنهاية المراد وغاية الاحسان، فابتلى بالوقوف على الأبواب السافلة الملائنة بالخيبة والحمران، وقد لبس حلة منسوجة من الجهل والتقليد والشبهة والعناد، فإذا بذلت له النصيحة ودعي إلى الحق أخذته العزة بالاثم، فحسبه جهنم ولبس المهاد.

فما أعظم المصيبة بهذا وأمثاله على الإيمان، وما أشد الجناية به على السنة والقرآن، وما أحب جهاده بالقلب واليد واللسان الى الرحمن، وما أثقل أجر ذلك الجهاد في الميزان، والجهاد بالحجة واللسان مقدم على الجهاد بالسيف والسنان ولهذا أمر به تعالى في السور المكية حيث لا جهاد باليد انذاراً وتعذيراً، فقال تعالى: ﴿فَلَا تَطْعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَاداً كَبِيراً﴾ [الفرقان: ٥٢].

وأمر تعالى بجهاد المنافقين والغلظة عليهم مع كونهم بين أظهر المسلمين في المقام والمسير، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيَبْسُ الْمَصِيرُ﴾ [التحريم: ٩].

فالجهاد بالعلم والحجة جهاد أنبيائه ورسله وخاصته من عباده المخصوصين بالهداية والتوفيق والاتفاق، ومن مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزوات على شعبة من النفاق، وكفى بالعبد عمى وخذلاناً أن يرى عساكر الإيمان وجنود السنة والقرآن وقد لبسوا للحرب لأمتهم، وأعدوا له عدته، وأخذوا مصافهم ووقفوا مواقفهم، وقد حمى الوطيس ودارت رحى الحرب واشتد القتال وتنادت

الأقران النزال النزال، وهو في الملجأ والمغارات، والمدخل مع الخوالب كمين وإذا ساعد القدر وعزم على الخروج قعد فوق التل مع الناظرين، ينظر لمن الدائرة ليكون إليهم من المتحيزين، ثم يأتهم وهو يقسم بالله جهد أيمانه اني كنت معكم وكنت أتمنى أن تكونوا أنتم الغالبين، فحقيق بمن لنفسه عنده قدر وقيمة أن لا يبيعها بأجنس الأثمان، وأن لا يعرضها غدا بين يدي الله ورسوله لمواقف الخزي والهوان، وأن يثبت قدميه في صفوف أهل العلم والإيمان، وأن لا يتحيز إلى مقالة سوى ما جاء في السنة والقرآن، فكأن قد كشف الغطاء وانجلي الغبار وأبان عن وجوه أهل السنة مسفرة ضاحكة مستبشرة، وعن وجوه أهل البدعة عليها غبرة ترهقها قفرة، يوم تبيض وجوه وتسود وجوه.

قال ابن عباسج تبيض وجوه أهل السنة وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة والضلالة، فو الله لمفارقة أهل الأهواء والبدع في هذه الدار أسهل من موافقتهم إذا قيل: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ [الصفات: ٢٢].

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وبعده الإمام أحمد: أزواجهم: أشباههم ونظراؤهم، وقد قال تعالى: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ [التكوير: ٧] قالوا فيجعل صاحب الحق مع نظيره في درجته، وصاحب الباطل مع نظيره في درجته، هنالك والله يعض الظالم على يديه إذا حصلت له حقيقة ما كان في هذه الدار عليه، يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلا، يا ويلتي ليتني لم أتخذ فلانا خليلا لقد أضلني عن الذكر بعد اذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولاً.

فصل: وكان من قدر الله وقضائه أن جمع مجلس المذاكرة بين مثبت للصفات والعلو وبين معطل لذلك، فاستطعم المعطل المثبت الحديث استطعم غير جائع إليه ولكن غرضه عرض بضاعته عليه، فقال له ما تقول في القرآن ومسألة الاستواء؟ فقال المثبت: نقول فيها ما قاله ربنا تبارك وتعالى وما قاله نبينا ﷺ، نصف الله تعالى بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تشبيه ولا تمثيل، بل ثبت له سبحانه ما أثبتة لنفسه من

الأسماء والصفات ، وننفي عنه النقائص والعيوب ومشابهة المخلوقات ، اثباتا بلا تمثيل ، وتنزيها بلا تعطيل ، فمن شبه الله بخلقه فقد كفر ، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر ، وليس ما وصف الله به نفسه ، أو ما وصفه به رسوله تشبيها ، فالمشبه يعبد صنأ ، والمعتل يعبد عدما ، والموحد يعبد إلها واحداً صمداً ليس كمثلته شيء وهو السميع البصير .

والكلام في الصفات كالكلام في الذات ، فكما انا نثبت ذاتا لا تشبه الذوات ، فكذلك نقول في صفاته انها لا تشبه الصفات ، فليس كمثلته شيء لا في ذاته ولا في صفاته ، ولا في أفعاله ، فلا نشبه صفات الله بصفات المخلوقين ، ولا نزيل عنه سبحانه صفة من صفاته لأجل تشنيع المشنعين ، وتلقيب المفترين ، كما أنا لا نبغض أصحاب رسول الله ﷺ لتسمية الروافض لنا نواصب ، ولا نكذب بقدر الله ولا نجحد كمال مشيئته وقدرته لتسمية القدرية لنا مجبرة .

ولا نجحد صفات ربنا تبارك وتعالى لتسمية الجهمية والمعتزلة لنا مجسمة مشبهة حشوية ، ورحمة الله على القائل :

فإن كان تجسماً ثبوت صفاته فإني بجمد الله لها مثبت
إلى :

فإن كان تجسماً ثبوت صفاته لديكم فإني اليوم عبد مجسم
ورضي الله عن الشافعي حيث يقول :

ان كان رفضاً حب آل محمد فليشهد الثقلان إني رافضي

وقدس الله روح القائل وهو شيخ الإسلام ابن تيمية إذ يقول :

ان كان نصباً حب صحب محمد فليشهد الثقلان اني ناصبي

فصل : وأما القرآن فإني أقول أنه كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود ، تكلم الله به صدقاً ، وسمعه جبرائيل حقا ، وبلغه محمداً ﷺ وحيا ، وإن ﴿ كَهَيْعَتَ ﴾ [مريم : ١] و ﴿ حَمَّ عَسَقَ ﴾ [الشورى : ١] و ﴿ أَلْر ﴾ [يوسف :

[١] و ﴿ق﴾ [ق : ١] و ﴿ن﴾ [القلم : ١] عين كلام الله حقيقة ، وأن الله تكلم بالقرآن العربي الذي سمعه الصحابة من النبي ﷺ وأن جميعه كلام الله ، وليس قول البشر ، ومن قال أنه قول البشر فقد كفر . والله يصليه سقر ، ومن قال ليس لله بيننا في الأرض كلام فقد جحد رسالة محمد ﷺ فإن الله بعثه يبلغ عنه كلامه ، والرسول إنما يبلغ كلام مرسله ، فإذا انتفي كلام المرسل انتفت رسالة الرسول ، ونقول ان الله فوق سمواته مستو على عرشه بائن من خلقه ليس في مخلوقاته شيء من ذاته ، ولا في ذاته شيء من مخلوقاته ، وأنه تعالى إليه يصعد الكلم الطيب وتعرج الملائكة والروح إليه وإنه يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ، ثم يعرج إليه ، وأن المسيح رفع بذاته إلى الله وأن رسول الله ﷺ عرج به إلى الله حقيقة ، وأن أرواح المؤمنين تصعد إلى الله عند الوفاة فتعرض عليه وتقف بين يديه ، وأنه تعالى هو القاهر فوق عباده وهو العلي الأعلى وأن المؤمنين والملائكة المقربين يخافون ربهم من فوقهم ، وان أيدي السائلين ترفع إليه وحوائجهم تعرض عليه فإنه سبحانه هو العلي الأعلى بكل اعتبار ، فلما سمع المعطل منه ذلك أمسك ، ثم أسرها في نفسه وخلي بشياطينه وبني جنسه وأوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً وأصناف المكر والاحتيال .

وراموا أمراً يستحمدون به إلى نظرائهم من أهل البدع والضلال وعقدوا مجلسا يبيتون في مساء يومه ما لا يرضاه الله من القول والله بما يعملون محيط وأتوا في مجلسهم ذلك بما قدروا عليه من الهديان واللغظ والتخليط ، وراموا استدعاء المثبت إلى مجلسهم الذي عقدوه ليجعلوا نزله عند قدمه عليهم ما لفقوه من المكر وتمموه فحيس الله سبحانه عنه أيديهم وألسنتهم فلم يتجاسروا عليه ، ورد الله كيدهم في نحورهم فلم يصلوا بالسوء إليه ، وخذلم المطاع فمزقوا ما كتبه من المحاضر ، وقلب الله قلوب أوليائه وجنده عليهم من كل باد وحاضر ، وأخرج الناس لهم من المخبات كئائنها ، ومن الجوائف والمنقلات ذفائنها ، وقوى الله جأش عقد المثبت وثبت قلبه ولسانه ، وشيد بالسنة المحمدية بنيانه ، فسعى في عقد مجلس بينه وبين خصومه عند السلطان ، وحكم على نفسه كتب شيوخ القوم

السالفين وأئمتهم المتقدمين، وأنه لا يستنصر من أهل مذهبه بكتاب ولا إنسان وأنه جعل بينه وبينكم أقوال من قلدتموه، ونصوص من على غيره من الأئمة قدمتموه، وصرخ المثبت بذلك بين ظهرانيهم حتى بلغه دانيهم لقاصيهم، فلم يدعنوا لذلك واستعفوا من عقده فطالبهم المثبت بواحدة من خلال ثلاث مناظرة في مجلس عالم على شريطة العلم والانصاف تحضر فيه النصوص النبوية والآثار السلفية وكتب أئمتكم المتقدمين من أهل العلم والدين، فقليل لهم لا مراكب لكم تسابقون بها في هذا الميدان وما لكم بمقاومة فرسانه يدان فدعاهم الى مكاتبة بما يدعون إليه، فإن كان حقا قبله وشكرم عليه وإن كان غير ذلك سمعتم جواب المثبت، وتبين لكم حقيقة ما لديه، فأبوا ذلك أشد الالباء، واستعفوا غاية الاستعفاء، فدعاهم إلى القيام بين الركن والمقام قياماً في مواقف الابتهاج حاسري الرؤوس، نسأل الله أن ينزل بأسه بأهل البدع والضلال.

وظن المثبت والله أن القوم يجيبونه إلى هذا، فوطن نفسه عليه غاية التوطن، وبات يحاسب نفسه، ويعرض ما يثبته وينفيه على كلام رب العالمين، وعلى سنة خاتم الأنبياء والمرسلين، ويتجرد من كل هوى يخالف الوحي المبين، ويهوي بصاحبه إلى أسفل السافلين فلم يجيبوا إلى ذلك أيضاً، وأتوا من الاعتذار بما دله على أن القوم ليسوا من أولي الأيدي والأبصار، فحينئذ شمر المثبت عن ساق عزمه وعقد لله مجلساً بينه وبين خصمه يشهده القريب والبعيد، ويقف على مضمونه الذكي والبليد وجعله عقد مجلس التحكيم بين المعطل الجاحد والمثبت المرمي بالتجسيم.

وقد خاصم في هذا المجلس بالله وحام إليه وبريء إلى الله من كل هوى وبدعة وضلالة وتحيز إلى فئة رسول الله ﷺ، وما كان أصحابه عليه والله سبحانه هو المسؤول أن لا يكله إلى نفسه ولا إلى شيء مما لديه، وأن يوفقه في جميع حالاته لما يحبه ويرضاه، فإن أزمة الأمور بيديه وهو يرغب إلى من يقف على هذه الحكومة أن يقوم لله قيام متجرد عن هواه قاصد لرضاء مولاه، ثم يقرؤها متفكراً ويعيدها ويبدئها متدبراً، ثم يحكم فيها بما يرضي الله ورسوله

وعبادة المؤمنين، ولا يقابلها بالسب والشم كفعل الجاهلين والمعاندين، فإن رأى حقاً تبعه وشكر عليه، وإن رأى باطلاً رده على قائله وأهدى الصواب إليه، فإن الحق لله ورسوله، والقصد أن تكون كلمة السنة هي العليا جهادا في الله وفي سبيله، والله عند لسان كل قائل وقلبه، وهو المطلع على نيته وكسبه، وما كان أهل التعطيل أولياءه، ان أولياؤه إلا المتقون، المؤمنون المصدقون: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ، وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥].

فصل: وهذه أمثال حسان مضروبة للمعطل والمشبه والموحد، ذكرناها قبل الشروع في المقصود، فإن ضرب الأمثال مما يأنس به العقل لتقريبها المعقول من المشهود، وقد قال تعالى، وكلامه المشتمل على أعظم الحجج وقواطع البراهين: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾ [الحشر: ٢١] الآية: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣] وقد اشتمل منها على بضعة وأربعين مثلاً، وكان بعض السلف إذا قرأ مثلاً لم يفهمه يشتد بكأوه ويقول لست من العالمين، وسنفرد لها ان شاء الله كتاباً مستقلاً متضمناً لأسرارها ومعانيها وما تضمنته من كنوز العلم وحقائق الإيمان، والله المستعان وعليه التكلان.

المثل الأول: ثياب المعطل ملطخة بعذرة التحريف، وشرابه متغير بنجاسة التعطيل. وثياب المشبه متضمخة بدم التشبيه وشرابه متغير بدم التمثيل، والموحد طاهر الثوب والقلب والبدن، يخرج شرابه من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين.

المثل الثاني: شجرة المعطل مغروسة على شفا جرف هار. وشجرة المشبه قد اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار. وشجرة الموحد أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون.

المثل الثالث: شجرة المعطل شجرة الزقوم، فالخلوق السليمة لا تبلعها.

وشجرة المشبه شجرة الخنظل ، فالنفوس المستقيمة لا تتبعها . وشجرة الموحد طوي يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها .

المثل الرابع: المعطل قد أعد قلبه لوقاية الحر والبرد كبيت العنكبوت ، والمشبه قد خسف بعقله ، فهو يتجلجل في أرض التشبيه الى البهوت ، وقلب الموحد يطوف حول العرش ناظرا إلى الحي الذي لا يموت .

المثل الخامس: مصباح المعطل قد عصفت عليه أهوية التعطيل فطفئ وما أنار ، ومصباح المشبه قد غرقت فتيلته في عسكر التشبيه فلا تقتبس منه الأنوار ، ومصباح الموحد يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية ، يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسه نار .

المثل السادس: قلب المعطل متعلق بالعدم فهو أحقر الحقير ، وقلب المشبه عابد للصنم الذي قد نحت بالتصوير والتقدير ، والموحد قلبه متعبد لمن ليس كمثل شيء وهو السميع البصير .

المثل السابع: نقود المعطل كلها زيوف فلا تروج علينا ، وبضاعة المشبه كاسدة فلا تنفق لدينا ، وتجارة الموحد ينادي عليها يوم العرض على رؤوس الأشهداء هذه بضاعتنا ردت إلينا .

المثل الثامن: المعطل كنافخ الكير اما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة ، والمشبه كبائع الخمر ، اما أن يسرك وإما أن ينجسك ، والموحد كبائع المسك اما أن يخذيك وإما يبيعك وإما أن تجد منه رائحة طيبة .

المثل التاسع: المعطل قد تخلف عن سفينة النجاة ولم يركبها فأدركه الطوفان ، والمشبه قد انكسرت به اللجة ، فهو يشاهد الغرق بالعيان ، والموحد قد ركب سفينة نوح ، وقد صاح به الربان : اركبوا فيها باسم الله مجريها ومرساها ، ان ربي لغفور رحيم .

المثل العاشر: منهل المعطل كسراب بقية يحسبه الظآن ماء حتى إذا جاءه لم

يجده شيئا فرجع خاسئا حسيرا . ومشرب المشبه من ماء قد تغير طعمه ولونه
وريجه بالنجاسة تغييرا ، ومشرب الموحد من كأس كان مزاجها كافورا ، عينا
يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا (وقد سميتها بالكافية الشافية في الانتصار
للفرقة الناجية).

وهذا حين الشروع في المحاكمة ، والله المستعان ، وعليه التكلان ، ولا حول
ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

[القصيدة النونية وشرحها]

حكم المحبة ثابت الأركان
أنى وقاضي الحسن نفذ حكمها
وأنت شهود الوصل تشهد أنه
فتأكد الحكم العزيز فلم يجد
وأتى الوشاة فصادفوا الحكم الذي
ما صادف الحكم المحل ولا هو
فلذاك قاضي الحسن أثبت محضراً
وحكى لك الحكم المحال ونقضه
حكم الوشاة بغير ما برهان
والله ما هذا بكم مقسط
شأن بين الحالتين فان ترد
ما للصدود بفسخ ذاك يدان
فلذا أقر بذلك الخصمان
حق جرى في مجلس الإحسان
فسخ الوشاة إليه من سلطان
حكموا به متيقن البطلان
استوفى الشروط فصار ذا بطلان
بفساد حكم الهجر والسلوان
فاسمع إذأ يا من له أذنان
أن المحبة والصدود لدان
أين الغرام وصد ذي هجران
جمعاً فما الضدان يجتمعان

المفردات: الأركان جمع ركن، وهو جانب الشيء الأقوى - الصدود الهجر والتمنع - يدان تثنية يد بمعنى القدرة - أنى بمعنى كيف، الوشاة جمع واش، من وشى به يشي وشاية إذا نم عليه وسعى به، لدان تثنية لدة كعدة وهي الترب أي المساوي، مسقط أي عادل، الغرام الحب.

الشرح: بدأ الشيخ قصيدته بالنسب جرياً على عادة الشعراء في ذلك، ولكن لم يعن بالمحبة هنا إلا ما يتعلق منها بالمطالب العالية، والمعاني الشريفة التي

تتعشقها القلوب الكبيرة، وتجذب في طلبها ووصولها، وتسهر الليالي في تحصيلها.

وفي هذه الأبيات يخبر أن حكم تلك المحبة بالجد في طلب المحبوب والظفر بوصله حكم وطيد الأركان، ثابت الدعائم لا يستطيع الصدود والاعراض فسخه وأبطاله، كيف وقاضي الحسن والجمال هو المنفذ لذلك الحكم، مما حمل كلا من الخصمين على الاقرار به. وجاء شهود الوصل يشهدون بمجعية ذلك الحكم وثبوته حتى تأكد غاية التأكيد، وبذلك أصبح حكم الوشاة والعاذلين حكماً لاغياً تهاوت منه الأركان فخر صريعاً على الأذقان.

ولما أخبر أن حكم المحبة قد توفرت له كل وسائل القوة والتنفيذ وأنه لا سبيل للوشاة الى نقضه وابطاله، بين حكمهم المنافي لحكم المحبة وهو الداعي إلى الصدود والهجران، فقال ان الوشاة أدركوا بطلان ذلك الحكم الذي حكموا به بطلاننا يقينا، لأنه حكم لم يصادف محله، ولا استوفى شروطه، ومن أجل ذلك حرر قاضي الحسن محضراً بفساد حكم الهجر والسلوان وأنكر على الوشاة زعمهم أن المحبة والصدود لدان، ثم أقسم أن هذا حكم في غاية الجور وليس بحكم مقسط، فإنه يسوي بين أمرين متضادين، ومعلوم ببديهية العقل أن الضدين لا يجتمعان في محل واحد بحيث يتصف بهما في وقت معا:

★ ★ ★

يا والهأ هانت عليه نفسه	إذ باعها غبناً بكل هوان
أتبيع من يهواه نفسك طائعاً	بالصد والتعذيب والهجران
أجهلت أوصاف المبيع وقدره	أم كنت ذا جهل بذئ الأثمان
واها لقلب لا يفارق طيره الأغـ	صان قائمة على الكثمان
ويظل يسجع فوقها ولغيره	منها الثار وكل قطف دان
ويبيت يبكي والمواصل ضاحك	ويظل يشكو وهو ذو شكران
هذا ولو أن الجمال معلق	بالنجم هم إليه بالطيران

المفردات: الواله: المتحير من شدة الوجد. الغبن في البيع: النقص من الثمن

أو غيره واهـا : كلمة تقال اما للتعجب من الشيء أو للتلهف والحسرة - الكشبان : جمع كئيب ، وهو التل من الرمل ، والسجع : شدو الطير وغناؤه - قطف : بكسر القاف بمعنى مقطوف .

الشرح : يخاطب المؤلف بهذه الأبيات المحب الذي لا يرضى شروط المحبة ولا يعرف قدر محبوبه ، فهو مع ما يكابده من الوجد والشوق قد هانت عليه نفسه فلم يعطها حظها من وصل محبوبها لأنه باعه طائعا بأبخس الأثمان ، أعني بالصد والتعذيب والهجران ، وذلك لجهله بوصف ذلك المبيع وقدره وما يستحقه من غالي الأثمان . ثم يلتفت الشيخ متحسرا على ذلك القلب الهائم الذي استبد به الهيام ، فطيره لا يفارق تلك الأغصان القائمة على كئبانها ، ويدم الشدو والغناء فوقها ، ومع ذلك فهو محروم من ثمارها وقطوفها على حين يستمتع بها غيره ممن واتاهم الحظ بوصول ذلك المحبوب ، وهو كذلك يبيت ليله شاكيا باكيا يندب حظه ويتجرع قسوة الحرمان ، على حين يبيت ذو الوصل ضاحكاً نشوان .

ولكنه مع كل هذا الحرمان والعذاب في الحب فهو لا يسلو ولا يزال مفتونا بالجمال ، حتى أنه لو وجده معلقاً بالثرثرا لما قعد عن الطيران إليه .

★ ★ ★

عسس الأمير ومرصد السجان	لله زائرة بليل لم تخف
من أرض طيبة مطلع الإيمان	قطعت بلاد الشام ثم تيممت
مقاته حلاً بلا نكران	وأنت على وادي العقيق فجاوزت
قصداً لها فألاً بأن ستراني	وأنت على وادي الأراك ولم يكن
ومنى فكم نخرته من قربان	وأنت على عرفات ثم محسر
ذات الستور وربة الأركان	وأنت على الجمرات ثم تيممت
رمت الجار ولا سعت لقران	هذا وما طافت ولا استلمت ولا

المفردات : العسس : في الأصل مصدر عس إذا طاف بالليل : يجرس الناس ويكشف أهل الريبة ، المراد به هنا جماعة الحراس ، المرصد : مكان الرصد .

التيتم: القصد: أرض طيبة هي المدينة دار الهجرة، وكانت تسمى يثرب، المطلع: مكان الطلوع وهو الظهور. وادي العقيق: واد من أودية المدينة، أهل منه النبي ﷺ، وفي الحديث «أتاني آت بالعقيق فقال صل في هذا الوادي المبارك، ثم قل عمرة في حجة». وادي الارك وعرفات ومحسر ومنى، كلها أمكنة مشهورة بالحجاز، ذات الستور: الكعبة المشرفة، القران: الاحرام بالعمرة والحج معا.

الشرح: يتخيل الشيخ في هذه الأبيات جريا على عادة الشعراء زائرة حسناء قد طرقته ليلا في غير خوف من العيون والارصاد، وأنها قبل أن تقدم عليه قد قامت برحلة طويلة وطوفت في أماكن كثيرة فاجتازت بلاد الشام قاصدة أرض طيبة التي شع منها نور الحق وصريح الايمان.

ثم أتت على وادي العقيق وهو ميقات أهل المدينة فتجاوزته حلا بدون احرام ومن غير أن ينكر ذلك عليها أحد، ثم أتت على وادي الأراك، وما بعده من الأماكن التي تؤدي عندها المناسك، ولم تكن تقصد لقاوي ولا تتوقعه، فأتت على عرفات وهو الجبل المشهور الذي يعتبر الوقوف عليه عشية التاسع من ذي الحجة أعظم أركان الحج، ثم أفاضت منه إلى وادي محسر وهو المزدلفة، ويقال له جمع ثم إلى منى التي ترمى عندها الجمار وتنحر القربان، ثم قصدت بعد ذلك إلى البيت في مكة. وهي مع ذلك لم تطف ولم تسع ولا استلمت الحجر ولا رمت الجمار ولا سعت بين الصفا والمروة من أجل قران، وهو الجمع بين الحج والعمرة.

وما أشبه زائرة الشيخ هذه، بما كان يسميه بعض الصحفيين هنا في مصر (بالجاسوسة الحسنة) التي تأتيه بالأخبار وتوافيه بالأسرار، وهو مدخل لطيف يقدمه الشيخ بين يدي حكايته للمذاهب والمقالات التي كشف عوارها وهتك أستارها فيما سيأتي من أبيات هذه القصيدة الشاء.

★ ★ ★

ورقت إلى أعلى الصفا فتيممت داراً هنالك للمحث العاني
أترى الدليل أعارها أثوابه والريج أعطتها من الخفقان

والله لو أن الدليل مكانها هذا ولو سارت مسير الريح ما سارت وكان دليلها في سيرها وردت جفار الدمع وهي غزيرة وعلت على مين الهوى وتزودت ما كان ذلك منه في امكان وصلت به ليلاً إلى نعمان سعد السعود وليس بالدبران فلذلك ما احتاجت ورود الضان ذكر الحبيب ووصلت المتداني

المفردات: الصفا: هو الجبل المعروف، المحث: اسم فاعل من أحثه على كذا بمعنى نشطه، ومفعوله محذوف أي المحث راحلته، العاني: الأسير، الخفقان الاضطراب ومنه خفق الطائر بجناحيه، نعمان: اسم مكان ويقال له نعمان الأراك، وسعد السعود والدبران نجمعان يكتنى بهما عن الاقبال والادبار. جفار: جمع جفر وهي البئر الواسعة، المين: الكذب.

الشرح: يقول الشيخ: ان تلك الحسنة في رحلتها المباركة الطويلة صعدت على أعلى الصفا، وأنها قصدت هناك دارا للمحث مطاياها، المكبل بقيود هواه، ولعله يقصد بها دار الأرقم بن أبي الأرقم التي كانت أول مدرسة في الاسلام يجتمع فيها النبي ﷺ بأصحابه يقرئهم القرآن ويعلمهم عقائد الايمان، ثم يعجب الشيخ لشأن تلك الزائرة كيف كانت تسير في هذه المتاهات بلا دليل وبسرعة الريح، حتى أنها قد بزت الدليل في خبرتها والريح في سرعتها، وكان اهتداؤها في مسيرها بذلك النجم الميمون المسمى بسعد السعود، وليس بالدبران الذي هو علامة النجس والشؤم، وأنها وردت آبار الدمع غزارا فاكتفت بها عن كل ورد سواها، وأنها ربأت بنفسها عن كذب الهوى، وكان زادها في رحلتها ذكر الحبيب ووصله المتداني القريب.

★ ★ ★

وعدت بزورتها فأوفت بالذي لم يفجأ المشتاق إلا وهي دا قالت وقد كشفت نقاب الحسن ما وعدت وكان بملتقى الأجنان خلة الستور بغير ما استئذان بالصبر لي عن أن أراك يدان

وتحدثت عندي حديثاً خلت به صدقاً وقد كذبت به العينان
فعبجت منه وقلت من فرحي به طمعاً ولكن المنام دهاني
ان كنت كاذبة الذي حدثني فعليك أثم الكاذب الفتان

المفردات: الزورة الزيارة - أوفت أنجزت - ملتقى الأجفان كناية عن النوم
فجأة الأمر أخذه على غرة النقاب: ما تنتقب به المرأة كالبرقع. دهاه الأمر غلبة
وحيرة الفتان: الشديد الفتنة، وهي خدع الناس وتضليلهم.

الشرح: يعني أن هذه الحسنة كانت قد وعدته بزيارتها فأنجزت ما وعدت
ولكنها لم تجيء إلا في وقت متأخر من الليل حين التقت منه الأجفان وغلبه
النعاس. ثم لم يفجأه إلا دخولها عليه سافرة قد أماطت عن وجهها لثام الحسن ولم
تراع في دخولها أدب الاستئذان رفعاً للكلفة وعجزاً عن الصبر، ثم صرحت له
بما يعتلج في قلبها من الوجد، وأنها لم تعد تقوى على الصبر عنه، ثم أخذت
تحدثه حديثاً ظنه صدقاً، فأخذه العجب من حديثها وطلاوته حتى قال من فرحه
بذلك الحديث مع ما كان يغالبه من النوم: ان كنت قد كذبت فيما حدثني به
فقد بؤت بأثم الكاذب الفتان.

★ ★ ★

جهم بن صفوان وشيعته الألى جحدوا صفات الخالق الديان
بل عطلوا منه السموات العلى والعرش أخلوه من الرحمن
ونفوا كلام الرب جل جلاله وقضوا له بالخلق والحدثان

المفردات: شيعته أنصاره في مذهبه. جحدوا أنكروا - الديان: اسم له تعالى
من الدين بمعنى الجزاء. عطلوا من التعطيل بمعنى النفي - العرش: الجسم المعروف
الذي استوى ربنا عليه، الحدثان: الحدوث الذي هو سبق العدم.

الشرح: قوله: جهم بن صفوان بدل من الكاذب الفتان، وكان الجهم من
أكذب الناس على الله وأعظمهم فتنة وضلالة في الدين. قال الذهبي عنه في الميزان

« جهم بن صفوان » أبو محرز السمرقندي الضال المبتدع رأس الجهمية، هلك في زمان التابعين وما علمته روى شيئاً، لكنه زرع شراً عظيماً.

وقال البخاري في رسالته (خلق أفعال العباد):

« وحدثني أبو جعفر حدثني يحيى بن أيوب قال: سمعت أبا نعيم الباغي قال: كان رجل من أهل مرو صديقاً لجهم ثم قطعه وجفاه فقيل له: لم جفوته؟ فقال احتملت منه مالا يحتمل، قرأت يوماً آية كذا وكذا أنسيها يحيى، فقال: ما كان أظرف محمداً فاحتملتها. ثم قرأ سورة طه، فلما قال ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] قال: أما والله لو وجدت سبيلاً إلى حكها لحككتها من المصاحف فاحتملتها، ثم قرأ سورة القصص، فلما انتهى إلى ذكر موسى قال: ما هنا ذكر قصته في موضع فلم يتمها ثم رمى المصحف من حجره برجليه فوثبت عليه. »

ثم قال البخاري: (بلغني أن جهما كان يأخذ من الجعد بن درهم، وكان خالد القسري أمير العراق خطب فقال: إني مضح بالجعد بن درهم إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولم يكلم موسى تكليماً).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في (الفتوى الحموية)، فإن أول من حفظ عنه أنه قال هذه المقالة في الإسلام هو الجعد بن درهم، وأخذها عنه الجهم بن صفوان وأظهرها، فنسبت مقالة الجهمية إليه. وقيل أن الجعد أخذ مقالته عن أبان بن سمعان، وأخذها أبان عن طالوت ابن أخت لبيد بن الأعصم اليهودي الساحر الذي سحر النبي ﷺ.

وذكر الطبري في تاريخه في حوادث سنة تسع وعشرين بعد المائة أن الحارث ابن سريج خرج على نصر بن سيار عامل خراسان لبني أمية وحاربه، وكان الجهم كاتباً للحارث، فقتل الحارث في سنة ثمان وعشرين ومائة في خلافة مروان الحمار آخر خلفاء بني أمية، وأما الجهم فقيل أنه قتل أيضاً في المعركة، وقيل بل أسره نصر بن سيار وسلمه إلى سالم بن أحوز فقتله. وكان سالم على شرطة خراسان،

وقيل أن سالماً قتله لما بلغه فساد نحلته، وأنه ينكر أن الله كلم موسى تكليماً .

ولما كان مذهب الجهم في التعطيل والجبر أصلاً تفرع عنه كثير من فرق الضلال كالمعتزلة والفلاسفة ومتأخري الأشعرية والقرامطة الباطنية وملاحدة الصوفية القائلين بالحلول والوحدة، كابن عربي وابن سبعين وأضرابهما، بدأ المصنف بيانه مع التفصيل والاسهاب، فأخبر أن الجهم وشيعته أنكروا صفات الخالق جل وعلا، وخلصه مذهب الجهم في هذا أنه لا يجوز أن يوصف الله عز وجل بصفة يوصف بها خلقه لأن ذلك يقتضي في زعمه تشبيهاً، فنفى كونه حياً عالماً مريداً الخ، ولكنه أثبت كونه قادراً فاعلاً خالقاً، لأن المخلوق عنده لا يوصف بهذه الأشياء .

وأما شيعة الجهم من أهل النفي والتعطيل فإنهم ليسوا في تجهمهم بدرجة سواء بل منهم غال كالفلاسفة أتباع مذاهب اليونان، فإنهم لم يشبوا له إلا وجوداً مطلقاً بشرط الاطلاق ولم ينعتهوا إلا بالسلب والاضافات، ويليهم المعتزلة الذين أثبتوا الأسماء دون الصفات، ثم متأخرو الأشعرية الذين أثبتوا بعض الصفات ونفوا بعضها، وسيأتي في كلام المؤلف رحمه الله ما فيه الكفاية في الرد عليهم . وبعد أن ذكر مذهبهم في حجد الصفات اجمالاً أخذ في تفصيل ذلك، فذكر كل واحدة من الصفات التي نفوها، فمن ذلك استواؤه تعالى على العرش، فالجهمية كلهم غاليتهم وقاصرهم لا يؤمنون بأن في السماء ربا ولا فوق العرش الهابل عطلوا منه السموات العلى، وأخلوا منه عرشه العظيم، مخالفين بذلك صريح الكتاب والسنة واجماع سلف الأمة وأئمتها بل واجماع الشرائع السماوية كلها التي قامت على أساس أن الله عز وجل في السماء، وأن الوحي ينزل من عنده على المصطفين من عباده .

وكذلك نفوا أن يكون الله عز وجل متكلماً بكلام هو صفة له قائمة به، ولكنه متكلم عندهم بمعنى أنه خالق للكلام كخلقه لسائر الأعراض والأجسام، فكلام الله عندهم مخلوق محدث منفصل عنه كسائر مفعولاته، وإنما يضاف إليه

على سبيل التشريف كما يقال: بيت الله وناقاة الله، وقضوا على كلامه سبحانه بالخلق، أي بأنه من جملة المخلوقات التي توجد بالقدرة منفصلة عن الذات. وبالحدثان يعني بالأولية والابتداء، فعندهم أن الله صار متكلماً أي خالقاً للكلام بعد أن لم يكن كذلك، ومعنى هذا أن القرآن وسائر الكتب المنزلة لم يتكلم الله بها وإنما خلقها في اللوح أو في الهواء، وكذلك تكليمه تعالى لموسى عليه السلام، إنما هو بكلام خلقه في الشجرة ونحو ذلك.

★ ★ ★

قالوا وليس لربنا سمع ولا بصر ولا وجه، فكيف يدان وكذلك ليس لربنا من قدرة كلا ولا وصف يقوم به سوى وحياته هي نفسه وكلامه وإرادة أو رحمة وحنان ذات مجردة بغير معان هو غيره فاعجب لذا البهتان

الشرح: يعني أن من جملة الصفات التي نفاها الجهمية المعطلة عن الله عز وجل صفة السمع التي يسمع بها الأصوات، وصفة البصر التي يرى بها المرئيات، وصفة الوجه التي نطقت بثبوتها الآيات.

وقوله (فكيف يدان) استفهام انكاري معناه النفي، يعني أنهم إذا كانوا قد نفوا عنه هذه الصفات المتقدمة مع اقتضاء العقل لثبوتها، فكيف يعقل أن يثبتوا له صفة اليدين.

وكذلك نفوا عنه صفة القدرة التي بها الإيجاد والاعدام وصفة الإرادة التي يقع بها التخصيص في الممكنات على وفق علمه وحكمته. وكذلك نفوا عنه صفتي الرحمة والحنان وسائر ما يقوم به من المعاني التي أثبتتها لنفسه أو أثبتتها له رسوله ﷺ، ولم يثبتوا إلا ذاتا مجردة عن كل معنى ووصف، ونسبوا إليها آثار الصفات فقالوا: إنه بذاته يعلم ويقدر ويريد ويسمع الخ.

قوله (سوى ذات مجردة الخ) استثناء منقطع، إذ المستثنى ليس من جنس المستثنى منه، فإن الذات ليست من جنس الصفات.

وقوله (وحياته هي نفسه الخ) بيان لما يلزم مذهبهم في النفي من تناقض
وافتراء حيث جعلوا حياته هي نفسه وذاته، وجعلوا كلامه مغايراً له منفصلاً
عنه مع أنها متماثلان في أن كلا منهما معنى قائم به .

★ ★ ★

وكذاك قالوا ما له من خلقه	أحد يكون خليله النفساني
وخليله المحتاج عندهم وفي	ذا الوصف يدخل عابد الأوثان
فالكل مفتقر إليه لذاته	في أسر قبضته ذليل عان
ولأجل ذا ضحى بجعد خالد الـ	قسري يوم ذبائح القربان
اذ قال إبراهيم ليس خليله	كلا ولا موسى الكليم الداني
شكر الضحية كل صاحب سنة	لله درك من أخي قربان

الشرح: أنكر الجهمية صفة الخلة التي هي كمال المحبة المستغرقة للمحب
بدعوى أن المحبة لا تكون إلا لمشاركة ومناسبة بين المحب والمحوب، ومعلوم
أنه لا مناسبة بين القديم والحادث توجب ذلك. وحرفوا الكلم عن مواضعه
فقالوا: ان معنى الخليل في قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء:
١٢٥] الفقير المحتاج. ولا شك في فساد هذا التأويل، إذ لا يكون حينئذ
لتخصيص إبراهيم بالخلة معنى، فإن الفقر والاحتياج لازم لجميع الخلق لزوماً
ذاتياً لا يمكن الانفكاك عنه، وبذلك يكون وصف الخلة متناولاً لجميعهم حتى
عبدة الأوثان الذين هم ألد أعداء الرحمن.

فقوله (وفي ذا الوصف... الخ) رد على الجهمية في تفسيرهم الخليل بالفقير
المحتاج بأنه يدخل فيه عموم الخلق، ومنهم عبدة الأوثان لافتقار الجميع إليه
افتقاراً ذاتياً لا يتصور معه استغناء في أي لحظة، والكل في قهر قبضته خاضع
ذليل.

وكذلك أنكروا حقيقة التكليم الذي هو مشافهة الله لبعض عباده من وراء
حجاب، كما هو ثابت لموسى بالكتاب ولنبينا محمد عليها الصلاة والسلام ليلة

الاسراء، وزعموا أن تكليم الله لموسى انما هو بكلام خلقه في الشجرة أو في الهواء، ويقال أن أول من ابتدع هذه المقالة في الاسلام هو الجعد بن درهم في أوائل المائة الثانية، كما سبقت الإشارة إليه، فضحى به خالد بن عبد الله القسري أمير العراق بواسط في يوم عيد الأضحى حيث قال:

(أيها الناس اذهبوا إلى اصاحيكم يتقبل الله منكم فإني مضح بالجعد بن درهم أنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولا كلم موسى تكليماً) ثم نزل فذبحه، وكان ذلك بفتوى أهل زمانه من التابعين، فشكر له صنيعه أهل السنة والجماعة.

ثم أخذ هذا المذهب عن الجعد الجهم بن صفوان الذي تقدمت ترجمته فأظهره وناظر عليه. وعن الجهم انتقل إلى المعتزلة اتباع (عمرو بن عبيد) الذين ظهر أمرهم واستفحل في عهد المأمون وأخيه المعتصم، حتى امتحن أهل السنة امتحاناً شديداً كان من نتيجته أن ضرب امام أهل السنة أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني رضي الله عنه وطيف به، وينبغي أن يعلم أن محبته تعالى وخلته انما هما على ما يليق به كسائر صفاته فلا مشابهة بين ما هو ثابت للخالق جل وعلا من ذلك وبين ما هو ثابت للمخلوق.

★ ★ ★

والعبد عندهم فليس بفاعل	بل فعله كتحرك الرجفان
وهبوب ريح أو تحرك نائم	وتحرك الأشجار للميلان
والله يصليه على ما ليس من	أفعاله حر الحميم الآن
لكن يعاقبه على أفعاله	فيه تعالى الله ذو الاحسان
والظلم عندهم المحال لذاته	أنى ينزه عنه ذو السلطان
ويكون مدحاً ذلك التنزيه ما	هذا بمقبول لدى الأذهان

يرى الجهم أنه لا اختيار للعبد في شيء من فعله، وأن أفعاله تصدر عنه على سبيل الاضطرار، بل هو يرى أن لا فعل للعبد أصلاً وأن الفعل ينسب إليه

مجازا كما يقال سقط الجدار وجرى الماء .

وضرب المؤلف مثلا لذلك بتحريك الرجفان ، وهو الخائف المرتعد . وهبوب الريح وحركة النائم وتمايل الأشجار ، ومن المعلوم أن كل هذه أفعال اضطرارية .

ويقول الجهمية : ان الله يعاقب العبد على ما ليس من فعله من المعاصي والذنوب ويذيقه عليها العذاب الشديد ، وحر الحميم الآن ، وهو الماء الحار الشديد الحرارة - بل ان الله يعاقبه على فعله هو فيه ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا - وقالوا ان هذا ليس ظلما ، لأنه تصرف في محض ملكه وسلطانه وهو ممكن ، والظلم انما هو المحال لذاته .

وقده ردّ المؤلف عليهم بأن الظلم إذا كان محالا لذاته لم يكن في نفيه عن الله عز وجل مدح ، مع أن الله قد مدح نفسه بنفي الظلم عنه كما في قوله ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ [النساء : ٤] ﴿ مَا يَبْدُلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ [ق : ٢٩] وفي الحديث القدسي « يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا » .

وذلك لا يكون إلا إذا كان الظلم في ذاته ممكنا ويكون مختارا في تركه ، اذ لا يعقل أن يتمدح أحد بما لا يتصور وقوعه منه لاستحاله في ذاته .

★ ★ ★

وكذا قالوا ماله من حكمة	هي غاية للأمر والاتقان
ما ثم غير مشيئة قد رجحت	مثلا على مثل بلا رجحان
هذا وما تلك المشيئة وصفه	بل ذاته أو فعله قولان
وكلامه مذ كان غيرا كان مخ	لوقاله من جملة الأكوان

الشرح : اختلفت مذاهب الناس في الحكمة بمعنى العلة الباعثة على الخلق والأمر ، وهل لله حكمة من أجلها يفعل ويأمر ، أم ليس هناك إلا مجرد الارادة

التي ترجح أحد المتماثلين على الآخر بلا مرجح.

فذهب الأشاعرة والفلاسفة الى نفي الغرض عن فعله تعالى وأمره، وقالوا ان الفاعل لغرض مستكمل بذلك الغرض. وأما المعتزلة فمع اثباتهم الحكمة لله في خلقه وأمره لا يجعلونها صفة له قائمة، بل يجعلونها مخلوقة منفصلة عنه.

وكان الجهم - قبحه الله وأخزاه - على رأس النفاة الذين لا يشبتون لله حكمة يحبها ويرضاها ويفعل لأجلها وتكون غاية للأمر واتقان الفعل ولا يشبتون إلا مشيئة مجردة يزعمون أنها كافية في ترجيح أحد المثليين على الآخر بلا مرجح.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في جواب أهل العلم:

« فإن هذه الأقاويل أصلها مأخوذة من الجهم بن صفوان امام غلاة المجبرة، وكان ينكر رحمة الرب ويخرج إلى الجذمي فيقول « أرحم الراحمين يفعل مثل هذا » يريد بذلك أنه ما ثم إلا ارادة رجح بها أحد المتماثلين بلا مرجح لا لحكمة ولا لرحمة ».

والجهم مع هذا لا يثبت المشيئة وصفا لله قائما به جريا على مذهبه في النفي والتعطيل، بل يجعلها تارة نفس الذات وتارة يفسرها بما تعلقت هي به من المفعول المراد. كما جعل كلامه مغايرا له منفصلا عنه، وقال انه مخلوق كسائر الأكوان المخلوقة.

★ ★ ★

قالوا واقرار العباد بأنه	خلاقهم هو منتهى الإيمان
والناس في الايمان شيء واحد	كالمشط عند تماثل الأسنان
فاسأل أبا جهل وشيعته ومن	والاهم من عابدي الأوثان
وسل اليهود وكل أكلف مشرك	عبد المسيح مقبل الصليبان
وأسأل ثمود وعاد بل سل قبلهم	أعداء نوح أمة الطوفان
وأسأل أبا الجن اللعين أتعرف الـ	خلاق أم أصبحت ذا نكران

واسأل شرار الخلق أغلى أمة لوطية هم ناكحو الذكران
وأسأل كذاك امام كل معطل فرعون مع قارون مع هامان
هل كان فيهم منكر للخالق الـ رب العظيم مكنون الأكوان
فليشروا ما فيهم من كاسفر هم عند جهنم كاملو الإيمان

الشرح: اختلف الناس في حقيقة الإيمان على أقوال شتى، أصحها ما ذهب إليه السلف من أنه تصديق بالجنان واقرار باللسان وعمل بالأركان.

وروي عن أبي حنيفة أنه تصديق واقرار فقط، بل روي عنه أنه جعل الاقرار ركنا زائدا ليس بأصلي. وذهب الكرامية إلى أن الإيمان اقرار باللسان فقط، فمن أقر بلسانه فهو مؤمن عندهم بمعنى أنه يسمى بذلك، وان كان مستحقا للوعيد.

وذهب الجهم وشيعته إلى أن الايمان هو مجرد المعرفة بأن الله هو الرب الخالق لكل شيء، والناس في هذه المعرفة متساوون كأسنان المشط، لا يزيد أحدهم فيها على غيره ولا ينقص عنه.

وقد بين المؤلف رحمه الله فساد هذا المذهب بأنه يلزم عليه أن يكون أبو جهل أشقى هذه الأمة وشيعته في الكفر والعناد ومن والاهم من عبدة الأوثان. وأن يكون اليهود الذي لعنهم الله وغضب عليهم وأن يكون كل أقلف مشرك من النصرارى الذي لا يَخْتَنُونَ. وأن تكون ثمود الذين عقروا الناقة وقوم هود الذين استكبروا في الأرض بغير الحق، وقالوا من أشد منا قوة، وقوم نوح الذين فسقوا عن أمر الله، وأن يكون ابليس رأس الشر وقوم لوط ناكحو الذكران من العالمين، وفرعون وهامان وقارون - يلزم أن يكون هؤلاء جميعا على مذهب الجهم مؤمنين كاملي الايمان، فإن الاقرار بوجود صانع للعالم مركز في الفطر، ولم ينازع فيه أحد من العقلاء.

وأما قول فرعون على جهة التجاهل والانكار ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣] فهو مكابرة منه مع علمه بالحق، ولهذا قال له موسى عليه

السلام: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرٍ﴾
[الإسراء: ١٠٢].

وليس هناك اعظم فسادا من قول يجعل هؤلاء الذين هم أئمة الكفر والضلال
أخيارا مؤمنين، ان مجرد المعرفة بالحق لا تكفي لتحقيق الايمان ما لم تكن
مصحوبة بالاقرار والاذعان، ولهذا قال الله تعالى خيرا عن فرعون وقومه:
﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤] فجمع لهم بين
الجحد والاستيقان.. وكان أهل الكتاب الذين في زمان نبينا ﷺ يعرفونه كما
يعرفون ابناءهم. بل كان ابليس نفسه وهو رأس الشر في العالم عارفا بربه حيث
قال: ﴿رَبِّ بِمَا أَعُوذْتَنِي لِأَزِينَ لَّهُمْ فِي الْأَرْضِ لِأَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾
[الحجر: ٣٩].

★ ★ ★

وقضى بأن الله كان معطلاً والفعل ممتنع بلا امكان
ثم استحال وصار مقدوراً له من غير أمر قام بالديان
بل حاله سبحانه في ذاته قبل الحدوث وبعدها سيان

الشرح: كان الجهم يقول بحدوث العالم بمعنى أنه صار موجودا بعد أن كان
معدوما لا فرق في ذلك عنده بين أنواع الحوادث وأشخاصها. وتبعه على ذلك
معظم فرق المتكلمين كالمعتزلة والأشعرية والكرامية.

ويلزم على هذا القول من الفساد أن الله عز وجل لم يزل معطلا عن الفعل أو
غير قادر عليه، ثم صار فاعلا وقادرا من غير تجدد سبب أصلا أوجب له القدرة
والفعل. أو أن الفعل منه كان ممتنعا في الأزل ثم صار ممكنا مقدورا من غير
سبب اقتضى امكانه - وهذا يستلزم الانقلاب من الامتناع الذاتي إلى الامكان
الذاتي ويلزم هؤلاء أيضاً أن الحادث اذا حدث بعد أن لم يكن فلا بد أن يكون
ممكنا، والامكان ليس له وقت محدود فما من وقت يقدر حدوثه فيه إلا
والامكان ثابت قبله. ليس لامكان الفعل وصحته مبدأ ينتهي إليه، فيجب أنه لم

يزل الفعل ممكناً جائزاً فيلزم جواز حوادث لا نهاية لها .

فقول المؤلف رحمه الله : وقضى بأن الفعل كان معطلاً الخ ، إنما هو بيان لما يلزم مذهب جهم وشيعته في قولهم بحدوث العالم وأنه له بداية في الزمان .

ويقابل قول هؤلاء قول الفلاسفة بقدوم العالم ، وأنه صدر من الله عز وجل صدور المعلول عن علته بلا قصد ولا اختيار ، ولا شك أن هذا القول أفسد من سابقه وفساده من الظهور بحيث لا يحتاج إلى اطالة الكلام معه .

بقي القول الثالث وهو ما أجمع عليه سلف الأمة وأئمتها من أن الله عز وجل لم يزل حياً قادراً فعالاً لما يريد متكلماً إذا شاء بما شاء ، وأن الفعل والكلام من صفات كماله التي لا يجوز تعطيله عنها في وقت من الأوقات ، وأن الفعل والكلام لم يزل ممكناً مقدوراً لا يجوز القول بامتناع ذلك منه في وقت من الأوقات كذلك .

★ ★ ★

وقضى بأن النار لم تخلق ولا	جنات عدن بل هما عدمان
فإذا هما خلقاً ليوم معادنا	فهما على الأوقات فانيتان
وتلطف العلاف من أتباعه	فأتى بضحكة جاهل مجان
قال الفناء يكون في الحركات لا	في الذات واعجباً لذا الهذيان

الشرح : يرى الجهم أن الجنة والنار غير موجودتين الآن ، وعلى ذلك سائر المعتزلة . وكان منشأ غلطهم في ذلك وغيره من أمور الاعتقاد هو تحكيمهم ما يسمونه بالعقل مع وجود النص ، فلما رأوا بعقولهم الفاسدة أن لا فائدة من وجود الجنة والنار الآن من حيث أنها داران للجزاء على الأعمال . والجزاء لا يكون إلا في الدار الآخرة حكموا بعدمها مع وجود النصوص الصريحة من الكتاب والسنة على وجودهما ، مثل قوله تعالى لآدم عليه السلام : ﴿ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ [البقرة : ٣٥] .

ومثل قوله ﷺ «أريت الجنة والنار» وقوله «لما أصيب اخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في حواصل طير خضر تسرح في الجنة تأكل من ثمارها وتشرب من أنهارها».

ويرى الجهم أيضاً أن الجنة والنار إذا وجدتا في يوم المعاد فانهما لا تبقيان على سبيل التأييد والخلود، كما تدل على ذلك أيضا نصوص الكتاب والسنة، بل يرى أنه سيأتي وقت تفتى فيه الجنة والنار وأهلها بحيث لا يبقى مع الله شيء موجود، لأن كل ما له ابتداء عنده يجب أن يكون له انتهاء.

وأما أبو الهذيل العلاف، وهو رأس من رؤوس الاعتزال ومن أتباع جهم في المروق والضلال، فقد تطف في الأمر فلم يقل بالفناء المحض، ولكنه أتى بما يثير الضحك ويبعث على السخرية به حين قال بانقطاع حركات أهل الجنة وأهل النار بحيث يبقون فيها همودا جمودا ساكنين وحينئذ لا يقدر الله عز وجل أن يزيد في لذائد أهل الجنة لذة ولا أن يزند في عذاب أهل النار ألما، فهل رأيت أعجب مما يهذي به هذا الجاهل المأفون.

★ ★ ★

أصير أهل الخلد في جناتهم	وجحيمهم كحجارة البنيان
ما حال من قد كان يغشى أهله	عند انقضاء تحرك الحيوان
وكذاك ما حال الذي رفعت يدا	ه أكلة من صفحة وخوان
فتناهت الحركات قبل وصولها	للفم عند تفتح الأسنان
وكذاك ما حال الذي امتدت يدا	منه الى قنوم من القنوان
فتناهت الحركات قبل الأخذ هل	يبقى كذلك سائر الأزمان
تبا لها تيك العقول فأنها	والله قد مسخت على الأبدان
تبا لمن أضحي يقدمها على ال	آثار والأخبار والقرآن

الشرح: هذه الأبيات كلها في بيان شناعة ما ذهب إليه أبو الهذيل من انقطاع حركات أهل الجنة وأهل النار بحيث يبقون ساكنين جامدين كحجارة

البنيان التي لا حس ولا حركة ، فكيف حال من كان يجامع أهله ثم أنقضت تلك الحركات قبل أن ينزع عنها أَيْظَل على حاله تلك من الغشيان والإيلاج؟

وكيف حال من رفعت يده اللقمة الى فيه فتناهت الحركات قبل وصولها إلى فمه أَيْظَل فمه هكذا مفتوحا في انتظار اللقمة التي لن تصل إليه؟

ثم ما حال هذا الذي امتدت يده الى عذق من الرطب ثم دخل هذا الوقت قبل تناوله هل تبقى يده ممدودة هكذا سائر الأزمان؟

ألا تبا لعقل يقدم على مثل هذه الترهات والأباطيل ، ويقدمها على النصوص الصريحة من الكتاب والسنة والآثار .

★ ★ ★

وقضى بأن الله يعدم خلقه	عدما ويقبله وجودا ثان
العرش والكرسي والأرواح وال	أملاك والأفلاك والقمران
والأرض والبحر المحيط وسائرال	أكوان من عرض ومن جثمان
كل سيفنيه الفناء المحض لا	يبقى له أثر كظلم فان
ويعيد ذا المعدم أيضاً ثانيا	محض الوجود اعادة بزمان

الشرح: يرى الجهم أن العالم كله علويه وسفلية سيفني يوم القيامة ويصير إلى العدم المحض مستدلاً بمثل قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨] زاعماً أن الهلاك في الآية معناه الفناء المحض، وهذا محض افتراء فإن لفظ الهلاك انما يستعمل في اللغة بمعنى التحلل والفساد وتفرق الأجزاء، ولا شك أن الأشياء جميعاً قابلة للهلاك بهذا المعنى.

على أن قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ هو من العام المخصوص، كما في قوله تعالى ﴿تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ [الاحقاف: ٢٥] والمراد به هلاك ما على الأرض من انسان وحيوان، كما في قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦].

ويرى الجهم أيضاً أن الله عز وجل يعيد هذا العالم بعد الفناء بعينه، يعني بجميع صفاته وأعراضه، حتى قال جهلاً باعادة الزمان الأول الذي كان مقارناً للوجود الأول بعينه. وهذا معنى قول الناظم رحمه الله (اعادة بزمان) يعني اعادة مصحوبة بالزمان الذي كان مقارناً للأشياء حتى يكون الثاني عين الأول.

وأعلم أن الذي أوقع الجهم وأشياعه من المتكلمين في مثل هذه الجهالات هو ايمانهم بالجواهر الفرد واعتقادهم أن العوامل كلها مركبة من هذه الجواهر الفردة التي لا تقبل القسمة، فبنوا على هذه النظرية الفاسدة كل أصول دينهم، ومنها المعاد فصاروا على قولين فيه، فمنهم من قال: تعدم الجواهر ثم تعاد، كما هو مذهب الجهم، ومنهم من قال: بل تفرق الاجزاء ثم تجمع، وقد أورد الفلاسفة على كل من القولين من الشبه ما اضطر فريقاً من المتكلمين كالحليمي والغزالي أن يدعوا أن الاعادة لا تكون لهذه الاجسام التي كانت في الدنيا، بل يخلق الله أجساماً جديدة ويعيد الأرواح إليها مع مخالفة ذلك للنصوص الصريحة التي دلت على أن هذه الاجسام التي باشرت الطاعة والمعصية هي التي تعاد، وهي التي يجري عليها الثواب والعقاب.

★ ★ ★

هذا المعاد وذلك المبدأ الذي	جهم وقد نسبوه للقرآن
هذا الذي قاد ابن سينا والألي	قالوا مقالته الى الكفران
لم تقبل الأذهان ذا وتوهموا	أن الرسول عناه بالإيمان
هذا كتاب الله أنى قال ذا	أو عبده المبعوث بالبرهان
أو صحبه من بعده أو تابع	لهم على الايمان والاحسان

الشرح: عرفنا أن الجهم يرى أن الاعادة ستكون عن عدم محض كما أن الابداء كان كذلك، ويزعم أن هذا هو معنى قوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ [الانبياء: ١٠٤] وقوله: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الاعراف: ٢٩] يعني أن الله كما بدأ الأشياء عن عدم محض، فكذلك يعيدها عن عدم

محض . وهذا جهل منه بالبده ، فان الله لم يبدأ هذه الأجسام من عدم محض ، بل من مواد وعناصر موجودة فعلا أحالها من حال إلى حال ، وهذه سنته سبحانه في الخلق أنه يحيل الأجسام بعضها إلى بعض ، ويقلبها من طور إلى طور ، وهكذا ستكون الاعادة .

وكانت مقالة الجهم هذه هي التي حملت ابن سينا وشيعته من المتفلسفة إلى الكفر بالبعث وانكار حشر الأجساد ، لأنهم ظنوا كما ظن الجهم أن الاعادة لا تكون إلا عن عدم ، وأن هذا هو الذي قصده الرسول ﷺ من الايمان بالبعث - ولما كان لا يمكن في العقل اعادة المعدوم بعينه ، لأن ذلك يستلزم اعادته بجميع أعراضه وصفاته كلها ومنها الزمان ، فقد ذهبوا إلى استحالة الاعادة إذ لا يمكن اعادة الزمان الأول بعينه .

ومعلوم أن هذا الذي قاله الجهم في الاعادة عن عدم ، وكان سبباً لورود الاشكالات على البعث ليس في شيء من كتاب الله ولا سنة رسوله ﷺ ولا ذهب إليه أحد من الصحابة ولا من الذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم أجمعين ، بل كلهم فهموا معنى البعث كما ورد به الكتاب الكريم ، وهو أبعد ما يكون عن أقوال هؤلاء الزائغين المبتدعين .

بل صرح الوحي المبين بأنه	حقاً مغير هذه الأكوان
فيبدل الله السموات العلى	والأرض أيضاً ذات تبديلان
وهما كتبديل الجلود لساكني النـ	يران عند النضج من نيران
وكذاك يقبض أرضه وسماهـ	بيديه ما العدمان مقبوضان
وتحدث الأرض التي كنا بها	أخبارها في الحشر للرحمن
وتظل تشهد وهي عدل بالذي	من فوقها قد أحدث الثقلان
أفيشهد العدم الذي هو كاسمه	لا شيء ، هذا ليس في الامكان

الشرح: يعني أن الذي صرحت به النصوص ليس هو إعدام هذه الأكوان

كما يقول الجهم، ولكن تغييرها وتبديلها في الكيفية مع بقاء الذوات والأعيان، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨].

وفي الصحيحين عن سهل بن سعد « أن الناس يحشرون يوم القيامة على أرض عفراء بيضاء كقرصة النقي ليس فيها معلم لأحد » وقيل تصير خبزة واحدة يتكفأها الجبار بيده كما في الحديث .

وعن علي رضي الله عنه « تكون الأرض فضة والسموات ذهباً » وقيل تصير الأرض جنانا، إلى غير ذلك من الأقوال التي لا تدل إلا على تبدل الأرض في الكيفية لا على انعدامها بالكلية، وهذا كتبديل جلود أهل النار إذا نضجت من حر النار، فالمقصود أن الله يجددها ويحيي أعصاب الحس المنبثة فيها ليكمل ذوقهم للألم واحساسهم بالعذاب .

وكذلك صرحت النصوص بأن الله يقبض الأرض والسموات بيديه كما قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧].

وفي الصحيحين عن ابن عمر رض الله عنهما « ان الله يطوي السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرض بشماله ثم يقول: أنا المكل أين الجبارون أين المتكبرون » ومعلوم أن الطي والقبض والأخذ لا يقع إلا على شيء موجود .

وصرحت النصوص أيضاً بأن الأرض التي كنا عليها بعينها تحدث الله بأخبارها يوم القيامة وتشهد عنده شهادة عدل بما أحدثه الثقلان من الجن والانس فوقها، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ [الزلزلة: ٤] فلو كانت عدما كما يقول الجهم فكيف يتأتى لها أن تحدث أو تشهد، هذا ما لا يقوله عاقل أصلاً .

★ ★ ★

لكن تسوي ثم تبسط ثم تشهد ثم تبدل وهي ذات كيان

وتعد أيضاً مثل مد أدينا من غير أودية ولا كئيبان
وتقيء يوم العرض من أكبادها كالأسطوان نفائس الأثمان
كل يراه بعينيه وعيانه ما لامرئ بالأخذ منه يدان
وكذا الجبال تفت فتاً محكما فتعود مثل الرمل ذي الكئيبان
وتكون كالعهن الذي ألوانه وصبغه من سائر الألوان
وتبس بسا مثل ذاك فتثني مثل الهباء لناظر الانسان

الشرح: لكن الذي ذلت عليه النصوص الصريحة أن الأرض تسوي وتصير قاعا صاففا لا ارتفاع فيها ولا انخفاض وتصير صعيدا جزراً ليس عليها نبات ولا شجر، قال تعالى: ﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا * لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٦ - ١٠٧] وقال: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا * وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ [الكهف: ٧ - ٨] وأنها تبسط وتوسع وتمد كمد الادم، وهو الجلد المدبوغ، قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ * وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ * وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ [الانشقاق: ٣ - ٥] وأنها تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها وأنها تبدل كما سبق في الشكل والکیفیه مع بقاء کیانها.

وأما قول المؤلف (وتقيء يوم العرض الخ) هذا البيت والذي بعده فهو اشارة الى قوله عليه السلام فيما رواه مسلم عن أبي هريرة «تلقي الأرض أفلاذ كبدها أمثال الاسطوان من الذهب والفضة، فيجىء القاتل فيقول في هذا قتلت، ويجيء القاطع فيقول: في هذا قطعت رحمي، ويجيء السارق فيقول: في هذا قطعت يدي ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئاً».

وكذلك دلت النصوص الصريحة من القرآن على أن الجبال التي جعلها الله أوتادا للأرض حتى لا تميد بنا تتفتت وتصير كئيبا مهيلا. وأنها تصير كالعهن المنفوش، يعني مثل الصوف المصبوغ أو المتمزق البالي، وأنها تبس بسا فتصير هباء منبثا قال على رضي الله عنه: هباء منبثا كرهج الغبار يسطع ثم يذهب فلا

يبقى منه شيء . وقال ابن عباس رضي الله عنها « الهباء الذي يطير من النار إذا اضطربت يطير منه الشر فإذا وقع لم يكن شيئاً » ...

وبالجمله فقد دلت النصوص على زوال الجبال من أماكنها يوم القيامة وذهابها وتسييرها ونسفها وصيرورتها هباء وكالعهن المنفوش ، ومعلوم أن هذه الأحوال كلها لا تجري على معدوم .

★ ★ ★

وكذا البحار فإنها مسجورة
وكذلك القمران يأذن ربنا
هذي مكورة وهذا خاسف
وكواكب الأفلاك تنثر كلها
وكذا السماء تشق شقا ظاهرا
وتصير بعد الانشقاق كمثلها

قد فجرت تفجير ذي سلطان
لهما فيجتمعان يلتقيان
وكلاهما في النار مطروحان
كلآلىء نثرت على ميدان
وتور أيضاً أيما موران
ذا المهل أو تك وردة كدهان

الشرح: وكذلك وردت النصوص من الكتاب العزيز بأن البحار تسجر قيل معناه تفجر ، فيكون قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾ [التكوير : ٦] هو في معنى قوله : ﴿ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴾ [الإنفطار : ٣] وقيل معناه تمتلئ نارا وكلا المعنيين وارد في اللغة ، يقال سجر البحر فجره ، وسجر التنور أوقده ، ولعل قول المؤلف رحمه الله قد فجرت الخ ، يدل على أنه يرجح التفسير الأول .

وكذلك القمران - يعني الشمس والقمر - يأذن الله لهما في الالتقاء بعد أن كانت الشمس لا ينبغي لها أن تدرك القمر ، فتكور الشمس ، يعني يجمع بعضها إلى بعض ، ويخسف القمر ، يعني يذهب ضوءه ثم يطرحان في النار مع من عبدوها من دون الله كما قال تعالى : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ [الأنبياء : ٩٨] .

وكذلك تتساقط نجوم السماء وتنتثر ويذهب بريقها كما في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ﴾ [التكوير : ٢] .

وتتشقق السماء وتفتتح أبوابها وتمور مورانا شديدا ، يعني تتحرك في استدارة ،
وقيل معنى تمور تشقق وتصير بعد تشققها كالمهل ، يعني دردي الزيت وتكون
وردة كالدهان ، قيل مثل الأديم الأحمر ، وقيل مثل الفرس الورد ، أي الأحمر
إلى صفرة .

★ ★ ★

والعرش والكرسي لا يفنيها
والحور لا تفني كذلك جنة الـ
ولأجل هذا قال جهنم انها
والأنبياء فانهم تحت الثرى
ما للبي بلحومهم وجسومهم
وكذلك الأرواح لا تبلى كما
وكذاك عجب الظهر لا يبلى بلى
ولأجل ذلك لم يقر الجهنم ما الـ
لكنها من بعض أعراض بها

أيضاً وأنها لمخلوقان
مأوى وما فيها من الولدان
عدم ولم تخلق إلى ذا الآن
أجسامهم حفظت من الديدان
أبدأ وهم تحت التراب يدان
منه تركب خلقة الانسان
تبلى الجسم ولا بلى اللحنان
أرواح خارجة عن الأبدان
قامت وذا في غاية البطلان

الشرح: يريد المؤلف بهذه الأبيات أن يرد على جهنم في قوله بالعدم المحض
للأشياء كلها يوم القيامة ، فيقول ان العرش والكرسي وهما من جملة المخلوقات
قد صرحت النصوص ببقائها دون فناء ، وكذلك جنة المأوى وما فيها من حور
وولدان ولأجل هذه النصوص المصراحة ببقاء الجنة ونعيمها ، ذهب جهنم إلى أنها
لم تخلق للآن زاعما أنه لا فائدة من وجودها ، لأنها انما جعلت دارا للجزاء على
الأعمال . وكذلك وردت النصوص بأن الأرض لا تأكل أجساد الانبياء ولا
يصيبها ما يصيب الأجسام من البلى والتمزق - وبأن ابن آدم كله يبلى إلا عجب
الذنب وهو الذي تنبت منه الأجسام في النشأة ابن آدم كله يبلى الا عجب
الذنب وهو الذي تنبت منه الأجسام في النشأة الأخرى - وبأن الأرواح باقية
كذلك لا تبلى كما تبلى اللحوم والاجسام ، ولأجل هذا أنكر الجهنم وجود

الأرواح المستقلة عن الأبدان وقال ليس هناك أرواح تنزل إلى البدن عند الولادة وتصد منه عند الموت، ولكن الحياة عنده عرض من الأعراض القائمة بالبدن، فإذا مات الحي بطل ذلك العرض وفني، وهذا المذهب الذي ذهب إليه جهم وأخذه عن جالينوس الطبيب اليوناني وغيره في غاية البطلان، فإن الحياة وغيرها من الأعراض المشروطة بها، كالأحاساس والحركة والارادة وغيرها لا بد من سبب خارج عن تركيب البدن ومزاجه، وذلك هو الروح التي تحل بالبدن وقد أفاض أهل الأديان وغيرهم من الفلاسفة الروحانيين في الرد على مذاهب هؤلاء الطبيعيين وبيان فساد مقالتهم بوجوه ليس هنا محل بسطها.

★ ★ ★

أبدانها والله أعظم شأن	فالشأن للأرواح بعد فراقها
قد نعمت بالروح والريحان	إما عذاب أو نعيم دائم
تجني الثمار بجنة الحيوان	وتصير طيرا سارحا مع شكلها
حتى تعود لذلك الجثمان	وتظل واردة لانهار بها
في جوف طير أخضر ريان	لكن أرواح الذين استشهدوا
ونعيمهم للروح والأبدان	فلهم بذاك مزية في عيشهم
أجسام تلك الطير بالاحسان	بذلوا الجسوم أربهم فأعضهم
مأوى لها كمساكن الانسان	ولها قناديل إليها تنتهي

الشرح: يقسم المؤلف بأن شأن الارواح بعد مفارقتها لأجسادها بالموت شأن عظيم جدا، فهي لا تفنى بفناء الجسد لأنها ليست عرضا قائما به، بل تظل حية باقية، اما في عذاب مقيم إن كانت لكافر أو منافق، كما قال تعالى اخبارا عن فرعون وقومه: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا، وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦] فدللت الآية على أن عرضهم على النار بالغداة والعشي قبل قيام الساعة.

وقال اخبارا عن قوم نوح عليه السلام: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأَدْخِلُوا

نَارًا ﴿ [نوح: ٢٥] فدل العطف بالفاء على أن دخولهم النار حصل عقيب اغراقهم وأنه قبل القيامة.

وقد صح عنه صلى الله عليه وآله أنه قال « القبر اما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار » وأنه مر بانسانين يعذبان في قبورهما ، فقال : « يعذبان وما يعذبان في كبير بلي » الحديث .

وأما ان كانت روحا مؤمنة فإنها تكون في نعيم دائم إلى يوم البعث ، تنعم فيه بالروح بفتح الراء وهو الرحمة والفرح ، والريحان قيل هو الرزق الحسن ، وقيل النبات المعروف الذي واحده ريحانه .

وأما قول المؤلف (وتصير طيرا سارحا الخ) فهو اشارة إلى قوله عليه السلام فيما رواه الامام أحمد رحمه الله « إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم القيامة » ولكن ليس في الحديث أن روح المؤمن تجني من ثمار الجنة أو تشرب من أنهارها كما ذكر المؤلف وإنما تلك خصوصية الشهداء ، فإن الله عز وجل يجعل أرواحهم في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت ، تأكل من ثمارها وتشرب من أنهارها ، ثم تأوي إلى قناديل معلقة بالعرش . قال تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩] .

وانما استحق الشهداء هذه الكرامة لأنهم بذلوا حياتهم رخيصة في سبيل الله فعوضهم الله عنها هذه الحياة الكريمة ، وعوضهم عن أجسامهم التي قدموها للضرب والطعان طيوراً خضراً تحمل أرواحهم في رحبات الجنان .

★ ★ ★

فالروح بعد الموت أكمل حالة منها بهذي الدار في جثمان
وعذاب أشقاها أشد من الذي قد عاينت أبصارنا بعيان
والقائلون بأنها عرض أبوا ذا كله تبالذي نكران

الشرح: هذا تفریع علی ما ذكره من أحوال الروح بعد الموت، وأنها اما في عذاب أو نعيم، والمعنى أن الروح بعد مفارقتها للبدن بالموت تظل حية لا تموت، بل تصير أكمل حالة منها، وهي حالة بالبدن في هذه الدار الدنيا. ويكون احساسها بالعذاب اذا كانت شقية أشد مما نراه ونعانيه من أنواع العذاب المادي المحسوس.

أما القائلون بأن الروح عرض قائم بالبدن فقد أنكروا ذلك كله، إذ ليس عندهم روح تفارق ثم تبقى حية بعد المفارقة، ولكنها عندهم عرض يفنى بفناء البدن كسائر الاعراض فهلاكها لهؤلاء المنكرين لحياة الروح بعد المفارقة وما يجري عليها من شؤون بعدما نطق بذلك الكتاب الكريم والسنة المطهرة. وإن يهلكون بهذا الإنكار إلا أنفسهم وما يشعرون؟

★ ★ ★

وإذا أراد الله إخراج الوري	بعد المات الى المعاد الثاني
ألقى على الأرض التي هم تحتها	والله مقتدر وذو سلطان
مطرا غليظا أيضا متتابعاً	عشراً وعشراً بعدها عشراً
فتظل تنبت منه أجسام الوري	ولحومهم كمنابت الريحان
حتى إذا ما الأم حان ولادها	وتمخضت فنفاسها متدان
أوحى لها رب السما فتشوقت	فبدا الجنين كأكمل الشبان
وتخلت الأم الولود وأخرجت	أثقالتها أنثى ومن ذكران

الشرح: هذا بيان لكيفية البعث بعد الموت على ما وردت به الآثار الصحيحة وحاصل ذلك أن الناس عندما ينفخ في الصور النفخة الأولى يصعقون وتسوى بهم الأرض، فإذا أراد الله عز وجل اخراجهم بعد الموت للمعاد ألقى على هذه الأرض التي هم في بطنها لا على أرض جديدة غيرها كما يزعم ذلك من يزعمه مطرا غليظاً كمني الرجال يتتابع أربعين يوماً فتنبت منه أجسام الناس ولحومهم من عجب الذنب، فقد ورد أن ابن آدم كله يبلى إلا عجب الذنب،

منه ينبت ومنه يخلق في النشأة الأخرى، كما ينبت العود المسمى بالريحان، حتى إذا ما اكتملت الأجسام وتناهى خلقها وحان للأُم ولادها وجاءها المخاض، فنفسها متدان قريب، أوحى إليها ربها وأذن لاسرافيل أن ينفخ في الصور النفخة الثانية، فتنشق الأرض وتلقي ما فيها وتتخلى ويخرج منها الناس، ذكورهم وأنثاهم، في أكل خلقه.

وقوله (والله مقتدر وذو سلطان) جملة معترضة أريد بها بيان أن الله كان قادرا أن يخرج الناس من قبورهم بدون هذه الأسباب، ولكن حكمته اقتضت أن تكون النشأتان متشابهتين كما قال تعالى: ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٤].

★ ★ ★

والله ينشئ خلقه في نشأة أخرى كما قد قال في القرآن هذا الذي جاء الكتاب وسنة الـ هادي به فأحرص على الايمان ما قال إن الله يعدم خلقه طراً كقول الجاهل الحيران

الشرح: يزعم الفلاسفة المنكرون للبعث والمعاد الجسماني أنه لا بد في البعث من إعادة الأجسام التي كانت في الدنيا بأعيانها، يعني بجميع صفاتها وأعراضها التي كانت لها في الدنيا. ولما كان ذلك مستحيلا فقد أدى بهم ذلك إلى انكار البعث، وللدرد عليهم نقول: ان الله ينشئ الخلق ويؤلفهم تأليفا جديداً كما قال تعالى: ﴿ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ﴾ [العنكبوت: ٢٠] ﴿ وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى ﴾ [النجم: ٤٧] وليس بلازم في الاعادة ولا في كون الشخص الثاني عين الأول أن يعاد الجسم بجميع أجزائه، فإن الشخص في الدنيا يكون صغيرا ثم ينمو وينتقل من طور إلى طور، وهو في كل هذه الأطوار في تجدد دائم واستحالة مستمرة، فتخرج منه أجزاء وتتجدد له أخرى، ومع ذلك هو في كل هذه الأطوار هو، لم يقل أحد أنه شخص آخر، فكذلك النشأة الأخرى هي

بمثابة طور من تلك الأطوار التي تحدث للانسان بحيث لا يشك من يراه أنه هو ذلك الشخص الذي كان في الدنيا .

هذا هو ما دل عليه الكتاب الكريم وسنة الهادي صلوات الله وسلامه عليه ولم يقل الله قط ولا رسوله ان الله يعدم الأشياء كلها ثم يعيدها من عدم كما يقول هذا الجاهل الخيران جهم بن صفوان قبحه الله .

★ ★ ★

وقضى بأن الله ليس بفاعل	فعلاً يقوم به بلا برهان
بل فعله المفعول خارج ذاته	كالوصف غير الذات في الحسبان
والجبر مذهب الذي قرت به	عين العصاة وشيعة الشيطان
كانوا على وجل من العصيان ذا	هو فعلهم والذنب للانسان
واللوم لا يعدوه اذ هو فاعل	بإرادة وبقدرة الحيوان
فأراحهم جهم وشيعته من الـ	لوم العنيف وما قضوا بأمان
لكنهم حملوا ذنوبهم على	رب العباد بعزة وأمان
وتبرأوا منها وقالوا إنها	أفعاله ما حيلة الانسان

الشرح: يرى الجهم ويشايعة في ذلك المعتزلة والأشاعرة الذين يقولون بحدوث العالم: ان الله ليس فاعلاً بفعل هو وصف له قائم به، بل فعله هو مفعوله الخارج عن ذاته. أما الجهم والمعتزلة فلأنهم ينفون الصفات فلا وصف عندهم قائم بالذات، بل كل من فعله وكلامه عندهم مخلوق من جملة المخلوقات. وأما الإشاعرة فيثبتون الأفعال لا على أنها صفة له سبحانه، بل يجعلونها متعلقات للقدرة القديمة وقوله (بلا برهان) متعلق بقضي، يعني حكم بذلك بلا حجة له عليه .

وذهب الجهم أيضاً إلى القول بأن الانسان مجبور على ما يصدر عنه من أفعال فلا قدرة له ولا اختيار، فقرت بمذهبه أعين العصاة وأولياء الشيطان الذين كانوا على خوف من المعاصي والذنوب، لعلمهم بأنها أفعالهم الصادرة عنهم بقدرهم

وارادتهم، حتى أراحهم جهم وشيعته من عودهم بالائمة على أنفسهم كلما أحدثوا ذنبا، فأخذوا بعد مقالة جهم يميلونها ربهم جل شأنه ويتبرأون منها، ويقولون مقالة الجاهل المغرور انها أفعاله لا أفعالنا، ولا حيلة لنا في دفعها، اذ لا قدرة لنا ولا اختيار.

★ ★ ★

ما كلف الجبار نفسا وسعها أنى وقد جبرت على العصيان
وكذا على الطاعات أيضاً قد غدت مجبورة فلها اذا جبران
والعبد في التحقيق شبه نعامة قد كلفت بالحمل والطيران
اذ كان صورتها تدل عليها هذا وليس لها بذاك يدان
فلذا قال بأن طاعات الورى وكذلك ما فعلوه من عصيان
هي عين فعل الرب لا أفعالهم فيصح عنهم عند ذا نفيان
نفي لقدرتهم عليها أولاً وصدورها منهم بنفي ثان

الشرح: إذا كان الجهم يرى أن العبد لا قدرة له على الفعل ولا اختيار له فيه، فهو عنده قد كلف بما لا يطيق، حيث أنه مجبور على كل من الطاعة والمعصية فإذا كلف بترك المعصية أو بفعل الطاعة فقد كلف بما لا يدخل تحت قدرته، وهو عند التحقيق أشبه شيء بالنعامة، يراها الرائي في صورة الجمل فيكلفها حمل الاثقال ويرى لها جناحين فيكلفها الطيران، وليس لها على هذا أو ذاك قدرة واحتمال، وإذا لم يكن للعباد يد بشيء من الطاعات أو المعاصي لم تكن هي أفعالهم، بل عين فعل الرب سبحانه، لأنه هو الذي خلقها فيهم، وليس لهم فيها إلا أنهم محل فقط لظهورها، وعلى هذا فيصح أن ننفي عنهم قدرتهم عليها كما ننفي صدورها منهم بنفي ثان.

★ ★ ★

فيقال ما صاموا ولا صلوا ولا زكوا ولا ذبحوا من القربان
وكذاك ما شربوا وما قتلوا وما سرقوا ولا فيهم غوي زان

وكذا لم يأتوا اختياراً منهم
إلا على وجه المجاز لأنها
جبروا على ما شاءه خلاقهم
الكل مجبور وغير ميسر
بالكفر والاسلام والايمان
قامت بهم كاطعم والألوان
ما ثم ذو عون وغير معان
كالميت أدرج داخل الأكفان

الشرح: وإذا لم يكن للعباد قدرة على شيء من الطاعات والمعاصي، ولا هي صادرة عنهم، فيصح إذا نفيها عنهم نفياً حقيقياً، فيقال أنه لم يقع منهم صيام ولا صلاة ولا زكاة ولا ذبح قرابين ولا غيرها من أنواع الطاعات. وكذلك يقال أنهم لم يشربوا خرا ولا قتلوا نفساً، ولا فيهم من هو غوى زان، وأنهم لم يأتوا عن اختيار منهم بشيء من الكفر والايمان والاسلام، بل هم في كل ذلك مجبورون على ما شاءه خلاقهم سبحانه، فليس فيهم من يعينه الله وييسره ومن لا يعينه، بل الكل سواء في الجبر والقهر ونفي الاختيار، كميث أدرج في كفته، ولا تنسب إليهم الأفعال إلا على وجه المجاز كما تنسب الأفعال الطبيعية إلى مصادرها، مثل قولنا جرى النهر وهبت الريح وطلعت الشمس.

★ ★ ★

وكذاك أفعال المهيمين لم تقم
فإذا جمعت مقاليته أنتجا
إذ ليست الأفعال فعل إلهنا
فإذا انتفت صفة الإله وفعله
فهنالك لا خلق ولا أمر ولا
أيضاً به خوفاً من الحدثان
كذباً وزوراً واضح البهتان
والرب ليس بفاعل العصيان
وكلامه وفعائل الإنسان
وحي ولا تكليف عبد فان

الشرح: يعني أن الجهم كما ينفي وقوع الفعل من العبد، كذلك ينفي قيام الفعل بالرب سبحانه خوفاً من قيام الحوادث بذاته، وذلك يستلزم حدوثه في زغمه ومن العجيب أن تلك القضية الكاذبة التي نادى بها الجهم والتي تقول ان ما لا يخلو من الحوادث فهو حادث قد تبعه عليها معظم المتكلمين من المعتزلة والاشاعرة واتخذوها ذريعة لنفي قيام الأفعال الاختيارية بذاته سبحانه، فهو

عندهم لا يتكلم متى شاء، ولا يجب ولا يرضى، ولا يغضب ولا يسخط، ولا يجيء يوم القيامة، ولا ينزل كل ليلة كما وردت الأخبار الصحيحة بذلك.

والمقصود أن الجهم إذا كان ينفي صدور الفعل من العبد، وكان الفعل ليس قائماً بالرب، فإذا جمع القولان كل منهما إلى الآخر أنتجا قضية من أكذب الكذب، فإن السلب لا ينتج إلا سلباً، فإذا نفى صفات الرب وفعله وكلامه، ونفى مع ذلك فعل العبد، أنتج ذلك أن لا خلق، ولا أمر، ولا وحي، ولا تكليف عبد فان.

★ ★ ★

وقضى على أسمائه بجدوئها	وبخلقها من جملة الأكوان
فانظر إلى تعطيله الأوصاف والد	أفعال والأسماء للرحمن
ماذا الذي في ضمن ذا التعطيل من	نفي ومن جحد ومن كفران
لكنه أبدى المقالة هكذا	في قالب التنزيه للرحمن
وأتى إلى الكفر العظيم فصاغه	عجلا ليفتن أمة الثيران
وكساه أنواع الجواهر والحلى	من لؤلؤ صاف ومن عقيان
فراه ثيران الورى فأصابهم	كمصاب أخوتهم قديم زمان
عجلان قد فتنا العباد بصوته	إحداها وبجرفه ذا الثاني

الشرح: كما نفى الجهم صفات الرب عز وجل وأفعاله، فهو كذلك ينفي أسماء الحسنى التي سمي بها نفسه والتي سماه بها رسوله ﷺ ويرى أنها أسماء لبعض مبتدعاته، وأنها حادثه، وإنما تطلق عليه سبحانه على سبيل المجاز. ومن العجب أن هذا الجهم مع غلوه في النفي والتعطيل، ومع ما يتضمنه هذا التعطيل من الكفر والانكار والجحود يصوغ ذلك في عبارات يوهم بها الأغرار أنه إنما يقصد تنزيه الرب عما لا يليق به من المشابهة لخلقه، ويصوغ من ذلك الكفر الشنيع عجلا ليفتن به أمة الجهل والضلال، لاسيما وقد كساه من حلال التمويه وزخارف التحريف ما بهر أبصارهم، ففعلوا به حين رأوه ما فعله أخوة لهم من

قبل بالعجل الذي صاغه لهم السامري، فكان هناك عجلان فتن بهما الناس،
عجل فتن بصوته وخواره، وعجل فتن بتحريفه وتمويهه، وهو العجل الذي
صاغه الجهم لثيران هذه الأمة وأبقارها.

★ ★ ★

والناس أكثرهم فأهل ظواهر	تبدو لهم ليسوا بأهل معان
فهم القشور وبالقشور قوامهم	واللب حظ خلاصة الانسان
ولذا تقسمت الطوائف قوله	وتوارثوه ارث ذي السهان
لم ينج من أقواله طراً سوى	أهل الحديث وشيعة القرآن
فتبرأوا منها براءة حيدر	وبراة المولود من عثمان
من كل شعبي خبيث وصفه	وصف اليهود محلي الحيتان

الشرح: جازت حيلة الجهم وعظمت فتنته وانخدع بها كثير من الناس، لأن
الناس معظمهم أهل ظواهر، يغرمهم بريقتها، ويخدعهم عما وراءها من كفر وباطل
وسم قاتل وليسوا بأهل حقائق ومعان لأنها تحتاج في أدراكها إلى سلامة فطرة،
وإلى ذكاء وفطنة، وهؤلاء أهل بله وغفلة فهم أشبه شيء بالقشرة الظاهرة التي
تستر الثمرة وتحميها، لذلك لا يدركون من الأشياء إلا قشورها، وأما ادراك
اللب فهو حظ المصطفين من عباد الله ذوي الألباب السليمة والأفكار المستقيمة
ومن أجل هذا راج مذهب الجهم وتقسمت أقواله طوائف أهل الكلام، فمن
أخذ بقوله في النفي والتعطيل، ومن قائل برأيه في الجبر والتسيير، ومن ذهب
مذهبه في نفي العلم بالمتجددات وخلق القرآن ومن متأثر به في غير هذا وذاك
من ترهاته وأباطيله التي لم ينج من أحابيلها إلا أهل الحديث والقرآن المعتصمين
بعروتها الوثقى، فتبرأوا من مقالة الجهم براءة حيدر، وهو لقب علي رضي الله
عنه، وبراة المولود من عثمان من أهل التشيع الخبيثاء، الذين أشبهوا في وصفهم
اليهود حرم الله عليهم الاصطياد في يوم السبت، فتحايلوا على ذلك وخرجوا

عن طاعة الله. وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتابه منهاج السنة
رحوه شبه كثيرة بين الشيعة واليهود، قبح الله الجميع وأذلهم وأخزاهم.

★ ★ ★

فصل

يا أيها الرجل المريد نجاته
كن في أمورك كلها متمسكا
وانصر كتاب الله والسنن التي
واضرب بسيف الوحي كل معطل
واحمل بعزم الصدق حملة مخلص
واثبت بصبرك تحت ألوية الهدى
إسمع مقالة ناصح معوان
بالوحي لا بزخارف الهذيان
جاءت عن المبعوث بالفرقان
ضرب المجاهد فوق كل بنان
متجرد لله غير جبان
فإذا أصبت ففي رضا الرحمن

الشرح: بعد أن فرغ المؤلف رحمه الله من ذكر مقالات الجهم الفاسدة، وما
أغرق فيه من الضلال بسبب اعراضه عن النصوص وابعاده في التأويل، تقدم
بهذه النصائح الغالية لمن ينشد لنفسه النجاة من عذاب الله الذي توعد به كل
مارق ضال. فوصاه بأن يتمسك في أمور دينه كلها بالوحي المبين، معرضا عن
تمويه المبطلين، وأن يجتهد في نصر كتاب الله والسنن المأثورة عمن بعثه الله
بالفرقان، صلوات الله وسلامه عليه وآله، وأن يتخذ من نصوص الوحيين سيفا
يضرب به أهل التعطيل والبهتان، ضرب المجاهد لأعدائه فوق كل بنان، وأن
يكون صادق العزم في حملته، مخلصا لله عز وجل غير هباب ولا وجل وأن يثبت
تحت راية الهدى والإيمان، غير فار ولا منهزم، فإن أصابه شيء ففي رضا
الرحمن وهو غاية يرخص في سبيلها كل بذل وتمهون كل تضحية.

★ ★ ★

واجعل كتاب الله والسنن التي
من ذا يبارز فليقدم نفسه
ثبتت سلاحك ثم صح بجنان
أو من يسابق بيد في الميدان

وأصدع بما قال الرسول ولا تخف
فالله ناصر دينه وكتابه
لا تخش من كيد العدو ومكرهم
فجنود أتباع الرسول ملائكة
شتان بين العسكريين فمن يكن
من قلة الانصار والأعوان
والله كاف عبده بأمان
فقتلهم بالكذب والبهتان
وجنودهم فعساكر الشيطان
متحيرا فلينظر الفتان

الشرح: وأوصاه كذلك أن يجعل كتاب الله والسنن الصحيحة الثابتة سلاحه وعدته في النزال، فإذا ما لبس تلك الشكك واستكمل الأهبة فليصح هل من مبارز هل من مناجز، فإن معه أقوى الأسلحة وأمضاها، فلا يخشى أسحلة أهل الباطل فإنها مفلولة مثلومة، وأن يصدع بما قاله الرسول ﷺ غير مستوحش من قلة الأنصار وندرة الأعوان، فإن الله ناصر دينه وكتابه وهو حسبه وكافيه وأن لا يخشى بأس الأعداء ومكرهم، فإنهم يقاتلون بأسلحة الكذب والبهتان وهو يقاتل بسلاح التوحيد والايان، وشتان بين السلاحين، كما أنه يجارهم بجند من الملائكة، وأما هم فجنودهم عساكر الشيطان، فما أبعد الفرق بين العسكريين، وما أبين التمايز بين الفئتين: ﴿فِيَّةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلِيهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ﴾ [آل عمران: ١٣].

★ ★ ★

وأثبت وقاتل تحت رايات الهدى
وأذكر مقاتلهم لفرسان الهدى
وأدراً بلفظ النص في نحر العدا
لا تخش كثرتهم فهم همج الورى
وأشغلهم عند الجدال ببعضهم
وإذا هم حملوا عليك فلا تكن
وأثبت ولا تحمل بلا جند فما
وأصبر فنصر الله ربك دان
لله در مقاتل الفرسان
وأرجهم بشواقب الشهبان
وذبابه أتخاف من ذبان
بعضا فذاك الحزم للفرسان
فزعا لحملتهم ولا يجبان
هذا بمحمود لدى الشجعان

الشرح: يكرر المؤلف رحمه الله الوصية لمن يريد النجاة بأن يثبت تحت راية

الهدى معتصما بجبل الله عز وجل صابرا محتسبا موقنا بأن نصر الله قريب، وأن يدل فرسان الهدى وجند الحق على مقاتل هؤلاء الأعداء أي المواضع التي يقتلون منها، وأن يدفع في نحوهم بألفاظ النصوص الثابتة وأن يرميهم بشبهها الثابتة وأن لا يخشى كثرة عددهم ولا شدة صخبهم وضجيجهم فإنهم همج رعا لا يثبتون عند لقاء بل هم أهون من هذا الذبان الذي لا يقدر على شيء رغم ما له من طنين.

على أن هؤلاء الأعداء وان كانوا البأ واحداً على أهل الحق، فإنهم متنازعون فيما بينهم، فالحزم يقتضي بأن نصر فهم عن مناوشتنا بأن نشغل بعضهم ببعض، فنستفيد من ذلك معرفة بفساد مقالاتهم جميعا، وبالمطاعن التي يوجهها كل منهم إلى الآخرين، أما إذا تصالحوا على حربنا وحلوا علينا، فالواجب أن لا نحزن لحملاتهم وأن لا نجبن عن لقاءهم، وأن نحشد جنودنا لمقاتلتهم، فإن الحرب بلا جند وأعوان ليست مما يحمده الأبطال والشجعان.

★ ★ ★

فإذا رأيت عصابة الإسلام قد	وافت عساكرها مع السلطان
فهناك فاخرق الصفوف ولا تكن	بالعاجز الواني ولا الفزعان
وتعر من ثوبين من يلبسها	يلقى الردى بمذمة وهوان
ثوب من الجهل المركب فوقه	ثوب التعصب بثست الثوبان
وتحل بالانصاف أفخر حلة	زينت بها الأعطاف والكتفان
واجعل شعارك خشية الرحمن مع	نصح الرسول فحبذا الأمران
وتمسكن بجبله وبوحيه	وتوكلن حقيقة التكلان

الشرح: بعد أن نهى صاحب الحق أن يحارب وحده بلا جند وأعوان، وأن ذلك من التهور الذي لا يليق بأهل الإيمان أمره إذا توافدت عصابة الحق ووافت عساكرها مع السلطان أن لا يكون بخائر ولا جبان، بل عليه أن يقتحم الصفوف ويخوض غمار الردى في غير عجز ولا وني ولا فرع من العدا. ثم أمره أن يتجرد

من ثوبين طالما أوردا من لبسها ورد الردى وسقياه كأس المذلة والهوان ، وهذان الثوبان هما ثوب الجهل المركب وفوقه ثوب التعصب ما اجتمع هذان الثوبان على أحد إلا أدخلاه في لجج الباطل ومataهات الضلال وزينا له سوء عمله وقبح اعتقاده فرآه حسنا والمراد بالجهل المركب أن يعتقد الانسان خلاف الحق مع اعتقاده أنه على الحق فهو جاهل بالحق ولا يدري أنه جاهل به . وهذا أشنع من الجهل البسيط الذي هو عدم العلم بالحق بمعنى خلو الذهن عنه . وما أحسن قول الشاعر :

قال حمار الحكيم تومأ لو أنصف الدهر كنت أركب
فإنني جاهل بسيط وصاحبي جاهل مركب

ثم أمره بعد ذلك أن يتحلّى بجملة الانصاف فإنها أهدى حلة تزين بها الاعطاف والكتفان والمراد أن ينصف خصومه من نفسه فلا يجحد ما عندهم من الحق ولا ما تتسم به بعض حججهم من وجهة ، بل يجب أن يذكر ما لهم وما عليهم في غير غمط ولا انكار . وأن يجعل شعاره في محاربتة لهؤلاء الخصوم خشية الله عز وجل لانها تحجزه عن الاعتداء والطغيان ونصح الرسول له بترك المراء والجدل فإنه صمام الامام وأن يعتصم بجبل الله المتين ووحية المين وأن يتوكل عليه حقيقة التوكل وهو أن يفوض إليه أمره ، ويستعين به على أعدائه بعد أن يكون قد بذل غاية وسعه في تهيئة أسباب الغلب والنجاح .

★ ★ ★

فالحق وصف الرب وهو صراطه الـ وهو الصراط عليه رب العرش أي
والحق منصور وممتحن فلا وبذاك يظهر حزبه من حزبه
ولأجل ذلك الحرب بين الرسل والـ فكما العقبي لأهل الحق أن
هادي إليه لصاحب الايمان ضا وذا قد جاء في القرآن
تعجب فهذي سنة الرحمن ولأجل ذلك الناس طائفتان
كفار مذ قام الوري سجان فأتت هنا كانت لدى الديان

الشرح: لما دعاه إلى الاستمسك بالحق والثبات عليه والقتال دونه أراد أن يظهر شأن ذلك الحق، وأنه جدير بكل تضحية تبذل في سبيله، فذكر أن للحق عدة معان: منها أنه وصف للرب جل شأنه كما قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يُؤْفِقُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٢٥] ومنها أنه صراط الله الذي يهدي إليه من يشاء من عباده من أهل الإيمان والهدى كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ﴾ [يونس: ٣٥] وكما قال تعالى: ﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢١٣].

ومنها أن الحق هو الصراط الذي يخبر الله عن نفسه أنه عليه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٦] يعني في قوله تعالى وفعله، فقوله صدق ورشد ونصح وهدى. وفعله: حكمة وعدل ورحمة ومصلحة.

ثم ذكر من شأن الحق أيضاً أنه منصور وأن العقابة له ولكنه ممتحن ومبتلي بمناوأة الباطل وتشويشه، وأن سنة الله قد جرت بذلك حتى يتميز حزب الله من حزب الشيطان، وحتى تظل معركة الحق والباطل سجالات مستمرة بين رسل الله وبين أعدائهم من الكفار ثم تكون العقابة للمتقين كما قال تعالى: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ [طه: ١٣٢]، وكما قال تعالى على لسان موسى عليه السلام: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨] وهذه العقابة ان فاتت أهل الحق في الدنيا فهي مدخرة لهم عند الله عز وجل يوافيهم بها يوم الدين وينتصف لهم من البغاة المعتدين.

★ ★ ★

واجعل لقلبك هجرتين ولا تم	فهما على كل امرئ فرضان
فالهجرة الأولى إلى الرحمن بال	اخلاص في سر وفي اعلان
فالقصد وجه الله بالأقوال وال	أعمال والطاعات والشكران

فبذاك ينجو العبد من أشراكه ويصير حقاً عابد الرحمن
والهجرة الأخرى الى المبعوث بال حق المبين وواضح البرهان
فيدور مع قول الرسول وفعله نفياً وإثباتاً بلا روغان

الشرح: يجب على طالب النجاة الناصح لنفسه أن يقوم بهاتين المهجرتين العظيمنتين في قوة وعزم بلا كسل ولا فتور، فإنه لا صلاح للعبد ولا نجاة إلا بهما، فالقيام بهما واجب حتم على كل انسان.

أما الهجرة الأولى فهجرته إلى الله عز وجل باخلاص العبادة له في السر والعلانية، وأن لا يقصد بكل ما يصدر عنه من قول وفعل وطاعة وشكر إلا وجهه سبحانه، حتى يسلم من الوقوع في شرك الاشرار، وتقع عبادته موقعها من الصحة والقبول.

وأما الهجرة الأخرى فهجرته إلى الرسول صلوات الله وسلامه عليه وآله بحسن الاقتداء والاتباع وعدم المخالفة عن أمره والخروج على حكمه، فيدور مع قوله وفعله في النفي والاثبات، فلا يثبت ما نفاه الرسول، ولا ينفي ما أثبتته ميلاً مع الهوى واعتسافاً في التأويل ومتابعة للشيطان.

★ ★ ★

ويحتكم الوحي المبين على الذي قال الشيوخ فعنده حكمان
لا يحكمان بباطل أبداً وكل العدل قد جاءت به الحكمان
وهما كتاب الله أعدل حاكم فيه الشفا وهداية الخيران
والحاكم الثاني كلام رسوله ما ثم غيرها لذي ايمان
فإذا دعوك لغير حكمهما فلا سمعا لداعي الكفر والعصيان
قل لا كرامة لا ولا نعمى ولا طوعاً لمن يدعو إلى طغيان
وإذا دعيت إلى الرسول فقل لهم سمعا وطوعاً لست ذا عصيان

الشرح: يشير المؤلف بهذه الأبيات إلى أصل عظيم ضل عنه أكثر الناس فوق

بينهم الاختلاف والتنازع، وفاتهم من الحق بقدر اهمالهم له، ذلك هو تحكيم الوحي المبين في كل مسائل الدين، أصوله وفروعه واشاره على تقليد المشايخ والآباء في أقوالهم بلا بيعة، فهناك حكمان اثنان لا يحكمان الا بكل ما هو حق وعدل، ولا يعقل أن يصدر منها حكم بخلاف ذلك، فأولها كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والذي من قال به صدق، ومن حكم به عدل، وفيه الشفاء من جميع أمراض القلوب، وهدى كل ضال حيران.

والثاني هو كلام رسول الله ﷺ الذي أمره الله أن يحكم بين الناس بما أنزله إليه، وأن يبلغهم البلاغ المبين، وأن يبين لهم ما نزل إليهم، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥] فإذا دعي الانسان لغير حكمها فيجب أن يرفض بكل اباء، وأن لا يجيب من يدعوه إلى ذلك قائلًا له بملء فمه لا، ولا كرامة ولا نعمى ولا طاعة لمن يدعو الى الكفر والطغيان. وأما اذا دعي الى الله ورسوله فليقل على السمع والطاعة في غير إباء ولا استكبار. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١].

★ ★ ★

وإذا تكاثرت الخصوم وصيحوا	فأثبت فصيحتهم كمثل دخان
يرقى إلى الأوج الرفيع وبعده	يهوي الى قعر الحضيض الداني
هذا وإن قتال حزب الله بال	أعمال لا بكتائب الشجعان
والله ما فتحوا البلاد بكثرة	أنى وأعداهم بلا حسان
وكذاك ما فتحوا القلوب بهذه الـ	آراء بل بالعلم والايان

الشرح: يجب على صاحب الحق المستمسك بأهداب الوحي أن لا يعبا بكثرة الخصوم ولا يفزعه صياحهم وضجيجهم، فإن كيد الباطل ضعيف مآله إلى

التلاشي والزوال السريع، كمثل دخان تصاعد إلى طبقات الجو العليا، ثم أخذ بعد ذلك في الهبوط إلى الحضيض.

وأما أهل الحق فإنهم لا يقاتلون أعداءهم بكثرة عددهم، ولكن بجليل أعمالهم وقويم أخلاقهم، ولو كانت المسألة مسألة عدد لما استطاعوا أن يفتحوا هذه الممالك العتيقة، ويواجهوا هذه الجيوش الجرارة التي كانت تفوقهم عشرات بل مئات المرات. وكذلك ما فتحوا قلوب الناس للهدى وحببوا إليها الإسلام بمثل هذه الآراء المبتدعة التي يتبجح بها المتفلسفة وعلماء الكلام، وإنما كانت تقوم دعوتهم على العلم والإيمان مما جمع حولهم القلوب وحملها على الطاعة والاذعان.

★ ★ ★

نفس وذا محذور كل جبان	وشجاعة الفرسان نفس الزهد في
سد في الثنا من كل ذي بطلان	وشجاعة الحكام والعلماء زه
شدت ركائبه الى الرحمن	فإذا هما اجتمعا لقلب صادق
فالعز تحت مقاتل الأقران	واقصد إلى الأقران لا أطرافها
عند الوري من كثرة الجولان	واسمع نصيحة من له خبر بما
أخذوه عمن جاء بالقرآن	ما عندهم والله خير غير ما
أو بحث تشكيكك ورأي فلان	والكل بعد فبدعة أو فرية

الشرح: يقسم المؤلف الشجاعة إلى شجاعة مادية يتصف بها الفرسان في ميدان القتال، ويعرفها بأنها الزهد في الحياة واسترخاض النفوس في حومة الوغى، وهذا ما لا يطيقه الجبان ويتحاماه، وإلى شجاعة معنوية ويتصف بها العلماء والحكام الذين يقولون قولة الحق ولا يخشون فيها أحدا ويعرفها بأنها الزهد في المديح والثناء الذي يزجيه أهل الباطل لمن يجاريهم على باطلهم ولا يواجههم بالحق خوفاً من هياجم عليه وذمهم له، ولا شك أن الشجاعة في الحق أفضل أنواع الجهاد كما قال عليه السلام «أفضل الجهاد كلمة حق تقال عند سلطان جائر» فإذا اجتمعت هاتان الشجاعتان لقلب صادق العزم برىء من

الهوى والنفاق كانا عوناً له على السير إلى الله عز وجل والقرب منه - ولا ينبغي لمن توفرت له هذه الشجاعة أن يقصد من دونه من أطراف القوم وأوشابهم بالقتال، بل يقصد إلى الأقران من خصومه فإن العز تحت مقاتلهم، ثم عليه أن يسمع لنصيحة خبير مجرب، يعني نفسه رحمه الله عنده علم بكل ما عند الورى من مذاهب وآراء، وهو يقسم بالله أنه ليس عندهم أفضل ولا أنفع مما أخذوه عن الرسول ﷺ وما وراءه مما يقول الناس فهو اما بدعة محدثة لا أصل لها في دين الله، وإما فرية مختلقة افتريها أحد الكذابين، وأما بحث يقصد منه اثاره الشكوك والشبهات حول العقائد الصحيحة المسلمة، وإما رأي ماثور عن ليس قوله حجة ولا له عليه دليل.

★ ★ ★

فاصدع بأمر الله لا تخش الورى	في الله واخشاه تفز بأمان
واهجر ولو كل الورى في ذاته	لا في هواك ونخوة الشيطان
واصبر بغير تسخط وشكايية	وأصفح بغير عتاب من هو جان
واهجرهم الهجر الجميل بلا أذى	أن لم يكن بد من الهجران
وانظر إلى الأقدار جارية بما	قد شاء من غي ومن إيمان

الشرح: الصدع بالأمر معناه الجهر والاعلان، كما قال تعالى لنبيه عليه السلام: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤] والمعنى فاجهر بكلمة الحق ولا تكتمها خشية الناس، فإن الله أحق أن تخشاه وفي خشيته الفوز بكل طمأنينة وأمان، ولو اقتضاك الجهر بكلمة الحق أن تعادي الناس جميعاً وتهجرهم في ذات الله عز وجل لا في سبيل هوى النفس ونفخة الشيطان، فلا يثقلن عليك ذلك، وتلقه بالصبر الجميل في غير ضجر ولا شكوى، واصفح الصفح الجميل دون عتب على من جنى عليك وأذاك، وإذا اضطرت إلى هجر الناس واجتنابهم، فليكن هجرك جميلاً غير مصحوب بأذى، وليكن نظرك إلى

مجاري أقدار الله عز وجل وما تعلقته به مشيئته من اختلاف الناس في غي وإيمان.

★ ★ ★

واجعل لقلبك مقلتين كلاهما
فانظر بعين الحكم وارحهم بها
وانظر بعين الأمر واحملهم على
واجعل لوجهك مقلتين كلاهما
لو شاء ربك كنت أيضاً مثلهم
بالحق في ذا الخلق ناظرتان
إذ لا ترد مشيئة الديان
أحكامه فيها إذا نظران
من خشية الرحمن باكيتمان
فالقلب بين أصابع الرحمن

الشرح: إذا كان الله عز وجل قد أجرى مقاديره على العباد وحكم فيهم بما شاء من كفر وإيمان، وهو مع ذلك قد أمرهم جميعاً بالإيمان والطاعة، فيجب أن ينظر الإنسان إلى الخلق تبعاً لذلك بنظرين مختلفين، نظر بعين الحكم النافذ والقدر السابق، فيرحمهم ويرثي لهم لعلمه أن حكم الله وقدره لا راد له ولا دافع، ونظر بعين الأمر الشامل لجميع المكلفين، فيجاهدهم في ذلك ويغلط عليهم حلالهم على أمر الله عز وجل وحكمه الديني، فهذان نظران مختلفان، ولا يلزم من ذلك الاختلاف التناقض، فإن جهة كل منهما مخالفة للآخر، وإنما يكون التناقض عند الاتحاد. ويجب على العبد كذلك عند نظره إلى اختلاف الناس في الهدى والضلال أن يستفرغ الدمع من عينيه باكياً من خشية الله عز وجل، شاكراً له نعمة الهداية والتوفيق، إذ لو شاء الله لكان هو أيضاً مثلهم، فإن القلوب بين أصبعين من أصابع الله عز وجل يقلبها كيف شاء ولهذا كان النبي ﷺ يكثر أن يقول في دعائه « اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ».

★ ★ ★

واحذر كهائن نفسك اللاتي متى
وإذا انتصرت لها فأنت بمن بغى
خرجت عليك كسرت كسر مهان
طفي الدخان بموقد النيران

والله أخبر وهو أصدق قائل أن سوف ينصر عبده بأمان
من يعمل السوءى سيجزى مثلها أو يعمل الحسنى يفز بجنان
هذى وصية ناصح ولنفسه وصي وبعد سائر الاخوان

الشرح: الكمائن جمع كمينه، والمراد بكمائن النفس غرائزها السيئة وشهواتها
الدنيا يوصي المؤلف بأن يحذرهما الانسان وينهض دائما لتأديبها كلما تمردت
وخرجت عليه، وإلا هزمته هزيمة منكرة يصح بعدها مهانا ذليلا. كما يجب أن
لا ينتصر لها يبغى شفاءها واطفاء ثورتها، فإن ذلك يزيدا حدة واشتعالا
ويكون حينئذ كمن يريد اطفاء الدخان بموقد النيران، بل يحسن أن يصبر ويغفر
والله عز وجل قد ضمن له النصر، واخبر بذلك في كتابه حيث يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ
يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحج: ٣٨] ويقول في آية أخرى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ
رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١] كما
أخبر سبحانه أن جزاء السيئة مثلها، وأن جزاء الحسنى مغفرة من الله ورضوان.
وبعد: فهذه وصية المؤلف رحمه الله يوصي بها نفسه أولا ثم سائر اخوانه من
طالبي الهدى، أهل الصدق والتوحيد والايامن.

★ ★ ★

فصل

فاجلس إذا في مجلس الحكمين للر
الأول النقل الصحيح وبعده ال
واحكم إذا في رفقة قد سافروا
فترافقوا في سيرهم وتفارقوا
فأتى فريق ثم قال وجدته
ما ثم موجود سواء وانما
حسن لا للنفس والشيطان
عقل الصريح وفطرة الرحمن
يبغون فاطر هذه الأكوان
عند افتراق الطرق بالحيران
هذا الوجود بعينه وعيان
غلط اللسان فقال موجودان

الشرح: إذا جعل طالب النجاة من أهل الحق هذه الوصية شعاره ووقف

عند النصوص يحكمها في كل مسألة من مسائل الدين ، فقد أصبح بذلك أهلاً لأن يتصدى للحكومة بين المتنازعين ، فليجلس إذا في مجلس الحكمين وليكن في حكمه طالباً وجه الحق لا يصدر في حكمه عن هوى نفس ، ولا إيجاء شيطان ، والحكمان هما النقل الصحيح أولاً من الكتاب والسنة ثم بعده العقل الصريح . الخالي من شوائب الجهل والوهم وفطرة الله التي فطر الناس عليها ، والتي لم تفسد بالتقليد والجمود ، ثم ليحكم بعد ذلك في جماعة من الرفقاء قد سافروا يقصدون الوصول إلى مبدع هذه الأكوان جل شأنه .

والسفر هنا كناية عن سفر الفكر والطلب بالنظر . فبدأوا السفر من نقطة واحدة وترافقوا في سيرهم ولكنهم لم يلبثوا أن افترقوا وذهبوا في رهبم مذاهب شتى . فذهب فريق وهم أصحاب وحدة الوجود بزعامة ابن عربي الزنديق أن الله هو هذا الوجود بعينه وعيانه ، وأنه ليس هناك إلا موجود واحد وإنما يغلط اللسان فيقول موجودان .

★ ★ ★

وكذلك الأفلاك والقمران	فهو السماء بعينها ونجومها
أمطار مع برد ومع حسان	وهو الغمام بعينه والثلج وال
ترب الثقيل ونفس ذي النيران	وهو الهواء بعينه والماء وال
هذي المظاهر ما هنا شيئان	هذي بسائطه ومنه تركبت
فيها كفقير الروح للأبدان	وهو الفقير لها لأجل ظهوره
هو ذاتها ووجودها الحقاني	وهي التي افتقرت إليه لأنه

الشرح: هذا تفريع على ذلك المذهب الفاسد القائل بأن الحق هو عين الخلق وأنه ما ثم إلا وجود واحد ، وأن هذه الكثرة التي نراها إنما هي مظاهر له فقط وأثواب يلبسها ويخلعها . فهو السماء بما فيها من شمس وقمر ونجوم وأفلاك ، وهو هذا السحاب الذي نراه مسخر بين السماء والأرض بما فيه من ثلج وبرد وأمطار وهو الهواء والماء والتراب والنار ، التي هي البسائط الأربعة في زعم

الطبيعيين القدماء ومنها تتركب سائر الموجودات، والأمر قسمة بينه وبين هذه العوالم التي هي مجال له يظهر فيها فكما أنها فقيرة ومحتاجة إليه لأنه هو جوهرها ووجودها الأصيل فكذا هو مفتقر إليها من أجل تعينه وظهوره فيها كما تفتقر الروح في ظهور آثارها للأبدان.

★ ★ ★

وتظل تلبسه وتخلعه وذا ال	ايجاد والاعدام كل أو ان
ويظل يلبسها ويخلعها وذا	حكم المظاهر كي يرى بعيان
وتكثر الموجود كالأعضاء في ال	محسوس من بشر ومن حيوان
أو كالقوى في النفس ذلك واحد	متكرر قامت به الامران
فيكون كلا هذه أجزاءه	هذه مقالة مدعي العرفان

الشرح: يعني أن تلك المظاهر والتعينات باعتبار أن ذلك الوجود المطلق هو قوامها الحامل لها، فهي لا تزال تتوارد عليه في عملية إيجاد واعدام مستمر كلما فنت صورة وخلعت ذلك الوجود ولبست أخرى، وكذلك هو يظل يلبسها ويخلعها بلا انقطاع، وهذا حكم اقتضاه ظهور هذا الوجود فإنه لو دام على اطلاقه لما أمكن رؤيته وظهوره للعيان. ونسبة تلك الموجودات المتكررة إلى ذلك الوجود المطلق كنسبة الأعضاء المختلفة لجسم الانسان أو الحيوان إليه، أو كنسبة قوى النفس المختلفة إليها، أي أنها كنسبة الجزء إلى كله، وكما أن كلا من الجسم ذي الاعضاء والنفس ذات القوى له اعتباران، اعتبار أنه وحدة قائمة بذاتها وهو بهذا يصح أن يقال أنه شيء واحد، واعتبار أنه مركب من أعضاء وقوى وهي من هذه الجهة تسمى كثيرا، فكذا هذا الوجود له اعتباران، اعتبار الاطلاق وعدم التقييد وهو من هذه الجهة واحد لا حدود فيه ولا قيود، واعتبار ظهوره في عالم الامكان والتقييد، وهو من هذه الجهة كثير كثيرة لا حد لها. يقول ابن عربي الزنديق في كتابه المسمى فصوص الحكم.

« فالعالم يعلم من عبد وفي أي صورة ظهر حتى عبد، وأن التفريق والكثرة

كالأعضاء في الصورة المحسوسة وكالقوى المعنوية في الصورة الروحانية، فما عبد
غير الله في كل معبود».

★ ★ ★

أو أنها لتكثر الأنواع في جنس كما قال الفريق الثاني
فيكون كلياً وجزئياته هذا الوجود فهذه قولان
أحدهما نص الفصوص وبعده قول ابن سبعين وما القولان
عند العفيف التلمساني الذي هو غاية في الكفر والبهتان
إلا من الأغلاط في حس وفي وهم وتلك طبيعة الانسان
والكل شيء واحد في نفسه ما للتعدد فيه من سلطان

الشرح: بعد أن اتفقت كلمة القائلين بوحدة الوجود على أن الوجود في
نفسه شيء واحد، وأن الكثرة إنما هي في التعينات اختلفوا في نسبة ذلك الوجود
الواحد إلى تلك التعينات، فذهب ابن عربي كما تقدم إلى أنها من نسبة الكل إلى
أجزائه كنسبة أعضاء الجسم إليه أو كنسبة قوي النفس إليها، وذهب ابن سبعين
وهو من شيعة ابن عربي في القول بوحدة الوجود إلى أنها من نسبة الكلي إلى
جزئياته، يعني بذلك أن هذا الوجود المطلق الكلي جنس، وهذه الوجودات
المتعينة أنواع له فتكون هذه الكثرة البادية في الموجودات كثرة نوعية كما يقال
مثلاً أن الحيوان جنس تحته أنواع هي الانسان والفرس والجمال الخ.

والفرق بين القولين أن الوجود المطلق على رأي ابن عربي يكون كلا اجزائه
الوجودات الخاصة، وأما على رأي ابن سبعين فهو جزء من ماهية كل واحد من
هذه الوجودات. إذ من المعلوم أن الكلي يكون جزءاً من كل جزئي تحته، وأما
العفيف التلمساني وهو أشدهم كفراً وافتراءً، فذهب إلى أن الوجود كله شيء
واحد في نفسه لا تكثر ولا تعدد فيه أصلاً، وأما هذه الكثرة التي نراها بأعيننا
أو نتخيلها في نفوسنا، فلا حقيقة لها بل هي من أغلاط الحس الذي قد يرى
الشيء الواحد كثيراً والوهم الذي قد يتخيل الصورة الواحدة صوراً متعددة،

وذلك الغلط في الحس والوهم من طبيعة الإنسان؟

★ ★ ★

فالضيف والمأكول شيء واحد
وكذلك الموطوء عين الوطاء وال
ولربما قالوا مقالته كما
وأبى سواهم ذا وقال مظاهر
فالظاهر المجلو شيء واحد
هذي عبارات لهم مضمونها
والوهم يحسب ها هنا شيئان
وهم البعيد يقول ذا اثنان
قد قال قولها بلا فرقان
تجلوه ذات توحد ومثان
لكن مظاهره بلا حسان
ما ثم غير قط في الأعيان

الشرح: هذا تفريع على مذهب التلمساني القائل بأن الكثرة وهم وما ثم إلا شيء واحد فيكون الضيف وما قدم له من القرى شيئاً واحداً. وان حسب الوهم أن ها هنا شيئين آكلا ومأكولا ويكون كذلك الموطوء عين الواطىء وان تخيلها الوهم اثنين ومهما يكن من فرق بين هذه الأقوال الثلاثة فهي جد متقاربة لأن جوهرها واحد، ولهذا قال الشيخ رحمه الله ولربما قالوا أي ابن عربي وابن سبعين مقالة هذا التلمساني في ابطال الكثرة كما قد قال هو قولها بلا فارق أصلاً.

ثم ذكر الشيخ مذهبا رابعا أشار إليه بقوله وأبى سواهم ذا: أي سوى هؤلاء الثلاثة، هذا الذي قالوه، وذهب إلى أن هذه الموجودات انما هي مظاهر وتجليات لشيء واحد وهذه المظاهر ذات توحد: أي انفراد ومثان: أي تعدد، وهذه العبارات التي نطق بها أصحاب وحدة الوجود مهما اختلفت وتنوعت فإن مضمونها شيء واحد وهو أنه ما ثم غير الله في هذا الوجود، فسواء جعلت الكثرة أجزاء له أو أنواعاً أو قلت أنها وهم، أو جعلتها مظاهر وتجليات فالمآل واحد وهو أنه ما ثم إلا وجود واحد.

★ ★ ★

فالقوم ما صانوه عن انس ولا جن ولا شجر ولا حيوان

كلا ولا علو ولا سفلى ولا
كلا ولا طعم ولا ريح ولا
لكنه المطعوم والملبوس وال
وكذا قالوا أنه المنكوح وال

واد ولا جبل ولا كثنان
صوت ولا لون من الألوان
مشموم والمسموع بالآذان
مذبوح بل عين الغوي الزاني

الشرح: هذا بيان لما يترتب على تلك المقالة الفاسدة من أنواع الكفر والضلال التي لا تخفى على أحد. فإنه إذا لم يكن ثم إلا وجود واحد لبس هذه الصور والتعينات المختلفة التي لا بد له منها في بروزه وتجليه ولا بد لها منه لأنه عين حقيقتها لزم أن يكون الله تعالى وتقدس هو الأشياء جميعاً بما فيها متقابلات ومتضادات، فالقوم ما صانوا ربهم ولا نزوهه عن أن يكون هو الانس والجن والشجر والحيوان، ولا أن يكون هو العلو والسفل والوديان والجبال والكتبان ولا أن يكون هو الطعوم والروائح والأصوات والألوان، ولا أن يكون هو المطعوم والملبوس والمشموم والمسموع بالآذان، بل قالوا أنه المنكوح والمذبوح بل عين الغوي الزاني.

★ ★ ★

والكفر عندهم هدى ولو أنه
وقالوا ما عبدوا سواه وإنما
ولو انهم عموا وقالوا كلها
فالكفر ستر حقيقة العبود بال
قالوا ولم يك كافراً في قوله
بل كان حقاً قوله إذ كان عي
ولذا غدا تطهيره في البحر تط

دين المجوس وعابدي الأوثان
ضلوا بما خصوا من الأعيان
معبودة ما كان من كفران
تخصيص عند محقق رباني
أنا ربكم فرعون ذو الطغيان
من الحق مضطلعاً بهذا الشأن
هيراً من الأوهام والحسبان

الشرح: يرى أصحاب وحدة الوجود أن الأديان كلها حق، وأن المجوس عبدة النار والمشركين عابدي الأوثان وغيرهم ليسوا كفاراً ولا ضلالاً، بل مذاهبهم هي عين الهدى والإيمان، لأنهم حين عبدوا النار والحجارة والصلبان وأنواع الحيوان ما عبدوا إلا الله عز وجل.

فإذا كان الله عز وجل قد تجلى بذاته لذاته في جميع هذه الصور والمتعينات فالهدى والإيمان في زعم هؤلاء المارقين أن تعبد وتعظم جميعاً.

قالوا: وإنما ضل من ضل وكفر من كفر بتخصيص بعض هذه المظاهر بالعبادة دون بعض، فالكفر عندهم ليس هو عبادة غير الله، إذ ليس هناك غير، ولكنه ستر حقيقة المعبود بتخصيص بعض مجاله بالعبادة دون البعض الآخر. وحكموا بإيمان فرعون وقالوا أنه كان يشاهد عين الحقيقة حين قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤] ولم يكن كاذباً في دعواه أنه هو الله، بل كان في أعلى مقامات التوحيد، ولذا كان أغرقه في البحر تطهيراً له من توهم الغيرية وحسبان الاثنيينية.

★ ★ ★

قالوا ولم يك منكراً موسى لما
عبدوه من عجل لذي الخوران
الا على من كان ليس بعباد
معهم وأصبح ضيق الأعطان
ولذاك جر بلحية الأخ حيث لم
يك واسعاً في قومه لبطان
بل فرق الانكار منه بينهم
لما سرى في وهمه غيران

الشرح: كما افترى هؤلاء المارقين الكذب في شأن فرعون وخالفوا فيه صريح القرآن الذي نطق بموته على الكفر، وأنه لم ينفعه إيمانه حين أدركه الغرق وأن الله إنما نجاه بيدنه ليكون عبرة ماثلة للأجيال من بعده، وأن الله أخذه نكال الآخرة والأولى، كذلك كذبوا في شأن موسى وهارون عليها الصلاة والسلام، فزعموا أن موسى عليه السلام لم يلم قومه على عبادة العجل ولم ينكرها عليهم، وإنما كان انكاره على من تخرج عن عبادته وضاق بها صدره، ولذلك أخذ بلحية أخيه يجره إليه حيث لم يتسع صدره لما فعله قومه، وأخذ ينكر عليهم ويحذرهم مغبة ذلك وسوء عاقبته، ويقول لهم: يا قوم انما فتنتم به وأن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري.

قالوا وانما وقع ذلك الانكار من هارون على قومه لما سرى في خاطره من معنى الغيرية، وكانوا هم أعلم منه بالحقيقة، حيث لم يشاهدوا الا الله وقت عبادتهم العجل^(١). فانظر إلى كذب هؤلاء الدجاجلة المارقين حيث جعلوا الضلال هدى، ونسبوا الى كليم الله موسى الرضي بعبادة غير الله، وجعلوا عبدة العجل أعلم بالله من نبي الله ورسوله هارون، كما جعلوا فرعون أنفا أعلم بالحق من موسى الكليم.

★ ★ ★

ولقد رأى إبليس عارفهم فأهـ
قال له ماذا صنعت فقال هل
ما ثم غير فاسجدوا أن شئتم
فالكل عين الله عند محقق
هذا هو المعبود عندهم فقل
يا أمة معبودها موطوؤها
يا أمة قد صار من كفرانها
سوى بالسجود هوي ذي خضعان
غير الاله وانتما عميان
للمس والأصنام والشيطان
والكل معبود لذي العرفان
سبحانك اللهم ذا سبحان
أين الاله وثغرة الطعان
جزء يسير جملة الكفران

الشرح: يعني أن عارف هؤلاء الجاهلين وهو ابن عربي رأس الالحاد وأمام الزندقة رأى إبليس في زعمه فهوى بالسجود له في ذلة وخضوع، فلما أنكر عليه صاحبه ذلك الصنيع قال لها موجأً: وهل غير الأله رأيت، أم قد عميت منكم العينان ليس هناك غير قط، فاسجدوا أن شئتم للشمس أو للأصنام، أو للشيطان، فإن الكل عين الحق والكل أهل للعبادة لشهود الحق فيه، عند أهل المعرفة.

(١) يقول ابن عربي في نصوصه « وكان موسى أعم بالأمر من هارون، لأنه علم ما عبده أصحاب العجل لعلمه بأن الله قد قضى أن لا يعبد الاياه، وما حاكم الله بشيء الا وقع، فكان عتب موسى أخاه هارون لما وقع في الأمر من انكاره وعدم اتساعه، فإن العارف من يرى الحق في كل شيء بل يراه عين كل شيء ».

ثم قال الشيخ بعد ذكر ضلالة هؤلاء الملاحدة: هذا هو المعبود عند هؤلاء السفهاء الحمقى فسبح ربك أيها المؤمن ونزهه عما يقول الجاهلون ثم ناداهم الشيخ مسفها وموبخا، يا أمة معبودها موطؤها، أين الاله من ثغرة الطغيان، يا أمة قد صار جميع أنواع الكفر والضلال، جزءاً يسيراً من كفرها وضلالها.

فصل

في قدوم ركب آخر

وأتى فريق ثم قال وجدته هو كالهواء بعينه لا عينه والقوم ما صانوه عن بئر ولا بل منهم من قد رأى تشبيهه ما فيهم ما قال ليس بداخل لكنهم حاموا على هذا ولم وعليهم رد الأئمة أحد فهم الخصوم لكل صاحب سنة ولهم مقالات ذكرت أصولها

بالذات موجوداً بكل مكان
ملاً الخلاء ولا يرى بعيان
قبر ولا حش ولا أعطان
بالروح داخل هذه الأبدان
أو خارج عن جملة الأكوان
يتجاسروا من عسكر الإيمان
وصحابه من كل ذي عرفان
وهم الخصوم لمنزل القرآن
لما ذكرت الجهم في الأوزان

الشرح: بعد أن فرغ المؤلف من ذكر مقالة ابن عربي وأضرابه من القائلين بمذهب وحدة الوجود شرع في بيان مقالة الحلولية، وينبغي أن يعلم أن أصحاب الحلول فريقان: فريق يقول بالحلول الخاص في بعض أفراد البشر، كما ذهب إليه النصراني في عيسى عليه السلام، حيث زعموا أن اللاهوت وهو الله حل في الناسوت، أي في جسد عيسى وكما ادعاه في الاسلام السبئية أتباع عبد الله بن سبأ الذي قال هو وأتباعه بألوهية علي رضي الله عنه، وقد حرقهم علي بالنار، وكذلك الخطابية في جعفر الصادق، وكان الحسين بن منصور الحلج يزعم أن الله حل فيه، ويقول في بعض شعره:

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدننا
فإذا ما أبصرتني أبصرتة واذ ما أبصرتة ابصرتنا
وكان يرى قبحه الله أن الانسان إذا بلغ درجة من الصفاء والمحبة بالرياضة
والمجاهدة فإنه يكون أهلاً لأن يحل الله فيه ، ومن شعره في ذلك :

سبحان من أظهر ناسوته سر سنا لاهوته الشاقب
ثم بدا في خلقه ظاهراً في صورة الأكل والشارب
حتى لقد عاينه خلقه كلحظك الحاجب بالحاجب

وقد أفتى علماء عصره بردته ووجوب قتله حين ظهر بتلك المقالة الشنيعة،
فقتل لعنه الله .

وأما الفريق الثاني من القائلين بالحلول، وهم الذين تعرض المؤلف لذكر
مذهبهم هنا فيرون أن الله عز وجل حال بذاته في كل جزء من أجزاء العالم،
بجيث لا يخلو منه مكان، ويشبهونه - تعالى الله عما يقولون علواً
كبيراً - بالهواء الذي يملأ الخلاء، ومع ذلك لا يراه أحد، ومنهم من يقول: أن
هذا العالم جسم كبير، والله عز وجل هو الروح الكامنة في هذا الجسم المدبرة له،
فهو سار في جميع أجزائه، كحللول الروح في البدن الانساني والحيواني .

وقد رد المؤلف على هؤلاء الحلوليين بأنهم حكموا على ربهم بالحلول في
الأماكن القذرة، كالأبار والقبور والحشوش والأعطان، وبين أن هذا المذهب
غير مذهب المعطلة الذين نفوا عن الله الجهة والحيز، وقالوا أنه لا داخل العالم
ولا خارجه، وأن هؤلاء الحلولية قد حاموا حول ذلك القول، ولكنهم لم يجروا
على أظهاره خوفاً من عسكر الإيمان، وهم أهل السنة والجماعة وقد رد عليهم
الامام أحمد وغيره بما بين فساد مقالاتهم وشناعة نحللتهم .

ولا شك أن هؤلاء الحلولية خصوم ألداء لأهل السنة والجماعة الذين ينزهون
ربهم عز وجل أن يكون حالا في شيء من أجزاء العالم، ويؤمنون بأنه سبحانه

فوق سماواته مستو على عرشه بائن من خلقه كما أخبر هو عن نفسه .

★ ★ ★

فصل في قدوم ركب آخر

وأتى فريق ثم قارب وصفه هذا ولكن جد في الكفران
فأسر قول معطل ومكذب في قالب التنزيه للرحمن
اذ قال ليس بداخل فينا ولا هو خارج عن جملة الأكوان
بل قال ليس بيائن عنها ولا فيها ولا هو عينها ببيان
كلا ولا فوق السموات العلى والعرش من رب ولا رحمن
والعرش ليس عليه معبود سوى العدم الذي لا شيء في الأعيان
بل حظه من ربه حظ الثري منه وحظ قواعد البنيان
لو كان فوق العرش كان كهذه الـ أجسام سبحان العظيم الشأن

الشرح: هذا بيان لمذهب الجهمية المعطلة الذين حكى الشيخ مقاتلهم فيما سبق
وهو مقارب لمذهب الحلول السابق، ولكنه أوغل منه في الكفر حيث أنه قائم على
التعطيل لصفات الرب والتكذيب بالنصوص الصريحة المثبتة لها من الكتاب والسنة
ومع ذلك يصوغه أصحابه في قالب التنزيه تمويهاً على قصار النظر فيقولون ما
أردنا بنفي الصفات الا تنزيهه عن مشابهة المخلوقات، وهم مع ذلك يصفونه
بصفات المعدوم الممتنع فيقولون لا هو داخل العالم ولا خارج العالم، ولا يقال له
متصل ولا منفصل ولا قريب ولا بعيد، وليس هو في حيز ولا جهة فالجهات
والأمكنة كلها بالنسبة اليه سواء فليس الفوق أولى به من التحت ولا حظ العرش
منه أكثر من حظ الأرض السابعة السفلى، أو قواعد البنيان، وحقيقة قولهم أنه
ليس فوق السموات العلى والعرش رب ولا رحمن، بل ليس فوقه الا العدم
المحض الذي لا حقيقة له في الخارج.

ويزعمون أن القول باستوائه على العرش يستلزم أن يكون في جهة وأن يكون العرش حيزاً له، وذلك من صفات الأجسام تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً؟

★ ★ ★

ولقد وجدت لفاضل منهم مقالة قال اسمعوا يا قوم أن نبيكم لا تحكموا بالفضل لي أصلاً على هذا يرد على المجسم قوله ويدل أن إلهنا سبحانه قالوا له بين لنا هذا فلم الفأ من الذهب العتيق فقال في قد كان يونس في قرار البحر تحـ ومحمد صعد السماء وجاوز الـ وكلاهما في قربه من ربه فالعلو والسفل اللذان كلاهما أن ينسباً لله نـزه عنهما في قرب من أضحى مقياً فيها فلأجل هذا خص يونس دونهم فأتى الثناء عليه من أصحابه

ما قامه في الناس منذ زمان قد قال قولاً واضح البرهان ذي النون يونس ذلك الغضبان الله فوق العرش والأكوان وبجمده يلقي بكل مكان يفعلهُ فأعطوه من الأثمان تيبانه فاسمع لذا التبيان ست الماء في قبر من الحيتان سبع الطباق وجاز كل عنان سبحانه إذ ذاك مستويان في بعده من ضده طرفان بالاختصاص بلي هما سيان من ربه فكلاهما مثلان بالذكر تحقيقاً لهذا الشأن من كل ناحية بلا حسان

الشرح: أورد الشيخ هنا هذه الحكاية التي تدل على جهل ذلك الجهمي وعدم بصره بمواقع الاستدلال، فقد أراد أن يستدل بقوله عليه السلام « لا تفضلوني على يونس بن متى » على أنه ليس فوق العرش اله، وأن محمداً لم يكن وهو فوق السبع الطباق باقرب إلى الله من يونس وهو في جوف الظلمات وهو استدلال فاسد، فان نهيه عليه السلام أمته عن تفضيله على يونس لم ينف أنه أفضل منه في الواقع، وهذا النهي عن التفضيل لا صلة له بالقرب والبعد، وإنما هو إرشاد

لأمته أن يتأدبوا في حق الأنبياء ، وأن لا يفضلوا أحداً منهم بخصوصه على آخر بخصوصه وان كان المفضل هو محمد ، والمفضل عليه هو يونس عليها الصلاة والسلام ، وانما خص يونس بالذكر لأن بعض الأوهام قد يسبق اليها هبوط درجته عليه السلام عن اخوانه من المرسلين حيث أخبر الله عز وجل عنه : انه التقمه الحوت وهو مليم أي فاعل ما يلام عليه ، وقال في حقه : ﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الانبياء : ٨٧] على أن الحديث بهذا اللفظ لم يروه أحد من أهل الكتب التي يعتمد عليها ، وانما اللفظ الذي في الصحيح « لا ينبغي لمجد أن يقول أنا خير من يونس بن متى » وفي رواية « من قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب » .

ومعلوم أنه ليس في هذه الروايات تعرض للمفاضلة بين محمد وبين يونس عليها السلام ، ولا نهي للمسلمين أن يفضلوا محمداً على يونس ، بل هو نهي عام لكل أحد أن يفضل ويفتخر على يونس ، وهل يقول من له ذرة من عقل ، ولمحة من ايمان ان مقام الذي أسرى به إلى ربه وهو مقرب معظم مكرم كمقام الذي القى في بطن الحوت وهو مليم - واين المعظم المقرب من الممتحن المؤدب ، ولو جاز أن يتخذ من مثل ذلك الحديث دليلاً على نفي علوه تعالى على خلقه فهل يقوى مثله في احتماله وبعد الاستدلال به أن يقاوم الأدلة الصريحة القطعية من الكتاب والسنة والعقل والفطرة على علوه تعالى والتي بلغت من الكثرة أن زادت على ألف دليل .

فانظر إلى حال الجهمي الجاهل الذي يتجرأ على الناس بسخافة حقاء ، ثم أنظر إلى قبولهم ذلك منه ، وفرحهم به ويجهلهم وقلة علمهم بكلام الله وكلام رسوله فالحمد لله الذي عافانا مما ابتلى به كثيراً من خلقه ، وهدانا صراطه المستقيم .

★ ★ ★

فأحد الهك أيها السني اذ عافاك من تحريف ذي بهتان
والله ما يرضى بهذا خائف من ربه أمسى على الايمان
هذا هو الالحاد حقا بل هو التحـ ريف محضاً أبرد الهذيان
والله ما يلي الجسم قط بمثل ذ ي البلوى ولا أمسى بزدي الخذلان
أمثال ذا التأويل أفسد هـ هذه الأديان حين سرى الى الأديان
والله لولا الله حافظ دينه لتهدمت منه قوى البنيان:

الشرح: بعد أن حكى المؤلف هذه الأكذوبة التي تفتق عنها ذهن ذلك
الجهمي المارق، والتي تدل على مبلغ جعل الجهمية وضلالهم حيث أنكروا أن
يكون بعض العباد والمخلوقات أقرب إلى الله من بعض، وزعموا أن جميع
الجهات والأمكنة بالنسبة إليه سواء، توجه إلى كل معتم بصنة وعقيدة السلف
أن يمد الله الذي عافاه من تحريف هؤلاء الكذابين، وأخبر أنه لا يرضى بمثل
هذا التحريف والتعطيل الا قلب فارقه الخوف من مولاه وبات على غير ايمان
به، والا لما اجترأ على القول بتلك الشناعات في حق الله عز وجل التي هي محض
الالحاد وعين التحريف والهذيان، ثم أخبر أن المجسمة الذين يدعي الجهم
وأصحابه الفرار من الوقوع في تجسيمهم بالتأويل ما ابتلوا قط بمثل هذي البلوى
التي هي تأويل الجهمي، ولا خذلوا هذا الخذلان الشنيع وأن أمثال هذه
التأويلات الفاسدة هي التي أفسدت الأديان حين سرت إليها، وقد وجد في
اليهودية والنصراني جهمية كهذا الجهم الذي أصيب به الإسلام حرفوا التوراة
والانجيل وتناولوها بالتغيير والتبديل حتى أفسدوا هاتين الديانتين على أهلها،
كما حاول الجهم افساد الإسلام على أهله، ولولا أن الله حافظ دينه وكتابه
لكانت بدعة الجهم ومقالاته سببا في هدم بنيان هذا الدين وتصدع أركانه.

★ ★ ★

فصل

وأتى فريق ثم قارب وصفه هذا وزاد عليه في الميزان

قال اسمعوا يا قوم لا تلهيكم
 هذي الأماني هن شر أماني
 أتعبت راحتي وكلت مهجتي
 وبذلت مجهودي وقد أعياني
 فشت فوق وتحت ثم أماننا
 ووراء ثم يسار مع أيمان
 ما دلني أحد عليه هنا كم
 كلا ولا بشر إليه هـداني
 إلا طوائف بالحديث تمسكت
 تعزي مذاهبها إلى القرآن

الشرح: بعد أن فرغ الشيخ من ذكر مذهب الجهمية أهل التعطيل والاحاد
 شرع في بيان ما جره هذا المذهب من انسلاخ طائفة كبيرة من النظار من الدين
 جملة ونزوعهم إلى الزندقة والانحلال، فانهم فتشوا فوجدوا أن مذاهب الجهمية
 والمتكلمين متضاربة متناقضة ينفون الشيء ويثبتون نظيره، ويقطعون بالشيء في
 موضع وبضده في موضع آخر، فشكوا فيها جميعا ولم يطمئنوا إلى صحتها. ثم
 نظروا في مذاهب أهل السنة والجماعة فوجدوها محكمة مطابقة لما جاء به الكتاب
 الحكيم والسنة المطهرة فأعجبوا بها وكادوا يدخلون في أهلها لولا أنهم رأوا الجهم
 وأصحابه يرمونهم بأشنع الألقاب، ويتهمونهم بالتشبيه والتجسيم تنفيرا للناس من
 أتباعهم. فحار هؤلاء بين الفريقين، ولم يجدوا بدا من نبذ ذلك كله والعيش في
 هذه الدنيا كالبهائم، بلا عقيدة ولا دين.

والآن فلنسمع إلى الشيخ يحكي لنا على لسان رائد هذه الجماعة وهو يقول
 لهم: يا قوم ان سعيكم هذا في ضلال، وإن ما تطلبونه مستحيل المنال، فلا
 تشغلنكم هذه الأماني الكواذب، فهن شر أماني، لقد أتعبت راحتي، مغذا
 السير، حتى كلت مهجتي ونفدت قوتي، ومع ذلك أعياني الوصول إليه، لقد
 بحثت عنه في جميع الجهات الست، فما وجدت أحدا دلني على وجوده ولا هداني
 إلى معرفته، اللهم إلا جماعة تمسكوا بصحاح الأحاديث، وانتسبت مذاهبهم إلى
 القرآن، فهم الذين يبشرون بوجوده ويدلون عليه كل طالب للوصول إليه.

★ ★ ★

قالوا الذي تبغيه فوق عباده فوق السماء وفوق كل مكان

وهو الذي حقا على العرش استوى
 وإليه يصعد كل قول طيب
 والروح والأملاك منه تنزلت
 وإليه أيدي السائلين توجهت
 وإليه قد عرج الرسول فقدرت
 لكنه استولى على الأكوان
 وإليه يرفع سعي ذي الشكران
 وإليه تعرج عند كل أوان
 نحو العلو بفطرة الرحمن
 من قربه من ربه قوسان

الشرح: يعني أن أهل السنة والجماعة قالوا لهذا السائل أن الذي تطلبه وتجد في البحث عنه، وتقول انك لم تجده في واحدة من الجهات الست هو في جهة الفوق، فهو العلي بذاته فوق عباده، وفوق السموات السبع، وفوق كل مكان من أمكنة هذا العالم الوجودية، وهو هناك مستو على عرشه استواءا حقيقيا بمعنى العلو والارتفاع، لا كما يزعم الجهم وأتباعه من أن معنى استوائه على العرش هو استيلاؤه عليه، فإنه لا معنى لتخصيص العرش بذلك، إذ هو سبحانه مستول على جميع الأكوان التي من جملتها العرش، وإليه هناك يصعد كل قول طيب، ويرفع كل عمل صالح، كما قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠] ومن عنده تنزل الملائكة والروح وإليه تعرج في كل الآنات وفي جميع الأوقات، كما قال تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤] وهو الذي إليه تمتد أيدي السائلين بالطلب في الدعاء، متجهة نحو العلو بفطرة الله الذي فطرها على رفع الأكف في الدعاء، وهو الذي عرج إليه الرسول صلوات الله وسلامه عليه ليلة الإسراء، وتجاوز السبع طباق، وتناهى في القرب منه، حتى كان قاب قوسين أو أدنى...

وإليه قد رفع المسيح حقيقة
 وإليه تصعد روح كل مصدق
 وإليه آمال العباد توجهت
 ولسوف ينزل كي يرى بعيان
 عند المات ففتنني بأمان
 نحو العلو بلا تواسي ثان

بل فطرة الله التي لم يفتروا ألا عليها الخلق والثقلان
ونظير هذا أنهم فطروا على اقرارهم لا شك بالديان
لكن أولو التعطيل منهم أصبحوا مرضى بداء الجهل والخذلان

الشرح: هذه من جملة كلام أهل السنة والجماعة فس اثبات الفوقية لله عز وجل على الحقيقة، حيث أخبر سبحانه أنه رفع عيسى عليه السلام إليه بجسده وروحه حيا، كما قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ سُبِّحَانَ اللَّهِ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ لَإِنَّهُنَّ أُمَّةٌ مُّؤْمِنَةٌ وَأَنْتَ مَرْسُومٌ وَمَا كُنَّا سَمِعِينَ لَكَ قَوْلًا نَّكَرًا بَدِيعًا قَوْلِ اللَّهِ وَإِذْ يَتْلُو آيَاتِهِ لَعَلَّ بَشَرٌ مِّمَّنْ لَّا يَرْجُو إِلَهَ سِوَا اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [آل عمران: ٥٥] وكما قال: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَّبُوهُ وَلَٰكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ [النساء: ١٥٧، ١٥٨] فإضافة الرفع إلى ضمير عيسى عليه السلام في الآيتين يدل على أنه رفع كله ويرد على من زعم أن الرفع إنما هو لروحه وحدها، وأن جسده قد مات ودفن، وهو زعم باطل، فإنه لا يظهر حينئذ لتخصيص عيسى عليه السلام بذلك الرفع معنى، إذ كل ميت هو كذلك ترفع روحه إلى السماء، وقد ورد في الحديث الصحيح أن عيسى سينزل قرب قيام الساعة، وأنه سيقتل المسيح الدجال ويكسر الصليب ويضع الجزية على أهل الكتاب، وتمتلىء الدنيا في عهده خيراً وعدلاً.

وكذلك ورد الحديث بأن أرواح المؤمنين تعرج بها ملائكة الرحمة حتى تمثل بين يدي الله عز وجل فيبشرها بما أعد لها من نعم فترجع آمنة مطمئنة.

وهو سبحانه كذلك الذي تتجه إليه آمال عباده نحو العلو دون أن يوصي بعضهم بعضاً بذلك، بل فطرة فطرهم الله عليها كما فطرهم على الاقرار بوجوده، لكن أهل التعطيل قد فسدت فطرهم فوجدوا هذه الضرورات التي يجدها الناس من أنفسهم بالتوجه دائماً في الدعاء والرجاء نحو العلو، وأصبحوا مرضى بداء الجهل والخذلان، أعاذنا الله مما ابتلاهم به بممه وكرمه.

★ ★ ★

فسألت عنهم رفقتي وأحبتي أصحاب جهم حزب جنكيز خان

من هؤلاء ومن يقال لهم فقد
 وهم علينا صولة ما صالها
 أو ما سمعتم قولهم وكلامهم
 جاءوكم من فوقكم وأتيم
 جاءوكم بالوحي لكن جئتم
 جاءوا بأمر مالى الآذان
 ذو باطل بل صاحب البرهان
 مثل الصواعق ليس ذا لجان
 من تحتهم ما أنتم سيان
 بنحاة الأفكار والأذهان

الشرح: لما سمع هذا السائل الذي خرج يرتاد لقومه عقيدة يدينون بها كلام
 أهل السنة والجماعة في أثبات صفة العلو لله عز وجل، وأنه فوق العرش بذاته،
 أعجب أيما اعجاب بقوة كلامهم ووضوحه، وامتلاّت به نفسه، فذهب يسأل
 عنهم رفقاءه وأهل هواه من أصحاب جهم، وحزب ذلك القائد المغولي الجبار،
 المسمى بجنكيز خان، والمراد بهم نصير الدين الطوسي وأمثاله من أذنان
 المتفلسفة، فقال لهم من هؤلاء وبماذا يسمون، فإنهم قد جاءوا بأمر عجيب يملأ
 الآذان والقلوب روعة وجلالا وهم علينا صولة لا يمكن أن يصلوها ذو باطل بل
 لا تكون إلا لصاحب الحجة والبرهان، فهذه أقوالهم وحججهم يرسلونها علينا
 مثل الصواعق المحرقة في غير جن ولا خور، وشتان بين كلامنا وكلامهم، فإنهم
 يجيئوننا من فوقنا بالوحي المبين والنصوص الصريحة من الكتاب والسنة، ونحن
 نجئهم من تحتهم بنفاية الأفكار وكناسة الأذهان، ومن ذا الذي يسوي بين
 مستمسك بالوحي المعصوم وبين خابط في دياجير الجهالة ومتاهات الظنون.

★ ★ ★

قالوا مشبهة مجسمة فلا
 والعنهم لعناً كبيراً واغزهم
 واحكم بسفك دمائهم وبجسهم
 حذر صحابك منهم فهم أضل
 واحذر تجادلهم بقال الله أو
 أني وهم أولى به قد أنفذوا
 تسمع مقال مجسم حيوان
 بعساكر التعطيل غير جبان
 أو لا فشردهم عن الأوطان
 من اليهود وعابدي الصلبان
 قال الرسول فتشني بهوان
 فيه قوى الأذهان والأبدان

فإذا ابتليت بهم فغالطهم على التأويل والأخبار والقرآن
وكذاك غالطهم على التكذيب للآحاد ذان لصحبنا أصلان

الشرح: سأل هذا السائل رفقاءه وأهل محبته عن رأيهم في أهل السنة والجماعة
وبماذا يسمونهم، فقالوا - قبحهم الله - أنهم مشبهة يشبهون الله عز وجل بخلقه،
حيث يشبتون له من الصفات ما هو موجود في المخلوقات، وهم كذلك مجسمة
يقولون ان الله فوق العرش بذاته، فيشبتون له المكان والحيز الذي هو من
خصائص الأجسام، وقالوا له إياك أن تسمع لقولهم أو تصيخ لآرائهم، بل يجب
أن تمقتهم وأن تقابل جيوشهم من النصوص بعساكر التعطيل غير هباب ولا
وجل، وعليك أن تتبع معهم احدى ثلاث خصال، فأما أن تسفك دماءهم كما
تسفك دماء الكفرة والمشركين، أو تحبسهم حتى يرجعوا عن قولهم ويفيئوا إلى
حكم العقل، وإلا فانفهم عن الأوطان واسترح من شرهم، وحذر أصحابك من
اتباعهم، فإنهم أضل من اليهود والنصارى.

ثم إياك إياك أن تجادلهم بما هم أعلم به منك وأمهر فيه وهو قال الله، وقال
الرسول فترجع مغلوباً مقهوراً، وكيف تجادلهم بالوحي الذي هم أحق به وقد
أفنوا فيه عصارة أذهانهم وقوى أبدانهم، بل إذا ابتليت بشيء من ذلك فلا
مخلص لك إلا اللجوء إلى المغالطة، فإن كان النص متواتراً لا يمكن رده فغالطه
على التأويل له وقل لهم انه مصروف عن ظاهره إلى معنى آخر، فإن سألك عن
القرينة التي أوجبت ذلك الصرف فقل لهم حكم العقل باستحالة ذلك المعنى على
الله. وأما ان كان الخبر آحاداً فما عليك إلا أن تكذب به وتنكر ثبوته أو تدعي
أنه لا يفيد إلا الظن فلا يقبل في باب الاعتقاد.

هذان هما الأصلان اللذان بنى عليهما المعطلة دفعهم للنصوص التي يرون فيها
مصادمة لقضايا عقولهم الفاسدة وأوهامهم الكاذبة.

★ ★ ★

أوصى بها أسياننا أسيانهم فاحفظها بيديك والأسنان

وإذا اجتمعت وهم بمشهد مجلس
لا يملكوه عليك بالآثار وال
فتصير ان وافقت مثلهم وان
وإذا سكت يقال هذا جاهل
هذا الذي والله أوصانا به
فابدر بإيراد وشغل زمان
أخبار والتفسير للفرقان
عارضت زنديقا أبا كفران
فابدر ولو بالفشر والهديان
أشياخنا في سالف الأزمان

الشرح: يعني أن هذا التأويل لظواهر النصوص المتواترة والتكذيب بالآحاد
منها هو الذي أوصى به شيوخ المعطلة أتباعهم، فعليك أن تعض عليها بالنواجذ
وإذا اجتمعت بهؤلاء المثبتة أهل النصوص والآثار وضمك وإياهم مجلس، فإياك
أن يسبقوك إلى الكلام بل بادرهم بإيراد مسألة أو إلزام تشغل به الوقت حتى
لا يملكوه عليك بإيراد الآثار والأخبار والتفسير لآيات الكتاب وحينئذ تكون
بين أمرين، أحلاهما مر. فإما أن توافقهم فتصير مثلهم في التشبيه والتجسيم، أو
تخالفهم فترمى بالزندقة والكفر، وإذا سكتت ولم تقل شيئا نسبت إلى الجهل وقلة
العلم، فبادرهم إذا بأي كلام ولو بالفشر، يعني بالكذب. والهديان الكلام الذي
فيه تخليط واضطراب، وهذا الذي أوصيناك به هو والله الذي أوصانا به
أشياخنا في سالف الأزمان.

★ ★ ★

فرجعت من سفري وقلت لصاحبي
عطل ركابك واسترح من سيرها
لو كان للأكوان رب خالق
أو كأن رب بائن عن ذي الورى
ولكان عند الناس أولى الخلق بال
ولكان هذا الحزب فوق رؤوسهم
ومطيتي قد آذنت بجران
ما ثم شيء غير ذي الأكوان
كان المجسم صاحب البرهان
كان المجسم صاحب الإيمان
اسلام والإيمان والاحسان
لم يختلف منهم عليه اثنان

الشرح: يقول ذلك الرائد الأحق اني بعد أن طوفت بين أهل المذاهب
فسمعت كلام أهل السنة والجماعة، ثم سمعت كلام رفقتي من أصحاب جهم

فيهم شككت في المذهبين جميعا ورجعت من سفري بخيبة واخفاق قلت لصاحبي، وقد كلت دابتي من السير حتى أعلمت بجرانها وامتاعها عن المسير عطل ركابك واسترح من سيرها فإنه لا حاجة بك إلى كثرة التجوال وطول الكلام فقد جئتك من هناك بالخبر اليقين وهو أنه لا شيء وراء هذه الأكوان.

ثم أخذ يدلل على قضيته الخاسرة، فقال لو كان للأكوان رب خالق موجود لكان مذهب المجسمة هو أصح المذاهب وأقواها وبرهانها وأولاها بالقبول، فإن القول بوجوده يقتضي أن يكون ذلك الوجود متحققا في جهة ولما استحال القول بوجوده داخل هذا العالم لما يلزم عليه من أن تكون الحوادث ظرفا له محيطة به فلا بد من القول بأنه بائن عن الورى منفصل عنهم، أما القول بأنه موجود لا في مكان وأنه ليس داخل العالم ولا خارجه، فإنه ينطوي على التناقض كأنه قيل هو موجود معدوم، فالحكم بوجود رب خالق للعالم بائن عنه يقتضي انتصار مذهب التجسيم، وأن يكون أهله أحق الناس بالإسلام والإيمان والإحسان وأن يكون حزبهم هو الأغلب فوق رؤوس المذاهب جميعاً.

واخلع عذارك وارم بالأرسان ^(١)	فدع التكاليف التي حملتها
يتكلم الرحمن بالقرآن	ما ثم فوق العرش من رب ولم
لزم التحيز وافتقار مكان	لو كان فوق العرش رب ناظر
حرفا وصوتا كان ذا جثمان	لو كان ذا القرآن عين كلامه
يبقى على ذا النفي معن إيمان	فإذا انتفى هذا وهذا ما الذي
فهما السياج لهم على البستان	فدع الحلال مع الحرام لأهله
قد هيئت لك سائر الألوان	فاخرقه ثم ادخل ترى في ضمنه
من كل ما تهوى به زوجان ^(٢)	وترى بها ما لا يراه محجب

(١) جمع رسن وهو الجبل الذي تشد به الدابة.

(٢) والزوجان مفرده زوج والمراد به الصنف.

واقطع علائقك التي قد قيدت هذا الورى من سالف الأزمان
لتصير حراً لست تحت أوامر كلا ولا نهى ولا فرقان

الشرح: يقول هذا الرائد الاحق لصاحبه: إذا كان الإيمان برب خالق
للأكوان بائن عنها جميعا لا يتأتى إلا على مذهب هؤلاء المجسمة وكان مذهب
المعطلة غير معقول حيث يفرضون وجوده، ثم يصفونه بصفات المعدوم فالواجب
هو التخلص من هذه المذاهب جميعاً فاطرح عنك هذه التكاليف التي أثقلت
كاهلك، واخلع عنك عذار الحياء والحشمة، وألق بهذه القيود التي منعتك من
الحركة والانطلاق فليس هناك فوق العرش رب يخاف أو يرجى ولم يتكلم
الرحمن بالقرآن كما يدعي أهل السنة إذ لو كان فوق العرش بذاته للزم تحيزه
وشغله قدرا من الفراغ ولزم كذلك احتياجه إلى المكان الذي يحل فيه، ولو كان
قد تكلم بالقرآن بحرف وصوت لزم أن يكون جسماً إذ أن الحرف والصوت من
خصائص الاجسام وإذا انتفى وجود رب فوق العرش، وانتفى كلامه بالقرآن لم
يبق مع هذا النفي شيء من إيمان، وإذا فلنتخلص من تبعات هذا الإيمان ولندع
التقيد بقيود الحلال والحرام لأهله ولنخرق هذا السياج السميك الذي يحول بيننا
وبين دخول البستان، يعني به الدنيا التي أعدت لنا فيه سائر المتع والملاذات حيث
نرى فيه ما لا يراه هؤلاء المقيدون، ونجد فيه من كل ما نشتهي زوجين اثنين
ولنقطع هذه العلائق التي تشدنا دائماً إلى الوراء وتمنعنا من التحرر والانطلاق كما
قيدت من سبقنا من الناس فنصير أحرارا لا نعيش تحت قسوة هذه الأوامر
والنواهي، ولا في ظلال هذه الاحكام التي جاء بها هذا الفرقان.

★ ★ ★

لكن جعلت حجاب نفسك اذ ترى فوق السما للناس من ديان
لو قلت ما فوق السماء مدبر والعرش نخليه من الرحان
والله ليس مكلما لعباده كلا ولا متكلما بقرآن
ما قال قط ولا يقول ولا له قول بدا منه إلى انسان

حللت طلسمه وفزت بكنزه وعلمت أن الناس في هذيان
الشرح: يقول له انك أنت الذي تصنع الحجاب الذي يحجز بين نفسك وبين
 مشتهياتها حين تقدر أن فوق السماء الها يدين الناس ويمزيهم بأعمالهم، ولكنك لو
 عمدت إلى جحده وانكاره فقلت ما فوق السماء مدبر ولا على العرش اله رحان
 ونفيت أن يكون مكلما لعباده، أو متكلما بالقرآن بجميع صيغ النفي، فقلت ما
 قال قط، ولا يقول أصلا ولا له قول بدأ منه إلى أحد من البشر لكنت بذلك
 قد وصلت الى السر الذي عجز عنه الكثيرون، ولكنك قد حللت طلسم هذا
 الوجود وفزت بكنزه، وعلمت أن كل ما يقوله الناس في هذا الباب انما هو
 تخليط وهذيان.

★ ★ ★

لكن زعمت بأن ربك بائن	من خلقه اذ قلت موجودان
وزعمت أن الله فوق العرش والكرسي	حقا فوقعه القدمان
وزعمت أن الله يسمع خلقه	ويراهم من فوق سبع ثمان
وزعمت أن كلامه منه بدا	وإليه يرجع آخر الأزمان
ووصفته بالسمع والبصر الذي	لا ينبغي الا للذي الجثمان
ووصفته بارادة وبقدره	وكراهة ومحبة وحنان
وزعمت أن الله يعلم كل ما	في الكون من سر ومن اعلان
والعلم وصف زائد عن ذاته	عرض يقوم بغير ذي جثمان

الشرح: يلتفت هذا المتحلل الزنديق الى صاحبه ويتخيله رجلا من أهل
 الاثبات، فيقول له: أنك بدلا من أن تلجأ إلى الانكار الذي يريح نفسك ويحط
 عنها أثقالها، زعمت أن ربك موجود، وأنه منفصل عن خلقه، حين ذهبت إلى
 أن هناك موجودين الله والعالم، وأن لكل منهما وجوده الخاص المباين لوجود
 الآخر. وزعمت أن الله فوق العرش بذاته وأن الكرسي موضع قدميه - كما
 روي عن ابن عباس وغيره.

وزعمت أن له سمعا وبصراً، فهو يسمع أصوات خلقه مهما خفتت، حتى همسات الخواطر ونجوى الضمائر، ويراهم من فوق سبع سموات، بل من فوق ثمان بحيث لا يمتنع على رؤيته أصغر ذرة. وزعمت أنه متكلم بكلام هو صفة له، وأنه يتكلم بمشيئة، وأن القرآن كلامه على الحقيقة، وأنه منه بدأ بلا كيفية قولاً وأنزله على رسوله وحياً، وأنه يرجع إليه في آخر الزمان حين يقبضه من صدور العباد. ووصفته بصفات المخلوقين من السمع والبصر والارادة والقدرة والكرامة والمحبة والحنان. وزعمت أنه يعلم كل ما في الكون من غيب وشهادة وسر وعلان وأن العلم وصف زائد على ذاته زيادة الأعراض، وأن هذا العرض قائم به وهو غير ذي جثمان.

★ ★ ★

وزعمت أن الله كلم عبده	موسى فأسمعه ندا الرحمن
أفتمتع الآذان غير الحرف والصـ	وت الذي خصت به الأذنان
وكذا النداء فإنه صوت باجمـ	ع النحاة وأهل كل لسان
لكنه صوت رفيع وهو ضد	للنجاء كلاهما صوتان
فزعمت أن الله ناداه ونا	جاه وفي ذا الزعم محذوران
قرب المكان وبعده والصوت بل	نوعاه محذوران ممتنعان

الشرح: وزعمت كذلك أن الله كلم عبده موسى بن عمران بكلام سمعه بأذنيه وذلك الكلام المسموع لا يكون الا حرفاً وصوتاً، لأنه هو الذي خصت الآذان بسماعه. وكذلك زعمت أنه ناداه من جانب الطور الأيمن، والنداء لا يكون إلا صوتاً باجماع أهل اللغات، لكنه صوت عال، ويقابله النجاء وهو الصوت الخفيض، وكلاهما صوتان، وكلاهما ثابت لموسى عليه السلام حيث يقول القرآن: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢] وفي زعمك أيها المثبت أن الله نادى موسى وناجاه، قد ارتكبت محذورين. أولهما وصف الله عز وجل بقرب المكان وبعده، فان النداء يقتضي البعد، وضده

وهو النجاء يقتضي القرب . والثاني انك أثبت له الصوت الذي هو من خصائص
الأجسام ، سواء كان عالياً او منخفضاً ، وهو بنوعيه ممتنع على الله عز وجل .

★ ★ ★

وزعمت ان محمداً أسرى به
وزعمت أن محمداً يوم اللقا
حتى يرى المختار حقا قاعداً
وزعمت أن لعرشه أطا به
وزعمت أن الله أبدى بعضه
لما تجلى يوم تكليم الرضى
وزعمت للمعبود وجهاً باقياً
وزعمت أن يديه للسبع العلى

ليلاً اليه فهو منه دان
يدنيه رب العرش بالرضوان
معه على العرش الرفيع الشأن
كالرحل أطا براكب عجلان
للطور حتى عاد كالكتبان
موسى الكليم مكلم الرحمن
وله يمين بل زعمت يبدان
والأرض يوم الحشر قابضتان

الشرح: وزعمت كذلك أن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم أسرى به ربه ليلاً
من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، وأنه عرج به الى السماء حتى تجاوزها
ووصل إلى مستوى سمع فيه صريف الأقلام ، وكان من ربه قاب قوسين أو
أدنى وأنه يدنيه كذلك يوم القيامة حين ينزل سبحانه لفصل القضاء بين عباده
فيجلسه معه على العرش العظيم ، وزعمت أن لعرشه سبحانه أطيئا به ، أي
تصويتا كأطيئ الرجل الجديد من ثقله كما روي الحديث بذلك عن عمر رضي
الله عنه .

وزعمت أنه سبحانه تجلى للجبل المسمى بالطور عندما سأله موسى عليه
السلام الرؤية فقال له لن تراني ولكن أنظر إلى الجبل فان استقر مكانه فسوف
تراني ، فلما تجلى سبحانه للجبل وظهر له من نوره مقدار أئمة أصبع - كما ورد
في الحديث - لم يطق الجبل ذلك وصار كثيبا مهيلا وخر موسى صعقاً من هول
الموقف ، فلما أفاق قال سبحانه تب اليك وأنا أول المؤمنين .

وزعمت أن للمعبود سبحانه وجهاً باقياً لا يفنى ولا يزول ، أخذاً من قوله

تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾
 [الرحمن: ٢٦، ٢٧] وزعمت أن له يمينا كما قال سبحانه: ﴿وَالسَّمَوَاتُ
 مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧] وكما قال عليه السلام « أن يمين الله ملأى لا
 تغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار » بل زعمت أكثر من ذلك أن له يدين لقوله
 تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤] وقوله لأبليس
 حين امتنع من السجود لآدم ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِيَّ﴾ [ص:
 ٧٥].

وزعمت أنه يوم الحشر يجعل السموات في إحدى يديه وهي اليمين ويجعل
 الأرض في الأخرى، كما قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ
 جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧] ثم
 يقول: أنا الله، أنا الملك ابن ملوك الأرض.

★ ★ ★

وزعمت أن يمينه ملأى من الخيرات	ما غاضت على الأزمان
وزعمت أن العدل في الأخرى بها	رفع وخفض وهو بالميزان
وزعمت أن الخلق طراً عنده	يهتز فوق أصابع الرحمن
وزعمت أيضاً أن قلب العبد ما	بين اثنتين من أصابع عان
وزعمت أن الله يضحك عندما	يتقابل الصفان يقتتلان
من عبده يأتي فييدي نحره	لعدوه طلبا لنيل جنان
وكذاك يضحك عندما يثب الفتى	من فرشاه لتلاوة القرآن
وكذاك يضحك من قنوط عباده	اذ أجذبوا والغيث منهم دان

الشرح: قوله وزعمت أن يمينه ملأى، البيت إشارة إلى الحديث السابق،
 وهو قوله عليه الصلاة والسلام « ان يمين الله ملأى لا تغيضها نفقة، سحاء الليل
 والنهار الا ترون ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم يغض مما في يده ».

وأما قوله في البيت بعده، وزعمت أن العدل في الأخرى بها خفض ورفع،

فهو اشارة إلى قوله عليه السلام في الحديث الذي رواه أبو موسى رضي الله عنه « ان الله لا ينام ولا ينبغي له ان ينام يخفض القسط ويرفعه » وأما قوله: وزعمت أيضاً أن قلب العبد، البيت فهو اشارة إلى قوله عليه السلام « أن قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف شاء » ولذلك كان أكثر دعائه عليه السلام « اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك » .

وأما قوله وزعمت أن الله يضحك إلى آخر الأبيات فكلها اشارة إلى أحاديث وردت باثبات صفة الضحك له سبحانه في هذه الأحوال وفي غيرها، كما في الحديث « يضحك الله الى رجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة » وكما في الحديث الذي أشار اليه بالبيت الأخير وهو قوله عليه السلام « يضحك الله من قنوط عباده وقرب خيره ينظر اليكم أزلين قنطين يظل يضحك يعلم أن فرجكم قريب » .

★ ★ ★

وزعمت أن الله يرضى عن أولى	الحسنى ويغضب من أولى العصيان
وزعمت أن الله يسمع صوته	يوم المعاد بعيدهم والداني
لما يناديهم أنا الديان لا	ظلم لدي فيسمع الثقلان
وزعمت أن الله يشرق نوره	في الأرض يوم الفصل والميزان
وزعمت أن الله يكشف ساقه	فيخر ذاك الجمع للأذقان
وزعمت أن الله يبسط كفه	لمسئنا ليتوب من عصان
وزعمت أن يمينه تطوى السما	طي السجل على كتاب بيان

الشرح: قوله وزعمت أن الله يرضى، البيت اشارة إلى ما في الآيات والأحاديث من اثبات صفتي الرضى والغضب لله عز وجل، كقوله تعالى ﴿رَضِيََ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢] وقوله: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]. وقوله: ﴿فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ﴾ [البقرة: ٩٠]. وقوله: ﴿وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ﴾

غَضَبِي وَمَنْ يَحِلِّلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى ﴿ [طه : ٨١] . وهو في القرآن والسنة كثير . وقوله في البيت الذي بعده : وزعمت أن الله يسمع صوته ، إشارة إلى ما ورد في الأثر من أن الله عز وجل ينادي يوم القيامة بصوت يسمعه أهل الموقف ، فيقول : أنا الديان ، اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم .

وأما قوله : وزعمت أن الله يشرق نوره ، البيت فهو إشارة إلى الآية الكريمة ﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [الزمر : ٦٩] وقوله في البيت بعده : وزعمت أن الله يكشف ساقه الخ فهو إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ [القلم : ٤٢] وقد جاء في الحديث « ان الله عز وجل يكشف عن ساقه فيخر أهل الموقف سجداً على الأذقان » الا المشركين فإنهم يدعون الى السجود فلا يستطيعون فتصير ظهورهم طبقاً واحداً .

وقوله : وزعمت أن الله يبسط كفه ، فهو إشارة إلى قوله عليه السلام « أن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل » . وقوله : وزعمت أن يمينه الخ ، البيت إشارة إلى قوله عز وجل : ﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ ﴾ [الانبياء : ١٠٤] مع قوله : ﴿ وَالسَّمَوَاتِ مَطْوِيَّاتٍ بِيَمِينِهِ ﴾ [الزمر : ٦٧] . والحاصل أن هذه الآيات السابقة تضمنت اثبات صفات الرضى والغضب والنداء بالصوت والنور والساق والكف واليمين ، وكلها صفات موجودة في المخلوق .

★ ★ ★

في ثلث ليل آخر أو ثان
فأنا القريب أجيب من ناداني
يوم القيامة للقضاء الثاني
لعباده حتى يرى بعيان
فالمقلتان اليه ناظرتان

وزعمت أن الله ينزل في الدجى
فيقول هل من سائل فأجيبه
وزعمت أن له نزولا ثانياً
وزعمت أن الله يبدو جهرة
بل يسمعون كلامه ويرونه

وزعمت أن لربنا قدما وأن الله واضعها على النيران
فهناك يدنو بعضها من بعضها وتقول قط قط حاجتي وكفاني

الشرح: قوله في البيت الأول: وزعمت أن الله ينزل في الدجى الخ هو
والبيت الذي بعده اشارة الى قوله عليه الصلاة والسلام « ينزل ربنا تبارك وتعالى
في كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول هل من داع
فاستجيب له هل من سائل فأعطيه هل من مستغفر فأغفر ولا يزال هكذا حتى
يطلع الفجر ». وقد ورد الحديث بعدة روايات بينها اختلاف يسير في الألفاظ
مثل ذكر الشطر الأول بدل الثلث الآخر والحديث صريح في اثبات صفة النزول
فيجب الايمان بها مع اعتقاد أن نزوله تعالى ليس كنزول المخلوقين فلا يقتضي
هبوطاً ولا انتقالاً ولا شغل مكان وخلو آخر كما أن استواءه ليس كاستواء
المخلوق فلا يقتضي مماسة ولا محايثة ولا اتكاء الخ.

وأما قوله: وزعمت أن له نزولا ثانياً فهو النزول لفصل القضاء بين عباده
وهو المشار اليه بقوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ
الْعَمَامِ وَالْمَلَائِكَةِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ [البقرة: ٢١٠] وقوله سبحانه ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ
وَالْمَلِكُ صَفًا صَفًا ﴾ [الفجر: ٢٢] وقوله جل شأنه: ﴿ وَيَوْمَ تَشَقُّ السَّمَاءُ
بِالْعَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةَ تَنْزِيلًا ﴾ [الفرقان: ٢٥] واذا نزل سبحانه هذا النزول
فإنه يظهر لعباده جهرة ويروونه بأبصارهم ويسمعون كلامه، وقد جاء في الحديث
« ما من عبد الا ويكلمه الله يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان » ولا ينافي هذا
قوله سبحانه في شأن الكفار: ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾
[المطففين: ١٥] وقوله: ﴿ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [البقرة: ١٧٤] فإن
المقصود من الآية الأولى أنهم يحجبون في النار عن النظر الى وجه ربهم كما ينظر
اليه أهل الجنة والمقصود من عدم تكليمه اياهم انه لا يكلمهم كلاما يسرهم،
ولكن كلام اهانة وتقريع، وأما قوله وزعمت أن لربنا قدما الخ هذا البيت وما
بعده اشارة إلى قوله عليه السلام « ما تزال جهنم يلقي فيها وتقول هل من مزيد

حتى يضع الجبار فيها قدمه فينزوي بعضها إلى بعض وتقول قء قط وعزتك
وكرمك» .

★ ★ ★

وزعمت أن الناس يوم مزيدهم كل يحاضر ربه ويـداني
بالحاء مع ضاد وجامع صاهاها وجهان في ذا اللفظ محفوظان
في الترمذي ومسند وسواها من كتب تجسيم بلا كتان
ووصفته بصفات حي فاعل بالاختيار وذانك الأعلان
أصل التفرق بين هذا الخلق فـ بي الباري فكن في النفي غير جبان
أو لا فلا تلعب بدينك ناقضا أو ثالث متناقض صنفان
فالناس بين معطل أو مثبت نفا باثبات بلا فرقان
والله لست برابع لهم بلي إما حاراً أو من الثيران

الشرح: قوله: وزعمت أن الناس يوم مزيدهم الخ إشارة إلى ما رواه أحمد
والترمذي وغيرهما وملخصه أن يوم الجمعة يسمى يوم القيامة بيوم المزيد فيه
يزور أهل الجنة ربهم عز وجل، ويكونون في سبقهم إليه على قدر سبقهم إلى
الجمعة، ويكونون في قربهم من ربهم على قدر قربهم من الامام، فتنصب لهم
منابر اللؤلؤ والزبرجد والياقوت والعقيان وأدنانهم منزلة يكونون على كثران
المسك فيتجلى لهم الرب جل شأنه وينظرون اليه كلهم، ولا يكون شيء أحب
اليهم من النظر الى وجهه، ثم تظلمهم سحابة من عنده سبحانه فتمطرهم طيباً ما
رأوا مثله قط، فيزيدهم جمالا فوق جاهم، ثم يقول لهم الرب تعالى قوموا الى ما
ذخرت لكم، فيأتون سوفا فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر
على قلب بشر، فيأخذون منها ما يشتهون من أنواع الحلل والحلى، فإذا رجعوا
الى أهليهم رحبوا بهم وسألوهم عما غشيهم من هذا الجمال، فيقولون لهم: وأنتم قد
زدتم في أعيننا حسنا على حسن لكن يحق لنا وقد كنا الآن جلساء رب العرش
فيكون أهل الجنة أشد شوقا الى يوم المزيد من المحب الى حبيبه.

وأما قوله: ووصفته الخ، فالمعنى أنك وصفت الباري جل شأنه بصفات الحي من القدرة والارادة والسمع والبصر والكلام، فإن كلها صفات تقتضيها الحياة، ووصفته كذلك بصفات الفاعل المختار من الرضى والغضب، والمحبة والكرهية، والمجيء والياتيان والنزول الخ، وهذان الاصلان من الحياة الفاعلية بالاختيار هما أصل التفرق بين الناس في الباري جل شأنه، فدع ما تفرقوا فيه وبادر الى النفي والانكار في غير تهيب ولا جبن، وان لم تجرؤ على ذلك التحلل من ربة الدين فلا تتلاعب به تلاعب هؤلاء المعطلة، فتنقض نفيها باثبات ليس يفترق عنه في شيء، فإن اثبات ذات مجردة عن جميع الصفات والاسماء هو والنفي سواء، فالناس قد افترقوا على ثلاث فرق، معطلة عطلوا الذات عن جميع ما لها من صفات وأسماء، ومثبتة اثبتوا للذات كل ما اثبت الله ورسوله بلا تفريق بين صفة وصفة وفرقة تناقضت فاثبتت بعضها ونفت بعضها، ففرقت بين المتماثلين بلا دليل، أما أنا فلست والله برابع لهم، بل اختار لنفسي مذهب الحمير والثيران، فأعيش كما تعيش بلا عقيدة ولا إيمان.

★ ★ ★

متناقضا رجلاً له وجهان	فاسمع بإنكار الجميع ولا تكن
ونفيته بالنص والبرهان	أو لا ففرق بين ما أثبتته
والاثبات في عقل وفي ميزان	فالباب باب واحد في النفي
لزم الجميع أو اثت بالفرقان	فمتى أقر ببعض ذلك مثبت
فمجسم متناقض ديسان	ومتى نفى شيئاً وأثبت مثله
القدماء وانسلخوا من الايمان	فذروا المرء وصرخوا بمذاهب
بييه تحت لواء ذي القرآن	أو قاتلوا مع أمة التجسيم والتش
وكتابكم وبسائر الأديان	أو لا فلا تتلاعبوا بعقولكم
وكلامه وعلوه ببيان	فجميعها قد صرحت بصفاته
أو بين ذلك أو شبيهه أتان	والناس بين مصدق أو جاحد

الشرح: يقول هذا الأحق لصاحبه: إذا كان الناس قد اختلفوا في ربه إلى هذه المذاهب الثلاثة، فهم بين الإثبات والتعطيل والتناقض باثبات البعض ونفي البعض، وكان العقل لا يطمئن إلى شيء منها، إذ الإثبات تجسيم والتعطيل جحد وانكار لصريح النصوص، وإثبات بعضها دون البعض الآخر تناقض، فما عليك إلا أن تطيب نفساً بانكارها جميعاً، وأن تقنعها بهذا الإنكار، فإذا أبت نفسك عليك ذلك ولم تجيبك إليه، فتخير من هذه المذاهب أبعداها عن التناقض وأقربها إلى النصوص وهو مذهب أهل الإثبات، حتى لا تعيش متناقضاً ذا وجهين أما إذا سمحت لنفسك أن تكون مع المعطلة النفاة أو مع الملقنة المتحدلقين فيجب عليك في كلتا الحالتين أن تقيم الدليل القاطع على أن ما نفيت مغاير لما أثبتته، وأن هناك فرقاً بينهما، فإن الباب واحد في النفي والإثبات عند العقل وفي قانون المنطق فمتى أقررت بإثبات البعض لزمك هذا الإثبات في الكل، وإلا فيجب أن تأتي بالفارق الذي اقتضى التغاير في الحكم، أما أن تنفي شيئاً وثبتت مثله فذلك هو عين التجسيم والتناقض، فإن من نفى صفة مثلاً عن الله خوف التشبيه ثم أثبت أخرى تماثلها في اتصاف المخلوق بكل منها، فقد وقع في التشبيه وتناقض نفسه.

فيقال للمعطل الجهمي مثلاً: أنت تنفي عن الله الأسماء والصفات فرارا من التشبيه مع أنك تثبت له الذات، وتقول إنه شيء وموجود، والمخلوق أيضاً له ذات ويوصف بالشيئية والوجود، فإن كان مجرد الاشتراك في الاسم أو الصفة موجباً للتشبيه، فكان يجب أن تنفي ما أثبتته أيضاً، وإن كان إثبات ما أثبتته لا يقتضي التشبيه والمماثلة فقل هذا أيضاً فيما نفيت، إذ لا فارق أصلاً.

وكذلك يقال لمن يثبت الأسماء دون الصفات كالمعتزلة، أو يثبت بعض الصفات دون بعض كالأشاعرة، إذا كنتم تثبتون له سبحانه الأسماء دون الصفات أو بعض الصفات دون بعض مع أن كلا منها مما يشاركه فيه المخلوق، فإن كان مجرد الاشتراك عندكم في الاسم أو في الصفة موجباً للتشبيه فيجب أن تطردوا الباب على وتيرة واحدة في النفي، وإن كان غير موجب لذلك فقولوا

فيما نفيتم مما أثبتته الله ورسوله نظير قولكم فيما أثبتموه، وإذا فلا مناص من أحد أمرين: أما ترك المراء والجدل والتصريح بمذاهب قدماء الطبيعيين من الفلاسفة في جحد الصانع والانسلاخ من الإيمان أو الانضواء تحت لواء المجسمة أهل القرآن والقتال معهم، فهذا أولى من التلاعب بالعقول وبالنصوص وبما أجمعت عليه سائر الملل والشرائع من اثبات صفاته وكلامه وعلوه على خلقه ببيان شاف ولفظ صريح.

★ ★ ★

فأصنع من التنزيه ترسا محكما	وانف الجميع بصنعة وبيان
وكذاك لقب مذهب الاثبات	بالتجسيم ثم احل على الأقران
فمتى سمحت لهم بوصف واحد	حملوا عليك بجملة الفرسان
فصرعت صرعة من غدا متليطا	وسط العرين ممزق اللحان
فلذاك أنكرنا الجميع مخافة	التجسيم ان صرنا إلى القرآن
ولذا خلعنا ربقة الأديان من	أعناقنا في سالف الأزمان

الشرح: وإذا كان الغلب لأهل الاثبات لاتساق مذهبهم ومطابقتهم للنصوص الصريحة فلا بد اذن من اعمال الخيلة للتغلب عليهم، وذلك بأن نسمي النفي والتعطيل تنزيها، وأن نتخذ من هذا التنزيه ترساً محكماً وسيجاً قوياً، فنعمد بواسطته إلى نفي جميع الأسماء والصفات بطريقة فنية تتسم بأحكام الصنعة واجادة البيان حتى يروج كلامنا عند الناس، وعلينا كذلك أن نشنع على أهل الاثبات، وننفر الناس منهم فنلقبهم بأهل التجسيم ثم نحمل عليهم حملة قوية في دفع مذهبهم والتشغيب عليهم في كل ما أثبتوه دون أن نبدي لهم ملاينة أو مهادنة، فإننا متى سمحنا لهم بإثبات وصف واحد حملوا علينا حملة نكراء وألزمونا، أما اثبات الكل أو نفي الكل، فعدونا صرعى في الميدان، كمن غدا قتيلا وسط العرين، وهو بيت الأسد ممزق الأوصال. وهذا هو الذي حدا بنا إلى انكار جميع المذاهب مخافة الوقوع في التجسيم ان صرنا إلى القرآن وأخذنا

بظواهر نصوصه الصريحة، وهذا أيضا هو الذي دفعنا، أي دفع أسلافنا إلى خلع ربقة الأديان من أعناقهم في غابر القرون والأزمان.

★ ★ ★

ولنا ملوك قاوموا الرسل الالى
في آل فرعون وهامان وقا
ولنا الأئمة كالفلاسفة الألى
منهم ارسطو ثم شيعته إلى
ما فيهم من قال ان الله فو
كلا ولا قالوا بأن الهنا
ولأجل هذا رد فرعون على
إذ قال موسى ربنا متكلم
جاءوا بإثبات الصفات كمان
رون وغرود وجنكيـز خان
لم يعبأوا أصلاً بذي الأديان
هذا الأوان وعند كل أوان
ق العرش خارج هذه الأكوان
متكلم بالوحي والقرآن
موسى ولم يقدر على الإيمان
فوق السماء وأنه متداني

الشرح: يتبجح هذا الملحد الزنديق بأسلافه في الزندقة والالحاد ويعدهم على سبيل الفخر والاعراء بالتأسي بهم، فيقول قد كان لنا فيما مضى ملوك عاندوا الرسل وكذبوهم فيما جاءوا به من اثبات إله فوق العرش متكلم بكلام مسموع، وذلك كفرعون إمام أهل التعطيل والجحد، حيث قال لموسى: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣] والحق أن فرعون كان متجاهلاً فقط، يتظاهر بإنكار الصانع مع علمه التام بوجوده كما في قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام في رده على فرعون: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَمَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَائِرٍ﴾ [الإسراء: ١٠٢] وكان هامان فيما يروى وزيراً لفرعون، وكان من مشايعيه في إنكاره وجحده، وهو الذي أمره فرعون أن يبني له صرحا يبلغ به أسباب السموات فيطلع إلى إله موسى، وفي ذلك دليل واضح على أن موسى كان قد أخبره أن ربه في السماء، وإلا لما عزم على بناء الصرح.

وأما قارون فكان من قوم موسى عليه السلام، فبغى عليهم واستطال بسبب ما آتاه الله من الكنوز وخزائن الأموال، حتى حمله ذلك على الكفر بالله وادعاء

أن ما عنده من المال إنما كسبه بما يحدقه من علم الكيمياء ونحوه وليس من فضل الله.

وأما نمرود فكان ملكاً جباراً في أرض كنعان، وهو الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك، إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت، قال أنا أحيي وأميت فأنكر الصانع وادعى الإلهية كما ادعاها فرعون بعده.

وأما جنكيز خان فهو قائد المغول الطاغية الذي خرج من بلاده يجتاح البلاد الإسلامية قتلاً ونهباً وتخريباً حتى استولى على بغداد قسبة الخلافة سنة ٦٥٦ هـ في عهد المستعصم فأحاطها خراباً.

وأما أرسطو فهو الفيلسوف اليوناني المشهور واضع علم المنطق وكان تلميذاً لأفلاطون ولكنه خالفه في كثير من المسائل، وكان من رأيه في الله عز وجل أنه واحد بسيط مجرد عن المادة وعلائقها واجب الوجود ويقول أنه لا يعلم إلا ذاته فقط، وعنده أن الله ليس خالقاً للعالم ولكنه محرك له فقط، ولا يعني بذلك أن الله دفع العالم فتحرك، ولكن لما كان الله صورة محضة غاية في الكمال والجمال، وكانت المادة أو العالم المادي في غاية النقص فهو يتحرك بدافع الشوق إلى المبدأ الأول محاولاً التشبه به قدر الاستطاعة.

وأما شيعة أرسطو فيعني بهم الذين ذهبوا في القول بتجرد الباري سبحانه من النعوت والأوصاف المادية، وذلك كالفارابي وابن سينا وابن رشد الاندلسي وغيرهم من متفلسفة المسلمين، ولذلك قال المؤلف: ما فيهم من قال إن الله فوق العرش خارج هذه الأكوان، لأن ذلك ينافي التجريد عندهم، ولا فيهم من قال إن الهنا متكلم بالوحي والقرآن، لأن الكلام أيضاً بالحرف والصوت من شأن الماديات ومن أجل اعتقادهم في أن الإله لا ينبغي أن يتصف بخصائص الأجسام أنكر فرعون على موسى قوله أن ربه فوق العالم وأنه يتكلم بكلام يسمع بالأذان وأنه متدان، يعني قريب ويجب من ناداه، وهو محيط بخلقه علماً وقدرة وسمعاً

ورؤية، كما قال سبحانه لموسى وهارون: ﴿لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: ٤٦].

★ ★ ★

وكذا ابن سينا لم يكن منكم ولا
وكذلك الطوسي لما أن غدا
قتل الخليفة والقضاة وحاملي الـ
اذ هم مشبهة مجسمة وما
ولنا الملاحدة الفحول ائمة التـ
ولنا تصانيف بها غالبتم
وكذا الاشارات التي هي عندهم
أتباعه بل صانعوا بدهان
ذا قدرة لم يخش من سلطان
قرآن والفقهاء في البلدان
دانوا بدين أكابر اليونان
عطيل والتسكين آل سنان
مثل الشفا ورسائل الاخوان
قد ضمنت لقواطع البرهان

الشرح: وكذلك ابن سينا وهو الفيلسوف الإسلامي المشهور مؤلف كتاب
الشفاء في الفلسفة، والقانون في الطب والإشارات وغيرها في المباحث العقلية لم
يكن منكم يا معشر أهل الإثبات، ولا أتباعه في فلسفته كذلك، ولكنهم كانوا
يصنعونكم بالمداهنة والحيلة حتى لا ينكشف أمرهم، ولا تعرف زندقتهم، فإبن
سينا كان يتظاهر أمام العامة بأنه يريد أن يخدم الدين من طريق التوفيق بينه
وبين الفلسفة اليونانية مع أنه في قرارة نفسه لا يحمل للدين أي قدسية وكل
عنايته في كتبه، إنما كانت بتقرير نظريات أرسطو وأفلاطون وغيرها من
فلاسفة اليونان.

وكذلك الخوجة نصير الدين الطوسي المتوفي سنة ٦٧٢ كان من شيعة ابن
سينا في الزندقة والتعطيل وكتبه ومؤلفاته مثل المحاكمات وشرح المحصل وشرح
الإشارات شاهدة بزندقته والحاده، وكان شديد البغض والكرهية لأهل السنة
والجماعة، وكان يضمم للدولة الإسلامية العداة والشر حتى يقال أنه هو الذي
أغرى قائد التتر بغزو البلاد الإسلامية، وكان مساعداً له في ذلك.

وهذا معنى قول المؤلف (لما أن غدا ذا قدرة لم يخش من سلطان). قتل

الخليفة يعني الخليفة العباسي المستعصم آخر خلفاء العباسيين ببغداد، وقتل القضاة وحاملي القرآن والفقهاء في البلدان، وما نقم هذا الملحد من هؤلاء الا أنهم في نظره مشبهة مجسمة، ولا يدينون مثله بدين اليونان في المروق والاحاد - وممن ينتسب إلى جماعتنا كذلك، فحول الملاحدة من آل سنان، وهي أسرة قوية من أهل فارس كانت تحكم في خراسان، وفي كنفها تربى ابن سينا وعلى كتبهم تخرج، وكانت لهم مكتبات حافلة بشتى المؤلفات في جميع فروع العلم، ولا سيما علوم الفرس واليونان - ولنا كذلك المصنفات التي يغالي بها أهل البحث، ويعتمدون عليها في بحوثهم ودراساتهم مثل الشفاء، وهو كتاب لابن سينا يعتبر أهم كتبه كلها لما حواه من أبحاث في المنطق والفلسفة، ومثل رسائل الاخوان وهي رسائل ألفتها جماعة تسمت باسم « اخوان الصفا وخلان الوفا » وتزعم أن رائدها في تأليف هذه الرسائل هو رفع الخلاف بين المذاهب والأديان والتأليف بينها في وحدة منسقة حتى يعيش الناس جميعاً في ظلال وحدة إنسانية شاملة، ولذلك جاءت رسائلهم خليطاً متنافراً من شتى العقائد فهم يمزجون الإسلام باليهودية والنصرانية والزرادشتية والمناوية والافلاطونية الحديثة الخ ...

ومن يقرأ هذه الرسائل ويقف على مدى ما فيها من خلط وتناقض لا يشك في سوء اعتقاد هذه الجماعة وما تهدف إليه من كيد للإسلام، والمخلع من ربة الدين وتحلل من قيوده، ولنا كذلك الإشارات، وهو كتاب لابن سينا يعتبر من أهم كتبه الفلسفية، وقد قام بشرحه الخوجة نصير الدين الطوسي الذي تقدم ذكره.

★ ★ ★

قد صرحت بالضد مما جاء في الت
هي عندكم مثل النصوص وفوقها
وإذا تحاكمنا فإن إليهم
إذ قد تساعدنا بأن نصوصه

وراة والانجيل والفرقان
في حجة قطعية وبيان
يقع التحاكم لا إلى القرآن
لفظية عزلت عن الإيقان

فلذاك حكمنا عليه وأنتم قول المعلم أولاً والثاني

الشرح: يعني أن الإشارات قد صرحت بصد ما جاء في كتب الله الثلاثة وذلك لأن مؤلفها نهج بها نهجاً فلسفياً تجريدياً، فنفى عن الله القدرة والاختيار والإرادة، وقال أنه لا يعلم إلا ذاته، وأنه يعلم الأشياء على وجه كلي ونفى حكمة الله، وقال أنه لا يفعل لحكمة يجبها ويرضاها، وقال أن الله علة فقط للعالم، وأن العالم صدر عنه بطريق الإيجاب لا بطريق الاختيار والمشئمة الى غير ذلك مما ضمنه كتابه من زندقة وضلال.

ومن العجيب أن هؤلاء الملاحدة أشياح هذا الفيلسوف يقصدسون هذه الإشارات ويجعلونها في مرتبة النصوص القرآنية، بل فوقها في افادة الحجج القاطعة التي يسمونها البراهين، وإذا تحاكموا في مسألة من المسائل الالهية، فإنما يرجعون إليها ويحكمونها دون كتاب الله عز وجل. لأنهم زعموا وبئس ما زعموا أن نصوص القرآن لفظية، ودلالة الألفاظ عندهم ظنية، فنصوص القرآن عندهم بمعزل عن إفادة اليقين ولهذا نراهم لا يأخذون عقائدهم من القرآن، ولا يعتمدون على أدلته في اثبات العقائد لأن المطلوب في العقائد هو الجزم واليقين، وأدلة القرآن عندهم خطابية لا تنتج اليقين، وإنما قصارها أنها تفيد الاقناع والتأثير، فهي لا تفيد إلا غلبة الظن، وذلك غير كاف في الاعتقاد، ومن أجل هذا أتعبوا أنفسهم في تركيب الأدلة العقلية المثبتة للعقائد الإيمانية، وما هي في الواقع إلا ترهات وأباطيل إلا ما يرجع منها إلى أدلة القرآن البينة الواضحة، وليت شعري ماذا يقول هؤلاء في السلف الأولين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة الهدى والدين الذين ماتوا قبل أن يعرفوا هذه الأدلة التي يعول عليها هؤلاء ويجعلونها الطريق الوحيد إلى الإيمان واليقين. هل كانوا في نظر هؤلاء الملاحدة كفاراً أو مؤمنين؟ ومن أعجب العجب أن تتفق كلمة المتكلمين جميعاً من معتزلة وأشعرية وغيرها على هذه القاعدة الجائرة وأن يجاروا فيها ملاحدة المتفلسفة فيؤخروا كتاب الله عن قضايا عقولهم ويعزلوا

كتاب الله عن أن يكون هدى وبيانا وشفاء كما وصفه الله حيث يقول: ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٨] وحيث يقول: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ ﴾ [المائدة: ١٥] وحيث يقول: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ٥٧] الخ ذلك من الآيات.

★ ★ ★

يا ويح جهنم وابن درهم والألى	قالوا بقولها من الخوران
بقيت من التشبه فيه بقية	نقضت قواعده من الأركان
ينفي الصفات مخافة التجسيم لا	يلسوي على خير ولا قرآن
ويقول أن الله يسمع أو يرى	وكذاك يعلم سر كل جنان
ويقول أن الله قد شاء الذي	هو كائن من هذه الأكوان
ويقول أن الفعل مقدور له	والكون ينسبه إلى الحدثان
وبنفيه التجسيم يصرح في الورى	والله ما هذان متفقان
لكننا قلنا محال كل ذا	حذرا من التجسيم والامكان

الشرح: يتحسر هذا الملحد على اثنين من أسلافه، وهما الجهنم بن صفوان والجد بن درهم ومن ذهب مذهبها حيث منعهم الجبن والخور من التصريح بالنفي والإنكار، فبقيت فيهم بقية من تشبهه أتت على مذهبهم من القواعد، فهم ينفون الصفات مخافة التجسيم دون أن يكثرثوا لما جاء من النصوص في الكتاب والسنة بإثباتها، ثم هم مع ذلك يشبتون له السمع والرؤية والعلم بما تخفيه الصدور وتسره القلوب، ويشبتون له كذلك المشيئة العامة والقدرة الشاملة فلا يخرج كائن عندهم عن مشيئته، ولا يحدث إلا بقدرته، ويقولون أن الفعل مقدور له، وأن العالم بجميع أجزائه حادث بعد عدم، وأن الله أوجده بمشيئته وقدرته، فكيف يتفق هذا الإثبات مع تصريحهم بنفي التجسيم والله ما هذان متفقان.

ولكننا نحن لم نتردد كما تردد جهنم، ولم نجبن عن التصريح بالنفي الشامل فلم
نشبت لا سمعا ولا بصرا، ولا علماً ولا كلاماً، ولا مشيئة ولا قدرة على الفعل،
ولا قلنا بحدوث العالم عن مشيئته وقدرته، بل قلنا أن كل ذلك محال حذرا من
الوقوع في التجسيم والإمكان.

فصل

وأتى فريق ثم قال ألا اسمعوا
من أرض طيبة بمن مهاجر أحد
سافرت في طلب الإله فدلني ال
مع فطرة الرحمن جل جلاله
فتوافق الوحي الصريح وفطرة ال
شهدوا بأن الله جل جلاله
وهو الإله الحق لا معبود إلا
بل كل معبود سواه فباطل

قد جئتكم من مطلع الإيمان
بالحق والبرهان والتبيان
هادي عليه ومحكم القرآن
وصريح عقلي فاعقلي ببيان
رحمن والمعقول في أيما
متفرد بالملك والسلطان
وجهه الأعلى العظيم الشان
من عرشه حتى الحضيض الداني

الشرح: بعد أن ذكر المؤلف طوائف أهل الضلال الذين سافروا في طلب
الحق جل شأنه فعميت عليهم السبل، وضلت بهم المسالك لأنهم لم يطلبوه من
مصادره، ولم يسلكوا إليه النهج الواضح، بل رجعوا في ذلك إلى خيالات فاسدة
وأوهام كاذبة، أخذ في بيان فريق الحق أهل السنة والجماعة فذكر أن هذا الفريق
حين قدم من سفره وعرض بضاعته قال إني قد جئتكم من مطلع الإيمان أي
مكان طلوعه وظهوره وهي أرض طيبة دار الهجرة بالحق الصريح والبرهان الجلي
والتبيان الواضح، وكنت قد سافرت إليها في طلب العلم بالله جل شأنه فدلني
عليه أربعة أشياء كلها عليه دوال ولا يؤخذ العلم به إلا من طريقها.

الأول: نبيه الذي أرسله بالهدى ودين الحق والمراد سنته الصحيحة.

والثاني: محكم القرآن وهي آياته البينات الواضحة الدلالة على معانيها بلا احتمال ولا اشتباه.

والثالث: فطرة الله التي فطر الناس عليها من الإقرار بوجوده ووحدانيته واتصافه بجميع الكمالات.

والرابع: العقل الصريح الخالي من شوائب الجهل والتقليد والتعصب والجمود.

هذه المصادر الأربعة من الوحي الصريح بنوعيه والفطرة والمعقول قد توافقوا وتواطؤا على الشهادة بأن الله جل شأنه متفرد بربوبيته، فهو الملك الذي لا شريك له في ملكه، وهو ذو السلطان القاهر فوق خلقه، وهو كذلك متوحد في إلهيته، فهو الاله الحق الذي لا ينبغي أن يعبد إلا وجهه الأعلى ذو الجلال والإكرام، وكل معبود سواه فهو باطل في السماء أو في الأرض، من العرش الأعلى، إلى الحضيض الأسفل.

مع ذل عابده هما قطبان	وعبادة الرحمن غاية حبه
ما دار حتى قامت القطبان	وعليها فلك العبادة دائر
لا بالهوى والنفس والشيطان	ومداره بالأمر أمر رسوله
حسان انها له أصلان	فقيام دين الله بالاخلاص والإ
إلا الذي قامت به الأصلان	لم ينج من غضب الإله وناره
أو ذو ابتداع أو له الوصفان	والناس بعد فمشرک بالله
لكن بأحسنه مع الايمان	والله لا يرضى بكثرة فعلنا
والجاهلون عموا عن الإحسان	فالعارفون مرادهم إحسانه

الشرح: بعد أن بين أن العبادة لا تنبغي إلا لله وأنها خالص حقه على عباده كما جاء في حديث معاذ « حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً »

ذكر أن للعبادة ركنين أساسيين، هما لها كقطبي الرحا، فعليهما يدور فلكتها، وبهما ينتظم أمرها، وهما كمال المحبة وكمال الذل، فلا تتم عبودية أحد حتى يكمل فيه هذان الأمران محبة الله تملأ شعاب قلبه ومسالك وجدانه ويورثها مشاهدة فضله وامتنانه وذل يحمله على الإنكسار والخضوع لهيبته وسلطانه، ويورثه مطالعة عيوب النفس وجنوحها إلى مخالفته وعصيانه.

ثم مدار العبادة بعد هذا على الأوامر الشرعية المتلقاة عن رسول الله ﷺ، فإن الله عز وجل لا يعبد إلا بما شرع هو، لا بما يسوق إليه الهوى أو تزينه النفس والشيطان، كما يفعله المبتدعة والضلال من أهل التصوف الذين يشرعون لأنفسهم ولأتباعهم من العامة من الأوراد والأذكار وألوان السلوك في المطعم والملبس وغيرهما من شؤون الحياة ما لم يأذن به الله.

والحاصل أن العبادة لا تكون صحيحة ولا مقبولة إلا إذا توافر لها شرطان الاخلاص والمتابعة لرسول الله ﷺ، فلا منجاة لأحد من غضب الله وناره إلا إذا قامت عبادته على هذين الأصلين، اخلاص برىء من سائر ألوان الشرك من الرياء وغيره، وموافقة للسنة بلا ابتداع. والناس بعد هذا فاما مشرك لا يخلص العبادة لله، واما ذو بدعة لا يتوخى في عبادته اصابة السنة، وأما جامع للوصفين معا. وليست العبرة بكثرة العبادة والانهاك فيها، ولكن بتوخي الإحسان مع ابتنائها على الإيمان الصحيح. وهذا هو ما يطلبه أهل المعرفة ويجدون فيه، وأما أهل الجهل والحماقة فهم بمعزل عن طلب الإحسان.

★ ★ ★

وكذاك قد شهدوا بأن الله ذو
وهو العلي يرى ويسمع خلقه
فيرى ديب النمل في غسق الدجى
وضجيج أصوات العباد بسمعه
وهو العليم بما يوسوس عبده
سمع وذو بصرها صفتان
من فوق عرش فوق ست ثمان
ويرى كذاك تقلب الأجفان
ولديه لا يتشابه الصوتان
في نفسه من غير نطق لسان

بل يستوي في علمه الداني مع الـ قاصي وذو الأسرار والاعلان
وهو العليم بما يكون غدا وما قد كان والمعلوم في ذا الآن
وبكل شيء لم يكن لو كان كيـ ف يكون موجودا لذي الأعيان

الشرح: يعتقد أهل السنة والجماعة بأن الله سميع يسمع، هو صفة له قائمة بذاته، وأنه كذلك بصير يبصر زائد على ذاته، فالسمع والبصر صفتان ثابتتان له سبحانه لا كما تزعم الجهمية نفاة الأسماء، من كونه ليس سمياً ولا بصيراً، ولا كما تزعم المعتزلة من كونه سمياً بذاته لا يسمع، وبصيراً بذاته لا يبصر، فإن نفي الأسماء تكذيب بصريح القرآن، وهو كفر، واثبات الموصوف بدون الصفة أو ادعاء أن الصفة عين الموصوف سفسطة.

ويعتقد أهل السنة كذلك أن سمع الله يتعلق بكل مسموع مهما دق وخفت، وأن بصره يتعلق بكل مرئي مهما لطف لا يؤثر فيها بعد مسافة، ولا يمنعها حجب وأستار، فهو سبحانه مع كونه فوق عرشه عالياً على خلقه يرى أصغر مخلوقاته وهي النملة ويسمع دبيبها على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، ويرى تحرك أجفان خلقه في أغماضها وفتحها، ويسمع كذلك ضجيج أصوات عباده ويميز بينها فلا تتشابه الأصوات عنده ولا تغلظه كثرة المسائل ولا يشغله شأن عن شأن. ويعتقدون أن الله عليم يعلم كما قال تعالى: ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ [النساء: ١٦٦] وكما قال: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وأن علمه متعلق بكل ما من شأنه أن يعلم لا يعزب عنه من ذلك شيء، فهو يعلم ما يحدث به المرء نفسه، وما يرد على خاطره من الهواجس وإن لم يحرك به لسانه، ويستوي في علمه ما قرب وما بعد، وما أسر وما أعلن كما قال تعالى: ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ، وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ [الرعد: ١٠] بل يستوي في علمه الماضي والحاضر والمستقبل فهو يعلم ما سيكون مستقبلاً، كما يعلم ما قد كان في الماضي، وكما يعلم ما هو كائن الآن، فالأشياء كلها حاضرة لديه، وهو يعلم الكيفيات التي ستكون عليها الأشياء

قبل وجودها، فيعلم ما لم يوجد من الأشياء لو وجد، فعلى أي كيفية يكون وجوده في عالم الأعيان.

وهو القدير فكل شيء فهو مق
وعموم قدرته تدل بأنه
هي خلقه حقاً وأفعال لهم
لكن أهل الجبر والتكذيب با
نظروا بعيني أعور اذ فاتهم
فحقيقة القدر الذي حار الورى
وأستحسن بن عقيل ذا من أحد
قال الإمام شفا القلوب بلفظه
دور له طوعا بلا عصيان
هو خالق الأفعال للحيوان
حقاً ولا يتناقض الأمران
لاقدار ما انفتحت لهم عينان
نظر البصير وغارت العينان
في شأنه هو قدرة الرحمن
لما حكاه عن الرضا الرباني
ذات اختصار وهي ذات بيان

الشرح: ويعتقد أهل السنة والجماعة أن الله قدير بقدره، وأن قدرته عامة تتعلق بجميع الممكنات إيجاداً واعداماً، فلا يخرج شيء منها عن نطاق قدرته، ومهما أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون، دون معاندة أو اباء، وعموم قدرته سبحانه لكل شيء من الأعيان والصفات والأفعال يرد على القدرية في قولهم ان الحيوان يخلق أفعال نفسه وأنها ليست مخلوقة لله.

والحق الذي عليه أهل السنة أن أفعال الحيوانات تنسب إلى الله عز وجل على أنه خالقها وموجدها كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصفات: ٩٦] وتنسب إليها على أنها أفعال لها صادرة عن قدرها وارايتها الحادثة، ولا تنافي بين الأمرين، فإن معنى كونها مخلوقة لله أن الله خلق جميع الأسباب التي وجدت بها مثل القدر والارادات والحواس والآلات والمواد الخارجية التي تقع عليها الأفعال.

ومعنى كونها أفعالاً للعباد أنهم هم الذين باشرها بقدرهم واراياتهم مباشرة تجوز اتصافهم بها على الحقيقة فيقال: صلى وصام وزنى وسرق.

هذا هو مذهب الأمة الوسط الذي يجمع بين الآيات الدالة على عموم خلقه سبحانه مثل قوله: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦] وبين الآيات الدالة على نسبة الأفعال إلى العباد، وهي كثيرة مثل قوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠] وقوله: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥] الآية. وقوله: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨].

ولكن أهل الجبر الذين ينفون عن العبد القدرة على الفعل ولا يسمونه فاعلاً إلا على جهة المجاز، والقدرية الذين يزعمون أن العبد مستقل بخلق أفعاله دون أن تتعلق بها قدرة الله ومشيتته نظروا إلى المسألة بعين أعور حين أخذ كل منهم بجانب من الحق دون جانب فالمجبرة غلبوا عموم القدرة والمشيتة، فلم يجعلوا للعبد فعلاً ولا جعلوه مسؤولاً عما يصدر منه، إذ لا يسأل عما ليس من فعله.

والقدرية غلبوا جانب التكليف والأمر والنهي فخصصوا في القدر والمشيتة، وعزلوا أفعال العباد عن الدخول تحتها تحقيقاً لمسؤولية العبد وتصحيحاً للتكليف.

وهكذا نظرت كل من الطائفتين نظراً قاصراً، فلم يؤمنوا بالكتاب كله الدال على إثبات عموم قضاء الله وقدره ومشيتته، وعلى أن أفعال العباد واقعة منهم بقدرتهم ومشيتتهم، فلو وفقوا لذلك كما وفق له أهل السنة والجماعة لهدوا، ولذلك قال الإمام أحمد رحمه الله: (القدر هو قدرة الله) واستحسن ابن عقل هذه الكلمة من الإمام أحمد وقال: إنه شفى بهذه الكلمة ووفى.

فصل

وله الحياة كما لها فلاجل ذا ما للممات عليه من سلطان
وكذلك القيوم من أوصافه ما للمنام لديه من غشيان

وكذاك أوصاف الكمال جميعها ثبتت له ومدارها الوصفان
 فمصحح الأوصاف والأفعال والأ سماء حقا ذانك الوصفان
 ولأجل ذا جاء الحديث بأنه في آية الكرسي وذو عمران
 اسم الاله الأعظم اشتملا على اسـ م الحي والقيوم مقترنان
 فالكل مرجعها إلى الاسمين يد ري ذاك ذو بصر بهذا الشأن

الشرح: ويعتقد أهل السنة والجماعة أن الله حي قيوم، وأن حياته أكمل حياة، لأنها ذاتية له لم يستفدها من غيره، بل هو واهب الحياة ومفيدها، ولذلك كانت حياته أزلية أبدية لا يمكن أن يلحقها موت أو فناء. وأن قيوميته كذلك شاملة كاملة؛ فهو قائم بنفسه غني عن غيره وكل شيء قائم به فقير إليه، ومن أجل تمام قيوميته لا يمكن أن تأخذه سنة ولا نوم، وعلى هذين الوصفين، أعني الحياة والقيومية تدور جميع أوصاف الكمال الثابتة له سبحانه، فالحياة تصحح اتصافه بصفات الكمال في الذات من العلم والقدرة والسمع والبصر وغيرها من الصفات التي لا تكمل الحياة بدونها، والقيومية تصحح اتصافه بصفات الكمال في الفعل من الخلق والرزق والاحياء والاماتة الخ...

ولأجل هذا ورد هذان الإسمان الكريمان مقترنين في ثلاث مواضع من كتاب الله عز وجل، وورد في الحديث ما يدل على أنها اسم الله الاعظم حيث أجاب النبي عليه السلام من سأله عنه بأنه في آية الكرسي وأول آل عمران، لأنها اشتملا على هذين الاسمين مقترنين، ففي آية الكرسي التي هي أعظم آية في كتاب الله يقول الله عز وجل: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وفي أول آل عمران يقول: ﴿أَلَمْ يَلَمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [آل عمران: ٢].

ومن هنا يعلم أن على هذين الاسمين مدار الاسماء الحسنی كلها واليهما ترجع معانيها فإن حياته إذا كانت أكمل حياة وأتمها استلزم اثباتها اثبات كل كمال يضاد نفيه. كمال الحياة. وأما القيوم فإنه متضمن كمال غناه، وكمال قدرته فانه

القيوم بنفسه الذي لا يحتاج إلى غيره بوجه من الوجود، ولا قيام لغيره إلا بإقامته فانتظم هذان الإسمان الكريمان صفات الكمال أتم انتظام يعرف ذلك أهل البصر بهذه الشؤون الإلهية العالية وأهل العلم بأسماء الله وصفاته .

★ ★ ★

وله المحبة وهو ذو الاحسان	وله الارادة والكراهة والرضا
شبيهه والتمثيل بالانسان	وله الكمال المطلق العاري عن الت
أولى وأقدم وهو أعظم شان	وكمال من أعطى الكمال لنفسه
ذاك الكمال أذاك ذو أمكان	أيكون قد أعطى الكمال وما له
متكلما بمشيئة وبيان	أيكون انسان سميعا مبصرا
والعلم بالكلي والأعيان	وله الحياة وقدرة وإرادة
هذا وصفه فاعجب من البهتان	والله قد أعطاه ذاك ليس هـ

الشرح: ويعتقد أهل السنة والجماعة أن الله متصف بالارادة وهي صفة تخصص الفعل بأحد وجوهه الممكنة، فالله عز وجل يخص ارادته كل مخلوق بما يشاء من الصفات المتباينة المتقابلة من مثل السواد والبياض، والطول والعرض، واللطافة والكثافة والصلابة والليونة الخ. وضدها الكره وهو مستحيل على الله إذ لا مكره له، قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ [القصص: ٦٨] ونفى الفلاسفة والمعتزلة صفة الارادة عن الله عز وجل، أما الفلاسفة فنفوا عنه القصد إلى الفعل وقالوا أن الفاعل بالقصد مستكمل، وإن الارادة تغير وانفعال وميل إلى الملائم وهو نقص يستحيل على الله، ولهذا قالوا ان العالم صدر عنه بطريق الإيجاب والتعليل لا بطريق القدرة والاختيار .

وأما المعتزلة فبعد أن اتفقوا على نفي الارادة فاختلفت عباراتهم في ذلك، فمنهم من ذهب إلى أن معنى الارادة أنه لا مكره له فهي ترجع إلى معنى سلبى. ومنهم من قال إنه يريد ارادة حادثة لا في محل الخ. وكلا المذهبين مخالف للنصوص الصريحة الدالة على ثبوت المشيئة والارادة ونفوذها في جميع

الموجودات، ويعتقد أهل السنة كذلك أنه سبحانه متصف بصفة الكراهة التي هي ضد المحبة، فهو يكره الكفر والفسوق وأهلها والدليل على ثبوتها له قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٦] وقوله عليه السلام « وكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال » وأنه متصف بصفة الرضى فهو رضى عن المؤمنين وعن أفعالهم كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨] وضدها وهو السخط صفة له كذلك كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ٨٠] وأنه متصف بصفة المحبة فهو يجب الصالحين من عباده المتقين المحسنين ويجب الأعمال الصالحة وينبغي أن يعلم أن ارادته ومشئته غير كراهته ومحبهه، فالارادة عامة لكل ما وجد من محبوب ومكروه والمحبة والكراهة خاصتان. ويعتقد أهل السنة كذلك أن الله له الرحمة الواسعة والإحسان العظيم الذي عم جميع المخلوقات، وأن له الكمال المطلق الذي لا يعتره نقص بوجه من الوجوه فلا يمكن أن يقاربه أو يماثله في كماله أحد والدليل على ثبوت صفات الكمال له سبحانه أنه هو واهب الكمال ومعطيه للمخلوق فيكون هو أولى بذلك الكمال من غيره ويكون أقدم بالاتصاف به من غيره، ويكون الكمال الثابت له أعظم من الكمال الموجود في المخلوق اذ لا يعقل أن يكون هو معطي الكمال، ويكون فاقدا له فإن فاقد الشيء لا يعطيه، فإذا كان هو سبحانه الذي خلق الانسان وجعله سمياً بصيراً متكلاً بمشيئته واختياره حياً قادراً مريداً عالماً بحقائق الأشياء وماهياتها الكلية وأعيانها الخارجية الجزئية، وكانت هذه كلها صفات كمال في الانسان فلا بد أن تكون ثابتة له سبحانه على نحو أم وأكمل مما هي في الانسان، وأما خلوه عن هذه الصفات والكمالات التي هو واهبها ومفيدها فهذا من أعظم الزور والبهتان، والحاصل أن كل كمال في المخلوق وأمکن أن يتصف به الخالق جل وعلا فهو أحق به وأولى كما أن كل نقص في المخلوق، فالخالق أولى بتنزهه عنه.

بجلاف نوم العبد ثم جماعه
اذ تلك ملزومات كون العبد مح
وكذا لوازم كونه جسدا نعم
يتقدس الرحمن جل جلاله
والأكل منه وحاجة الأبدان
تاجا وتلك لوازم النقصان
ولوازم الأحداث والأمكان
عنها وعن أعضاء ذي جسمان

الشرح: يعني أن الثابت لله عز وجل من الكمالات ما لا يستلزم نقصا بوجه
من الوجوه بجلاف ما يكون من لوازم البشرية وضرورات الجسد وما يكون من
مقتضيات الحدوث والامكان مثل نوم العبد فإنه فتور يعتري جسم الحي فيتطلب
الراحة من أجل استعادة نشاطه في القيام بوظائفه، ومثل الجماع فإنه ضرورة يريد
بها الحي التخلص من بعض الفضلات التي تؤذيه لو بقيت كالبول والتغوط وهو
أيضا يحتاجه من أجل الولد الذي يعتبر كمالا في حقه، ومثل الأكل والشرب،
فإن الحي يحتاجها من أجل بقاء حياته وتجديد ما تهدم من أجزائه وإذا علم أن
هذه الأشياء تستلزم نقصاً واحتياجاً وتقتضي حدوثاً وامكاناً فالله عز وجل
يتقدس عنها كما يتقدس عن كونه جسماً له أعضاء وجوارح كما يصفه بذلك
المشبهة مثل داود الجواربي وأمثاله تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً. ولكن ينبغي
أن لا يتخذ نفي الأعضاء والجوارح ذريعة إلى نفي الصفات الثابتة لله عز وجل
بالأدلة القطعية من الوجه واليد والعين والقدم وغيرها.

والله ربي لم يزل متكلمها
صدقاً وعدلاً أحكمت كلماته
ورسوله قد عاذ بالكلمات من
ايعاذ بال مخلوق حاشاه من الـ
بل عاذ بالكلمات وهي صفاته
وكذلك القرآن عين كلامه الـ
هو قول ربي كله لا بعضه
وكلامه المسموع بالآذان
طلباً واخباراً بلا نقصان
لدغ ومن عين ومن شيطان
اشراك وهو معلم الإيمان
سبحانه ليست من الأكوان
سموع منه حقيقة ببيان
لفظاً ومعنى ما هما خلقان

تنزيل رب العالمين وقوله اللفظ والمعنى بلا روغان
الشرح: هذا بيان لمذهب أهل السنة والجماعة في صفة كلام الرب جل شأنه
فإنه عندهم لم يزل متكلماً، لأن الكلام صفة كمال، ومن يتكلم من المخلوقين
أكمل ممن لا يتكلم، والله لم يزل ولا يزال متصفاً بصفات الكمال كلها ومنها
الكلام، والكلام من صفات الأفعال التابعة لمشيئته وإرادته، فهو يتكلم متى شاء
وكيف شاء، فهو من الأفعال الاختيارية التابعة لمشيئته وحكمته.

وهو سبحانه يتكلم بحروف وأصوات يسمعه من يكلمه كما كلم موسى عليه
السلام عند مجيئه للميقات وناداه من جانب الطور الايمن وقره نجيا، وكما يكلم
عباده المؤمنين يوم القيامة ويسلم عليهم ويبشرهم برحمة منه ورضوان، وقد تمت
كلماته سبحانه وأحكمت، صدقا في اخباره وعدلا في أحكامه، لا مبدل لكلماته
وهو السميع العليم.

والدليل على أن الكلام المسموع المتلو صفة لله غير مخلوق أن الرسول صلوات
الله وسلامه عليه وآله استعاذ بكلمات الله من شر ما خلق، ومعلوم أنه لا يجوز
الاستعاذة بالمخلوق، بل لا يستعاذ الا بأسمائه تعالى وصفاته. والقرآن كذلك عين
كلامه المسموع منه على الحقيقة، فقد تكلم الله به بألفاظه ومعانيه بصوت نفسه
وسمعه منه جبريل عليه السلام وبلغه الى رسول الله ﷺ كما سمعه. وهو كله
قول الله وكلامه غير مخلوق، لا فرق بين لفظه ومعناه، خلافا لمن زعم أن المعنى
قديم يرجع إلى صفة قديمة وأن اللفظ حادث مخلوق. فالقرآن كله تنزيل رب
العالمين وقوله.

ولا شك أن المنزل هو كلام الله وليس هو الفاظ فقط دون معان، ولا هو
معان بلا الفاظ، بل هو الفاظ دالة على معانيها، فهو كلام الله المنزل من عنده
بألفاظه ومعانيه، فتخصيص المعنى دون اللفظ بالقدم، وكونه غير مخلوق روغان
عن الحق ومكابرة للدليل.

★ ★ ★

لكن أصوات العباد وفعلمهم
فالصوت للقاري ولكن الكلا
هذا إذا ما كان ثم وساطة
فإذا أنتفت تلك الوساطة مثل ما
فهناك المخلوق نفس السمع لا
هذي مقالة أحمد ومحمد
أحدها زعمت بأن كلامه
والآخرون أبوا وقالوا شطره
كمدادهم والرق مخلوقان
م كلام رب العرش ذي الاحسان
كقراءة المخلوق للقرآن
قد كلم المولود من عمران
شيء من المسموع فافهم ذان
وخصومهم من بعد طائفتان
خلق له ألفاظه ومعاني
خلق وشرط قام بالرحمن

الشرح: بعد أن بين أن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأن الله تكلم به على الحقيقة بلفظه ومعناه، ذكر أن أصوات العباد بالقرآن وكتابتهم له، والمداد الذي يكتبون به والورق الذي يكتبون عليه، كل ذلك مخلوق، ولكن المقروء والمكتوب هو كلام الله، فإذا قرأ القاريء القرآن. فصوته بالقرآن مخلوق، ولكن القرآن المؤدى بذلك الصوت غير مخلوق، وكذلك إذا كتبه الكاتب في المصحف فالكتابة نفسها فعل الكاتب، وهي مخلوقة، ولكن المكتوب كلام الله، فالمقروء بالألسنة والمكتوب في المصاحف والمحفوظ في الصدر هو كلام الله عز وجل، فإن طرق الاداء والتعبير قد تختلف وتتعدد، ولكن المؤدى والمعبر عنه بها جميعاً شيء واحد وهو كلام الله عز وجل، فإن الكلام انما ينسب لمن قاله مبتدئاً لا إلى من بلغه مؤدياً.

وهذا الذي ذكره في حكم أصوات القارئ ومداد الكاتبين وأنها مخلوقة، أنما يتأتى اذا كان ثمة واسطة في الأداء والتبليغ، كقراءة المخلوق للقرآن. وأما إذا انتفت تلك الوساطة وكان الكلام مسموعاً من الله عز وجل مباشرة كما في تكليم موسى عليه السلام، فالمخلوق هنالك هو نفس السمع الذي هو أدراك المسموع، وأما المسموع نفسه فهو كلام الله لا شيء منه بمخلوق، فإنه نعت الله وصفته.

هكذا فرق الإمام أحمد والإمام البخاري وغيرهما من أئمة أهل السنة بين

كلام الله الذي هو غير مخلوق، وبين ما هو من فعل العباد من القراءة أو الكتابة أو الحفظ أو السماع الذي هو مخلوق.

وأما خصومهم فطائفتان: طائفة الجهمية والمعتزلة، وهؤلاء ذهبوا الى أن القرآن كله بألفاظه ومعانيه مخلوق، وذلك بناء على مذهبهم في نفي الصفات، وزعموا أن الله متكلم بمعنى خالق للكلام، فالله عز وجل عندهم لا يتكلم بكلام هو صفة له قائمة به، ولكنه يخلق الكلام، أما في الهواء أو في اللوح المحفوظ أو في غيرها، واحتجوا لمذهبهم بالآيات التي تدل على حدوث القرآن من مثل قوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ﴾ [الأنبياء: ٢] ولا شك أننا لا ننازعهم في الحدوث، ولكنهم يبنون عليه الحكم بأنه مخلوق، اذ كل حادث عندهم مخلوق، فإنهم لم يشبوا الا قديما واحداً وهو ذات الله عز وجل، وما وراءها فهو حادث مخلوق، ولهذا نفوا الصفات فرارا من القول بتعدد القدماء.

وأما الطائفة الأخرى فهم الكلابية والأشعرية، ذهبوا الى أن القرآن ألفاظ ومعان، فألفاظه المتلوة المسموعة المكتوبة في المصاحف حادثة مخلوقة، وأما معانيه المعبر عنها بتلك الألفاظ فقديمية قائمة بذاته تعالى، ويسمونها الكلام النفسي وهو عندهم معنى واحد لا تعدد فيه ولا تبعض.

وهذا هو معنى قول المؤلف رحمه الله (والآخرون) يعني الكلابية والاشعرية أبوا القول بما قاله المعتزلة من أن القرآن كله مخلوق، وقالوا شطره، أي نصفه وهو اللفظ خلق، يعني مخلوق، وشطره الآخر، وهو المعاني قام بالرحن، يعني أنه صفة له فالمعاني عندهم ترجع الى الصفة القديمة، وأما الالفاظ فحادثة مخلوقة.

★ ★ ★

زعموا القرآن عبارة وحكاية قلنا كما زعموه قرآنان
هذا الذي تتلوه مخلوق كما قال الوليد وبعده الفئتان
والآخر المعنى القديم فقائم بالنفس لم يسمع من الديان

والأمر عين النهي واستفهامه هو عين اخبار وذو وحدان
وهو الزبور وعين توراة وان جيل وعين الذكر والفرقان
الكل شيء واحد في نفسه لا يقبل التبويض في الأذهان
ما ان له كل ولا بعض ولا حرف ولا عري ولا عبراني

الشرح: يعني أن الكلاية أتباع ابن كلاب (بضم الكاف وتشديد اللام) والأشعرية أتباع أبي الحسن الأشعري زعموا أن هذا القرآن الموجود بين دفتي المصحف؟ والذي نقرؤه بالألسنة ونحفظه في الصدور ليس كلام الله، وإنما هو عبارة وحكاية عن كلام الله ودال عليه فقط، وتسميته قرآنا أو كلاما مجاز من قبيل تسمية الدال باسم المدلول وعلى زعمهم هذا يكون هناك قرآنان: هذا الذي نتلوه بألسنتنا ونكتبه في مصاحفنا ونحفظه في صدورنا، وهو عندهم مخلوق كما وصفه بذلك أحد أئمة الكفر، وهو الوليد بن المغيرة حين فكر وقدر: ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَرَ* ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَرَ* ثُمَّ نَظَرَ* ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ* ثُمَّ أَدْبَرَ* وَأَسْتَكْبَرَ* فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ* إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ [المدثر: ١٩، ٢٥] وكما وصفه بذلك أيضاً الفئتان من الجهمية والمعتزلة بعد الوليد حيث قالوا أن القرآن ليس الا هذه الالفاظ الحادثة المخلوقة.

وأما الآخر فهو المعنى القديم القائم بالنفس، وهو الكلام عندهم على الحقيقة ولا يكون بحروف وأصوات مسموعة، بل هو عندهم معنى واحد في الأزل لا أنقسام فيه ولا تبعض، فالأمر فيه عين النهي، والاستفهام عين الخبر، وكذلك الزبور فيه عين التوراة، والانجيل عين القرآن، الكل شيء واحد في نفسه هو الأمر بكل مأمور، والنهي عن كل محذور، والخبر عن كل مخبر عنه، ان عبر عنه بالعربية صار قرآنا، وان عبر عنه بالعبرانية كان توراة، فلا يقبل هذا المعنى الواحد التبويض والانقسام اصلا، بل ليس له كل ولا بعض، ولا هو مركب من حروف وأصوات، ولا عري ولا عبراني.

ودليلهم في ذاك بيت قاله
يا قوم قد غلط النصارى قبل في
ولأجل ذا جعلوا المسيح الههم
ولأجل ذا جعلوه ناسوتا ولا
ونظير هذا من يقول كلامه
والشطر مخلوق وتلك حروفه
فانظر الى ذاك الاتفاق فإنه
فما يقال الأخطل النصراني
معنى الكلام وما اهدوا لبيان
اذ قيل كلمة خالق رحمن
هوتا قديما بعد متحدان
معنى قديم غير ذي حدثان
ناسوته لكن هما غيران
عجب وطالع سنة الرحمن

الشرح: يعني أنه لا دليل لهؤلاء الكلابية والأشاعرة على اثبات الكلام
النفسي الذي هو معنى قائم بالمتكلم الا بيتا من الشعر ينسب للأخطل، وهو
شاعر نصراني من بني تغلب كان في زمان بني أمية يقول فيه:

ان الكلام لفي الفؤاد وانما جعل
اللسان على الفؤاد دليلا

على أن هذا البيت لو صححت نسبته اليه - وكثير من اللغويين
ينكرها - فإنه لم يرد به المعنى الذي ارادوه من اثبات الكلام النفسي العاري
عن الحروف والالفاظ ولكنه يقصد به ان الانسان إذا أراد أن يتكلم فإنه يزور
الكلام في نفسه أولا قبل أن ينطق به، ويزنه بعقله ثم يعبر عنه باللسان.

هذا شأن كل عاقل يعلم أنه مؤاخذ بما ينطق به، أما أجراء الكلام على اللسان
دون تقدير أو روية، فإنما هو من شأن المجنون والهاذي ونحوهما. ويشهد لهذا
قول عمر رضي الله عنه يوم السقيفة: زورت في نفسي كلاما، فهذا الكلام لم
يكن مجرد معان قائمة بنفس عمر، ولكنه كان جملا وعبارات أعدها ليلقيها من
أجل استخلاف أبي بكر رضي الله عنه بعد وفاة رسول الله ﷺ، ولو فرضنا
أنه أراد هذا المعنى فإنه نصراني، وقد غلط النصارى قديما في معنى الكلام حيث
زعموا أن عيسى نفس كلمة الله، فجعلوا الكلام الذي هو من قبيل الاعراض
جوهرًا قائمًا بنفسه، ومن أجل هذا اتخذوه الها. وقالوا أن اللاهوت يعنون
الكلمة التي هي شيء من الاله اتحد بالناسوت، اي بجسد عيسى عليه السلام.

فيعسى عندهم فيه جزء الهي قديم، وهو الكلمة، وجزء حادث مخلوق وهو الجسد، ولكنها اتحدا وصارا شيئاً واحداً يسمى المسيح.

وقول الكلاية ومن وافقهم من الأشعرية هو من هذا الجنس حيث زعموا أن القرآن شطره قديم، وهو المعنى النفسي وشرطه محدث، وهو هذا الموجود في المصحف، فهو عندهم عبارة وحكاية عن كلام الله، وجعلوه ناسوتا لذلك المعنى القديم، لأنه حال فيه ومدلول عليه به، فما أقوى ما ضاهى هؤلاء بقولهم في القرآن قول النصرارى في نبيهم، وليس هناك من فرق، الا أن النصرارى اثبتوا اتحاد الجزئين، وأما هؤلاء فقالوا أنها غيران، وهذا الاتفاق بين هؤلاء وبين النصرارى مما يقضي منه العجب، ويحمل على التأمل في مجارى سنن الله جل شأنه في خلقه.

وتكايست أخرى وقالت ان ذا	قول محال وهو خمس معان
تلك التي ذكرت ومعنى جامع	لجميعها كالأس للبنيان
فيكون أنواعاً وعند نظيرهم	أوصافه وهما فمتفقان
أن الذي جاء الرسول به لمخ	لوق ولم يسمع من الديان
والخلف بينهم فقبل محمد	أنشاه تعبيراً عن القرآن
والآخرون أبوا وقالوا انما	جبريل انشاه عن المنان

الشرح: لما كان القول بأن الكلام النفسي القديم معنى واحد في الأزل غير معقول لاستلزامه أن يكون الأمر عين النهي، والاستخبار عين الخبر، وأن تكون معاني كتب الله عز وجل كلها معنى واحد، وان تكون آية الكرسي مثلاً في معاني آية الدين، وسورة تبت يدا أبي لهب في معنى قل هو الله أحد إلى غير ذلك من اللوازم الفاسدة، تكايست طائفة من الأشاعرة وقالوا ان الكلام في الأزل خمسة أنواع الأمر والنهي، والاستفهام والخبر ومعنى خامس يعمها جميعاً فهو لها كالاساس للبنيان.

ومنهم من جعلها أوصافاً للكلام لا أنواعاً له، ومهما كان اختلافهم في هذا

المعنى النفسي، فإنهم متفقون جميعاً على أن هذا الذي جاء به الرسول من الألفاظ المقروءة المتلوّة انما هو من وضع المخلوق، وليس بكلام مسموع من الله جل شأنه ثم اختلفوا فيمن وضعه، فقالت طائفة أن محمداً ﷺ هو الذي أنشأه وألفه تعبيراً عن القرآن الذي هو المعنى النفسي القديم فالوحي ينزل عليه بالمعاني، ثم هو يعبر عنها بألفاظ من عنده، وأبت طائفة أخرى هذا القول لأنه يضاهاى قول الكفار في القرآن: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٥] وقولهم: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ آفْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾ [الفرقان: ٤] وذهبوا الى أن جبريل عليه السلام هو الذي أنشأ الفاظ القرآن بأمر من الله عز وجل، ثم نزل بها على رسول الله ﷺ.

★ ★ ★

وتكايست أخرى وقالت أنه	نقل من اللوح الرفيع الشأن
فاللوح مبدؤه ورب اللوح قد	أنشأه خلقا فيه ذا حدثان
هذي مقالات لهم فانظر ترى	في كتبهم يا من له عينان
لكن أهل الحق قالوا انما	جبريل بلغه عن الرحمن
القاه مسموعا له من ربه	للصادق المصدق بالبرهان

الشرح: وتكايست طائفة ثالثة وقالت لا يجوز القول بأن محمداً أو جبريل عليها الصلاة والسلام هو الذي الف القرآن وأنشأه، فان ذلك مما يقوي كلام الطاعنين فيه، والقائلين بأنه مختلق مفترى، وليس كلام الله بل الواجب أن نقول أن الله عز وجل قد أنشأ القرآن وخلقه كتابة في اللوح المحفوظ، كم قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ* فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ [البروج: ٢١، ٢٢] وكما قال: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِي حَكِيمٌ﴾ [الزخرف: ٤] ثم أن جبريل عليه السلام يأخذه من اللوح وينزل به على النبي ﷺ ويتلوه عليه، فاللوح هو مبدأ انزاله، وليس منزلا من عند الله جل شأنه ورب اللوح هو الذي أنشأه في اللوح مخلوقاً ذا حدثان أي حدوث. وهذه المقالات الثلاث في القرآن المسمى عندهم باللفظي المخلوق موجودة في كتب هذه الطائفة المسماة بالأشعرية يراها ويطالعها كل من له عينان.

وأما أهل الحق من أتباع مذهب السلف فإنهم لا يقولون بشيء من ذلك الكلام المحدث المبتدع، ولكنهم يذهبون الى أن القرآن منزل من عند الله حقا وانه كلامه الذي تكلم به، وسمعه منه عبده جبريل عليه السلام، فبلغه الى الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه كما سمعه من الرب جل شأنه فالكلام كلام الله وما كان جبريل الا مبلغا ومؤديا لما سمع بأمانة هو جدير بها حيث وصفه الله بها في قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾ [الشعراء: ١٩٢، ١٩٤].

فصل

في مجامع طرق أهل الأرض واختلافهم في القرآن

وإذا أردت مجامع الطرق التي	فيها افتراق الناس في القرآن
فمدارها أصلان قام عليهما	هذا الخلاف هما له ركنان
هل قوله بمشيئة أم لا وهل	في ذاته أم خارج هذان
أصل اختلاف جميع أهل الأرض في	القرآن فأطلب مقتضى البرهان
ثم الا الى قالوا بغير مشيئة	وارادة منه فطائفان
احداها جعلته معنى قائما	بالنفس او قالوا بخمس معان
والله أحدث هذه الألفاظ كي	تبيده معقولا الى الازهان

الشرح: هذا شروع من المؤلف في بحث اختلاف الطوائف في مسألة الكلام وقد أولاها هنا عناية خاصة، وأفاض في معالجتها نظراً لما لها من أهمية كبرى، فقد كثر تنازع الفرق حولها واختلفت مذاهب الناس فيها، وكانت السبب في المحنة التي وقعت على أهل السنة في زمن المأمون والمعتصم حتى ضرب الامام أحمد رضي الله عنه وطيف به من أجل امتناعه عن القول بخلق القرآن، وقد حصر المؤلف الأقوال في هذه المسألة حصراً مفيداً حين رد الخلاف فيها الى

أصلين هما كالأساس له، أما الأصل الأول فهو هل قوله تعالى متعلق بمشيئته
وقدرته أم لا .

وأما الأصل الثاني فهو: هل قوله وصف له قائم بذاته أم خارج عنها، فهذان
الاصلان عليهما يدور كل خلاف بين أهل الأرض حول هذه المسئلة أما الذين
قالوا أن الكلام لا تعلق له بمشيئته تعالى وارادته فطائفتان: الكلاية والاشعرية
وهؤلاء ذهبوا الى أن الكلام معنى قديم قائم بذاته تعالى، فمنهم من جعله معنى
واحدا في الازل كما تقدم، ومنهم من قال أنه خمس معان مختلفة. وأما الفاظ
القرآن عندهم فحادثة احداثها الله عز وجل للدلالة على هذا المعنى القديم وجعله
معقولا للأذهان.

★ ★ ★

وكدالك قالوا أنها ليست هي الـ	وكرآن بل دلت على القرآن
ولربما سمي بها القرآن تسـ	مية المجاز وذاك وضع ثان
وكذلك اختلفوا فليل حكاية	عنه وقيل عبارة لبيان
اذ كان ما يحكى كمحكي وهـ	ذا اللفظ والمعنى فمختلفان
ولذا يقال حكى الحديث بعينه	اذ كان أوله نظير الثاني
فلذاك قالوا لا نقول حكاية	ونقول ذاك عبارة الفرقان
والآخرون يرون هذا البحث لفـ	ظيا وما فيه كبير معان

الشرح: وكذلك قال الكلاية والاشعرية أن هذه الالفاظ لا يصح اطلاق
القول بأنها القرآن بل هي دالة عليه فقط، وربما أطلقوا عليها اسم القرآن مجازا
تسمية للدال باسم المدلول، ومنهم من قال أن القرآن مشترك لفظي يطلق على
كل من المعنى القديم واللفظ الحادث. ثم اختلفوا فقال الكلاية: ان هذه الالفاظ
المقروءة حكاية عن الكلام النفسي، وقال الاشعرية: بل هي عبارة عنه فقط
وليست حكاية، اذ الحكاية عن الشيء لا بد أن تكون عين المحكي، كما تقول
حكيت الحديث بعينه، تريد أن روايتك له مطابقة للأصل تماما بلا تغيير لفظ

ولا زيادته ولا تقديم ولا تأخير، وما هنا ليس كذلك، فان اللفظ والمعنى مختلفان، فلا يصح القول بأن أحدهما حكاية عن الآخر، ويرى بعض الاشاعرة أن هذا الخلاف لفظي لا يتعلق به غرض علمي، وليس وراءه ثمرة مرجوة، فان الفريقين من الكلاية والاشعرية متفقون على أن هذه الألفاظ ليست هي القرآن، وانما هي دالة عليه فقط، فسواء جعلت حكاية عنه أو عبارة لم يختلف هذا المعنى الذي هو محل اتفاق.

★ ★ ★

فصل في مذهب الاقترانية

والفرقة الأخرى فُقلت إنه لفظاً ومعنى ليس ينفصلان
واللفظ كالمعنى قديم قائم
فالسین عند الباء لا مسبوقه
والقائلون بهذا يقولوا انما ترتيها بالسمع بالآذان
ولها اقتران ثابت لذواتها فأعجب لذا التخليط والهذيان

الشرح: وأما الفرقة الثانية ممن قالوا ان الكلام لا يتعلق بمشئته تعالى وقدرته، فهم الاقترانية نسبة إلى الاقتران الذي هو مذهبهم، فإنهم زعموا أن الحروف التي تتركب منها القرآن قد اقترن بعضها ببعض في الأزل، فليس لأحدها تقدم بالزمان على غيره، إذ لا يوجد قبل وبعد في الأزل. وذهب هؤلاء إلى أن القرآن ألفاظ ومعان، ليس ينفصل أحدهما عن الآخر، إذ لا تعقل ألفاظ بلا معان، ولا تعقل معان مجردة عن الألفاظ، وكل من اللفظ والمعنى قديم قائم بذاته تعالى ليس بقابل للحدوث أصلاً، وما دامت الألفاظ قديمة فالحروف التي تألفت منها هذه الألفاظ قديمة، وحينئذ لا يصح القول بوجودها في الأزل على الترتيب والتعاقب، بل وجدت مقترنة مجتمعة، فالسین من بسم الله الرحمن الرحيم تكون

عند الباء لا مسبوقه بها ، فإنه لا نسبة بين المقترنين بالتقدم والتأخر ، وإنما يكون الترتيب بين الحروف وتعاقبها عند السمع بالآذان ، إذا لا تطبق الاسماع أدراك الحروف على سبيل الاجتماع ، وهذا الترتيب الواقع بين الحروف في الاسماع لا يعني أن الاقتران غير لازم لها ، بل هو ثابت لهذه الحروف لذواتها ، وما بالذات لا يعقل تخلفه ، ولا شك أن هذا الكلام تخليط وهذيان يدعو إلى الضحك من هؤلاء المجانين ، فإن اللفظ إذا كان مؤلفاً من حرفين مثلاً ، فإنه لا يمكن النطق بالثاني منها قبل النطق بالأول ، ولا يمكن النطق بهما مجتمعين بحال من الأحوال فلا وجود للحروف أصلاً إلا على سبيل الترتيب والتعاقب بمعنى أنها توجد شيئاً بعد شيء ، وعلى هذا النحو تصل إلى الآذان فتسمعها وتميزها ، وإلا فلو جاز أن توجد مجتمعة فما الذي يميز لفظاً عن لفظ إذا كانت حروفها واحدة ولكنها مختلفة في الترتيب كعذل ولدع وسبق وقبس مثلاً .

★ ★ ★

ذواتها ووجودها غيران	لكن زاغونيهم قد قال ان
يا للعقول وزيغة الأذهان	فترتبت بوجودها لا ذاتها
أذهان بل في هذه الأعيان	ليس الوجود سوى حقيقتهاالذي الـ
ووجودها ذهننا فمختلفان	لكن إذا أخذ الحقيقة خارجا
اتحدا اعتبارا لم يكن شيئان	والعكس أيضاً مثل ذا فإذا هما
في ذاته ووجوده الرحمن	وبذا يزول جميع اشكالاتهم

الشرح: قد عرفت ما يلزم مذهب هؤلاء الاقترانية من الفساد ومخالفة الواقع المحسوس بزعمهم أن الحروف قديمة وأنها مجتمعة في الأزل على سبيل الاقتران بلا تعاقب ولا ترتيب بينها . ولكن أحدهم وهو ابن الزاغوني يريد أن يتكاسب ويدعي الفلسفة فيفرق بين ذوات هذه الحروف ، يعني حقائقها الثابتة التي هي بها هي وبين وجودها ، فيقول أنها مترتبة بحسب وجودها لا بحسب ذواتها وهذه مغالطة مكشوفة ، فإن ذات الشيء وحقيقته لا بد أن تكون موجودة ، أما

بالوجود العيني الخارجي، وإما بالوجود الذهني، ولا تختلف الحقيقة والذات في هذا الوجود عنها في ذلك إلا بالاعتبار، فإن كانت الذات الثابتة للحروف مقتضية للترتيب والتعاقب بالنسبة لأحد الوجودين، وهو الوجود الخارجي، فهي كذلك بالنسبة للوجود الآخر، وإن أراد بقوله ان الذات والوجود غيران، ان الذات من حيث هي مجردة عن الاتصاف بأحد الوجودين غير الوجود، هذه الذات غير معقولة، فإن ما ليس بموجود هو معدوم.

نعم يمكن القول بأن الوجود الخارجي للحقيقة غير وجودها في الذهن، فتكون الحقيقة مغايرة لنفسها بالاعتبار. وكذلك يمكن العكس، فيقال الوجود للتي بحسب الذهن مغاير للوجود بحسب الخارج، ولكن هذا لا يعني أن الذات يمكن أن تنفصل عن الوجود أو أن تقتضي من حيث هي أمراً، ولا يكون لازماً لها عند الوجود، أما إذا أخذت الحقيقة مجردة عن الاعتبارات المترتبة على اختلاف الوجود، فهي شيء واحد حينئذ لا شيئان. وبهذا التفسير يزول الأشكال الذي أورده المتكلمون كالرازي وغيره، وهو: هل وجود الباري غير ذاته وحقيقته أم لا. والجواب أن الذات إذا أخذت من حيث هي فلا شك أن الوجود وصف لها فهو غيرها بهذا المعنى، وأما الذات الموجودة بوجودها، فلا يقال ان الوجود غيرها، ولكن يمكن أن يقال أن هناك فرقاً بين وجودها الذهني ووجودها الخارجي بالاعتبار.

★ ★ ★

فصل

في مذاهب القائلين بأنه متعلق بالمشيئة والارادة

والقائلون بأنه بمشيئة واردة أيضاً فهم صنفان
إحداها جعلته خارج ذاته كمشيئة للخلق والأكوان
قالوا وصار كلامه بإضافة الـ تشريف مثل البيت ذي الأركان

ما قال عندهم ولا هو قائل والقول لم يسمع من الديان
فالقول مفعول لديهم قائل بالغير كالأعراض والأكوان
هذي مقالة كل جهمي وهم فيها الشيوخ معلم الصبيان

الشرح: بعد أن فرغ المؤلف من ذكر مذاهب القائلين بأن القرآن صفة قديمة قائمة بذاته تعالى لا تعلق لها بمشيتته وقدرته بين أن الأولى منها وهي الكلاية والأشعرية ادعت ذلك في المعنى فقط، والأخرى ادعته في اللفظ والمعنى جميعاً، وهم الاقترانية، أخذ في بيان مذاهب القائلين بأن القرآن متعلق بمشيتته تعالى وارانته، فذكر أنها طائفتان أيضاً: احداهما وهم الجهمية ومتأخرو المعتزلة قالوا بأن القرآن مخلوق خلقه الله كما خلق السموات والأرض وسائر المخلوقات ومعنى كونه تعالى متكلماً عندهم إنه خالق للكلام وإنما يضاف إليه القرآن فيقال كلام الله على سبيل التشريف، كما يقال بيت الله، وناقاة الله، وهذه سفسطة ظاهرة، فإنه ولاشك فيه أنه لا يعقل من المتكلم إلا من قام به الكلام، فإن الكلام صفة المتكلم، ولا يقال لمن أوجد الكلام في غيره أنه هو المتكلم بذلك الكلام، بل يكون الكلام صفة للمحل الذي قام به وصار عرضاً له.

وأما قولهم ان اضافة الكلام إلى الله إنما هي اضافة تشريف، كاضافة البيت والناقاة فغلط صريح، بل هي اضافة صفة إلى موصوف، لأن الاضافة نوعان: أحدهما ما يضيفه الله إلى نفسه من الأعيان المخلوقة، كالبيت والناقاة ونحوهما، فهذه الإضافة تفيد تشريف المضاف والتنويه بما امتاز به من الصفات العظيمة، والثاني ما يضيفه الله إلى نفسه من المعاني والصفات التي لا تقوم بنفسها، كعلم الله وقدرته وارانته وكلامه الخ.

فهذه الإضافة تقتضي قيام هذه المعاني بالمضاف إليه واتصافه بها، وهذا فرق بديهي، ويلزم على مذهب هؤلاء أن الله لم يتصف بالقول أبداً، فلا هو قال في الماضي، ولا هو قائل الآن أو مستقبلاً، وأنه لم يسمع منه قول، إذ كان القول عندهم مفعوله الذي خلقه في الغير على أنه عرض له كسائر الأعراض القائمة

بالأجسام، وهذا هو مذهب الجهمية في الأصل، وهم شيوخه وأساتذته، وعنهم أخذ من اقتدى بهم من الصبيان، يعني متأخري المعتزلة.

★ ★ ★

لكن أهل الاعتزال قديمهم
وهم الالى اعتزلوا عن الحسن الر
وكذاك أتباع على منهاجهم
لكنما متأخروهم بعد ذا
فهم بذا جهمية أهل اعتزا
ولقد تقلد كفرهم خسون في
واللالكائي الامام حكاه عن
لم يذهبوا ذا المذهب الشيطاني
ضي البصري ذاك العالم الرباني
من قبل جهم صاحب الحدثان
لك وافقوا جهها على الكفران
ل ثوبهم أضحى له علمان
عشر من العلماء في البلدان
هم بل حكاه قبله الطبراني

الشرح: وأما قدماء المعتزلة كواصل بن عطاء وعمرو بن عبيد ومن سار على نهجها قبل حدوث بدعة الجهم فإنهم لم يذهبوا هذا المذهب الفاسد الذي هو من وحي الشيطان، وهؤلاء القدامى من المعتزلة (إنما لقبوا بهذا اللقب عندهم) الذين اعتزلوا مجلس الحسن البصري رضي الله عنه، وكان سبب اعتزالهم أن رجلا وقف على مجلس الحسن وسأله عن حكم مرتكب الكبيرة، وهل هو مؤمن أو كافر فإن الخوارج كانوا يكفرونه ويحكمون بخلوده في النار، والمرجئة كانوا يقولون لا يضر مع الإيمان معصية، وقبل أن يجيب الحسن قال واصل بن عطاء: أنا لا أسميه مؤمنا ولا كافرا، ولكنه في منزلة بين المنزلتين، واسميه فاسقا وأقول بخلوده في النار، ثم اعتزل حلقة الحسن ومعه عمرو بن عبيد، وأخذ يقرر مذهبه، فقال الحسن: اعتزل عنا واصل، فسموا لذلك بالمعتزلة، وقد وردت روايات أخرى في سبب هذه التسمية ولا مجال لذكرها هنا، والحاصل أن هؤلاء القدامى وأتباعهم يوافقون أهل السنة والجماعة في أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود.

وأما المتأخرون منهم من أمثال أبي الهذيل العلاف والنظام والجاحظ وغيرهم

فوافقوا جهما على الكفر بكلام الله عز وجل وانكار أن الله متكلم بالقرآن أو كلم موسى عليه السلام بكلام سمعه ، فجمعوا بذلك بين التجهم والاعتزال وصاروا كصاحب ثوب له علمان ، ولقد حكم بكفرهم من أجل هذا الذي قالوه خمسمائة من العلماء في مختلف البلدان . حكى ذلك عنهم اللالكائي في مسنده ، بل حكاه من قبله الإمام الطبراني وقوله قديمهم ، بدل من أهل الاعتزال . وقوله : الرضي صفة للحسن ، وهي مصدر بمعنى المرضي .

★ ★ ★

فصل في مذهب الكرامية

والقائلون بأنه بمشيئة	في ذاته أيضاً فهم نوعان
إحداها جعلته مبدوءاً به	نوعاً حذار تسلسل الأعيان
فيسد ذاك عليهم في زعمهم	اثبات خالق هذه الأكوان
فلذا قالوا أنه ذو أول	ما للفناء عليه من سلطان
وكلامه كفعاله وكلاهما	ذو مبدأ بل ليس ينتهيان

الشرح: وأما الفرقة الثانية من القائلين بأن الكلام متعلق بمشيئته تعالى وقدرته فانقسموا إلى طائفتين ، الطائفة الأولى الكرامية أتباع محمد بن كرام ، وهؤلاء ذهبوا إلى أن الله تعالى يتكلم بمشيئته بالقرآن العربي وغيره ، إلا أنهم لا يقولون لم يزل متكلماً إذا شاء لأنه يمتنع عندهم أن يكون الله متكلماً في الازل فيجعلون كلامه حادثاً في ذاته مسبقاً بالعدم بمعنى أن الله لم يكن عندهم متكلماً ، ثم صار متكلماً ، فنوع الكلام عندهم له ابتداء في ذاته ، وإنما الجأهم إلى ذلك الخوف من القول بمجوادث لا أول لها ، فإن هذا يلزمه التسلسل في الموجودات والقول بقدم الانواع فينسند عليهم طريق اثبات الصانع في زعمهم إذ كان الطريق إلى ذلك هو حدوث الأشياء المستلزم لوجود محدث لها فلهذا

اضطر الكرامية إلى أن يجعلوا لما يحدث في ذاته تعالى من الكلام أو الفعل ابتداء ، لكنه مع ذلك إذ حدث فليس قابلا عندهم للزوال والفناء ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في رسالة الفرقان (ومحمد بن كرام فكان بعد ابن كلاب في عصر مسلم ابن الحجاج اثبت أنه يوصف بالصفات الاختيارية ، ويتكلم بمشيئته وقدرته ، ولكن عنده يمتنع أنه كان في الأزل متكلماً بمشيئته وقدرته لامتناع حوادث لا أول لها ، فلم يقل بقول السلف لم يزل متكلماً إذا شاء ، وقال هو وأصحابه في المشهور أن الحوادث التي تقوم به لا يخلو عنها ، ولا تزول عنه) .

★ ★ ★

قالوا ولم ينصف خصوم جعجعوا	وأتوا بتشنيع بلا برهان
قلنا كما قالوه في أفعاله	بل بيننا بون من الفرقان
بل نحن أسعد منهم بالحق إذ	قلناهما بالله قائمتان
وهم فقالوا لم يقم بالله لا	فعل ولا قول فتعطيلان
لفعاله ومقاله شرا وأب	طل من حلول حوادث بيان
تعطيله عن فعله وكلامه	شر من التشنيع بالهذيان
هذي مقالات ابن كرام وما	ردوا عليه قط بالبرهان
أني وما قد قال أقرب منهم	للعقل والآثار والقرآن
لكنهم جاءوا له بججاجع	وفراقع وقعاقع بشمان

الشرح: قالت الكرامية أن خصومنا من الكلابية والأشعرية قد شنعوا علينا في قولنا بحدوث الكلام في ذاته تعالى بمشيئته واختياره مع أنه لا حجة لهم في هذا التشنيع على أنهم قد قالوا بمثل قولنا في أفعاله تعالى فجعلوها حادثة ، ولزمهم في ذلك مثل ما لزمنا من أن الله كان معطلا عن الفعل في الأزل . ثم صار فاعلا بلا تجدد سبب أوجد القدرة والامكان ، بل نحن أقرب منهم إلى الحق لأننا جعلنا الكلام والفعل صفتين قائمتين بذاته ، وأما هم فعطلوه عن قوله وفعله ، فإن القول المسموع عندهم مخلوق كما أن الفعل عين المفعول المخلوق ، ولا شك أن

تعطيل الباري عن قوله وفعله شر ، وأدخل في الباطل من القول بجلول الحوادث في ذاته ، والحق أن مقالة ابن كرام وان كانت منحرفة عن جادة الصواب حيث حكم بخلوه تعالى في الأزل من الكلام والفعل وهما من صفات كماله إلا أن خطأه أهون من خطأ الأشعرية ، ولهذا لم يستطيعوا أن يردوا عليه ببرهان جلي ، فإن ما قاله أقرب إلى العقل والنقل مما قالوه .

أما من جهة العقل فلأنه لا يعقل متكلماً ولا فاعلاً إلا من قام به الفعل والكلام وأما من جهة النقل فالنصوص كلها دلت على أن الله متكلم بمشيئته وقدرته ، وأن كلامه ليس إلا حروفاً وأصواتاً مسموعة .

قوله جمعجوعوا : أحدثوا ضجة شديدة ، وقوله : وأتوا بتشنيع من شنع عليه إذا نسبه إلى الشناعة وهي القبح . وقوله لفعاله ومقاله متعلق بتعطيلان في البيت قبله وتعطيلان مبتدأ خبره شر وأنى بمعنى كيف والاستفهام استبعاد والججاجع الفراقع والقعاقع أسماء أصوات .

★ ★ ★

فصل

في ذكر مذهب أهل الحديث

ومحمد وأئمة الإيمان
متكلماً بمشيئة وبيان
لو عنه في أزل بلا إمكان
ماذا اقتضاه له من الإمكان
للذات مثل تعاقب الأزمان
حم مع طه بغير قران
قد رتبت في مسمع الانسان
حرفان أيضاً يوجدان في آن

والآخرون أولوا الحديث كأحد
قالوا بأن الله حقاً لم يزل
ان الكلام هو الكمال فكيف يخ
ويصير فيما لم يزل متكلماً
وتعاقب الكلمات أمر ثابت
والله رب العرش قال حقيقة
بل أحرف مترتبات مثل ما
وقتان في وقت محال هكذا

من واحد متكلم بل يوجد بالـرسم أو يتكلم الرجلان
هذا هو المعقول أما اقتران فليس معقولا لذي الأذهان

الشرح: وأما الآخرون من القائلين بأن الله متكلم بكلام قائم بذاته متعلق
بمشيئته واراادته فهم أصحاب الحديث أهل السنة والجماعة كأحمد بن حنبل
الشيباني ومحمد بن إسماعيل البخاري وغيرهما من أئمة الإيمان رضي الله عنهم
ذهبوا إلى أن الله لم يزل متكلمها إذا شاء ، لأن الكلام صفة كمال إذ أن من يتكلم
أكمل ممن لا يتكلم ومن يتكلم بمشيئته وقدرته أكمل ممن يكون الكلام لازما
لذاته وإذا فلا يعقل خلوه تعالى عنه في الازل ، لأن الخلو عن الكمال نقص
يستحيل على الله ، ولأن الكلام إذا كان ممتنعا عليه في الأزل ، ثم صار متكلمها فيما
لا يزال ، فما الذي اقتضى انقلابه من الامتناع إلى الامكان ، مع أنه لم يتجدد في
ذاته شيء يوجب ذلك الانقلاب فتبين أن الرب سبحانه لم يزل متكلمها إذا شاء
بمعنى أن جنس كلامه قديم وتعاقب الكلمات وخروجها إلى الوجود شيئا بعد
شيء هو أمر ثابت لها لذواتها مثل تعاقب الازمنة فكما أن أجزاء الزمان لا توجد
مجتمعة ، بل توجد على سبيل التعاقب آناً بعد آن ، فكذلك الحروف التي هي
أجزاء الكلمات لا يمكن النطق بها مجتمعة بحيث يكون النطق بالحرف الثاني مع
الأول في آن واحد ، بل لا بد من وجودها على سبيل التعاقب والتسلسل حرفاً
بعد حرف ، فإذا قال الله عز وجل: ﴿حم﴾ أو ﴿طه﴾ فلا يعقل اجتماع
الحرفين من كل من هاتين الآيتين بحيث ينطق بالميم مع الحاء ، أو بالهاء مع الطاء
بل تأتي الحروف مترتبات في النطق كما هي مترتبة في الاسماع . وإذا كان وجود
وقتتين من الزمان في وقت واحد غير معقول لأن الزمان كم متصل غير قار الذات
لا يجتمع أجزاءه في الوجود ، فكذلك وجود حرفين من متكلم واحد في آن واحد
مستحيل ، وإنما يعقل ذلك في الرسم أي الكتابة أو إذا كان المتكلم أكثر من
واحد ، أما الاقتران الذي تزعم الاقترانية فشيء غير معقول لذوي الأذهان بل
أن استحالته ضرورية لا تحتاج إلى بيان .

وكذا كلام من سوى متكلم
 الا لمن قام الكلام به فذا
 أيكون حيا سامعا أو مبصرا
 والسمع والأبصار قام بغيره
 وكذا مريد والارادة لم تكن
 وكذا قدير ماله من قدره
 والله جل جلاله متكلم
 قد أجمعت رسل الاله عليه لم
 فكلامه حقا يقوم به والا
 أيضاً محال ليس في أمكان
 ك كلامه المعقول في الأذهان
 من غير ما سمع وغير عيان
 هذا المحال وواضح البهتان
 وصفا له هذا من الهذيان
 قامت به من أوضح البطلان
 بالنقل والمعقول والبرهان
 ينكره من اتباعهم رجلا
 لم يكن متكلماً بقـرآن

الشرح: وكما يستحيل وجود الحروف مقترنة كما تزعم الاقترانية، فكذا
 يستحيل وجود كلام من غير متكلم، ولا يعقل متكلم الا من قام به الكلام خلافا
 للمعتزلة الذين زعموا أن معنى كونه متكلماً أنه خالق للكلام، وان كلامه
 مخلوق منفصل عنه فيكون على رأيهم متكلماً بلا كلام قائم به بل بكلام قائم
 بغيره وهذا سخف وهذيان. فإن اطلاق المشتق على شيء يقتضي ثبوت مأخذ
 الاشقاق لذلك الشيء وقيامه به بمعنى أن الاطلاق يقتضي وجود الصفة لا كما
 تزعم المعتزلة من ان الله عليم بلا علم، وسميع بلا سمع، وبصير بلا بصر، وقدير
 بلا قدرة الخ. ويقتضي أيضاً قيام تلك الصفة بموصوفها لا بغيره، فلا يعقل مثلاً
 حي بلا حياة أو حياة قائمة بغيره وكذلك سميع وبصير وعليم وقدير ومريد
 الخ. لا يعقل أن تكون هذه المشتقات دالة على ذات مجردة عن الصفات كما لا
 يعقل قيام تلك الصفات بغير تلك الذات الموصوفة بها، فكذلك الكلام لا
 يكون الا وصفا للمتكلم به.

ولا يعقل متكلم الا من قام به الكلام والله تعالى موصوف بأنه متكلم باجماع
 أهل الاديان كلهم وبشهادة العقول الصحيحة والفطرة السليمة والبراهين القاطعة

ولا معنى لكونه متكلماً الا قيام الكلام بذاته فيكون من جملة صفاته والا لم يكن متكلماً بالقرآن العربي ولا بغيره .

★ ★ ★

والله قال وقائل وكذا يقول
ويكلم الثقلين يوم معادهم
وكذا يكلم حزبه في جنة الحية
وكذا يكلم رسله يوم اللقا
ويراجع التكليم جل جلاله
ويكلم الكفار في العرصات تو
ويكلم الكفار أيضاً في الجح
والله قد نادى الكليم وقبله
وأتى النداء في تسع آيات له

الحق ليس كلامه بالفاني
حقاً فيسمع قوله الثقلان
وان بالتسليم والرضوان
حقاً فيسألهم عن التبيان
وقت الجدال له من الانسان
بيخاً وتقريعاً بلا غفران
يم أن أخسئوا فيها بكل هوان
سمع النداء في الجنة الأبوان
وصفا فراجعها من القرآن

الشرح: كما أن الله عز وجل يوصف بالتكليم والتكلم، فكذلك يوصف بالقول وهو اللفظ المسموع، فهو قد قال في الماضي وقائل الآن وسيقول غداً، وقوله الحق الثابت الذي لا يخالطه باطل وكلماته لا نفاذ لها ولا فناء قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ [لقمان: ٢٧] وهو سبحانه يكلم الثقلين من الانس والجن بكلام يسمعونه يوم القيامة وكذا يكلم أوليائه في جنة الخلد فيسلم عليهم، ثم يقول لهم هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى الم تدخلنا جنتك وتنجننا من نارك فيقول سبحانه سأعطيهم أفضل من ذلك، فيقولون يا ربنا وما أفضل من ذلك فيقول سأحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً، كما ورد في الحديث .

وكذا يكلم رسله ويسألهم عن تبليغ الرسالة كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة:

١٠٩] وكذا يراجع سبحانه التكليم مع بعض عباده يوم القيامة عند جوابهم له ويكلم الكفار في عرصات القيامة كلام تفرير وتوبيخ، ويكلمهم أيضاً وهم في الجحيم فيقول لهم: ﴿اٰخَسْتُوْا فِيْهَا وَلَا تَكَلَّمُوْنَ﴾ [المؤمنون: ١٠٨] وهو سبحانه قد نادى الكليم موسى من جانب الطور الايمن، ومن قبله نادى آدم وحواء عندما وقعا في الخطيئة كما قال تعالى: ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا اَلَمْ اَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَاَقُلْ لَّكُمَا اِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ اَعْدُوٌّ مُّبِيْنٌ﴾ [الأعراف: ٢٢].
وقد وصف الله نفسه بالنداء في تسع مواضع من القرآن:

الأول: قوله تعالى: ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا اَلَمْ اَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ﴾ [الأعراف: ٢٢].

الثاني: قوله ﴿وَنَادَيْتَاهُ مِنْ جَانِبِ الطَّوْرِ الْاَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢].

الثالث: قوله: ﴿فَلَمَّا اَتَاهَا نُودِيْ يٰا مَوْسٰى اِنِّىْ اَنَا رَبُّكَ فَارْخَعْ نَعْلَيْكَ﴾ [طه: ١١ - ١٢].

الرابع: قوله: ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسٰى اَنْ اَنْتَ الْقَوْمَ الظّٰلِمِيْنَ﴾ [الشعراء: ١٠].

الخامس: قوله ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيْ اَنْ بُرِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [النمل: ٨].

السادس: قوله ﴿فَلَمَّا اَتَاهَا نُودِيْ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الْاَيْمَنِ﴾ [القصص: ٣٠].

السابع: قوله ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطَّوْرِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ [القصص: ٤٦].

الثامن: قوله: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُوْلُ اَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِيْنَ كُنْتُمْ تَزْعُمُوْنَ﴾ [القصص: ٦٢].

التاسع: قوله: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُوْلُ مَاذَا اٰجَبْتُمُ الْمُرْسَلِيْنَ﴾ [القصص: ٦٥].

العاشر: قوله ﴿وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمَ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾ [الصفافات: ٢٠٤].

الحادي عشر: قوله ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى * إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [النازعات: ١٥، ١٦].

وكذا يكلم جبرئيل بأمره
واذكر حديثا في صحيح محمد
فيه نداء الله يوم معادنا
هب أن هذا اللفظ ليس بثابت
ورواه عندكم البخاري المجسـ
أيصح في عقل وفي نقل ندا
أم أجمع العلماء والعقلاء من
أن النداء الصوت الرفيع وضده
والله موصوف بذلك حقيقة

حتى ينفذه بكل مكان
ذاك البخاري العظيم الشان
بالصوت يبلغ قاصيا والداني
بل ذكره مع حذفه سيان
م بل رواه مجسم فوقاني
ليس مسموعاً لنا بأذان
أهل اللسان وأهل كل لسان
فهو النجاء كلاهما صوتان
هذا الحديث ومحكم القرآن

الشرح: يعني أن الله عز وجل إذا أراد أن يأمر أهل سمواته أو أرضه بأمر
كلم به جبرائيل ملك الوحي عليه السلام فيقوم بتبليغه اليهم، فإنه هو المختص
بالوحي في السماء وفي الأرض جميعاً، وقد جاء في حديث صحيح رواه الإمام
البخاري أن الله عز وجل ينادي عباده يوم القيامة بصوت يسمعه أهل الموقف
جميعاً القاصي منهم والداني، وعلى فرض أن لفظ الصوت ليس بثابت لأنه من
رواية أهل التجسيم في زعمهم، فإنه لا حاجة اليه اذ العقل والنقل متفقان على أنه
لا يكون نداء الا بصوت مسموع بالأذان، ومما اجمع عليه العلماء والعقلاء من
أهل اللسان العربي وغيره أن النداء هو الصوت العالي، وأن ضده وهو النجاء
يكون بصوت خافت غير مسموع الا ممن ينجي، ولكن كلاهما صوت على كل
حال والله موصوف به، وقد جمع الله بينهما في قوله اخبارا عن موسى:

﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢].

★ ★ ★

وأذكر حديثاً لابن مسعود صر
الحرف منه في الجزاء عشر من الـ
وانظر الى السور التي افتتحت بأحـ
لم يأت قط بسورة الا أتى
اذ كان أخباراً به عنها وفي
ويدل أن كلامه هو نفسها
فأنظر إلى مبدأ الكتاب وبعدها الا
مع تلاوها أيضاً ومع حم مع

يحا أنه ذو أحرف ببيان
حسناً ما فيهن من نقصان
رفها ترى سرا عظيم الشأن
في أثرها خبر عن القرآن
هذا الشفاء لطالب الإيمان
لا غيرها والحق ذو تبيان
عراف ثم كذا الى لقمان
يس وافهم مقتضى القرآن

الشرح: مما يدل على أن القرآن الذي هو كلام الله هو هذا المؤلف من
الحروف والألفاظ الذي نتلوه بألسنتنا، ونحفظه في صدورنا، ونكتبه بالمداد في
صحفنا ما رواه ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ من قوله «من قرأ
القرآن فله بكل حرف عشر حسنات لا أقول الم حرف ولكن ألف حرف ولام
حرف وميم حرف» وكذلك اذا تأملنا السور التي افتتحت بالفواتح من مثل:
الم، والمص، وألر، والمر، وحم، ويس، ون، وق... الخ. نرى سرا عجبياً وهو
أنه لم تفتتح سورة ببعض هذه الفواتح الا ورد على أثرها خبر عن القرآن اذ كان
القرآن مخبراً به عنها مما يدل أعظم دلالة على أن القرآن هو نفس هذه الفواتح
وأنه مركب من الحروف التي اشتملت عليها، نرى ذلك في أول سورة البقرة
أعني قوله تعالى: ﴿الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:
١، ٢] ثم في الأعراف: أعني قوله سبحانه: ﴿المص * كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾
[الأعراف: ١، ٢] الآية. ونراه كذلك في أول لقمان هكذا ﴿الم * تِلْكَ آيَاتُ
الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ [لقمان: ١، ٢] ثم في السورة التي تتلوها، أعني سورة
السجدة: ألم تنزيل، وهو قوله تعالى: ﴿الم * تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ

رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿ [السجدة: ١ ، ٢] ونراه في الخواميم وفي سورة يس ، قال تعالى :
﴿ يَسَّ * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴾ [يس : ١ ، ٢] وقال ﴿ حَمَّ * تَنْزِيلِ الْكِتَابِ مِنْ
اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ [غافر : ١ ، ٢] و ﴿ حَمَّ * تَنْزِيلِ مِنْ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾
[فصلت : ١ ، ٢] الخ .

فصل

في الزامهم القول بنفي الرسالة اذا انتفت صفة الكلام

ناه منب مرسل لبيان	والله عز وجل موص امر
ومحدث ومخبر بالشان	ومخاطب ومحاسب ومنبيء
ومحذر ومبشر بأمان	ومكلم متكلم بل قائل
بكلامه للحق والإيمان	هاد يقول الحق يرشد خلقه
هذا منتف متحقق البطلان	فإذا انتفت صفة الكلام فكل

الشرح: يريد أن الله عز وجل موصوف بصفات هي من لوازم اتصافه
بصفة الكلام ، بحيث لا يمكن وصفه بها إذا لم يكن متكلمها ، فهو سبحانه موص ،
وهو اسم فاعل من أوصى ، والايضاء الأمر المؤكد ، وهو أمر من الأمر الذي هو
طلب الفعل ، وهو ناه من النهي الذي هو طلب الكف ، وهو منب اسم فاعل من
أنبأ بمعنى أخبره ، وهو مرسل الرسل عليهم الصلاة والسلام لبيان شرائعه
وارشاد عباده ، وهو مخاطب يخاطب أنبياءه ورسله ، ويخاطب أتباعهم من المؤمنين
ويخاطب الكفار والمشركين ، ويخاطب جبريل أمين وحيه ، ويخاطب الملائكة
المكرمين ، وهو محاسب يحاسب خلقه يوم القيامة ويسألهم عما فعلوه ويناقشهم فيه
وهو منبيء اسم فاعل من أنبأ بالأمر ، بمعنى أخبره ، وهو محدث ومخبر ومكلم ،
ومتكلم ، وقائل ومحذر المخالفين من العقاب ومبشر للطائعين بالثواب ، وهو هاد
يهدي خلقه ويرشدهم بكلامه إلى ما يجب منهم من الحق والإيمان . فهذه الصفات

كلها تنتفي عن الله عز وجل ، اذا انتفت صفة الكلام فإنها لوازم لها ، ويلزم من انتفاء الملزوم انتفاء لازمه .

★ ★ ★

وإذا انتفت صفة الكلام كذلك ال
فرسالة المبعوث تبليغ كلا
وحقيقة الارسال نفس خطابه
نوع بغير وساطة ككلامه
منه اليه من وراء حجابيه
والآخر التكليم منه بالسوسا
وحي وإرسال اليه وذلك في الش
ارسال منفي بلا فرقان
م المرسل الداعي بلا نقصان
للمرسلين وانه نوعان
موسى وجبريل القريب الداني
اذ لا تراه ها هنا العينان
طة وهو أيضاً عنده ضربان
ورى أتى في أحسن التبيان

الشرح: وكذلك يترتب على انتفاء صفة الكلام عن الله عز وجل انتفاء النبوات والرسالات وجحدها، اذ لا معنى لرسالة المبعوث الا تبليغ كلام من أرسله من أوامر ونواه، واخبار بلا زيادة ولا نقصان، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة: ٦٧] وقال: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ [الشورى: ٤٨] فإذا لم يكن المرسل متكلماً لم تتحقق ماهية الرسالة وتتعلل وظيفة الرسول، وهي التبليغ لانتفاء المبلغ.

وكذلك حقيقة الارسال هي نفس خطابه للمرسلين المأمور بتبليغه الى الخلق، وهذا الخطاب نوعان نوع يكون بلا واسطة وهو تكليمه للرسول مشافهة من وراء حجاب ككلامه لموسى ومحمد وجبريل عليهم الصلاة والسلام، والثاني يكون بواسطة، وهو أيضاً نوعان: نوع يكون بالوحي والقاء المعنى في القلب، وهو المعبر عنه بالنفث في الروح، وآخر يكون بارسال الملك، أما على حالته الملكية، وهذا لم يقع الا لنبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه وآله وقع له مرتين، وأما على صورة بشر، وقد جمع الله أنواع الوحي كلها في الآية الكريمة التي في أواخر

سورة الشورى حيث قال: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا أَوْ مِنْ
وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بآذُنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيُّ حَكِيمٌ﴾
[الشورى: ٥١].

★ ★ ★

فصل في إلزامهم التشبيه للرب بالجهاد الناقص إذا انتفت صفة الكلام

وإذا انتفت صفة الكلام فضدها	خرس وذلك غاية النقصان
فلئن زعمتم أن ذلك في الذي	هو قابل من أمة الحيوان
والرب ليس بقابل صفة الكلا	م فنفيها ما فيه من نقصان
فيقال سلب كلامه وقبوله	صفة الكلام أتم للنقصان
اذ أخرس الانسان أكمل حالة	من ذا الجهاد بأوضح البرهان
فجحدت أوصاف الكمال مخافة التش	بيه والتجسيم بالانسان
ووقعت في تشبيهه بالناقصات	الجامدات وذا من الخذلان
الله أكبر هتكت استاركم	حتى غدوتم ضحكة الصبيان

الشرح: ويلزم هؤلاء النفاة أيضاً أن الله اذا لم يكن متصفا بصفة الكلام كان متصفا بضدها وهو الخرس، والخرس نقص والنقص محال على الله تعالى، فإن قالوا في الجواب عن ذلك لا يلزم من نفي صفة الكلام عن الله ثبوت ضدها وهو الخرس له، لأن الخرس هو عدم الكلام عما من شأنه أن يكون متكلماً من أمة الحيوان، فالتقابل بين الكلام والخرس هو تقابل بين الملكة وعدمها، فلا يتصف بالخرس الذي هو عدم الكلام الا ما كان قابلاً لصفة الكلام، أما ما ليس قابلاً لها ولا من شأنه الاتصاف بها فلا يقال له اخرس. والله عز وجل ليس قابلاً لصفة الكلام، فنفيها عنه لا يترتب عليه اتصافه

بالخرس الذي هو نقصان فنقول لهم أن جوابكم هذا كان ضغناً على ابالة ، وزاد مذهبكم شناعة ، فإنكم لم تكتفوا بأن سلبتموه صفة الكلام حتى سلبتم عنه قبوله للصفة ، وأنه ليس أهلاً للاتصاف بها ، وأي نقصان أعظم من هذا وقد سويتموه بالجمادات التي ليس من شأنها الكلام ، وإيهما أكمل في رأيكم هذا ؟ الجهاد الذي ليس قابلاً للكلام أم الأخرس من الانسان ، لا شك أن الأخير أكمل بسديهة العقل ، ولكنكم جحدم أوصاف الكمال ومنها الكلام ، فراراً من تشبيه الله بالانسان ، فوقعتم في شر. مما فررتم منه حيث شبهتموه بالجمادات الناقصة التي ليس من شأنها أن تسمع وتبصر وتعلم وتقدر وتريد وتتكلم . وهذا من أعظم الخذلان الذي رماكم الله به حتى كشف عوراتكم وفضح سرائركم ، حتى أصبحت مذاهبكم مضحكة للصبيان ، لما فيها من التخليط والهذيان والكذب والبهتان .

فصل في إلزامهم بالقول بأن كلام الخلق ، حقه وباطله ، عين كلام الله سبحانه

أو ليس قد قام الدليل بأن أفعـ
من ألف وجه أو قريب الألف يخصيـ
فيكون كل كلام هذا الخلق
اذ كان منسوبا اليه كلامه
هذا ولازم قولكم قد قاله
حذر التناقض اذ تناقضتم ولكـ
فلئن زعمتم أن تخصيص القرأ
فيقال ذا التخصيص لا ينفي العمو
ويقال رب العرش أيضاً هكذا

العباد خليفة الرحمن
ها الذي يعني بهذا الشأن
عين كلامه سبحانه ذي السلطان
خلقا كبيت الله ذي الأركان
ذو الاتحاد مصرحاً ببيان
من طرده في غاية الكفران
ن كبيته وكلاهما خلقان
م كـرب ذي الأكوان
تخصيصه لأضافة القرآن

لا يمنع التعميم في الباقي وذا في غاية الايضاح والبيان
الشرح: وهذا الزام آخر يوجهه المؤلف الى هؤلاء النفاة الذين نفوا صفة
الكلام عن الله عز وجل، وزعموا أن كلامه هو ما يخلقه في غيره منفصلاً عنه،
فيقال لهم: قد قامت الأدلة المتكاثرة التي تبلغ الف دليل أو قريباً منها، على أن
جميع أفعال العباد مخلوقة لله، ولا شك أن كلامهم من جملة هذه الأفعال،
فيكون مخلوقاً لله أيضاً، فإذا صح زعمكم في أن كلام الله هو ما يخلقه في غيره،
وأن نسبته اليه هي نسبة المخلوق الى خالقه لا نسبة الصفة الى موصوفها، كنسبة
البيت صاحب الأركان، يعني الكعبة، اليه لزم ان يكون كل كلام هذا الخلق،
حقه وباطله جده وهزله، عين كلامه سبحانه، فإنه يصدق عليه التعريف الذي
عرفتم به كلام الله حيث قلتم هو ما يخلقه في غيره منفصلاً عنه، وهذا اللازم في
غاية الفساد والبطلان وقد صرح به الاتحادية أصحاب مذهب وحدة الوجود
بزعامة الزنديق ابن عربي وفي ذلك يقول شاعرهم:

وكل كلام في الوجود كلامه سواء علينا نثره ونظامه

وذلك خوف الوقوع في التناقض حيث كان مذهبهم قائماً على أنه ليس ثم الا
وجود واحد، وأن هذه الموجودات التي من جللتها الانسان انما هي صور
ومظاهر لهذا الوجود، فيكون الكلام الصادر من بعض هذه المظاهر هو كلامه،
اذ ليس ثمة غيره، وهكذا طرد الاتحادية هذا اللازم والتزموا فوقوعوا في غاية
الكفر والتعطيل والحمد لله رب العالمين.

فإن زعم النفاة ان تخصيص القرآن بالاضافة اليه هو كتخصيص البيت بها مع
أن كلا منها مخلوق فلا يلزم أن يكون كل ما خلقه الله من الكلام في غيره
تجاوز اضافته اليه، على أنه كلامه، كما لا يلزم أن يكون كل ما خلقه الله من
الابنية يضاف اليه على أنه بيته، فالجواب أن هذا التخصيص لا ينفي العموم،
الا ترى أنه يجوز لك أن تقول رب العرش على سبيل التخصيص، ثم تقول رب
الأكوان التي من جللتها العرش على جهة التعميم، فكذلك تخصيصه سبحانه

لأضافة القرآن اليه لا يمنع التعميم في الباقي، أي فيما وراءه من الكلام، وذلك أمر في غاية الظهور والبيان.

★ ★ ★

فصل

في التفريق بين الخلق والأمر

ولقد أتى الفرقان بين الخلق وال
وكلاهما عند المنازع واحد
والعطف عندهم كعطف الفرد من
فيقال هذا ذو امتناع ظاهر
فالله بعد الخلق أخبر أنها
وأبان عن تسخيرها سبحانه

أمر الصريح وذاك في الفرقان
والكل خلق ما هنا شيان
نوع عليه وذاك في القرآن
في آية التفريق ذو تبيان
قد سخرت بالأمر للجريان
بالأمر بعد الخلق بالتبيان

الشرح: ومما يرد به أيضاً على هؤلاء القائلين بخلق القرآن أن الله عز وجل فرق في كتابه بين الخلق والأمر، فقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ، يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا، وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤] فقد عطف الأمر على الخلق ولا شك أن العطف مؤذن بمغايرة المعطوف للمعطوف عليه - فان قال المنازع أن الخلق والأمر شيء واحد ليس بينها تغاير وأن عطف الأمر على الخلق هو من قبيل عطف الخاص على العام أعني من قبيل عطف فرد من أفراد النوع عليه كما في قوله تعالى: ﴿تُنزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾ [القدر: ٤]

ولا شك أن الروح فرد من أفراد الملائكة - قلنا هذا النوع من العطف وأن كان جائزاً في غير هذا الموضع الا انه في هذه الآية ظاهر الامتناع، فإن الله عز وجل أخبر عن خلقها أولاً لأن قوله: والشمس والقمر والنجوم عطف على

السموات الذي هو مفعول خلق، ثم أخبر بعد ذلك أنه سخرها بالأمر في قوله مسخرات بأمره ثم قال عقب ذلك الا له الخلق والأمر فدل ذلك على أن الخلق غير الأمر وأنها بعد الخلق سخرت بالأمر، وهذا أمر من الوضوح بمكان.

★ ★ ★

والأمر اما مصدر أو كان مفعول	ولا هما في ذاك مستويان
مأموره هو قابل للأمر	كالمصنوع قابل صنعة الرحمن
فإذا انتفى الأمر انتفى المأمور	كالمخلوق ينفي لانتفا الحدثن
وانظر الى نظم السياق تجد به	سرا عجيباً واضح البرهان
ذكر الخصوص وبعده متقدما	والوصف والتعميم في ذا الثاني
فأتى بنوعي خلقه وبأمره	فعلا ووصفا موجزاً ببيان
فتدبر القرآن ان رمت الهدى	فالعام تحت تدبر القرآن

الشرح: قد يقول المنازع في المغايرة بين الخلق والأمر ان الأمر هنا مصدر بمعنى المأمور، كما يقال الخلق بمعنى المخلوق، ولا شك أن المأمور لا يكون الا مخلوقاً فلا يلزمه التغاير بين الخلق والأمر، فنقول له سواء جعل الأمر هنا مصدراً بمعنى أحد الأوامر، او كان مفعولاً فهما سواء في مغايرتهما للخلق والمخلوق، فإن المأمور هو القابل للأمر كالمصنوع لقابل الصنعة، وعلى هذا فالمأمور فرع الأمر، فإذا لم يكن ثمة أمر فلا مأمور كما أن المخلوق الذي هو فرع الخلق ينتفي لانتفاء الحدثن يعني الخلق، فتبين أن الخلق غير الأمر كما أن الفعل غير المفعول، والأمر ينشأ عنه المأمورات والشرائع، وأما الخلق فتنشأ عنه المخلوقات كلها.

وأعلم أن الناظر في سياق الآية الكريمة يجد سرا عجيبا، فإن الله عز وجل ذكر خلقه للسموات والأرض على وجه الخصوص، ثم ذكر تسخير الشمس والقمر والنجوم بأمره على وجه الخصوص أيضاً، وصرح فيهما بالفعل، ثم أتى بعد ذلك بالخلق والأمر وصفين على جهة التعميم في قوله: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ

والأمر ﴿ [الأعراف: ٥٤] فيكون سبحانه قد جمع بين نوعي الخلق الفعلي والوصفي، وبين نوعي الأمر كذلك في أبلغ عبارة وأوجز بيان، فما أجدر طالب الهدى أن يتدبر كتاب الله عز وجل فان العلم كله في تدبر القرآن؟

فصل

في التفريق بين ما يضاف الى الرب تعالى من الاوصاف والأعيان

والله أخبر في الكتاب بأنه	منه ومجروح، (من) نوعان
عين ووصف قائم بالعين فا	لاعيان خلق الخالق الرحمن
والوصف بالمجروح قام لأنه	أولى به في عرف كل لسان
ونظير ذا أيضاً سواء ما يضا	ف اليه من صفة ومن أعيان
فاضافة الأوصاف ثابتة لمن	قامت به كإرادة الرحمن
واضافة الاعيان ثابتة له	ملكاً وخلقاً ما هما سيان
فانظر إلى بيت الآله وعلمه	لما أضيفا كيف يفترقان
وكلامه كحياته وكعلمه	في ذي الاضافة اذ هما وصفان
لكن ناقته وبيت إلهنا	فكعبده أيضاً هما ذاتان
فانظر الى الجهمي لما فاته ال	حق المبين وواضح البرهان
كان الجميع لديه باباً واحداً	والصبح لاح لمن له عينان

الشرح: يريد المؤلف في هذا الفصل أن يفرق بين ما كان من الأعيان مخبراً عنه أنه من الله وبين ما كان من الأوصاف كذلك، وان يفرق أيضاً بين ما كان من الأعيان مضافاً الى الله وبين ما كان من الأوصاف كذلك، فيقول أن الله قد أخبر في القرآن بأن القرآن منه كما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ ﴾ [النحل: ١٠٢]. وقوله: ﴿ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

[فصلت : ٢] وقوله : ﴿ تنزِيلَ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ [غافر : ٢] وهذا المخبر عنه بأنه من الله على نوعين ، لأنه أما أن يكون عينا من الاعيان أو وصفا قائما بالعين فإن كان عينا فمعنى كونه من الله انه هو خالقه سبحانه كما في قوله تعالى : ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ [النساء : ٧٩] وقوله : ﴿ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ [النساء : ٧٨] وقوله : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ ﴾ [الجاثية : ١٣] وقوله تعالى عن عيسى عليه السلام : ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾ [النساء : ١٧١] والآيات كثيرة في هذا الباب .

وان كان وصفا فمعنى كونه من الله انه صفة له كما في الآيات السابقة التي أخبر الله فيها عن القرآن بأنه منه ، وهذا معنى قول المؤلف : والوصف بالمجرور قام ، يعني أن ما أخبر عنه بمن أن كان وصفا فهو قائم بالمجرور بها لأنه أحق به في عرف أهل اللغات جميعا .

ومثل ذلك تماما يقال فيما يضاف الى الله عز وجل ، فان كان عينا مثل بيت الله وناقة الله وعباد الرحمن ، فنسبته اليه ثابتة خلقا وملكا ، وتكون اضافته للاختصاص والتشريف . وأما ان كان وصفا كعلم الله وقدرته وارادته وكلامه وحياته ، فهذه الاضافة تقتضي قيامها بالله وانه موصوف بها ، وتدبر هذا الفرق بين قولك بيت الله وعلم الله ، فان كلا منها يضاف الى الله ولكن لما كانت اضافة الأول اضافة ذات دلت على أنه مخلوق ، ولما كانت اضافة الثاني اضافة معنى دلت على أنه صفة للمضاف اليه ، ولهذا لما اهتدى السلف لهذا الفرق هدوا الى الصراط المستقيم ، ولما ضل عنه الجهمي الزائغ جعل الجميع بابا واحداً ، ولم يفرق بين الأوصاف والأعيان ، فوقع في الضلال والبهتان .

★ ★ ★

وأتى ابن حزم بعد ذاك فقال ما للناس قرآن ولا اثنان بل أربع كل يسمى بالقرأ ن وذاك قول بين البطلان

هذا الذي يتلى وآخر ثابت
والثالث المحفوظ بين صدورنا
والرابع المعنى القديم كعلمه
وأظنه قد رام شيئاً لم يجد
أن المعين ذو مراتب أربع
في العين ثم الذهن ثم اللفظ
وعلى الجميع الاسم يطلق لكن
بخلاف قول ابن الخطيب فإنه

الشرح: جاء بعد ذلك ابن حزم الظاهري الأندلسي المتوفي سنة ٤٥٦هـ.
فزعم أنه ليس هناك قرآن واحد ولا قرآنان، ولكن هناك أربع قرآنيات كل
منها يصح أن يقال له قرآن، إلا أن منها ثلاثة مخلوقة، وهي المتلو بالألسنة
والمكتوب في المصحف والمحفوظ في الصدر. وأما الرابع وهو المعنى القائم بذاته
تعالى فقديم كعلمه، والظاهر أن ابن حزم أراد بكلامه هذا أن القرآن المعين
الواحد بالشخص له مراتب أربعة من الوجود.

أولها وجوده في الأعيان، أي في الوجود الخارجي وهو القرآن القائم بذاته
تعالى.

وثانيها وجوده في الذهن. وثالثها وجوده في اللفظ. ورابعها وجوده في
الرسم. يعني الكتابة، وهو في كل مرتبة من هذه المراتب يطلق عليه اسم القرآن،
لكن أولها بهذا الاسم الموجود في الأعيان، وخالفه في هذا فخر الدين الرازي
فقال: أن لفظ القرآن إنما هو موضوع للموجود في الأذهان، ولا شك أن هذا
الذي قاله ابن حزم هو قول الكلائية والأشعرية مع فاروق بسيط، وهو أن ابن
حزم يسمي هذا المتلو المحفوظ المكتوب قرآناً، وأما الكلائية والأشعرية فيقولون
أنه عبارة أو حكاية عنه كما سبق، وإن كان متفقاً معهم في القول بأنه مخلوق.

فالشئ شيء واحد لا أربع فدهي ابن حزم قلة الفرقان
والله أخبر أنه سبحانه متكلم بالوحي والفرقان
وكذاك أخبرنا بأن كتابه بصدور أهل العلم والإيمان
وكذاك أخبر أنه المكتوب في صحف مطهرة من الرحمن
وكذاك أخبر أنه المتلو والمقـ روء عند تلاوة الانسان
والكل شيء واحد لا أنه هو أربع وثلاثة واثنان

الشرح: يرد المؤلف على سخافة ابن حزم في قوله بتعدد القرآن تبعاً لتعدد المحال التي يوجد فيها وموافقته للكلائية والمعتزلة في أن القرآن اللفظي المقروء بالألسنة والمكتوب في المصاحف والمحفوظ في الصدور مخلوق، يرد عليه بأن القرآن في نفسه شيء واحد، هو ما تكلم الله عز وجل به بصوت نفسه، وسمعه منه أمين الوحي جبريل عليه السلام، فإذا آداه جبريل بعد ذلك الى محمد ﷺ ثم آداه محمد إلى أمته وأمر بكتابته في المصاحف وحفظه في صدور أهل الحفظ من أصحابه لم يخرج في هذه الأحوال كلها عن كونه كلام الله عز وجل فإن الكلام إنما ينسب إلى من قاله مبتدئاً لا إلى من بلغه مؤدياً، فالقرآن كلام الله على أي نحو كان من أنحاء الوجود ومراتبه، فمهما تلاه القارئون أو حفظه الحفظة أو رقمه الكاتبون، فهو كلام الله على الحقيقة، منزل غير مخلوق، ليس المتلو قرآنا آخر غير ما تكلم الله به، ولا المحفوظ غير المتلو، ولا المرقوم غير المحفوظ، بل هو هو بعينه في جميع ذلك، وهذا أمر ظاهر لا تجوز فيه المكابرة. ولهذا أخبر الله عن القرآن خبراً واحداً في أحواله كلها، فأخبر أنه كلامه وتنزيله، وأنه آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم، وأنه مكتوب في صحف مطهرة بأيدي سفرة كرام بررة. وأخبر أنه هو المقروء المتلو عند تلاوة الانسان، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾ [الأعراف: ٢٠٤] وقوله ﴿فَاجِرُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] وقوله ﴿فَاقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ [المزمل: ٢٠] الخ الآيات، والكل شيء واحد لا هو أربعة ولا ثلاثة ولا

أثنان، وإنما أتى ابن حزم من جهله بالترفة بين المتلو والتلاوة، وبين المكتوب والكتابة، فقال ما قال مما يبرأ منه أهل الإيمان.

★ ★ ★

وتلاوة القرآن أفعال لنا
لكنما المتلو والمكتوب وال
والعبد يقرؤه بصوت طيب
وكذاك يكتبه بخط جيد
أصواتنا ومدادنا وأدائنا
ولقد أتى في نظمه من قال قو
أن الذي هو في المصاحف مثبت
هو قول ربي آية وحروفه
فشفى وفرق بين متلو ومصن
وكذا الكتابة فهي خط بنان
محفوظ قول الواحد الرحمن
وبضده فهما له صوتان
وبضده فهما له خطان
والرق ثم كتابة القرآن
ل الحق والانصاف غير جان
بأنامل الأشياخ والشبان
ومدادنا والرق مخلوقان
وع وذاك حقيقة العرفان

الشرح: يقصد المؤلف بهذه الآيات أن يرد على شبهة قد تعلق ببعض الأذهان، وهي أنه كيف يكون هذا المتلو بالألسنة، أو المكتوب في المصاحف كلام الله غير مخلوق، مع أن القاريء يحدثه بصوته وينطق به حروفاً وألفاظاً، وكذلك الكاتب يرقمه بالمداد في الرق، فهو يحدثه ببنانه وقلمه.

والجواب عن هذه الشبهة هو أنه يجب أن نفرق بين التلاوة والمتلو، وبين الكتابة والمكتوب، فكل من التلاوة والكتابة فعل العبد وهو مخلوق، وأما المتلو والمكتوب والمحفوظ فهو كلام الله وقوله جل شأنه، ولهذا تختلف القراءة تجويداً ولحناً، وتختلف أصوات القارئين قباحة وحسناً، ولكن المقروء لا يختلف وكذلك تختلف الكتابة بين خط جيد وآخر رديء والمكتوب واحد، فأصوات القارئين ومداد الكاتبين وأقلامهم والأوراق التي يكتبون عليها وفعلمهم الكتابة، كل ذلك أفعال للعباد مخلوقة، وأما المثبت في المصاحف بأنامل الأشياخ والشبان فهو كلام

الله وقوله بآياته وحروفه، فالمعرفة الحققة تقتضي التفرقة بين المتلو الذي هو كلام الله وبين المصنوع الذي هو من فعل العبد.

★ ★ ★

الكل مخلوق وليس كلامه	المتلو مخلوقاً هنا شيئان
فعليك بالتفصيل والتمييز فالأ	طلاق والاجمال دون بيان
قد أفسدنا هذا الوجود وخطأ الـ	أذهان والآراء كل زمان
وقلاوة القرآن في تعريفها	باللام قد يعني بها شيئان
يعني به المتلو فهو كلامه	هو غير مخلوق كذي الأكوان
ويراد أفعال العباد كصوتهم	وأدائهم وكلاهما خلقان

الشرح: يعني أن كل ما ذكر مما هو من فعل العبد وصنعه، كصوت القارئ وكتابة الكاتب وما يستخدمه في كتابته من مداد وورق وأقلام فهو مخلوق، وأما كلامه هو سبحانه المتلو بتلك التلاوة أو المكتوب بتلك الكتابة فليس مخلوقاً، فيجب أن تفرق وتميز بين الأمرين، وأن لا تحكم حكماً أجمالياً مطلقاً دون تفصيل فإنه ما أفسد هذا الوجود وأوقع الشجار والنزاع بين الطوائف وأضل العقول والأفكار إلا عدم التفصيل والبيان، والتحديد لمعاني الألفاظ المجملة التي قد يقع في معانيها احتمال واشتباه. وبعض هذه المعاني يكون صحيحاً مراداً، وبعضها يكون فاسداً غير مراد، فتتشبث طوائف المتبدعة بتلك المعاني الفاسدة، وتفسر الألفاظ بها فتقع في الضلال، ولهذا كان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يعني بتحديد معاني الألفاظ عند مناقشته لفرق الزيغ والضلال، ويطلبهم بتحديد مرادهم منها. وهذا تلميذه النابغة يوصي بما أوصى به شيخه، مبيناً أن الفساد كله إنما ينشأ عن الأطلاق والاجمال، ففي المسألة التي معنا لا يجوز مثلاً أطلاق القول بأن القرآن مخلوق أو غير مخلوق، بل يجب التفصيل، فإن كان المراد بالقرآن نفس الفاظ القارئ وصوته وأداءه، فذلك ولا شك مخلوق، وأما ان كان المراد به المتلو المؤدى، فهذا كلام الله غير مخلوق.

وكذلك لفظ التلاوة، إذا عرف باللام كان محتملاً لمعنيين أن يراد به المتلو فيكون غير مخلوق كهذه الأكوان المخلوقة، وقد يراد به أفعال العباد من أدائهم وأصواتهم، فهذا مخلوق.

★ ★ ★

هذا الذي نصت عليه أئمة الـ	أسلام أهل العلم والعرفان
وهو الذي قصد البخاري الرضي	لكن تقاصر قاصر الأذهان
عن فهمه كتقاصر الأفهام عن	قول الإمام الأعظم الشيباني
في اللفظ لما أن نفى الضدين	عنه وأهتدى للنقي ذو عرفان
فاللفظ يصلح مصدراً هو فعلنا	كتلفظ بتلاوة القرآن
وكذاك يصلح نفس ملفوظ به	وهو القرآن فذان محتملان
فلذاك أنكر أحد الأطلاق في	نفي وأثبت بلا فرقان

الشرح: يعني أن هذا الذي ذكره من التمييز بين التلاوة والمتلو، وبين الكتابة والمكتوب، هو الذي نصت عليه أئمة الهدى أهل العلم الصحيح والمعرفة الحقة، وهو الذي قصد اليه الإمام البخاري الرضي العقيدة والإيمان، ولكن بعض قصار النظر ممن قلت درايتهم بهذه الشئون تقاصروا عن فهم كلامه، ولم يفتنوا الى ما قصده بهذا التفصيل من رفع الإيهام وازالة الالتباس، وخشوا أن يتخذ الجهمية والمعتزلة من كلامه سلماً إلى ما يريدون من اثبات أن القرآن مخلوق، وقد جرت بين الإمام البخاري وبين أحمد بن يحيى الذهلي محنة مشهورة سببها سوء فهم الأخير لكلام البخاري وقصده، كما تقاصرت الأفهام أيضاً عن قول الإمام أحمد لما سئل: هل لفظي بالقرآن مخلوق أو غير مخلوق؟ فقال: لا أقول مخلوق ولا غير مخلوق، فأنكروا عليه نفي الضدين عنه وأهتدى أولو المعرفة الى سر ذلك النفي وحكمته، وذلك أن كلمة اللفظ من الكلمات المجملة التي لا يجوز الحكم عليها بنفي أو إثبات قبل التفصيل ومعرفة المراد منها، فإنها تصلح أن تكون مصدراً بمعنى التللفظ، وهي بهذا المعنى فعل العبد مخلوق.

وتصلح أن يراد منها نفس الملفوظ به وهو القرآن، فهذان المعنيان محتملان
فلذلك أنكر أحد رضي الله عنه الاطلاق في الاثبات والنفي قبل التفصيل
والبيان الذي يحصل به التمييز بين المعنيين ومعرفة المراد منها.

فصل

في كلام الفلاسفة والقرامطة في كلام الرب جل جلاله

وأتى ابن سينا القرمطي مصانعا
فراه أيضاً فاض من عقل هو الـ
حتى تلقاه زكي فاضل
فأتى به للعالمين خطابة
ما صرحت أخباره بالحق بل
للمسلمين بافك ذي بهتان
فعال علة هذه الأكوان
حسن التخيل جيد التبيان
ومواعظاً عريت عن البرهان
رمزت إليه اشارة لمعان

الشرح: بعد أن بين المؤلف آراء طوائف المتكلمين من معتزلة وجهمية
وكلاية وأشعرية وكرامية واقترانية في كلام الله عز وجل، وعقب عليها ببيان
مذهب السلف القويم أراد تنميماً للفائدة، واستيعاباً للآراء أن يبين مذهب
الفلاسفة في هذه المسألة، والفلاسفة جمع فيلسوف وهي كلمة يونانية مركبة من
كلمتين، فيلو: معناها محب، وسوفي، ومعناها العلم أو الحكمة، فيكون معنى
الفيلسوف محب الحكمة، ومعنى الفلسفة محبة الحكمة.

وقد اشتهر بالفلسفة قديماً في أثينا من بلاد اليونان أفلاطون وأرسطو وأشتهر
بها في الاسلام الفارابي وابن سينا، وقد ترجمت كتب الفلسفة الى العربية في عهد
المأمون الخليفة العباسي ومن بعده، وقد اختلف في تحديد معنى الفلسفة وأشهر
الأقوال أنها البحث عن العلل والمبادئ الأولى للموجودات وأدراك الحقائق
الثابتة للأشياء بقدر الطاقة البشرية. ولم يضع فلاسفة المسلمين فلسفة جديدة،

ولكنهم كانوا يؤمنون بالفلسفة اليونانية ايمانا عميقا ، وينزلونها من نفوسهم منزلة الوحي المعصوم ، ولما كانت هذه الفلسفة تناقض قواعد الشريعة مناقضة صريحة فقد تظاهر هؤلاء الفلاسفة بأن غرضهم هو التوفيق بين الفلسفة والدين ، لأن كلا منهما حق في زعمهم والحق لا يتناقض ، ولكنهم في حقيقة أمرهم كانوا زنادقة ملحدين ولهذا تراهم يجعلون مبادئ الفلسفة هي الأصل ويحاولون أن يجروا الدين اليها ويخضعوه لقواعدها ، وإذا هم أظهروا شيئا من الأحرار للنصوص ، فإنما يفعلون ذلك مصانعة للمسلمين . ويدلك على مبلغ زندقة هؤلاء الفلاسفة وبعدهم عن الدين ما ذهب اليه مقدمهم وحامل لوائهم وهو ابن سينا القرمطي في كلام الله عز وجل فهو يرى أنه فيض من العقل الفعال الذي هو العقل العاشر عندهم ، ويسمونه عقل القمر وينسبون اليه جميع الحوادث في عالم العناصر ، فهو الذي يفيض الصور على الموجودات ، ويهب الحياة للأحياء ويفيض العلوم والمعارف على العقول الانسانية .

ويصور ابن سينا هذا الفيض بأن نفس النبي لشدة صفائها تكون كالمرآة المجلوة فتنعكس المعاني من العقل الفعال عليها وتنطبع فيها ، ثم أن القوة المتخيلة للنبي تتلقى هذه المعاني المجردة فتجسمها في حروف وألفاظ ، ولما كان خيال النبي ﷺ في غاية القوة فإنه يخيل اليه أنه يرى شخصا خارجا ويسمع كلاما ، وليس هناك في الحقيقة شخص ولا كلام مسموع من خارج ، وإنما هو صوت ينبعث من داخل نفسه ، وهكذا ينزل القرآن على النبي معاني مجردة من العقل الفعال وهو لقوة بيانه وفصاحته يلبس هذه المعاني ألفاظا من تأليفه ، ولهذا جاء به كتاب خطابة ومواعظ وليس كتاب عقل وبرهان ، فهو إنما ينفع في اقتناع العامة والتأثير عليهم ولكنه في رأي هذا الملحد وأضرابه لا يصلح للخاصة الذين يطلبون البرهان وهو في رأيه أيضا لم يصرح بالحق الذي يجب اتباعه ولكنه رمز اليه مجرد اشارة لمعان .

يقول ابن سينا في رسالته العرشية « فوصفه بكونه متكلم لا يرجع الى ترديد العبارات ولا الى أحاديث النفس ، والفكرة المتخيلة المختلفة التي العبارات دلائل

عليها بل فيضان العلوم منه على لوح قلب النبي ﷺ بواسطة القلم النقاش الذي يعبر عنه بالعقل الفعال والملك المقرب. أهـ. كلامه » .

فالكلام عبارة عن العلوم الخاصة للنبي ﷺ والعلم لا تعدد فيه ولا كثرة: ﴿ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَّمَحٍ بِالبَصَرِ ﴾ [القمر : ٥٠] بل التعدد أما أن يقع في حديث النفس أو الخيال والحس فالنبي ﷺ يتلقى علم الغيب من الحق بواسطة الملك وقوة التخيل تتلقى تلك وتتصورها بصورة الحروف والأشكال المختلفة وتجد لوح النفس فارغاً فتنتقش تلك الصور والعبارات فيه فيسمع منها كلاماً منظوماً، ويرى شخصاً بشرياً فذلك هو الوحي لأنه القاء الشيء إلى النبي بلا زمان، فيتصور في نفسه الصافية صورة الملقى والملقي، كما يتصور في المرآة المجلوبة صورة المقابل فتارة يعبر عن ذلك المنتقش بالعبرة العبرية وتارة بعبرة العرب فالمصدر واحد والمظهر متعدد، فذلك هو سماع كلام الملائكة ورؤيتها وكلما عبر عنه بعبرة واقترنت بنفس الصور فذلك هو آيات الكتاب، وكلما عبر عنه بعبرة نقشية فذلك هو أخبار النبوة » .

هكذا يحاول ابن سينا أن يرجع أمر الوحي والنبوة إلى قوة التخيل في نفس النبي زاعماً أنه يرى صوراً ويسمع أصواتاً من داخل نفسه لا من الخارج، ولا شك أنه في كلامه هذا جار على قواعد الفلسفة في مناقضة الشريعة وأبطال النصوص الصريحة الدالة على أن الرسول كان يوحى إليه أما بتكليم الله عز وجل مباشرة، وأما بواسطة ملك من الملائكة منفصل عنه كما دلت عليه آية [الشورى : ٥١] ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بآيَاتِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيُّ حَكِيمٌ ﴾ .

★ ★ ★

وخطاب هذا الخلق والجمهور بالحق
لا يقبلون حقائق المعقول الا
ومشارب العقلاء لا يردونها
ق الصريح فغير ذي امكان
في مثال الحس والأعيان
الا إذا وضعت لهم بأوان

من جنس ما ألفت طباعهم من الـ محسوس في ذا العالم الجثمان
فأتوا بتشبيهه وتمثيل وتجـ سيم وتخيل إلى الأذهان
ولذاك يجرم عندهم تأويله لكنه حل لذي العرقان
فإذا تأولناه كان جناية منا وخرق سياج ذا البستان

الشرح: هذا أستطرد من المؤلف في ذكر بعض من مفتريات هؤلاء المتفلسفة بعد بيان مذهبهم الباطل في كلام الله عز وجل فهم يزعمون أن الرسل صلوات الله عليهم وسلامه لم يخاطبوا الجمهور بالحق الواضح الصريح فإن خطابهم بذلك غير ممكن إذ أن مداركهم قاصرة عن فهم الحقائق العقلية المجردة، فلا بد من سوقها اليهم في مثل مشاهدة وصور عينية محسوسة حتى يطبقوا فهمها وهم بمعزل عن أن يردوا منابع الحكمة الصافية التي هي موارد العقلاء الا إذا وضعت لهم في أوان (جمع اناء) يكون من جنس ما اعتادوه وألفته طباعهم في عالم المحسوسات ولذلك أتاهم الرسل بما يلائم طباعهم ومداركهم، من كلام كله تشبيه وتمثيل، وتجسيم وتخيل، فصوروا لهم الحق تبارك وتعالى بصورة من يقدر ويريد ويقول ويتكلم، ويسمع ويبصر، ويجيء وينزل، ويضحك ويعجب، وجعلوا له يدا وقدا ووجها وجبينا .

وكذلك صوروا نعم الآخرة وعذابها بصورة محسوسة مألوفة للجمهور، فجعلوا في الجنة حورا وولدانا، وفاكهة ونخلا ورمانا، وفي النار سعيراً ولهباً، وعنائاً ونصباً، وحيات وعقارب الخ، ومن أجل أن الجمهور لا يستطيع فهم هذه الحقائق والمعاني المجردة الا بواسطة هذه الأشياء المحسوسة المتخيلة يجرم تأويله لهم، لأنهم لا يطبقون فهم هذه التأويلات فيقعون في الضلال، ويبادرون الى الانكار، وأما الخاصة من أهل الفلسفة والحكمة، فان تأويله لهم بما يبعد عنه هذه التشبيهات والتمثيلات، والصور المادية المحسوسة حلال، بل واجب لأنهم يستطيعون ادراك المعاني المجردة المقصودة من وراء هذه الألفاظ، وأما إذا تأولناه للعامة فقد جنينا عليهم وعلى الدين جناية كبرى، وخرقنا سياج بستان الحقائق الذي يجب أن يظل وقفا على الخاصة وحدهم، ويمنع العامة من ولوجه .

هذا ما يزعمه الفلاسفة. ومن العجيب أن يجاري عالم مسلم لقب بحجة الاسلام واشتغل بالرد على هؤلاء المتفلسفة، وهو الغزالي، هؤلاء الضلال في تلك الضلالة فيبيح التأويل للخاصة ويمنع منه العامة، ويؤلف في ذلك كتابا يسميه (الجام العوام عن علم الكلام) ولو أنصف نفسه لكانت عنده أحق بهذا اللجام من سائر الأنام والله في خلقه حكمة لا ترام.

★ ★ ★

لكن حقيقة قولهم ان قد اتوا	بالكذب عند مصالح الانسان
والفيلسوف وذا الرسول لديهم	متفاوتان وما هما عدلان
أما الرسول فيفيلسوف عوامهم	والفيلسوف نبي ذي البرهان
والحق عندهم ففما قاله	اتباع صاحب منطق اليونان
ومضى على هذه المقالة أمة	خلف ابن سينا فاغتذوا بلبان
منهم نصير الكفر في أصحابه	الناصرين للملة الشيطان
فأسأل بهم ذا خبرة تلقاهم	أعداء كل موحد رباني
وأسأل بهم ذا خبرة تلقاهم	اعداء رسل الله والقرآن

الشرح: يعني أن حقيقة قول هؤلاء المتفلسفة أن الرسل لم يخاطبوا العامة بالحق الصريح. وأنهم انما جاءوا به في اثواب مزورة مموهة هو نسبة هؤلاء الرسل عليهم الصلاة والسلام إلى الكذب، ولكنهم يقولون انهم كذبوا للمصلحة، لأن غرضهم هو تنظيم أحوال العامة واصلاح معاشهم، ولا شك أن هذا منهم كفر بالرسل وبالشرائع وقدح في العصمة الواجبة للأنبياء.

ومن كفرهم أيضاً أنهم يجعلون الفيلسوف فوق منزلة الرسول، ويقولون أن الرسل انما بعثوا للعامة، فهم فلاسفة العوام، ولكن الفيلسوف هو نبي أصحاب العقول من الخاصة الذين يطلبون الحقائق بالبراهين. والحق عندهم فيما قاله أرسطو صاحب المنطق وأتباعه من المشائين، لا فيما قاله رسل رب العالمين.

هذا ما قاله ابن سينا، ذلك الفيلسوف الملحد، ومضت عليه أمة من بعده

اغتذت بلبانه، منهم ذلك المارق المسمى بالخوجة نصير الدين الطوسي، وما كان الا ناصر للكفر والاحاد، وكذلك أصحابه من أنصار ملة الشيطان، فاسأل بهؤلاء خبيراً ينبئك عن عدواتهم لأهل التوحيد ولرسل الله والقرآن.

★ ★ ★

صوفيهم عبد الوجود المطلق المعدوم عند العقل في الأعيان
أو ملحد بالاتحاد يدين لا التوحيد د منسلخ من الأديان
معبوده موطوءه فيه يرى وصف الجمال ومظهر الاحسان
الله أكبر كم على ذا المذهب الـ ملعون بين الناس من شيخان
يبقون منهم دعوة ويقبلو ن أياديا منهم رجا الغفران
ولو أنهم عرفوا حقيقة أمرهم رجوهم لا شك بالصوان
فابذر لهم أن كنت تبغي كشفهم وافرش لهم كفا من الاتبان
وأظهر بمظهر قابل منهم ولا تظهر بمظهر صاحب النكران
وانظر الى أنهار كفر فجرت وتهم لولا السيف بالجريان

الشرح: يعني أن صوفي هؤلاء المارقين، وهو محيي الدين بن عربي وأشياعه من أصحاب وحدة الوجود يعبد وجوداً مطلقاً كلياً، ولا وجود له في الأعيان، وانما هو معنى معقول في الأذهان، وهو كذلك ملحد منسلخ عن الأديان، لأنه يدين بالاتحاد الذي هو اعتقاد أن الله والعالم شيء واحد، وأن الخلق عين الخالق، ولا يدين بالتوحيد الذي بعث الله به أنبياءه ورسله، وهو يزعم أن الله في كل شيء، فيتخذ من جميع مظاهر الوجود معبودات له، وأعظم مظهر عنده مظهر الرب فيه هو المرأة، ولذلك كانت أحق بالعبادة من سائر مظاهر الوجود وحيث يرى فيها وصف الجمال ومظهر الاحسان.

هذه حقيقة هذا المذهب الملعون الذي يدين به هذا الزنديق وأتباعه، وأن تعجب فعجب أن ترى شيوخاً على هذا المذهب الخبيث، والناس يقبلون عليهم ويتبركون بهم ويقبلون منهم الأيدي طمعاً في مغفرة الله، ولو عرفوا حقيقتهم

وانكشف لهم أمرهم لرجوهم بالحجارة الصلبة التي تدمي وجوههم وتمزق جلودهم جزاء كفرهم وشرهم، فإذا أردت أن تعرفهم وتكشف حقيقتهم فلا تبادهم بالانكار، ولكن تلطف معهم وأظهر لهم الطاعة والخضوع، فترى عند ذلك أنهار من الكفر العظيم يفجرونها، ولولا خوفهم من السيوف لنشروها وأذاعوها بين الناس.

فصل

في مقالات طوائف الاتحادية في كلام الرب جل جلاله

وأنت طوائف الاتحاد بلمة	طمت على ما قال كل لسان
قالوا كلام الله كل كلام هذا الـ	خلق من جن ومن انسان
نظماً ونثراً زوره وصحيحه	صدقا وكذبا واضح البطلان
فالسب والشتم القبيح وقذفهم	للمحصنات وكل نوع اغان
والنوح والتعزيم والسحر المبـ	ين وسائر البهتان والهذيان
هو عين قول الله جل جلاله	وكلامه حقا بلا نكران
هذا الذي أدى اليه أصلهم	وعليه قام مكسح البنيان

الشرح: سبق الكلام على مذاهب الاتحادية الذين زعموا أن الوجود واحد وأنه ليس ثم وجودان متغايران، وجود واجب ووجود ممكن، وذكرنا أنهم اختلفوا في هذه الموجودات المتكاثرة، هل هي أجزاء لذلك الوجود الواحد فتكون نسبتها اليه كنسبة أعضاء الجسم الى الجسم، أو كنسبة قوي النفس المختلفة اليها، أو هي أنواع لذلك الوجود وهو كالجنس لها، أو أن تلك الكثرة وهم وخداع من الحس لا حقيقة لها؟ ومهما كان اختلافهم فإن الأصل الذي اتفقوا عليه أن العوالم كلها هي مظاهر وتجليات للرب جل شأنه، وأن وجودها عين وجوده، فلزمهم على هذا الأصل الأعرج الفاسد أن يكون كل كلام في الوجود هو كلامه سبحانه كما قال شاعرهم.

وكل كلام في الوجود كلامه سواء علينا نثره وظامه
وحسبك من مذهب قبحا وشناعة أن يجعل الله عز وجل هو المتكلم بكلام
سائر الخلق من جن وأنس وغيرهما، مع اشتغال هذا الكلام على أنواع من القبائح
والمنكرات لا يعقل صدورها عن الحق جل شأنه، كالزور والكذب، والشتم
والسب، وقذف المحصنات، وأنواع الأغاني بما فيها من فحش وخلاعة،
والنياحة ورقى السحر وتعازيمه، وما إلى ذلك من البهتان والهذيان، فيقول عاقل
أن هذا الكلام الباطل صادر عن الله؟ وهو الذي لا يأمر بالفحشاء، وهو الذي
تمت كلماته صدقا وعدلا لا مبدلا لكلامه، وهو الذي قوله الحق وله الملك،
ولكن هؤلاء الزنادقة من الاتحادية يلزمهم أن يقولوا ذلك بناء على أصلهم
الخبث الذي أقاموا عليه بناءهم المكسح المنهار.

★ ★ ★

اذ أصلهم أن الاله حقيقة	عين الوجود وعين ذي الأكوان
فكلامها وصفاتها هو قوله	وصفاته ما ها هنا قولان
وكذاك قالوا أنه الموصوف بالض	سدين من قبح ومن أحسان
وكذلك قد وصفوه أيضاً بالكما	ل وضده من سائر النقصان
هذي مقالات الطوائف كلها	حملت اليك رخيصة الأثمان
وأظن لو فتشت كتب الناس ما	ألفيتها أبداً بهذا التبيان
زفت اليك فإن يكن لك ناظر	أبصرت ذات الحسن والاحسان

الشرح: يعني أن الأصل والمبدأ الذي اتفق عليه هؤلاء الاتحادية والذي بنوا
عليه كل شناعاتهم أن الاله في الحقيقة هو عين هذا الوجود الظاهر، وهو عين
هذه الأكوان المخلوقة، وحينئذ فيكون كلام هذه المخلوقات وصفاتها هي عين
كلامه وصفاته، اذ كانت هي عينه، ويكون كذلك هو نفسه الموصوف
بالضدين حين يقال هذا حسن وهذا قبيح، اذ ليس ثمة غيره، ويكون أيضاً هو
الموصوف بالكمال وضده وهو النقص، لأنه عين الموصوف بكل منهما، فهو

عندهم يجمع الأضداد والمتقابلات، فهو الرب والعبد والخالق والمخلوق، والمالك والمملوك، والآمر والمأمور، والسيد والمسود، والمكلف والمكلف، والمؤمن والكافر والبر والفاجر بل هو الليل النهار والماء والنار والأرض والسماء الخ. فما أشنع ما رضي هؤلاء لربهم، الذي يزعمون كذبا وزورا أنهم أهل معرفته وولايته، وما أقبح ما رضوا لأنفسهم من الارتقاء في أحضان الجهل والحقاقة.

وهكذا يسوق إلينا المؤلف رحمه الله مقالات الطوائف كلها هذا السوق الرائع، ويحملها إلينا سهلة التناول رخيصة الأثمان، بحيث لم نجد في فهمها من نظمه كذا ولا تعباً، ولم يهوجنا إلى أن نفتش عنها هنا وهناك في بطون الكتب على أننا لو فتشنا كتب أهل النظر جميعاً ما ألفتنا هذه المقالات والمذاهب المذكورة على هذا النحو البديع من الدقة والبيان، فجزاه الله عن قارئيه ومحبي كتبه ومصنفاته خير الجزاء بمنه وكرمه.

خرقوا سياج العقل والقرآن	فاعطف على الجهمية المغل الألي
بل ناد في نادهم بأذان	شرد بهم من خلفهم واكسرهم
مسموع من لغة بكل لسان	أفسدم المعقول والمنقول وال
مسلوب معناه لذي الأذهان	أيصح وصف الشيء بالمشتق الـ
ويصح شكار بلا شكران	أيصح صبار ولا صبر له
ويصح غفار بلا غفران	ويصح علام ولا علم له
والسمع والابصار مفقودان	ويقال هذا سامع أو مبصر
ل وفي اللغات وغير ذي امكان	هذا محال في العقول وفي النقو

الشرح: بعد أن فرغ المؤلف من ذكر مقالات الطوائف في كلام الرب عز وجل وصفاته عطف عليها بالنقض والابطال وبدأ منها بالجهمية نفاة الصفات لأنهم الأصل الذي تفرع عنه كثير من المقالات الفاسدة كما سبق ووصفهم بالمغل يعني المغول وهم التتار، لأن التتار بعد غزوهم للبلاد الإسلامية ودخولهم في

الإسلام كانوا من أنصار التجهم والتعطيل بتأثير وزيرهم نصير الدين الطوسي .
ثم وصفهم ثانياً بأنهم خرقوا سياج العقل والقرآن ، لأن أقوالهم مناقضة للعقل
الصريح ، ومخالفة للنقل الصحيح . وهذا من شأنه أن يغري صاحب الحق بهم
فيحمل عليهم حمة صادقة يشرد بها من خلفهم ، ويكسر بها شرتهم ويصرخ فيهم
منكراً عليهم ما ذهبوا اليه مما خالفوا فيه العقل والنقل واللغة جميعاً بنفي صفات
الله عز وجل فإن العقل يشبتها لأنها صفات كمال يستحيل على الله خلوه عنها
والنقول من الكتاب والسنة مصرحة بشبوتها له ، واللغات كلها متفقة على أن
أطلاق المشتق على شيء يقتضي مأخذ الاشتقاق للموصوف فلا يصح وصف
الشيء بالمشتق ويكون معناه مسلوباً عنه ، بل يجب أن يكون المعنى الذي هو مبدأ
الاشتقاق ثابتاً له ، فإذا قيل فلان صبار دل هذا الاطلاق على ثبوت الصبر له ،
فلا يصح صبار لا صبر له فإنه تناقض ، وكذلك لا يقال شكار الا لموصوف
بالشكر وعلام غفار الا لموصوف بالعلم والغفران ، وكذلك لا يقال سامع أو
مبصر وهو فاقد للسمع والابصار . هذا مما اتفق على استحالة العقل والنقل
وسائر اللغات وهو غير ممكن بحال من الاحوال .

★ ★ ★

فلئن زعمتم أنه متكلم	لكن بقول قام بالانسان
أو غيره فيقال هذا باطل	وعليكم في ذاك محذوران
نفي اشتقاق اللفظ للموجود مع	ناه به وثبوتيه للثاني
أعني الذي ما قام معناه به	قلب الحقائق أقبح البهتان
ونظير ذا أخوان هذا مبصر	وأخوه معدود من العميان
سميت الأعمى بصيراً إذ أخو	ه مبصر وبعكسه في الثاني

الشرح: يرد المؤلف على هؤلاء الجهمية ومن تبعهم من المعتزلة الذين زعموا
أن معنى كونه تعالى متكلماً أنه خالق للكلام في غيره ، فليس الكلام وصفاً له
هو ولكنه وصف للمحل الذي خلقه الله فيه من انسان وغيره . فيقول ان هذا من

أبطل الباطل ويلزمكم فيه محذوران: الأول نفي اللفظ المشتق عنمن قام به معناه ووجد فيه، والثاني اثباته للمسلوب عنه ذلك المعنى، وهذا من قلب الحقائق، وهو أقبح أنواع الكذب، ونظير هذا اذا كان هناك أخوان، أحدهما مبصر والآخر أعمى فاقد لحاسة البصر، فسمى الأعمى بصيراً لأن أخاه كذلك، مع أنه فاقد للمعنى الذي أخذ منه المشتق وهو بصير فيكون قد أطلق المشتق على فاقد لمعناه ومثله يقال في عكس ذلك وهو تسمية الأخ المبصر أعمى لأن أخاه كذلك والحاصل أنه لا يعقل من قولنا متكلم الا من قام به الكلام لا من أوجد في غيره الكلام فإذا أطلق متكلم على من أوجد الكلام في غيره كان في ذلك إطلاقاً للمشتق على من لم يقم به معناه ولم يوجد فيه: وكان في ذلك نفي المشتق عنمن ثبت له معناه ووجد فيه، وهذا تخليط وهذيان لا يليق بانسان.

★ ★ ★

فئن زعمتم أن ذلك ثابت	في فعله كالخلق للأكوان
والفعل ليس بقائم بالهنا	اذ لا يكون محل ذي حدثان
ويصح أن يشتق منه خالق	فكذلك المتكلم الواحداني
هو فاعل لكلامه وكتابه	ليس الكلام له بوصف معان
ومخالف المعقول والمنقول والـ	فطرات والمسموع للانسان
من قال أن كلامه سبحانه	وصف قديم أحرف ومعان
والسين عند الباء ليست بعدها	لكن هما حرفان مقترنان

الشرح: لما أنكر المؤلف على الجهمية والمعتزلة ما زعموه من أنه تعالى متكلم بكلام قائم بغيره، وبين أن ذلك مخالف للعقل والنقل ولما هو معروف في سائر اللغات من أن الوصف بالمشتق يقتضي قيام معناه بالوصوف به لا بغيره أورد على ذلك معارضة من جانب هؤلاء الخصوم بأن ذلك الذي قلناه في معنى متكلم هو ثابت في صفات الافعال مثل خالق ورازق، فان وصف الله عز وجل بهما لم يقتض قيام معناهما من الخلق والرزق به لان كلا منهما فعل حادث، والله ليس

محلا للحوادث، فإذا صح أن يشتق من الخلق الذي ليس قائماً به وصفاً له وهو خالق، فكذلك يصح أن يقال له متكلم بمعنى أنه فاعل لكلامه وكتابه دون أن يكون الكلام وصف معنى له قائماً بذاته وعلى هذا لا يكون مذهبنا مخالفاً للعقل والنقل واللغة كما زعمتم، ولكن الذي يصح أن يحكم عليه بتلك المخالفة للعقل والنقل والفطرة مذهب هؤلاء الاقترانية الذين زعموا أن كلام الله بألفاظه ومعانيه قديم وأن حروفه مجتمعة في الأزل لا ترتيب ولا تعاقب بينها، فالسين من بسم الله تكون مع الباء في النطق لا بعدها متأخرة عنها بل مقارنة لها فارتكبوا بذلك أشنع مخالفة للضرورة القاضية بأن الحروف لا يتصور وجودها ولا النطق بها الا مع التعاقب على نحو ورودها الى الاسماع سواء بسواء.

★ ★ ★

أو قال ان كلامه سبحانه	معنى قديم قام بالرحمن
ما أن له كل ولا بعض ولا أل	عربي حقيقته ولا العبراني
والأمر عين النهي وأستفهامه	هو عين أخبار بلا فرقان
وكلامه كحياته ما ذاك مقد	دور له بل لازم الرحمن
هذا الذي قد خالف المعقول وال	منقول والفطرات للانسان
أما الذي قد قال ان كلامه	ذو أحرف قد رتبت ببيان
وكلامه بمشيئة وإرادة	كالفعل منه كلاهما سيان
فهو الذي قد قال قولاً يعلم ال	عقلاء صحته بلا نكران

الشرح: ومثل هؤلاء الاقترانية في شناعة مذهبهم وفساده طائفة الكلابية والأشعرية الذين زعموا أن كلامه سبحانه هو معنى واحد قديم قائم بذاته لا تعدد فيه، وليس له كل ولا بعض ولا يوصف بأنه عربي ولا عبراني والأمر فيه عين النهي والاستفهام نفس الخبر، وهو وصف للذات لازم لها أزلاً وأبداً كالحياة وليس هو صفة فعل فلا يتعلق بمشيئته تعالى وقدرته. فهذان المذهبان هما اللذان يصح أن يقال أنهما مخالفان للعقل والنقل والفطرة الانسانية.

أما مذهب الذي يقول بأن كلامه تعالى حروف وألفاظ مرتبة، وأنه متعلق بمشيئته وإرادته مثل فعله، فقد قال ما يعلم جميع العقلاء صحته دون أن يتوجه عليه انكار، ولا شك أنه لا ينكر عن المعتزلة قولهم ان كلامه تعالى حروف وألفاظ عربية، وأنه متعلق بالقدرة والمشيئة كسائر الافعال، ولكن موضع الانكار عليهم هو زعمهم أن الكلام ليس صفة لله قائمة به، بل مخلوقا له منفصلا عنه، كما ينكر على الكلاية والاشعرية جعلهم الكلام صفة ذات، وزعمهم أنه ليس بحرف ولا صوت، وفيهم أنه صفة فعل متعلقة بالقدرة والاختيار.

★ ★ ★

أولى وأقرب منه للبرهان	فلأي شيء كان ما قد قلت
أصحاب هذا القول بالعدوان	ولأي شيء دائماً كـفـرتم
بتحقيق وانصاف بلا عدوان	فدعوا الدعاوى وابتجثوا معنى
ان كان ذاك الرفو في الامكان	وارفوا مذاهبكم وسدوا خرقها
ادلوا اليك بحجة وبيان	فاحكم هداك الله بينهم فقد
هم عسكر الايمان والقرآن	لا تنصرن سوى الحديث وأهله
لتكون منصوراً لدى الرحمن	وتحيزن اليهم لا غيرهم

الشرح: بعدما برر الجهمية والمعتزلة مذهبهم في الكلام بقياسه على الفعل وقالوا أن وصفه تعالى بأنه متكلم هو نظير وصفه بأنه خالق أو رازق لا يقتضي ثبوت معناه لله، وشنعوا على مذاهب خصومهم من الكلاية والاشعرية والاقترانية قالوا لخصومهم متسائلين: لأي شيء كان ما قلت أنتم مع ظهور بطلانه أولى من مذهبنا بالقبول وأقرب منه الى الحجة والبرهان، ولأي شيء تكفروننا بهذا القول ظلماً وعدواناً؟ فهل تظنون أن الأمر مجرد دعوى تدعى بلا دليل؟ فاتركوا الدعاوى اذا وتعالوا نحن وأنتم نبحت كلا من مذهبنا ومذاهبكم بحثاً يقوم على التمهيص والانصاف، لا على البغي والعدوان، وبدلاً من أن تشتغلوا

بنقض مذهبنا وأبطاله، فارجعوا الى مذاهبكم وأصلحوا من خللها وسدوا خرقها ان امكنكم ذلك أو استطعتم اليه سبيلا .

هذا هو مضمون ايراد المعتزلة وحثهم على صحة مذهبهم ورجحانه على مذاهب خصومهم، وقد انتدب المؤلف حكما من أهل الحق ليحكم بينهم بعدما أدلوا بما لديهم من حجة وبيان، وأوصاه أن لا ينصر الا السنة وأهلها، وان لا يقول الا بما قاله أهل الحديث، فإنهم جند الإيمان وعسكر القرآن، وأمره أن يتحيز ويميل اليهم لا الى غيرهم من طوائف المبتدعة الضلال ليكون جزاؤه أن ينصره الله بنصره الذي وعد به المؤمنين في قوله ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧] .

★ ★ ★

أهل الكلام وقاده أصلا	فتقول هذا القدر قد أعيا على
أو غيره فهما لهم قولان	أحديهما هل فعل مفعوله
فروا من الأوصاف بالحدثان	والقائلون بأنه هو عينه
تعطيل خالق هذه الأكوان	لكن حقيقة قولهم وصريجة
لكنه ما قام بالرحن	عن فعله اذ فعله مفعوله
مفعول منفصل عن الديان	فعلى الحقيقة ما له فعل اذ ال

الشرح: هذا جواب المؤلف على ايراد المعتزلة الذي أرادوا به تصحيح مذهبهم في الكلام بقياسه على الفعل، وقولهم أن وصفه بمتكلم لا يقتضي قيام الكلام به، كما لا يقتضي وصفه بفاعل قيام الفعل به، وقد استترد المؤلف في الجواب بذكر مذاهب المتكلمين في فعله تعالى، وهل هو عين مفعوله أو غيره، فالقائلون بأنه هو عينه كالجهمية والمعتزلة انما دعاهم الى ذلك فرارهم من القول بقيام الحوادث بذاته، فإن الفعل اذا جعل وصفا له لم يكن الا حادثا، والله ليس محلا للحوادث عندهم، لأن ذلك يستلزم حدوثه، وهذا الأمر مما وافقت فيه

الأشعرية المعتزلة حيث منعوا هم أيضاً قيام الحوادث بذاته، وقالوا أن ما لا يخلو من الحوادث فهو حادث.

وقد قادت هذه القضية الكاذبة كلا من الطائفتين الى أحكام فاسدة فقد التزم المعتزلة لأجلها أن يكون الفعل عين المفعول، وأن يكون كلامه تعالى مخلوقاً له منفصلاً عنه، والتزم الأشاعرة لأجلها نفي الحرف والصوت، ونفي صفات الأفعال من الاستواء والمجيء، والغضب والرضى، والمحبة والسخط، والكرهية والنزول والاتبان الخ.

والتزموا أن يكون الله قد تكلم في الأزل بكلام سمعه موسى، وأنه ناداه ونجاه في الأزل الى غير ذلك مما هذى به الفريقان مما يصادم المعقول والمنقول مصادمة صريحة.

وحقيقة قول هؤلاء المعتزلة والجهمية أن الفعل عين المفعول هو نفي الفعل وتعطيل الخالق عنه، فإنه إذا كان الفعل هو المفعول، ومعلوم أن المفعول مخلوق له منفصل عنه لم يكن له في الحقيقة فعل هو وصف له قائم به، فتفسير الفعل بالمفعول مستلزم لنفيه، وأنه ليس هناك الا المفعول.

★ ★ ★

متنازعون وهم فطائفتان	والقائلون بأنه غير له
بالذات وهو كقدرة المنان	أحداها قالت قديم قائم
اتباع شيخ العالم النعماني	سموه تكويناً قديماً قاله
بل كابرهم ما اتوا ببيان	وخصومهم لم ينصفوا في رده
بالذات قام وانهم نوعان	والآخرون رأوا أمراً حادثاً
حذر التسلسل ليس ذا إمكان	أحداها جعلته مفتوحاً به
ففعاله وكلامه سيان	هذا الذي قالت كرامية

الشرح: وأما القائلون بأن الفعل غير المفعول فقد انقسموا أولاً الى طائفتين

أحداها قالت أنه قديم قائم بالذات لازم لها كالقدرة، ولم يجعلوه متعلقا بمشيئته تعالى وقدرته، وهم الماتريدية أتباع الشيخ أبي منصور الماتريدي من علماء الحنفيين وهذه المسألة مما خالف فيه الماتريدية الأشاعرة رغم ما بين الطائفتين من اتفاق في كثير من مسائل الكلام، فإن المشهور عن الأشاعرة أنهم لا يثبتون الا سبع صفات، يسمونها صفات المعاني، وهي: الحياة والقدرة والارادة والعلم والسمع والبصر والكلام، ويجعلونها كلها قديمة وقائمة بالذات. وأما صفات الأفعال عندهم من الخلق والرزق والاحياء والامانة الخ، فيجعلونها تعلقات تنجزية حادثة للقدرة القديمة، ومن العجب أنهم يقولون أن تعلقات الارادة كلها تنجزية قديمة، فكيف اذا تخلف عنها المراد في الأزل. وكذلك قالوا في تعلقات العلم والكلام. وأما الماتريدية فقد أثبتوا التكوين صفة أخرى وراء الصفات السبع المتقدمة وجعلوها قديمة كما سبق، وقد عارضهم خصومهم من الأشاعرة وردوا قولهم في اثبات هذه الصفة مكابرة بلا دليل.

وأما الطائفة الأخرى فقد ذهبت الى أن الفعل حادث قائم بالذات، ثم أنقسمت الى فرقتين: الكرامية أتباع محمد بن كرام، وهؤلاء ذهبوا الى أن فعله حادث قائم بذاته ومتعلق بمشيئته وقدرته، ولكنهم جعلوا له ابتداء في ذاته، بمعنى أنه لم يكن فاعلا ثم فعل. وهكذا قالوا في جميع الصفات المتعلقة بالمشيئة من الكلام والرضى والمحبة والنزول والاستواء، والذي دعاهم الى ذلك الخوف من القول بالتسلسل في أفعاله، فيلزم قدم أنواع المفعولات، فيسد ذلك عليهم في زعمهم طريق اثبات الصانع، اذ كان اثباته من طريق حدوث المخلوقات، وذهبوا الى أن الفعل والكلام سيان، كلاهما حادث له ابتداء في الذات، فالله عندهم لم يكن متكلم ولا فاعلا، ثم حدث له الفعل والكلام، فعطلوه سبحانه عن فعله وكلامه وجعلوا كلا منها ممتنعا في الأزل.

★ ★ ★

والآخرون أولو الحديث كأحد ذاك ابن حنبل الرضي الشيباني

قد قال ان الله حقاً لم يزل
 جعل الكلام صفات فعل قائم
 وكذلك نص على دوام الفعل
 وكذا ابن عباس فراجع قوله
 وكذلك جعفر الامام الصادق الـ
 قد قال لم يزل المهيمن محسناً
 متكلماً أن شاء ذو أحسان
 بالذات لم يفقد من الرحمن
 بالاحسان أيضاً في مكان ثان
 لما أجاب مسائل القرآن
 مقبول عند الخلق ذو العرفان
 برا جواداً عند كل أوان

الشرح: وأما الفرقة الثانية من القائلين بأن فعله تعالى حادث وقائم بذاته، فهم أصحاب الحديث كالامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه، هؤلاء ذهبوا الى ما دلت عليه النصوص الصريحة وحكم به العقل السليم من أن الله لم يزل متصفاً بصفات كماله كلها سواء ما كان فيها لازماً لذاته او ما كان متعلقاً بمشيئته وقدرته، ليس لما يحدث في ذاته عندهم ابتداء، بل يقولون لم يزل الله متكلماً اذا شاء بما شاء وكيف شاء، وكذلك لم يزل فاعلاً لما أراد، فكل من فعله وكلامه صفة كمال له، لا يجوز خلوه عنها في وقت من الأوقات، لأن الخلو عن الكمال الممكن نقص مستحيل على الله، ولا يلزم من دوام فعله وكلامه قدم شيء من المفعولات، فإن الله لم يزل يفعل الأشياء ويحدثها شيئاً بعد شيء، وكذلك لم يزل متكلماً بما شاء، فكل من الكلام والفعل قديم النوع، ولكن آحاده لم تنزل تحدث في ذاته سبحانه بلا بداية ولا انقطاع، وهذا مستلزم للتسلسل في الآثار، وهو ليس بمتنع، بل دل الشرع والعقل على ثبوته، وانما الممتنع هو التسلسل في العلل والمؤثرين.

وقوله في البيت الثاني: ذو احسان خبر ثان لأن، اي لم يزل محسناً كما لم يزل متكلماً، وقوله في البيت الرابع وكذلك نص الخ. يعني به أحمد رحمه الله أنه نص في مكان آخر من كتابه الذي رد به على الجهمية على دوام فعله سبحانه بدوام أحسانه كما نص على ذلك ابن عباس رضي الله عنها فيما أجاب به على مسائل القرآن وكذلك جعفر الصادق من أئمة أهل البيت المشهود لهم بالورع والتقوى والمعرفة الحقّة وقال لم يزل المهيمن محسناً برا جواداً في كل وقت وحال، وهذا

اثبات لدوام فعله سبحانه واستمراره في أوقات الزمان كلها بلا بداية ولا انقطاع.

★ ★ ★

وكذا الإمام الدارمي فإنه قد قال ما فيه هدى الخيران
قال الحياة مع الفعال كلاهما متلازمان فليس يفترقان
صدق الإمام فكل حي فهو فعال وذا في غاية التبيان
إلا إذا ما كان ثم موانع من آفة أو قاسر الحيوان
والرب ليس لفعله من مانع ما شاء كان بقدرة الديان
ومشيئة الرحمن لازمة له وكذلك قدرة ربنا الرحمن

الشرح: وممن نص على دوام فاعلية الرب، وأنه لم يعطل عنها في وقت من الأوقات - الإمام الكبير عثمان بن سعيد الدارمي - المشهور في رده على الجهمية والقدرية، وقد قال في هذا كلاماً جيداً، وأدلى بحجة قوية، مبناها على أن الفعل لازم للحياة، فكل حي لا بد أن يكون فعالاً، وما ليس بفعال فهو ليس بحي، فالحياة والفعل متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر في الوجود، اللهم إلا إذا وجد مانع يمنع الحي من الفعل من آفة تصيبه أو قاسر يقسره، وذلك لا يتصور في حقه سبحانه فإن حياته أكمل حياة فيجب أن تستلزم أكمل الأفعال ويستحيل أن تطرأ عليه آفة يعجز معها عن الفعل كما لا يتصور أن يقسره قاسر ويكرهه على عدم الفعل بل ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فالمشيئة لازمة له لا مكره له ولا غالب، والقدرة كذلك من صفاته اللازمة فلا يعتربه وهن ولا عجز ولا قصور، ومع نفوذ المشيئة وتمام القدرة وانتفاء كل الموانع التي تمنع من تعلقها بالممكن لا يتصور التعطيل عن الفعل، فثبت أنه سبحانه لم يزل فعالاً لأنه لم يزل حياً قادراً مريداً.

★ ★ ★

هذا وقد فطر الإله عباده ان المهيمن دائم الإحسان

أو لست تسمع قول كل موحد
وقديم الإحسان الكثير ودائم ال
من غير انكار عليهم فطرة
أو ليس فعل الرب تابع وصفه
وكماله سبب الفعال وخلقه
أو ما فعال الرب عين كماله
أزلاً إلى أن صار فيما لم يزل

يا دائم المعروف والسلطان
جود العظيم وصاحب الغفران
فطروا عليها لا توصي ثان
وكماله أفذاك ذو حدثان
أفعالهم سبب الكمال الثاني
أفذاك ممتنع على المنان
متمكنا والفعل ذو امكان

الشرح: بعد أن قرر المؤلف مذهب السلف القويم في دوام فاعلية الرب وكلامه وأورد من النقول عن بعض أئمة أهل السنة كأحمد وغيره ما يشهد لصحته أراد أن يستدل عليه كذلك من طريق الفطرة والعقل، أما الفطرة فإننا نسمع الناس في دعائهم واستغاثتهم، وطلبهم الحاجات من الله عز وجل يلهجون بهذه العبارات من قولهم: يا قديم الإحسان، يا قديم المعروف والسلطان، يا دائم الجود والإمتنان إلى غير ذلك مما يفهم أنهم فطروا على اعتقاد ذلك فطرة دون أن يوصي بعضهم بعضاً بذلك، أو يعلمه إياه ودون أن ينكر بعضهم على بعض.

وأما دليل العقل فهو أن فعل الرب سبحانه تابع لوصفه وكماله، فإذا كان لم يزل موصوفاً بصفات الكمال ونعوت الجلال بحيث لا يتصور خلوه عنها لحظة من اللحظات في جانب الأزل أو الأبد فهو إذا لم يزل فعالاً لأن الفعل من جملة الصفات التي لم يزل بها موصوفاً، والفعل من لوازم كماله سبحانه فكماله في ذاته وصفاته هو سبب كونه فاعلاً فهو سبحانه كمال ففعل، وأما الكمال في المخلوقات والمكونات في أعيانها وأوصافها فهو تابع لكمال المكون، فإن أثر الكمال لا يكون إلا كاملاً.

وإذا كان الفعل عين كماله سبحانه لأن الكمال مستتبع له ولا يحصل إلا به. فكيف إذا يجوز القول بامتناع الفعل منه في الأزل، ثم يصير هذا الفعل ممكناً فيما لا يزال من غير تجدد سبب أو جب ذلك الانقلاب من الامتناع الذاتي إلى

الإمكان الذاتي لا يتجدد قدرة ولا ارادة ولا غيرها .

★ ★ ★

تالله قد ضلت عقول القوم إذ
ماذا الذي أضحى له متجددا
والرب ليس معطلا عن فعله
والأمر والتكوين وصف كماله
وتخلف التأثير بعد تمام مو
والله ربي لم يزل ذا قدرة
العلم مع وصف الحياة وهذه
وبها تمام الفعل ليس بدونها
فلأي شيء قد تأخر فعله
ما كان ممتنعاً عليه الفعل بل

قالوا بهذا القول ذي البطلان
حتى تمكن فانطقوا ببيان
بل كل يوم ربنا في شان
ما فقد ذا ووجوده سيان
جبه محال ليس في الإمكان
ومشيئة ويليها وصفان
أوصاف ذات الخالق المنان
فعل يتم بواضح البرهان
مع موجب قد تم بالاركان
ما زال فعل الله ذا امكان

الشرح: يعني أن هؤلاء الذين قالوا بأن الله كان معطلاً عن الفعل في الأزل
وان الفعل كان ممتنعاً منه فيما لم يزل، ثم صار ممكناً فيما لا يزال قد قالوا بما يعلم
كل عاقل بطلانه وبرهنوا على سخافة عقولهم إذ لو كان الفعل ممتنعاً عنه في
الأزل فما الذي صيره ممكناً مع أنه لم يتجدد في ذاته شيء يقتضي هذا الانقلاب
من الامتناع إلى الإمكان، وهذا الإلزام لا مخلص لهم منه فإن أجابوا عنه بأن
نفس الأزل هو المانع من التأثير في الممكن لأن من شرائط التأثير فيه أن يكون
مسبوفا بالعدم قلنا سبق العدم أمر عدمي لا يصلح أن يكون شرطاً للتأثير،
ولكن الذي يصلح شرطاً هو الإمكان والامكان ثابت في الأزل فثبت أن الرب
سبحانه لم يكن معطلاً عن فعله في وقت من الأوقات بل كل يوم هو في شأن
يدبر ما يشاء ويحدث من الأمور ما تقتضيه حكمته، ويقال لهؤلاء أيضاً ليس
الأمر والتكوين من صفات الكمال بدليل أن المتصف بها أكمل من الفاقد لها،
وحينئذ فالله لم يزل أمراً مكوناً والأمر والتكوين هما الموجب التام للتأثير وهو

مستلزم لوجود الأثر لأن تخلف التأثير بعد تمام علته الموجبة له محال غير ممكن ، ويقال لهم كذلك أن الله لم يزل قادرا مريدا عالما حيا ، وهذه الأربعة صفات ذاتية له ، وليس يحتاج الفاعل في كونه فاعلا إلى غير هذه الأربع فهي التي بها تمام الفعل لأنها أركانها التي لا يتحقق بدونها ، وإذا كان ذلك فلماذا تأخر فعله سبحانه عن وجود الموجب التام لجميع أركانه ، فإن قلت: تأخر الفعل لأنه كان ممتنعا في الأزل ، قلنا: كذبتم بل لم يزل الفعل ممكنا ، إذ لو كان ممتنعا في الأزل لم يقبل الوجود فيما لا يزال لأن الممتنع لا ينقلب ممكنا .

★ ★ ★

والله عاب المشركين بأنهم	عبدوا الحجارة في رضا الشيطان
ونعى عليهم كونها ليست بجا	لقة وليست ذات نطق ببيان
فأبان أن العقل والتكليم من	أوثانهم لا شك مفقودان
وإذا هما فقدا فما مسلوبها	بأله حق وهو ذو بطلان
والله فهو إليه حق دائما	أفعنه ذا الوصفان مسلوبان
أزلا وليس لفقدها من غاية	هذا المحال وأعظم البطلان

الشرح: ويقال لهؤلاء أيضاً إذا كان الله معطلاً عن الفعل والكلام في الأزل لم يكن إلهاً حقاً ولا واجب العبادة فإن الإلهية الحققة واستحقاق العبادة لا يكون إلا مع القدرة على الخلق والتكليم ، ولهذا عاب الله المشركين الذين يعبدون الأصنام ارضاء للشيطان بأنهم عبدوا ما لا يستحق العبادة لأنه لا يقدر على خلق شيء ولا يستطيع تكليم عابديه قال تعالى: ﴿أَيْشِرْ كُونَ مَا لَا يُخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [الأعراف: ١٩١] وقال: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾ [النحل: ١٧] وقال: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [الفرقان: ٣] وقال: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ﴾ [الاحقاف: ٤] وقال تعالى في شأن الذين عبدوا العجل من قوم موسى عليه السلام: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يَكَلِّمُهُمْ وَلَا

يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ﴿ [الأعراف: ١٤٨] وقال حكاية عما قاله إبراهيم عليه السلام لقومه: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٣].

فدلت هذه الآيات الكريمة على أن الفعل والتكليم مفقودان من هذه الأوثان وفقدتهما يدل على أنها ليست بأهة باهة حقة، بل هي آهة باطلة، ومعلوم أن الله إله حق دائماً، ولا يكون كذلك إلا إذا كان موصوفاً بالفعل والتكليم دائماً لأن فاقدتهما لا يكون إلهاً حقاً كما تقدم، فكيف يجوز أن يقال إن هذين الوصفين اللذين عليهما مدار الألوهية مسلوبان عنه أزلاً، ومعلوم أن الأزلى لا غاية له ولا نهاية، هذا من أمحل المحال وأعظم البطلان.

★ ★ ★

ان كان رب العرش حقاً لم يزل	أبداً إله الحق ذا سلطان
فكذلك أيضاً لم يزل متكلماً	بل فاعلاً ما شاء ذا احسان
والله ما في العقل ما يقضي لذا	بالرد والابطال والنكران
بل ليس في المعقول غير ثبوته	للخالق الأزلي ذي الإحسان
هذا وما دون المهيمن حادث	ليس القديم سواه في الأكوان
والله سابق كل شيء غيره	ما ربنا والخلق مقترنان
والله كان وليس شيء غيره	سبحانه جل العظيم الشأن

الشرح: فإذا كان الله لم يزل ولا يزال له الالهية الحقة والسلطان الأعظم، فيجب كذلك أن يكون لم يزل متكلماً بما شاء وفاعلاً لما شاء، ولم يزل محسناً براً رحماً، وليس في العقل ما يحيل هذا أو ياباه، كيف والعقل إنما يقتضي ثبوته للخالق جل وعلا، لأنه يقر له بالأزلية ذاتا وصفات. والأزلية تنافي حدوث الصفات وابتدائها في ذاته، ولا يلزم من القول بقدم الفعل القول بقدم شيء من المفعولات، فإن الله هو وحده القديم، وكل ما سواه حادث، وليس وجود الأشياء مقارناً بوجوده، بل وجوده سابق عليها جميعاً كما جاء في الحديث « كان

الله ولم يكن شيء معه « أي مساوق له في الوجود سبحانه، بل متأخر عنه. ولكننا مع ذلك لا نقول بوجود فاصل لا نهاية له في الزمان بين وجود الله ووجود العالم كما يقوله من ذهب إلى أن العالم وجد من عدم، فإن هذا يستلزم كما قدمنا أن يكون البارئ معطلاً عن الفعل أو غير قادر عليه مدة لا تقاس بها مدة فاعليته، بل نقول إنه سبحانه يكون الشيء فيكون عقب تكوينه، لا مع تكوينه ولا متراخياً عنه فإن المؤثر التام يجب أن يكون أثره عقيب تأثيره بلا مهلة، وإلى هذا الإشارة بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

★ ★ ★

لسنا نقول كما يقول الملحد الـ زنديق صاحب منطق اليونان
بدوام هذا العالم المشهود والـ أرواح في أزل وليس بفنان
هذي مقالات الملاحدة الألى كفروا بخالق هذه الأكوان

الشرح: يعني اننا وان قلنا بقدّم الفعل الذي هو صفة لله، لا نقول بأن العالم المفعول قديم مع الله، وأنه مقارن له في الزمان، كما يقول ذلك أرسطو صاحب المنطق فالمشهور عن أرسطو أنه كان يرى أن العالم مساوق لله في الوجود أزلاً وأبداً، والله عنده ليس خالقاً للعالم، وإنما هو محرك فقط، ولهذا كان يسميه المحرك الأول أو العلة الأولى أو الصورة المحضة. ولا يعني أرسطو بذلك أن الله فعل في العالم الحركة، فإن الله ليس بعلّة فاعلية عنده، وإنما هو علة غائية.

ويقول أرسطو في بيان ذلك: ان الله لما كان صورة محضة كان في غاية الكمال وكانت المادة في الجهة الأخرى أقرب إلى العدم منها إلى الوجود إذ كانت امكانا وكانت وجودا بالقوة لا بالفعل، فتركت بدافع الشوق إلى محاكاة تلك الصورة المحضة والقرب منها قدر الطاقة، وكانت هذه الحركة الشوقية هي التي أبرزت هذه المادة إلى الوجود بالفعل وسارت بها في طريق التقدم والارتقاء. ولا ريب أن هذا الكلام هو إلى الشعر والخيال أقرب منه إلى الفلسفة، فكيف

خان صاحب المنطق منطقته ولم يسعده في هذه المشكلة حتى تورط فيما تورط فيه من كلام هو إلى الهذيان أقرب منه إلى الجد .

فليبين لنا أرسطو ما الذي بث الشوق والحنين في مادته المزعومة حتى تحركت تحاول التشبه بتلك الصورة المحضة، وكيف كانت المادة أو الهيولى الأولى قبل حلول الصورة فيها إمكانا أو قوة، والإمكان معنى من المعاني التي توصف بها المادة وليس هو المادة. ولسنا هنا بصدد الرد على هذه الحماسة من فيلسوف طار صيته وذاع، حتى كاد أن يعبدته أتباعه من متفلسفة الإسلام المارقين من أمثال الفارابي وابن سينا، ويزعمون لآرائه العصمة والقداسة، ويقدمونها على الوحي المنزل، ولا ريب أن هذا الذي قال به أرسطو في قدم العالم هو رأي ملاحظة الدهرية الذين ينكرون وجود الخالق جل وعلا ويقولون (ان هي إلا حياتنا الدنيا وما يهلكنا إلا الدهر).

★ ★ ★

وأتي ابن سينا بعد ذاك مصانعا للمسلمين فقال بالامكان لكنه الأزلي ليس بمحدث ما كان معدوما ولا هو فان وأتى بصلح بين طائفتين بينهما الحروب وماهما سلمان أنى يكون المسلمون وشيعة الـ يونان صلحاً قط في الإيمان والسيف بين الأنبياء وبينهم والحرب بينهم فحرب عوان

الشرح: جاء ابن سينا بعد أرسطو، وكان كما قلنا تلميذاً وفيها لفلسفة أستاذه، ولكنه من جهة أخرى كان يريد مصانعة المسلمين ومداهنتهم حتى لا يفتنوا لمروقه والحاده، فتكاسى بمحاولة التوفيق بين الفلسفة التي تقول بقدم العالم ومقارنته لله في الزمان، وبين الدين الذي يجعله مخلوقاً حادثاً، بعد أن لم يكن، فزعم أن الله علة تامة لوجود العالم، والعلة التامة يجب أن يقارنها معلولها ولا يتخلف عنها، وعلى هذا فيمكن القول بأن العالم أزلي مقارن لله في الزمان، كما تقول الفلسفة، ولكنه من جهة أخرى متأخر وممكن حادث بالذات أما كونه

متأخراً فلأن المعلول قد استفاد الوجود من علته، ولا نعني بالحدوث الذاتي إلا استفادة الوجود من الغير. ومن العجيب ان ابن سينا مع قوله بقدم العالم يسمي الله خالقاً وفاعلاً ويسمي العالم مخلوقاً ومفعولاً، فمتى خلق الله العالم على رأيه أو فعله إذا كان وجوده مقارناً لوجوده، وكيف يمكن أن يكون الله خالقاً للعالم مع القول بأنه علة والخلق إنما يعتمد على القصد والاختيار، وأما العلة فيصدر عنها معلولها بالإيجاب المنافي للاختيار، والعالم عنده كما هو أزلي مساوق لعلته في جانب الأزل، هو كذلك أبدي غير قابل للفناء، لأن المعلول لعله تامة يجب أن يبقى ببقاء علته.

وهكذا يظن ابن سينا أنه أفلح بهذا التمويه والمغالطة في لبس الأمر على المسلمين ولكن الأذكىاء من علماء هذه الأمة من أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية استطاعوا كشف تلبيساته وفضح سرائره ونياته.

ومن العجيب أيضاً أن يزعم هذا الرجل أنه يحاول الصلح والتوفيق بين طائفتين لا يعقل أن تهدأ بينهما الحرب أو ان يتم سلام، فهذه طائفة تؤمن بالوحي والقرآن وتعتصم بعري الإسلام والإيمان، وهذه طائفة كافرة تدين بما ضرطت به عقول فلاسفة اليونان مما كله أو أغلبه كفر والحاد وهذيان. فلا يمكن أن يوضع السيف بينهم وبين أتباع الأنبياء أبد الدهر، وستبقى بينهم الحرب العوان حتى لا تكون فتنة وحتى يظهر دين الله على الدين كله ولو كره الكافرون.

★ ★ ★

وكذا أتى الطوسي بالحرب الصر	يح بصارم منه وسل لسان
وأتى إلى الإسلام يهدم أصله	من أسه قواعد البنيان
عمر المدارس للفلاسفة الألى	كفروا بدين الله والقرآن
وأتى إلى أوقاف أهل الدين ينقلها إليهم فعلى ذي أضغان	هي لابن سينا موضع الفرقان
وأراد تحويل الإشارات التي	مبس التي كانت لذي اليونان
وأراد تحويل الشريعة بالنوا	

لكنه علم اللعين بأن ها ذا ليس في المقدور والامكان
إلا إذا قتل الخليفة والقضاة وسائر الفقهاء في البلدان
فسعى لذلك وساعد المقدور بالأمر الذي هو حكمة الرحمن

الشرح: بعد أن فرغ المؤلف من الكلام على ابن سينا القرمطي، وما كان
يكيد به للإسلام وأهله في الخفاء بسبب اتباعه للفلسفة مع إيهامه أنه حريص على
اتباع الشريعة، وأنه يحاول جاهدا التوفيق بينها وبين الفلسفة، أخذ في الحديث
على ذيل من ذيوله الذين تعلقوا بفلسفته، وهو الخوجة نصير الدين الطوسي،
فذكر أن هذا الرجل لم يكن يصانع المسلمين كسلفه، ولكنه أعلنها على الإسلام
وأهله حرباً صريحة سافرة بسيفه ولسانه، فكان يسعى جهده لكي يهدم الإسلام
من أساسه، فأنشأ المدارس، لا لدراسة الكتاب والسنة وعلوم الشريعة، ولكن
لدراسة الكفر والإلحاد باسم الفلسفة، وحول الأحباس التي كانت لأهل الدين
إلى طلبة هذه المدارس حسداً منه وبغياً.

وقد أراد هذا الخبيث أن يجعل من كتاب الإشارات الذي ألفه سيده ابن
سينا كتاباً مقدساً بدلاً من القرآن، يعني بحفظه ودراسته وتعليمه، كما أراد أن
ينسخ الشريعة ويستعيز عنها بالنظم والقوانين التي كانت عند اليونان والرومان،
ولكنه علم أن ذلك لا يتم له ولا يقدر عليه إلا إذا أزال دولة الإسلام بقتل
رجالها من الخليفة والقضاة والفقهاء من سائر البلدان، فسعى لذلك سعيه
باستعداد التتار أتباع جانكيز خان على المسلمين، وكان يعمل كالمشير لهم،
وساعد على تحقيق غرضه موافقة الاقدار له لحكمة أرادها الله سبحانه وهو
أحكم الحاكمين.

★ ★ ★

فأشار أن يضع التتار سيوفهم في عسكر الإيمان والقرآن
لكنهم يبقون أهل مصانع الد
نيا لأجل مصالح الابدان
مثل لها مضروبة بوزان
فعدا على سيف التتار الألف في

وكذا ثمان مئيتها في الفها
حتى بكى الإسلام أعداه اليهود
فشفى اللعين النفس من حزب الر
وبوده لو كان في أحد وقد
لأقر أعينهم وأوفى نذره
مضروبة بالعد والحسبان
كذا المجوس وعابد الصلبان
سول وعسكر الايمان والقرآن
شهد الواقعة مع أبي سفيان
أو أن يرى متمزق اللحمان

الشرح: أراد هذا الخبيث شفاء غيظه المتقدم على الإسلام وأهله بمحاولة
الاتيان على أصوله وقواعده والقضاء على حملته، فأشار على أعوانه من التتار،
وهم أهل جهل وغلظة أن يضعوا سيوفهم في معسكر الايمان والقرآن من رجال
الفقه والدين مع الابقاء على ذوي الحرف وأرباب الصنائع من أجل عمارة البلدان
ومصالح الأبدان.

وقد أخذ هؤلاء السفكة من التتار بمشورة هذا الخبيث الملحد، فأعملوا
سيوفهم في أهل الاسلام في كل بلد دخلوه حتى قدر عدد القتلى بسيوف هؤلاء
المجرمين بما يقرب من مليون وثمانمائة الف شخص ونكب الاسلام بهم نكبة
جعلت أعداءه من اليهود والنصارى والمجوس يبكونه ويرثون لحاله، وبذلك
تمكن هذا اللعين من شفاء نفسه من حزب الرسول ﷺ الذين هم جند الإيمان
وعسكر القرآن وكان يود لو أنه شهد وقعة أحد مع أبي سفيان وحزبه، وكان
جنديا في جيش الباطل اذا لصال وجال وأقر أعين أخوانه من أهل الشرك
والضلال وأوفى نذره في الكيد للاسلام وجهاد أهله، أو يرى مقتولا متمزق
اللحمان.

★ ★ ★

وشواهد الأحداث ظاهرة على
وأدلة التوحيد تشهد كلها
أو كان غير الله جل جلاله
اذ كان عن رب العلى مستغنيا
ذا العالم المخلوق بالبرهان
بحدوث كل ما سوى الرحمن
معه قديما كان ربا ثنان
فيكون حينئذ لنا ربان

والرب باستقلاله متوحد
لو كان ذاك تنافياً وتساقطاً
والقهر والتوحيد يشهد منها
ولذلك اقترنا جميعاً في صفا
فالواحد القهار حقاً ليس في الا
أفممکن أن يستقل اثنان
فإذا هما عدمان ممتنعان
كل لصاحبه هما عدلان
ت الله فانظر ذاك في القرآن
مكان أن تحظى به ذاتان

الشرح: بعد هذا الاستطراد الطويل بذكر مذاهب الفلاسفة والدهرية في
قدم العالم وموقف ابن سينا ونصيره نصير الدين الطوسي من الاسلام وأهله رجع
الى ما كان فيه من بيان أن الله هو وحده القديم، وأن كل ما سواه حادث،
فقال أن أمارات الحدوث وهو الوجود بعد العدم بادية على كل جزء من أجزاء
هذا العالم المخلوق المصنوع، فإن هذه التغيرات الدائبة التي تجري في هذا العالم
علوية وسفلية من ولادة وموت وزرع وحصاد، وهبوب رياح ونزول أمطار،
وشروق وغروب وحر وبرد، وزلازل وصواعق الخ، تشهد بحدوثه اذ لو كان
قديماً لما قبل هذه التغيرات، كما أن أدلة التوحيد المثبتة لانفراده سبحانه
بالربوبية والقهر شاهدة كذلك بحدوث كل ما سواه، اذ لو كان معه قديم غيره
لكان مستغنياً في وجوده وبقائه عنه فيكون ربا معه، ومن خصائص الرب أن
يستقل بالخلق والايجاد، فلو كان هنا ربان لحاول كل منهما أن يستقل بالفعل ولا
يتم له ذلك ما دام له شريك مساو له في القدرة ومكافئ في الربوبية فيتانعان
ويتعارضان، فإذا هما عدمان ممتنعان قال تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا
كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾
[المؤمنون: ٩١] وحينئذ فلا بد أن ينفرد أحدهما بالقهر والعلو على الآخر
ويكون الآخر عاجزاً مغلوباً، ولهذا كان كل من القهر والتوحيد عدلاً للآخر
ودالاً على صاحبه فكل واحد قهار وكل قهار واحد. وهذا هو سر مجيئها
مقترنين في كتاب الله تعالى كما قال سبحانه: ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ
الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد: ١٦] وكما قال: ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا
لَأَصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الزمر: ٤]

فضفة القهر والعلو لا يمكن أن يتصف بها اثنان.

فصل

في اعتراضهم على القول بدوام فاعلية الرب تعالى وكلامه والانفصال عنه

فلئن زعمتم أن ذاك تسلسل
كتسلسل التأثير في مستقبل
والله ما افترقا لذي عقل ولا
في سلب امكان ولا في ضده
فليات بالفرقان من هو فارق
وكذاك سوى الجهم بينهما كـ
ولأجل ذا حكما بحكم باطل
فالجهم أفنى الذات والعلاف
قلنا صدقم وهو ذو امكان
هل بين ذلك قط من فرقان
نقل ولا نظر ولا برهان
هذي العقول ونحن ذو أذهان
فرقا يبين لصالح الازهان
هذا العلاف في الإنكار والبطلان
قطعاً على الجنات والنيران
للحركات أفنى قاله الثوران

الشرح: هذا بيان لشبهة قد ترد من جانب المانعين لدوام فاعلية الرب
وكلامه بأن ذلك يستلزم التسلسل في جانب الماضي بلا بداية، فإنه ما دام نوع
الفعل والكلام قديماً يجب أن يكون كل حادث منها مسبقاً بحادث لا ينتهي
ذلك الى حادث يعتبر أول الحوادث.

والجواب عن الشبهة المذكورة أننا نلتزم لزوم التسلسل، ولكن نمنع استحالته
فإن هذا تسلسل في الحوادث والآثار وهو ممكن في جانب الماضي كما هو ممكن
في جانب المستقبل بلا فارق أصلاً، فإذا كان الخصوم يسلمون بإمكان تسلسل
التأثير في المستقبل بمعنى أنه ما من حادث الا وبعده حادث لا ينتهي ذلك الى
حادث يعتبر آخر الحوادث فيجب عليهم أن يسلموا كذلك بإمكانه أيضاً في
جانب الماضي اذ لا يدل على الفرق بينهما شيء من عقل ولا نقل ولا يثبت ذلك

الفرق بنظر ولا برهان والا فمن ادعى ذلك الفرق فليبينه لنا بيانا يرتضيه العقل. وقد سوى بينهما الجهم بن صفوان وأبو الهذيل العلاف لكن لا في الثبوت والامكان بل في الانكار والبطلان فحكموا بامتناع كل منهما، وبنوا على هذا حكمهم الجائر بفناء الجنة والنار وأهلها، فالجهم حكم بفناء الذات، وأما أبو الهذيل فقال بانقطاع الحركات، وقد سبق الكلام على ذلك فلا نطيل فيه.

★ ★ ★

وأبو علي وابنه والأشعري	وبعده ابن الطيب الرباني
وجميع أرباب الكلام الباطل ال	مذموم عند أئمة الإيمان
فرقوا وقالوا ذاك فيما لم يزل	حقوق وفي أزل بلا امكان
قالوا لأجل تناقض الأزلي وال	أحداث ما هذان يجتمعان
لكن دوام الفعل في مستقبل	ما فيه محذور من النكران

الشرح: أنقسم الناس في تسلسل الحوادث والآثار الى ثلاث طوائف فأهل السنة والجماعة ذهبوا الى امكانه في جانب الماضي والمستقبل جميعا بلا فارق، وذهب الجهم وأبو الهذيل الى القول بامتناعه في جانب الماضي والمستقبل جميعا كما تقدم. وأما أبو علي الجبائي المعتزلي شيخ الجبائية وولده أبو الحسن الأشعري وتلميذه أبو بكر الباقلاني وجميع أهل الكلام الباطل المذموم ففرقوا بينهما فذهبوا الى جوازه في جانب المستقبل وبامتناعه في جانب الأزل وكانت شبهتهم في ذلك أن الدليل القطعي قد قام على حدوث العالم بجميع أجزائه والقول بتسلسل الحوادث في جانب الأزل بلا بداية معناه القول بقدم العالم، والقدم والحدوث نقيضان لا يجتمعان لهذا منعوا دوام الفعل في الماضي لما يلزمه من قدم المفعول، وأما دوام الفعل في المستقبل وتسلسله الى غير نهاية، فهذا لا محذور فيه ولا يقتضي الدليل انكاره، فالعقل يميز أن يكون بعد كل حادث حادث دون انقطاع في جانب الابد.

ومن شبههم أيضاً انه إذا كان كل فرد من أفراد الفعل حادثاً، فكيف يكون

نوعه قديماً مع أن النوع ليس الا مجموعة الافراد، فإذا كان كل فرد حادثاً مسبقاً بالعدم، كان الكل كذلك، اذ لا يصح أن توصف الجملة بحكم غير حكم الافراد، فإذا قلت مثلاً كل زنجي أسود، كان الكل أسود بالضرورة، راجع كتابنا ابن تيميه السلفي في مبحث قيام الحوادث بذاته تعالى.

★ ★ ★

ويجا على العوران والعميان	فانظر إلى التلبيس في ذا الفرق تر
أزل لذي ذهن ولا أعيان	ما قال ذو عقل بأن الفرد ذو
د قبله أبداً بلا حسابان	بل كل فرد فهو مسبق بفرد
وق بفرد بعده حكمان	ونظير هذا كل فرد فهو ملح
وق وكل فهو منها فان	النوع والآحاد مسبق وملح
يفنى كذلك أولاً ببيان	والنوع لا يفنى أخيراً فهو لا
في الذهن وهو كذلك في الأعيان	وتعاقب الآنات أمر ثابت

الشرح: هذا رد لتلك الشبهة التي بنى عليها الأشعري وموافقوه الفرق بين الدوام في جانب الأزل وبين الدوام في جانب المستقبل، وملخص الدفع أن هذه التفرقة مغالطة وتلبيس لا يروج الا على السذج البسطاء من الجهلة وانصاف العلماء، اذ لم يقل أحد من العقلاء الذين ذهبوا إلى دوام فاعلية الرب تعالى وتسلسل أفعاله ماضياً ومستقبلاً أن شيئاً من أعيان المخلوقات وأفرادها قديم، لا ذهناً ولا خارجاً، بل قالوا أن كل فرد منها فهو مسبق بفرد قبله الى غير بداية يمكن أن يحصرها العد والحساب، مع قولهم بأن كل فرد منها حادث. ونظير هذا قولهم أن كل فرد فهو ملحوق بفرد آخر يجيء بعده بلا نهاية كذلك فالآحاد كلها لها ابتداء وانتهاء، سواء في ذلك السابق منها واللاحق، وأما النوع فهو مستمر أزلاً وأبداً بلا ابتداء ولا انتهاء، وقس ذلك على آنات الزمان، وهي أجزاءه، فإنها تتعاقب في الوجود شيئاً بعد شيء لا الى نهاية مع امتدادها كذلك في جانب الأزل بلا بداية، فليست تبديء من آن هو أول الآنات، ولا تنتهي

الى أن هو آخرها، مع ان كل آن منها له بداية وانتهاء، لأنه واقع بين آتين، فكل آن منها يبتديء من نهاية الآن الذي قبله بابتداء الذي بعده، ومع ذلك فجملة الآتات لا أول لها ولا آخر لا في الذهن ولا في الخارج، فكل فرد من أفراد المخلوقات حادث موجود بعد أن لم يكن.

وأما النوع الذي هو من لوازم الكمال لأنه وصفه تعالى فلا مبتدأ له ولا منتهى، بل لم يزل الله فعالا لما يريد، لأنه لا يمكن أن يكون في وقت من الأوقات فأقدا لشيء من الكمال.

★ ★ ★

فإذا أبيت ذاً وقلتُم أول الـ	آتات مفتتح بلا نكران
ما كان ذاك الآن مسبوقاً يرى	الا بسلب وجوده الحقاني
فيقال ما تعنون بالآتات هل	تعنون مدة هذه الأزمان
من حين أحداث السموات العلى	والأرض والأفلاك والقمران
ونظنكم تعنون ذاك ولم يكن	من قبلها شيء من الأكوان
هل جاءكم في ذاك من أثر ومن	نص ومن نظر ومن برهان
هذا الكتاب وهذه الآثار والمعـ	قول في الفطرات والأذهان
أنا نحاكمكم إلى ما شئتمو	منها فكل الحق في تبيان

الشرح: لما مثل المؤلف لتعاقب الحوادث وتسلسلها فيما لم يزل ولا يزال بلا بداية ولا نهاية بتعاقب آتات الزمان، كذلك قال للخصوم المانعين: فإذا أبيت هذا القياس ومنعم التسلسل في المقيس عليه، وهو الآتات، وقلتُم أن أول الآتات مفتتح وله بداية، ولم يكن هذا الآن الأول مسبوقاً بآن قبله، وإنما كان مسبوقاً بعدم وجود، فيقال لكم: ماذا تعنون بالآتات التي أنكرتم الحكم عليها بالتسلسل هل تعنون بها مدة الأزمنة الكائنة منذ خلق الله السموات والأرض وما فيها من الأشياء، ولا نظنكم تعنون بالزمان الا ذلك بدليل أنكم تقيسون الزمان بركات الافلاك ودورانها، فهذا يفيد أن الزمان عندكم حادث بحدوث هذه

الافلاك، وأنه قبل خلق السموات والأرض لم يكن في زعمكم شيء من الأكوان موجوداً ونحن نسألکم: هل عندكم على ذلك دليل من نقل او عقل، فهذا كتاب الله عز وجل وهذه الآثار المروية عن رسوله ﷺ وأصحابه، وهذه هي الفطرة الانسانية التي فطر الله الناس عليها، وهذه هي بداية العقول ومسلّماتها، فأين تجدون زعمكم في شيء من هذه الأربع التي هي مرجع كل حجة ومصدر كل دليل، انا نحاكمكم الى أيها شئتم حتى يتبين الحق ويتضح، ويظهر أنكم لا ترجعون في قولكم هذا الى دليل معتبر ولا حجة بينة.

★ ★ ★

أو ليس خلق الكون في الأيام كما	ن وذاك مأخوذ من القرآن
أو ليس ذلكم الزمان بمدة	لحدوث شيء وهو عين زمان
فحقيقة الأزمان نسبة حادث	لسواه تلك حقيقة الأزمان
واذكر حديث السبق للتقدير والتو	قيت قبل جميع ذي الأعيان
خسين الفا من سنين عددها المخ	تار سابقة لذي الأكوان
هذا وعرش الرب فوق الماء من	قبل السنين بمدة وزمان

الشرح: يعني أن الأدلة من النقل والعقل دلت على فساد زعم هؤلاء أن السموات والأرض هما أول المخلوقات وأنه لم يكن قبلها شيء يمكن أن يقاس به الزمان، فقد ذكر الله عز وجل في عدة مواضع من القرآن أنه خلق السموات والأرض في ستة أيام، وهذه الأيام التي جعلها الله مدة وظرفاً لذلك الخلق هي جملة معينة من الزمان، وحقيقة الزمان هي نسبة حادث الى آخر، فلا بد أن تكون هذه الأيام مقدرة بحركة أخرى غير سير الشمس والقمر اذ كانت سابقة عليها وهذا يدل على وجود أزمنة ومخلوقات قبل خلق السموات والأرض، وهذا هو ما يشهد له الحديث الصحيح الذي يقول فيه الرسول ﷺ « قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء » والحديث الآخر الذي بمعناه « أن الله لما خلق القلم قال له اكتب، قال

ما اكتب؟ قال اكتب كل ما هو كائن إلى يوم القيامة. فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة، وذلك قبل خلق السموات والأرض بخمسين الف عام وكان عرشه على الماء.»

فهذا صريح في وجود مخلوقات قبل السموات والأرض حيث أخبر أن التقدير سابق على وجود هذه الأعيان بخمسين الف سنة، ووجود العرش كان سابقا على هذا التقديم بدليل قوله «وكان عرشه على الماء» أي عند كتابة القلم للمقادير، ولا يدري الا الله كم من السنين كان العرش على الماء قبل أن يجري القلم بما جرى به من قدر الله عز وجل.

★ ★ ★

والناس مختلفون في القلم الذي	كتب القضاء به من الديان
هل كان قبل العرش أو هو بعده	قولان عند أبي العلامداني
والحق أن العرش قبل لأنه	قبل الكتابة كان ذا أركان
وكتابة القلم الشريف تعقبت	ايجاده من غير فصل زمان
لما براه الله قال أكتب كذا	فغدا بأمر الله ذا جريان
فجرى بما هو كائن أبدا الى	يوم المعاد بقدره الرحمن

الشرح: اختلف العلماء هل القلم كان قبل العرش أو بعده، وأيهما كان أول المخلوقات؟ قولان ذكرهما الحافظ أبو العلامداني، أصحها أن العرش كان قبل القلم، لما في الصحيح من حديث عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين الف سنة وعرشه على الماء.»

فهذا صريح أن التقدير إنما وقع بعد خلق العرش، والتقدير وقع عند أول خلق القلم بلا مهلة لما رواه أبو داود عن عبادة بن الصامت قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «أن أول ما خلق الله القلم فقال له أكتب، قال يا رب وماذا أكتب قال اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة» يعني أنه عند أول خلقه

للقلم قال له اكتب ، بدليل الرواية الأخرى « أول ما خلق الله القلم قال له اكتب »
 ينصب اول على الظرفية ، ونصب القلم على المفعولية . وأما على رواية رفع أول
 والقلم فيتعين حمله على أنه أول المخلوقات من هذا العالم - يعني عالم
 الأقالام - ليتفق الحديثان ، اذ حديث عبدالله بن عمرو صريح في أن العرش
 سابق على التقدير ، والتقدير مقارن لخلق القلم . وفي اللفظ الآخر « لما خلق الله
 القلم قال له اكتب » فجرى القلم بما هو كائن الى يوم القيامة بقدره الله عز وجل .

★ ★ ★

افكان رب العرش جل جلاله	من قبل ذا عجز وذا نقصان
أم لم يزل ذا قدرة والفعل مقم	دور له أبدا وذو امكان
فلئن سئلت وقلت ما هذا الذي	اداهم لخلاف ذا التبيان
ولأي شيء لم يقولوا إنه	سبحانه هو دائم الاحسان
فأعلم بأن القوم لما أسسوا	أصل الكلام عموا عن القرآن
وعن الحديث ومقتضى المعقول بل	عن فطرة الرحمن والبرهان
وبنوا قواعدهم عليه فقادهم	قسرا الى التعطيل والبطلان

الشرح: أفبعد هذا البيان الذي دل على وجود مخلوقات قبل هذا العالم
 ووجود زمان قبل هذا الزمان يصح أن يقال أن رب العرش قبل وجود هذا
 العالم كان عاجزاً عن الفعل والايجاد ، فيما لم يزل ، أم الحق هو عكس ذلك تماماً ،
 وهو أنه سبحانه لم يزل قادراً على ايجاد الفعل والفعل لم يزل مقدوراً له ممكناً .

فلئن سأل سائل عما حدا بهؤلاء الخصوم إلى المنازعة في تلك القضية التي تتألق
 وضوحاً وتبيانا ، ولماذا لم يقولوا بما قال به السلف من أنه سبحانه دائم الإحسان
 وقديمه ، فإننا نقول له : إن هؤلاء المخذولين اغتروا بعقولهم الفاسدة وبما أصلته لهم
 من أصول باطلة ، فعموا بسبب ذلك عن كل ما يصلح أن يكون حجة ودليلا
 عموا عن القرآن والحديث ، وعموا عن الفطرة الإنسانية وعمما يقتضيه العقل السليم
 والنظر الصحيح ، لقد أسسوا لهم أصلاً في الكلام وبنوا عليه جميع قواعدهم ،

فقادهم هذا الأصل الفاسد رغماً عنهم إلى التعطيل والإنكار ، وهذا الأصل هو :

★ ★ ★

نفي القيام لكل أمر حادث
فيسد ذاك عليهم في زعمهم
إذ أثبتوه يكون ذي الاجساد حا
فإذا تسلسلت الحوادث لم يكن
فلأجل ذا قالوا التسلسل باطلاً
فيصح حينئذ حدوث الجسم من
هذي نهايات لاقدام الورى
فمن الذي يأتي بفتح بين
فالله يجزيه الذي هو أهله

بالرب خوف تسلسل الأعيان
أثبت صانع هذه الأكوان
دثة فلا تنفك عن حدثان
لحدوثها إذ ذاك من برهان
والجسم لا يخلو عن الحدثان
هذا الدليل بواضح البرهان
في ذا المقام الضيق الاعطان
ينجي الورى من غمرة الحيران
من جنة المأوى مع الرضوان

الشرح: هذا هو الأصل الذي أسسوه وبنوا عليه مذاهبهم في تعطيل الرب سبحانه عن صفاته الاختيارية التي تحدث في ذاته بمشيئته وهو الحكم بامتناع قيام الحوادث بذاته اذ لو قامت به الحوادث من الأفعال لوجب القول بتسلسلها وتعاقبها في الوجود شيئاً قبل شيء لا إلى أول، وهذا يؤدي بدوره إلى القول بتسلسل الأعيان التي هي المفعولات وبذلك تكون هذه المفعولات قديمة فينسند حينئذ طريق اثبات الصانع اذ كان الطريق إلى اثباته هو لزوم الحدوث لهذه المخلوقات وعدم انفكاكها عنه ، فإذا تسلسلت بطل دليل حدوثها فلأجل هذا قالوا ببطلان التسلسل ولزوم الحدوث للأجسام^(١).

(١) واعتمدوا في الاستدلال على وجود الله عز وجل على ذلك ، فقالوا أن العالم جواهر وأعراض والاعراض حادثة ، والجواهر لا تنفك من الاعراض الحادثة وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث ، وإذا ثبت حدوث العالم بهذا الدليل فلا بد له من محدث هكذا يقول المتكلمون ، ولقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية فساد طريقتهم هذه ونقض دليلهم بوجوده من النقص ليس هذا موضعها ، فارجع إلى كتابنا ابن تيمية السلفي في مبحث اثبات وجود الله .

وهذه الآراء التي تقدم ذكرها هي غاية ما وصلت إليه عقول الورى في هذا المقام الذي هو مزلة الإقدام ومضلة الإفهام فمن ذا يستطيع أن يأتي فيه بحكم بين وقول فصل ينجي به الناس من هذه الحيرة الغامرة ويكون له عند الله ما هو له أهل من جنة ورضوان .

★ ★ ★

فاسمع إذا وافهم فذاك معطل
 وهذا الدليل هو الذي أرداهم
 وهو الدليل الباطل المردود عند أئمة التحقيق والعرفان
 ما زال أمر الناس معتدلا إلى
 وتمكنت أجزاءه بقلوبهم
 رفعت قواعده وتحت أسه
 وجنوا على الإسلام كل جناية
 ومشبه وهذاك ذو الغفران
 بل هد كل قواعد القرآن
 أن دار في الأوراق والأذهان
 فأتت لوازمه إلى الإيمان
 فهوى البناء وخر للأركان
 إذ سلطوا الاعداء بالعدوان

الشرح: بعد أن أورد المؤلف الأصل الذي بنى عليه أهل الكلام قواعدهم الفاسدة في منع قيام الحوادث بذاته تعالى، وزعمهم أن ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث، واتخاذهم من هذه القضية الكاذبة التي يزعمون أن عقولهم قد أجمعت على صحتها أساسا لنفي صفات الفعل والصفات الاختيارية التي تحدث في ذاته تعالى بمشيئته وقدرته أراد بعد ذلك أن يبين فساد هذا الدليل الذي تشبثوا به فذكر أن هذا الدليل هو الذي أوقعهم في الهلكة وأضلهم عن سواء السبيل كما أنه قد هدم كل ما جاء به القرآن الحكيم من قواعد الإيمان فقد وصف الله نفسه في كتابه بأنه تكلم موسى عند مجيئه للميقات وناداه من جانب الطور الأيمن وأنه استوى على عرشه بعد خلق السموات والأرض، وأنه ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا . وأنه سيأتي ويحيى يوم القيامة، وأنه يجب المؤمنين ويرضى عنهم ويبغض الكافرين ويبغض عليهم، وأنه يفرح بتوبة عبده التائب وأنه يسمع أصوات عباده حين تحدث ويرى حركاتهم وأعمالهم إلى غير ذلك من الآيات التي لا

تحصى كثرة والتي تدل أقوى دلالة على حدوث هذه الأفعال في ذاته تعالى بمشيئته وقدرته، فكيف إذا يصح قول هؤلاء الجاهلين أن ما لا يخلو من الحوادث فهو حادث دون أن يفرقوا بين جنس الحوادث وأعيانها فالممنوع هو قيام أشخاص الحوادث بذاته بمعنى أن يكون لها ابتداء في ذاته، أما قيام اجناس الحوادث وحدوث آحادها في ذاته شيئاً بعد شيء وفي وقت دون آخر بمعنى أنه لم يزل فاعلا لها إذا شاء فإنه لا يدل على امتناعه دليل بل نصوص الكتاب والسنة تثبته ولا تنفيه.

فقد تبين بذلك بطلان دليل هؤلاء وفساده ومصادمته للنصوص ولهذا اشتغل برده وابطاله كثير من أئمة التحقيق والعرفان. ولقد كان أمر الناس معتدلاً وبعيدا عن الزيغ والانحراف قبل أن يلقي الشيطان بهذا الدليل إلى أوليائه من الانس، ويدفعهم إلى أن يشيعوه بين الناس ويشغلوا به كتابة وتفكيراً حتى تمكنت قضاياهم من قلوبهم فالتزموا من أجله اللوازم الفاسدة التي أتت على الإيمان من القواعد حتى هوى بناؤه وتداعت أركانه. وجنوا على الإسلام أكبر جناية ومكنوا منه أعداءه وأعطوهم السلاح الذي يستطيعون محاربتة به، فقد جاء الفلاسفة واستغلوا هذا الدليل الذي هو عمدة المتكلمين في القول بالإيجاب ونفي الاختيار عن الله عز وجل والقول بقدوم العالم الخ.

★ ★ ★

حلوا بأسلحة المحال فخانهم	ذاك السلاح فما اشتفوا بطعان
وأتى العدو إلى سلاحهم فقا	تلهم به في غيبة الفرسان
يا محنة الإسلام والقرآن من	جهل الصديق وبغي ذي طغيان
والله لولا الله ناصر دينه	وكتابه بالحق والبرهان
لتخطفنا أعداؤنا أرواحنا	ولقطعت منا عرى الإيمان

الشرح: يعني أن هؤلاء الجهلة من المتكلمين الذين لا يحسنون الدفاع عن الإسلام ضد خصومه وأعدائه حملوا على هؤلاء الخصوم بأسلحة مفلولة، والمراد بها الأدلة الباطلة المحالة فخانهم سلاحهم ولم يسعفهم ولا شفى منهم الصدور عند

الطعان، ثم جاء العدو الماكر فاستلب منهم هذا السلاح وقتلهم به فاصحابهم حيث قال لهم أنتم تمنعون قيام الحوادث بذاته تعالى، فلماذا قلمت بحدوث العالم مع أن كل ما يحتاج إليه في الفعل موجود في الأزل من علم شامل وقدرة تامة وإرادة نافذة فلماذا إذا يتأخر وجود المراد مع أنه لم يحدث في ذات الرب سبحانه شيء لا تجدد قدرة ولا إرادة ولا وجود آلة يستعين بها على الإيجاد الخ.

وهكذا قاتلم العدو بنفس السلاح، وكان ذلك في غيبة فرسان الإسلام الحقيقيين ذوي الأسلحة الماضية. وهكذا كانت محنة الإسلام والقرآن في الصديق الجاهل كمحنته في العدو الظالم، فتعاون الفريقان على هدمه وافساده وإن كان الفريق الأول لم يقصد إلى ذلك ولولا أن الله ناصر دينه وكتابه بالحجة والبرهان لمزقنا الأعداء شر ممزق ولسلبونا أرواحنا من جسوننا ولقطعوا منا عرى الإيمان.

★ ★ ★

أ يكون حقا ذا الدليل وما اهتدى	خير القرون له محال ذان
وفتقم للحق إذ حرموه في	أصل اليقين ومقعد العرفان
وهديتمونا للذي لم يهتدوا	أبدأً به وأشدة الحرمان
ودخلتم للحق من باب وما	دخلوه واعجبا لذا الخذلان
وسلكتم طرق الهدى والعلم دو	ن القوم واعجبا لذا البهتان
وعرفتم الرحمن بالأجسام	والاعراض والحركات والألوان
وهم فما عرفوه منها بل من	الآيات وهي فغير ذي برهان
الله أكبر أنتم أو هم على	حق وفي غي وفي خسران

الشرح: ينكر المؤلف على هؤلاء المتكلمين اعتمادهم في اثبات وجود الله عز وجل الذي هو أعظم المطالب في الدين على هذا الدليل المتقدم المبني على حدوث الجواهر والاعراض، حتى ذهب بعضهم جهلا وغلوا إلى أن من لم يؤمن بالله عن طريقه لم يصح إيمانه، فهن يقول لهم لو كان دليلكم هذا حقا، ويتوقف الإيمان بالله عز وجل على معرفته، كيف لم يهتد إليه خير القرون وأفضلها، وهم أكمل

هذه الامة علما وایمانا ، هذا محال ، وكيف يعقل أن توفقوا أنتم يا أذئاب الفلاسفة واخوان الزنادقة للحق في أصل اليقين وأساس الإيمان في حين يرجع هؤلاء الافاضل الكملة بالخبية والحرمان ، وكيف جاز أن تهتدوا أنتم إلى ما لم يهتدوا إليه أو تدخلوا إلى الحق من باب لم يعرفوه أو تسلكوا إلى العلم والهدي طريقا لم يسلكوه ، ولكنكم لا تتورعون من رمي القوم بالجهل وقلة المعرفة حيث قلت أن مذهبنا أعلم وأحكم ، ومذهب السلف أسلم ، وزعمتم أنكم عرفتم ربكم بدليل العقل ، وهو يفيد القطع واليقين ، أما القوم فما عرفوه إلا من طريق الآيات القرآنية ، وهي في زعمكم لا تفيد إلا الظن واقناع السامعين .

فيا عجبا لكم تخالفون طريق القوم وتزعمون أنكم على الحق والهدي ، فمن أحق بذلك ، أنتم أو هم ؟ لا شك أنهم أولى وأحق بكل حق وكل هدي ، وليس لمن خلفهم واتبع غير سبيلهم إلا الوقوع في الغي والضلال .

★ ★ ★

دع ذا أليس الله قد أبدى لنا	حق الأدلة وهي في القرآن
متنوعات صرفت وتظاهرت	في كل وجه فهي ذو أفنان
معلومة للعقل أو مشهودة	للحس أو في فطرة الرحمن
أسمعتم لدليلكم في بعضها	خبرا أو أحسستم له ببيان
أ يكون أصل الدين ما تم الهدى	إلا به وبه قوى الإيمان
وسواه ليس بموجب من لم يحط	علما به لم ينبج من كفران

الشرح : ولندع مخالفتكم لطريق القوم جانبا ولنسألکم هل تعتقدون أن الله عز وجل قد بين لنا الأدلة الحقة على وجوده في القرآن وصرفها ونوعها لتتظاهر على اثبات هذا المطلوب الأعظم من كل وجه ، وحتى لا يبقى فيه لبس ولا خفاء أصلاً ، فمنها ما هو معلوم للعقل ، ومنها ما هو مشهود للحس ، ومنها ما يرجع إلى الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها فمع كل هذه الأدلة المتكاثرة التي جاء بها القرآن هل سمعتم في بعضها خبرا عن دليلكم هذا الذي جعلتموه

عمدتكم في الاستدلال وأهملتم لأجله كل ما جاء بالقرآن الكريم من أنواع الأدلة بحجة أنها لا تفيد ما يفيد هذا الدليل من قطع و يقين، فهل يعقل أن يكون دليلكم - ولم يرد له في كتاب الله ذكر ولا وقعت إليه اشارة مع كثرة ما أورد من أدلة - هو أصل اليقين والإيمان وسواه من الأدلة ليس بموصل لهذا المطلوب ولا محصل للإيمان وأن الواجب هو معرفة الله بهذا الدليل الفاسد، وأن من لم يحط به علما لم ينج من كفران ولم تحصل له حقيقة الايمان.

★ ★ ★

والله ثم رسوله قد بينا	طرق الهدى في غاية التبيان
فلأي شيء أعرضنا عنه ولم	نسمعه في أثر ولا قرآن
لكن أتانا بعد خير قروننا	بظهور أحداث من الشيطان
وعلى لسان الجهم جاؤا حزبه	من كل صاحب بدعة حيران
ولذلك أشد النكير عليهم	من سائر العلماء في البلدان
صاحوا بهم من كل قطر بل رموا	في أثرهم بثواقب الشهبان
عرفوا الذي يفضي إليه قولهم	ودليلهم بحقيقة العرفان
وأخو الجهالة في خفارة جهله	والجهل قد ينجي من الكفران

الشرح: يعني أن الله ورسوله قد بينا جميع الطرق المعرفة بالله غاية البيان، فإذا كان دليل هؤلاء حقا فلماذا لم يذكره الله ولا رسوله، ولم نسمع عنه لا في قرآن ولا أثر، ولكنه دليل باطل متهافت ومقدماته على ما فيها من خفاء وبعد، ليست كلها صحيحة وهو دليل مبتدع متلقى من مبادئ الفلسفة اليونانية الوثنية فإن الكلام في الجسم والعرض والجوهر وغيرها لم يظهر إلا بعد ترجمة هذه الفلسفة إلى العربية في عهد المأمون ومن بعده من خلفاء العباسيين، وكان أول من أحدثه هو الجهم وحزبه من المبتدعة الضلال ولهذا لما اطلع أئمة الحق على حقيقة هذا الدليل وما فيه من تناقض واضطراب أنكروا على أهله غاية الإنكار وحذروا منه غاية التحذير لعلمهم بما يفضي إليه من لوازم فاسدة فيها هدم لكل

قواعد الإسلام، ولسنا نعرف أحداً اختص هذا الدليل بالنقد المر اللاذع، وابتان عن تناقضه وفساده بأدلة العقل والنقل بمثل ما فعل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتابه (العقل والنقل) و(منهاج السنة) فقد أتى فيه بما يشفي ويقنع فجزاه الله عن الإيمان وأهله خير الجزاء

★ ★ ★

فصل

في الرد على الجهمية المعطلة القائلين بأنه ليس على العرش إله يعبد ولا فوق السموات إله يصلى له ويسجد، وبيان فساد قولهم عقلا ونقلا ولغة وفطرة

والله كان وليس شيء غيره	وبرى البرية وهي ذو حدثان
فسل المعطل هل براها خارجا	عن ذاته أم فيه حلت ذان
لا بد من إحداها أو أنها	هي عينه ما ثم موجودان
ما ثم مخلوق وخالقه وما	شيء مغاير هذه الأعيان
لا بد من إحدى ثلا مالها	من رابع خلوا من الروغان
ولذاك قال محقق القوم الذي	رفع القواعد مدعي العرفان
هو عين هذا الكون ليس بغيره	أنى وليس مباين الأكوان
كلا وليس بجانبها أيضاً لها	فهو الوجود بعينه وعيان

الشرح: أعلم أن هذه الصفة وهي استواؤه تعالى على عرشه بمعنى علوه وارتفاعه على العرش بذاته على الكيفية التي يعلمها هو سبحانه من أظهر ما وقع فيه النزاع بين أهل السنة وبين خصومهم، وكانت الشبهة التي سولت لهؤلاء المعطلة نفي الاستواء وغيره من الصفات التي وردت باثباتها النصوص الصريحة من الكتاب والسنة الصحيحة أن هذه الصفات من لوازم الأجسام الحادثة، فلو اتصف الله بها على الحقيقة لكان جسماً، والله منزه عن الجسمية ولوازمها، ولا

يخفى ما في هذه الشبهة من المغالطة، فإننا نثبت هذه الصفات لله على ما يليق به سبحانه، فلا نفيها كما نفتها المعطلة، ولا نمثلها بصفات خلقه كما فعلت المثلة، وبذلك لا يقتضي اثباتها جسمية ولا حدوثا، ولا يلزمنا ما أورده من اللوازم لكنهم توهموا أن معاني هذه الصفات في الغائب لا يمكن أن تعقل إلا كما هي في الشاهد، فقاسوا الله عز وجل على خلقه، وظنوا أن مقتضى التنزيه هو نفي هذه الصفات رأساً، دون الاكتفاء بنفي المماثلة عنها، فجرهم هذا الغلو في التنزيه الى الوقوع في التعطيل وجحد ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله، وتوسعوا في صفات السلوب، حتى يخيل لمن يطالع كتبهم أنهم لا يعنون بهذه الصفات شيئاً موجوداً متحقق الثبوت، وإنما يصفون بها أمراً افتراضياً صرفاً لا حقيقة له، وكأني بك أيها القارئ تنظر إلي في دهشة وتسألني في عجب من أين هؤلاء ذلك النفي الصرف والتجريد المحض، وهو لا أصل له في دينهم، ولا دليل عليه من كتاب ربهم ولا من أقوال نبيهم، ولا هو مما نقل عن أحد من سلف هذه الأمة الذين هم أكملها علماً وإيماناً، وهل يعقل أن هؤلاء المعطلة قد علموا من حقائق التنزيه ما لم يعلمه الله ولا رسوله ولا أحد من سلف هذه الأمة؟ وإني أقول لك مهلاً أيها القارئ الكريم، فسأحدثك عن الأسباب التي أوقعت هؤلاء في تلك الفتنة وأوردتهم موارد الهلكة، حتى يبطل بذلك عجبك وتزول دهشتك، لقد نظر قدماء هؤلاء المعطلة في كتب فلاسفة اليونان وغيرهم، فوجدوا أنه يشبتون إلى جانب هذا الوجود المادي المتمثل في الجواهر والاعراض وجوداً آخر مجرداً عن المادة وعلائقها، فهو ليس بجسم ولا عرض ولا بذى صورة ولا مقدار ولا كيفية ولا يشار إليه بالإشارة الحسية بأنه هنا أو هناك، ولا يجوز عليه قرب ولا بعد، ولا اتصال ولا انفصال، ولا صعود ولا نزول الخ ما نعتوه به من السلوب التي تحيل وجوده وتجعله من قبيل المعدومات والممتنعات.

وكان الفلاسفة يقولون أن هذا الوجود المجرد هو أكمل من الوجود المادي لأنه لا يجوز عليه التغير والاستحالة ولا تحله الاعراض، وكانت المجردات عندهم هي الله والعقل والنفس والهيولى والصورة.

فلما رأى المعطلة ما قال الفلاسفة فرحوا به فرحاً شديداً، وظنوا أنهم وقعوا على كنز ثمين، وأنهم عثروا على مفتاح السر الذي يتيح لهم حل الألغاز والمعميات فقالوا وما لنا لا نثبت هذا النوع من الوجود وان كنا لا نحسه ولا نراه، وليس عندنا عنه أثر ولا خبر.

الم يشبهه قبلنا أرسطو وأفلاطون، وهما بلا شك أصح منا عقولا وأجود أذهانا، ولكننا لا نجعل هذا الوجود الكامل إلا لله وحده ولا نصف به شيئاً من هذه الموجودات الممكنة.

هذا هو أصل تلك الأكذوبة التي راجت وانتشرت حتى عمت الأرجاء والأقطار، وأفسدت بسمها المهلك كثيراً من العقائد والأفكار، وانخدع بها كثير من أهل الفضل والصلاح ممن لهم في علوم الحديث والآثار قدم راسخة، ولكن لا نقول الا كما قال موسى عليه السلام: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ﴾ [الأعراف: ١٥٥].

أننا يا قوم معكم في أن الله ليس جسماً بالمعنى الذي اصطلح عليه أهل الكلام والفلسفة، فهو ليس مركباً من تلك الجواهر المفردة التي يزعمها المتكلمون، ولا من الهيولى والصورة التي يهرف بها الفلاسفة، ولكننا مع ذلك لا نعقل موجوداً ليس في مكان ولا حيز له ولا جهة ولا يشار اليه، ولا يوصف بقرب ولا بعد ولا اتصال ولا انفصال، الخ ما ذكرتموه من نعوت هذا الوجود الذي تسمونه مجرداً، وهل من الضروري أن يكون وجود الرب على هذا النحو الذي يقتضي نفي كل صفة محضة، والا لكان جسماً، أو ليس أحسن من ذلك وأقوم أن نثبت له سبحانه وجوداً خاصاً به هو أكمل من هذه الموجودات الممكنة، ويكون هذا الوجود قابلاً للاتصاف بكل هذي الصفات على وجه لا يكون مماثلاً لاتصاف المخلوق بها، بل لا يكون هناك تشابه ولا اشتراك الا في مسمى الاسم الكلي المتناول لافراد تلك الصفة المتباينة في وجودها العيني.

ولنرجع بعد هذه المقدمة الى شرح كلام المؤلف، فهو يقول هؤلاء النافين لاستوائه تعالى على العرش: أنتم توافقوننا على أن الله كان ولم يكن معه شيء، ثم خلق هذه الموجودات الحادثة، فأين خلقها؟ هل خلقها خارج ذاته، فهي مباينة له منفصلة عنه أم خلقها داخل ذاته، بحيث تكون حالته فيه، لا بد لكم من القول بأحد هذين القولين ما دمتم تعتقدون أن هذه الموجودات هي غيره، فان كان موجودين اذا نسب أحدهما إلى الآخر، فأما أن يكون داخلا فيه أو خارجاً عنه وليس هناك قسم ثالث الا اذا قلتم انها عينه، وأنه ليس هناك موجودان أحدهما خالق والآخر مخلوق، فلا بد لكم من إحدى هذه الخصال الثلاث، أما أن تقولوا انها خارجة عنه، أو تقولوا انها حالة فيه، أو تقولوا أنها عينه، ودعوكم من هذا الروغان، فإنها قسمة حاضرة تقتضيها ضرورة العقل، ولا يجد المنصف محيصاً عنها.

ولهذا ذهب ابن عربي واتباعه من أصحاب مذهب الوحدة الى القسم الثالث، وهو ان الله عز وجل هو عين هذه الأكوان، وليس هناك مباينة أصلاً بين وجوده ووجودها، وليس هو مجانباً لها، بل هو هذا الوجود بعينه وعيانه.

★ ★ ★

ان لم يكن فوق الخلائق ربها	فالقول هذا القول في الميزان
إذ ليس يعقل بعد الا أنه	قد حل فيها وهي كالابدان
والروح ذات الحق جل جلاله	حلت بها كمقالة النصراني
فأحكم على من قال ليس بخارج	عنها ولا فيها بكم بيان
بخلافه الوحيين والاجماع والعق	ل الصريح وفطرة الرحمن
فعليه أوقع حد معدوم وذا	حد المحال بغير ما فرقان

الشرح: بعد ما بين المؤلف أن النسبة بين الله عز وجل وبين هذه الموجودات لا يمكن أن تخرج عن هذه الصور الثلاث، أما الانفصال والمباينة، وأما الحلول والمداخلة، وأما نفي الغيرية وابطال الاثنينية بينهما، والقول بأن وجودهما واحد

قال بعد ذلك فإذا لم يقل الجهمي بأن الله فوق عرشه مبين لخلقه، كان عليه حينئذ أن يقول بما ذهب إليه أصحاب وحدة الوجود من أن الوجود واحد وأن وجود الرب هو عين هذه الموجودات، أو ليس له بعد رفض هذين القولين إلا أن يقول بما ذهب إليه الحلولية من أن العالم جسم كبير، وأن ذات الله عز وجل هي الروح السارية في هذا الجسم لحللول روح الحيوان في بدنه، وذلك مثل ما قالته النصراني في عيسى عليه السلام حيث زعموا أن الله حل فيه، وأن اللاهوت وهو الله قد اتحد بالناسوت، يعنون جسد عيسى، فصار الكل إلهاً واحداً، وإذا تبين أن الأمر لا يخلو عن أحد من هذه الفروض الثلاثة، فمن زعم أن الله ليس بخارج عن هذه الموجودات وليس بحال فيها، فقد نفى وجوده سبحانه ووصفه بصفات المعدوم المتمتع، وكان بذلك مخالفاً للكتاب والسنة وإجماع الأمة ومناقضاً لحكم العقل الصريح وحكم الفطرة السليمة التي فطر الله عليها سائر خلقه.

★ ★ ★

يا للعقول اذا نفيتم مخبرا	ونقيضه هل ذاك في امكان
ان كان نفي دخوله وخروجه	لا يصدقان معا لذي الامكان
الا على عدم صريح نفيه	متحقق ببداهة الانسان
أيصح في المعقول يا أهل النهى	ذاتان لا بالغير قائمتان
ليست تباين منها ذات لأخ	رى أو تحاثيرها فيجتمعان
ان كان في الدنيا محال فهو ذا	فارجع الى المعقول والبرهان

الشرح: يعجب المؤلف من سخافة عقول هؤلاء المعطلة النفاة في قولهم أن الله ليس داخل العالم ولا خارجه، مع أن الدخول والخروج نقيضان والنقيضان يستحيل في العقل ارتفاعهما معا، كما يستحيل اجتماعهما معا، بل لا بد من ثبوت أحدهما وانتفاء الآخر، فإذا استحال أن يكون الله داخل العالم لتنزعه عن الحللول في خلقه وجب ان يكون خارجه، بأن يكون فوقه عالياً عليه، وإنما يصدق نفي النقيضين معا على المعدوم الصريح الذي تحكم بديهة العقل بامتناعه، فهو الذي

يمكن أن يقال انه لا داخل ولا خارج، وأما الموجود الذي له ذات متحققة ثابتة إذا نسب الى موجود آخر متحقق الذات فلا بد من أحد هذين الامرين، أما أن يكون أحدهما داخلاً في الآخر أو خارجاً عنه فلا يصح في العقل أبداً أن يكون هناك ذاتان كل منهما قائمة بنفسها لا بغيرها، ومع ذلك لا توصف كل منهما عند نسبتها الى الأخرى بأنها، أما مباينة لها منفصلة عنها أو محاسية لها داخلية فيها، بل أحد هذين الوصفين ضروري تحكم به بدهاة العقل والخلو عنهما معا من محل المحال.

★ ★ ★

هو قابل من جسم أو جسمان	فلئن زعمت أن ذلك في الذي
وخروجه ما فيه من بطلان	والرب ليس كذا فنفي دخوله
دعوى مجردة بلا برهان	فيقال هذا أولاً من قولكم
وحي المبين بحكمة اليونان	ذاك اصطلاح من فريق فارقوا الـ
وسواه في معهود كل لسان	والشي يصدق نفيه عن قابل
ظلم المحال وليس ذا امكان	أنسيت نفي الظلم عنه وقولك الـ
ليست لرب العرش في الامكان	ونسيت نفي النوم والسنة التي
مقبولة والنفي في القرآن	ونسيت نفي الطعم عنه وليس ذا
وهما على الرحمن ممتنعان	ونسيت نفي ولادة أو زوجة

الشرح: يشير المؤلف في هذه الأبيات الى جواب هؤلاء المعطلة عما تقضي به ضرورة العقل من وجود الاتصاف بأحد النقيضين، واستحالة الخلو عنهما معا، وملخص هذا الجواب أن ذلك انما يكون بالنسبة الى ما هو قابل للاتصاف بالشيء أو بنقيضه، فهو الذي يجب في حقه الاتصاف بأحدهما ويستحيل خلوه عنهما، فلا يصح أن يقال مثلاً أن هذين الجسمين ليسا متصلين ولا منفصلين لأن الجسم قابل للاتصال والانفصال فلا بد له من أحدهما ولكن الرب سبحانه ليس من شأنه أن يتصف بالدخول ولا بنقيضه فيجوز حينئذ نفيها عنه معا ولا يترتب على ذلك محال.

وقد أجاب المؤلف عن ذلك بأن تلك التفرقة بين القابل وغير القابل دعوى مجردة عن الدليل وهي مبنية على اصطلاح الفلاسفة الذين فارقوا الوحي واعتصموا بفلسفة اليونان فإنهم يزعمون أن التقابل ان كان بين الوجود والعدم كأن يقال الشيء أما موجود أو معدوم استلزم هذا التقابل الحكم عليه بأحدهما، وأما أن كان تقابلا بين الملكة وعدمها كما في التقابل بين الحياة والموت، والعلم والجهل، والبصر والعمى الخ. فإن هذا التقابل لا يستلزم الاتصاف بأحدهما أي بالملكة أو بعدمها الا فيما هو قابل للاتصاف بهما فلا يوصف بالموت مثلا الا ما من شأنه أن يكون حيا ولا يوصف بالجهل الا ما هو قابل للعلم ولا يوصف بالعمى الا ما كان ذا بصر وهكذا. وهذا اصطلاح فاسد مخالف لما هو معروف عند أهل اللغات جميعا من جواز نفي الشيء عما هو له قابل وعن غيره. وهذا لازم لكم أيضا فأنتم تنفون عنه الظلم سبحانه مع أنه غير قابل له عندكم لأن الظلم في حقه محال ممتنع. وكذلك تنفون عنه السنة والنوم مع أنه غير قابل للاتصاف بشيء من ذلك لاستحالته عليه وتنفون عنه الطعم أيضاً، وقد نفاه سبحانه عن نفسه في قوله: ﴿وَهُوَ يُطْعَمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [الأنعام: ١٤] مع أن الطعم ليس مما يقبل الرب الاتصاف به وتنفون عنه كذلك الزوجة والولد وهما محالان عليه ممتنعان.

★ ★ ★

والله قد وصف الجهاد بأنه	ميت أصم وما له عينان
وكذا نفى عنه الشعور ونطقه	والخلق نفيا واضح التبيان
هذا وليس بها قبول للذي	ينفي ولا من جملة الحيوان
ويقال أيضاً ثانياً لو صح هـ	ذا الشرط كان لما هما ضدان
لا في النقيضين اللذين كلاهما	لا يثبتان وليس يرتفعان
ويقال أيضاً نفيكم لقبوله	لها يزيل حقيقة الإمكان
بل ذا كنفي قيامه بالنفس أو	بالغير في الفطرات والأذهان

الشرح: وما يدل أيضاً على أن الشيء قد يقع وصفا لغير ما هو قابل له أن

الله عز وجل قد وصف الجهاد في كتابه بالموت والصمم والعمى ونفي عنه الشعور والنطق والقدرة على الخلق قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * أَمْواتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النحل: ٢٠، ٢١] وقال ﴿أَلَمْ أَرْجُلْ يَمْشُونَ بِهَا * أَمْ لَهُمَ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا * أَمْ لَهُمَ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا * أَمْ لَهُمَ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٩٥] وقال حكاية عن إبراهيم في سورة [مريم: ٤٢] ﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ ومعلوم أن الجهاد غير قابل للاتصاف بملكات هذه الأعداء من الحياة والسمع والبصر الخ. ومع ذلك جاز اتصافه بهذه الأعداء.

ويقال لهؤلاء أيضاً لو سلمنا لكم بصحة هذا الشرط وهو قابلية الموصوف للاتصاف، وأن غير القابل يجوز خلوه عن الشيء ومقابلة فإنما يكون ذلك في الضدين اللذين قد يرتفعان معا عن الشيء مثل البياض والسواد ولا يجوز في النقيضين اللذين لا يرتفعان ولا يجتمعان ومعلوم أن التقابل بين دخوله سبحانه في العالم وبين مباينته له هو من قبيل التقابل بين النقيضين فلا بد من ثبوت أحدهما له.

ويقال لهؤلاء أيضاً أن نفيكم عنه قبول أحد هذين الوصفين الدخول والخروج من شأنه أن ينفي امكان وجوده فضلا عن أن يكون واجب الوجود بل هذا يجعله من قبيل المعدوم الممتنع وهو يشبه في الفساد نفي القيام بالنفس والقيام بالغير عنه بحجة أنه ليس من شأنه الاتصاف بواحد منهما مع أن العقل والفترة يقضيان بأن كل موجود فأما أن يكون قائماً بنفسه أو قائماً بغيره، فإذا استحال أن يقوم بغيره وجب أن يكون قائماً بنفسه.

فإذا المعطل قال أن قيامه	بالنفس أو بالغير ذو بطلان
إذ ليس يقبل واحد من ذينك الـ	أمرين الا وهو ذو امكان
جسم يقوم بنفسه أيضاً كذا	عرض يقوم بغيره اخوان

في حكم امكان وليس بواجب ما كان فيه حقيقة الامكان
فكلاهما ينفي الاله حقيقة وكلاهما في نفيه سيان

الشرح: بعد أن بين المؤلف أن قول القائل الله أما داخل العالم أو خارجه هو مساو للقول بأنه أما قائم بنفسه أو قائم بغيره في وجوب الاتصاف بواحد من المتقابلين لنقول بأنه أما قائم بنفسه أو قائم بغيره في وجوب الاتصاف بواحد من المتقابلين، فإذا كان الترديد بين القيام بالذات والقيام بالغير صحيحاً يقتضي ثبوت أحدهما له سبحانه وهو القيام بالذات لأنه يناسب غناه فيجب أن يكون الترديد في قولنا أما داخل العالم أو خارجه صحيحاً أيضاً مقتضياً لثبوت أحدهما له وهو كونه خارج العالم حتى لا يكون حالاً في خلقه، فإذا ادعى المعطل وهو الفيلسوف الذي يرى أن القيام بالذات يفهم المكانية أن ذلك الترديد بين القيام بالذات والقيام بالغير فاسد أيضاً في حقه سبحانه لأنه ليس قابلاً لواحد منهما كما قيل في الدخول والخروج وإنما يقبل واحداً من هذين الأمرين ما كان ممكناً من الأجسام والأعراض فيقال الجسم ما قام بنفسه والعرض ما قام بغيره ولا شك أن الجسم والعرض أخوان في حكم الامكان فتكون كل واحدة من هاتين الصفتين أعني القيام بالذات والقيام بالغير صفة لممكن وما كان ممكناً فليس بواجب فلا يجوز أن تقع واحدة منهما صفة للواجب، وبذلك يكون الترديد بينهما فاسداً، فيقال له أن رفع النقيضين هنا بأن يقال لا قائم بنفسه ولا بغيره مستلزم لنفي حقيقة الاله كما استلزمه رفعهما في قولكم لا داخل ولا خارج فكلاهما في نفيه سواء لأن الضرورة التي قضت بثبوت أحد الوصفين من الدخول والخروج هي بعينها التي تقتضي أن يثبت له إما القيام بالذات وإما القيام بالغير، فكما لا يعقل موجود لا داخل ولا خارج فإنه لا يعقل موجود لا يكون قائماً بنفسه ولا بغيره.

★ ★ ★

ماذا يرد عليه من هو مثله في النفي صرفاً إذا هما عدلان

والفرق ليس بممكن لك بعد ما ضاهيت هذا النفي في البطلان
فوزان هذا النفي ما قد قلته حرفا بحرف أنتما صنوان
والخصم يزعم أن ما هو قابل لكليهما فكققابل لمكان
فأفرق لنا فرقا يبين مواقع الـ أثبات والتعطيل بالبرهان
أو لا فأعط القوس باريها وخـ ال الفشر عنك وكثرة الهذيان

الشرح: يعني بماذا يستطيع نفاة الجهة من المعتزلة والاشاعرة الرد على
الفيلسوف في قوله أن القيام بالنفس والقيام بالغير كلاهما منفي عن الله لأنهما
من خصائص الممكن مع أنهم مثله في النفي المحض حيث قالوا بنفي الدخول
والخروج لأنهما عندهم أيضاً من خصائص الاجسام وكيف يمكنهم أن يفرقوا بين
ما نفوه هم وبين ما نفاه الفلاسفة مع أن النفيين في ميزان العقل سواء فكلاهما
مستلزم لنفي وجود الاله .

وهذا معنى قول المؤلف رحمه الله فوزان هذا النفي أعني الذي نفته الفلاسفة
ما قد قلته أنت من نفي الدخول والخروج حرفا بحرف لا يختلف عنه قيد شعرة
لكن الخصم وهو الفيلسوف يزعم أنه انما نفي هذين الوصفين عن الله لأن القائل
بكليهما لا بد أن يقبل الحلول في المكان، والله منزه عن المكانية فافرق لنا أنت
بين ما نفيته من الدخول والخروج وبين ما نفاه الفيلسوف فرقا يتبين منه بالبرهان
ان كنت مثبتاً أو معطلاً والا فالزم غرزك واعط القوس باريها ولا ترد من
الموارد ما لا تعرف له صدرا .

فصل

في سياق هذا الدليل على وجل آخر

وسل المعطل عن مسائل خمسة تردى قواعده من الاركان
قل للمعطل هل تقول إنها الـ معبود حقا خارج الاذهان

فإذا نفى هذا فذاك معطل
 وإذا أقر به فسله ثانيا
 فإذا نفى هذا وقال بأنه
 فقد أرتدى بالاتحاد مصرحا
 حاشا النصرى أن يكونوا مثله
 هم خصصوه بالمسيح وأمه

الشرح: يريد المؤلف في هذا الفصل أن يضيق الخناق على الخصم وأن يلزمه القول بأنه تعالى بائن من خلقه مستو على عرشه، فحصر المسألة في خمسة أمور لا بد للخصم من القول بأحدها، فيسأله أولا: هل تقول بأن الله موجود خارج الأذهان أو لا وجود له الا في الذهن، فإذا نفى وجوده خارج الذهن فقد حكم على نفسه بالتعطيل وجحد الصانع، وذلك غاية الكفر، وإذا أقر بوجوده تعالى خارج الأذهان يسأل ثانياً: هل تقول بأن وجود الله غير وجود هذه الأكوان أو تراه عينها، فإذا نفى مغايرة وجوده سبحانه لوجود خلقه وقال: بل هو عينها وليس هناك غيران، فقد اتشح بثوب الاتحاد، وصرح على نفسه بالكفر وجحد وجود الرب جل شأنه، بل كان أشد كفراً من النصرى عبدة الصلبان، لأنهم لم يقولوا باتحاده سبحانه بجميع خلقه، ولكنهم خصوا ذلك بالمسيح وأمه مريم العذراء، وأما هذا الاتحادي فقد زعم أن الله متحد بجميع خلقه بما في ذلك الحيوانات المنحطة من القردة والخنازير ونحوها، فلم يصنه عن الاتحاد بهذه الحيوانات وغيرها من المستقدرات.

★ ★ ★

وإذا أقر بأنه غير الورى
 فأسأله هل هذا الورى في ذاته
 وإذا أقر بواحد من ذينك الا
 ويقول أهلا بالذي هو مثلنا
 عبد ومعبود هما شيئان
 أم ذاته فيه هنا أمان
 مرين قبل خده النصراني
 خشداشنا وحييننا الحقاني

وإذا نفى الأمرين فأسأله إذا
فلذاك قام بنفسه أم قام بالأ
فإذا أقر وقال به هو قائم
بالنفس قائمتان أخبرني هما
وعلى التقادير الثلاث فإنه
ضدين أو مثلين أو غيرين كما
فلذاك قلنا انكم باب لمن
نقطتم لهم وهم خطوا على

هل ذاته استغنت عن الأكوان
عيان كالأعراض والأكوان
بالنفس فأسأله وقل ذاتان
مثلان أو ضدان أو غيران
لولا التباين لم يكن شيئان
نابل هما لا شك متحدان
بالاتحاد يقول بل بابان
نقط لكم كمعلم الصبيان

الشرح: أما إذا أقر المعطل بأن الله والعالم شيئان متغايرات، فهذا عبد وذاك
معبود، يسأل مرة أخرى: هل تقول بجلول هذا العالم في ذاته، أو تقول بجلوله
هو في العالم أو لا، فإذا أقر بواحد منها فقد وافق النصرارى القائلين بجلول الله
في المسيح، بل صار شرا منهم، لأنهم خصوا هذا الحلول بالمسيح، وأما هو فقد
جعله حالا في جميع خلقه، فيقر بذلك عين النصرارى ويصير حبيبا لهم لمضاهاة
قوله لقولهم.

وأما إذا نفى عنه الحلول بنوعيه، أعني حلوله هو في العالم وحلول العالم فيه،
فيسأل هل تعتقد أنه تعالى قائم بنفسه مستغن في وجوده عن غيره، كهذه
الاعيان القائمة بنفسها، أو تراه من جملة الاعراض والأكوان التي لا تقوم
بنفسها، بل يكون وجودها تابعا لوجود ما تقوم به من الأعيان، فإذا أقر
بالأول، وهو أنه تعالى قائم بنفسه يسأل عن النسبة بين الله وبين هذا العالم، فيقال
له: هنا ذاتان كل منهما قائمة بنفسها، فأخبرنا هل هما مثلان أو ضدان أو
غيران، إذ لا يمكن أن تخرج النسبة بينهما عن هذه الفروض الثلاثة، وعلى كل
واحد من هذه التقادير الثلاث يلزمك القول بالتباين والانفصال، إذ لولا التباين
لم يثبت واحد من هذه الثلاثة، ولم يكن شيئان، لا ضدين ولا مثلين ولا غيرين،
بل يكونان متحدين.

ومن هنا كان هؤلاء النفاة لوجوده تعالى خارج العالم بائنا من خلقه مستويا

على عرشه بابا لمن قال بالاتحاد، فإن هؤلاء الاتحادية لما جاروهم في ذلك النفي ولم تسغ عقولهم موجودا لا داخل العالم ولا خارجه، حكموا بأن الله هو عين هذا العالم، وصرحوا بالاتحاد، بل أن هؤلاء النفاة أيضاً كانوا بابا ولج منه الحلولية الذين زعموا أن الله هو الروح السارية في العالم، لأنهم لما وافقوا هؤلاء في أن الله ليس خارج العالم، ولم يعقلوا موجودا لا داخلا ولا خارجا حكموا بجلوله فيه وسريانه في جميع أجزائه، فصار هؤلاء الجهمية النفاة أساتذة لهؤلاء الاتحادية والحلولية ينقطن لهم نقطاً وهم يخطون عليها كما يفعل معلم الصبيان .

وملخص هذا الدليل على طريقة السير والتقسيم المعروفة أن الله سبحانه أما أن يكون موجودا خارج الأذهان أو لا، والثاني مستلزم لنفيه وجحوده والأول أما أن يكون وجوده غير وجود هذه الأكوان أو لا، بأن يكون عينها، والثاني مستلزم للقول بالاتحاد، وهو كفر، والأول اما أن يكون متصلاً بالأشياء اتصال حلول، بأن تكون قد حلت فيه أو حل فيها أو لا، والأول مستلزم للقول بالحلول الذي قالت به النصارى هو كفر، والثاني أما أن يكون قائماً بنفسه مستغنيا عن الأكوان أو لا، والثاني يستلزم كونه عرضاً قائماً بالأعيان، وهو كفر، فثبت من ذلك أنه موجود بوجود مغاير لوجود الأشياء غير حال فيها ولا حالة فيه وليس هو عرضاً لها، بل هو وجود قائم بنفسه، والعالم قائم بنفسه، فإذا نسب أحدهما إلى الآخر فلا يخلو، إما أن يكونا مثلين أو ضدين أو غيرين، وعلى كل فهما منفصلان متباينان فثبت أن الله مبين للعالم وأنه فوقه عال عليه .

★ ★ ★

فصل

في الإشارة الى الطرق النقلية الدالة

على أن الله تعالى فوق سمواته على عرشه

ولقد أتانا عشر أنواع من المنقول في فوقيّة الرحمن

مع مثلها أيضا تزيد بواحد منها استواء الرب فوق العرش في وكذلك اطردت بلا لام ولو لأنت بها في موضع كي يحمل الـ ونظير ذا اضمارهم في موضع لا يضمرون مع اطراد دون ذكر المضمرة المحذوف دون بيان بل في محل الحذف يكثر ذكره حذفوه تخفيفا وإيجازا فلا هذا ومن عشرين وجها يبطل قد أفرد بمصنف لامام هذا

ها نحن نسردها بلا كتمان سبع أتت في محكم القرآن كانت بمعنى اللام في الأذهان باقي عليها بالبيان الثاني حملا على المذكور في التبيان حملا على المذكور في التبيان لا يضمرون مع اطراد دون ذكر المضمرة المحذوف دون بيان فإذا هم ألفوه إلف لسان يخفى المراد به على الانسان التفسير باستولى لذي العرفان الشأن بحر العالم الرباني

الشرح: بعد أن فرغ المؤلف من إيراد الطرق العقلية التي لا تقبل الجدل على استوائه تعالى على عرشه بذاته، شرع في إيراد النصوص المثبتة لذلك من الكتاب والسنة وأقوال السلف والأئمة رضي الله عنهم، وقد بلغ بها المؤلف واحدا وعشرين نوعا أولها: اخباره سبحانه عن نفسه بأنه استوى على عرشه، وقد جاء في سبع مواضع من القرآن الكريم: في سورة الأعراف، ويونس، والرعد، وطه، والفرقان، وألم تنزيل السجدة والحديد. وقد عدى فعل الاستواء في هذه المواضع كلها بعلى التي هي نص في الدلالة على العلو والارتفاع، كما اطراد فيها لفظ الاستواء بدون لام، مما يدل على أنه لم يرد به إلا الاستواء الحقيقي، اذ لو كان استوى معناه استولى كما يزعم الجهمية والمعتلة لوجب أن يذكر هذا اللفظ ولو في موضع واحد كي يحمل لفظ الاستواء في بقية المواضع عليه.

هذا ما يقتضيه الكلام البليغ أن يؤتى في أحد المواضع بلفظ يعين المراد نصاً فإذا جاءت بعد ذلك ألفاظ مجملة يحتمل هذا المعنى وغيره حملت عليه، ونظير هذا أنهم يضمرون في بعض المواضع بعد الذكر في بعضها حملا على المذكور في الكلام واعتمادا على فهم المخاطب المقصود بهذه الضمائر، ولكنهم لا يضمرون أبدا باطراد دون ذكر سابق للمضمرة المحذوف، بل قد يكثر من ذكر الشيء في

مواضع حذفه، حتى إذا ألف وصار مشهوراً حذفوه تخفيفاً وإيجازاً اتكلاً على وضوح المراد.

هذا وقد أبطل شيخ الإسلام ابن تيمية تأويل الاستواء بالاستيلاء من عشرين وجهاً، أفرداها بمصنف خاص، وفيها الكفاية كل الكفاية لمن أراد أن يعرف زيغ هؤلاء المؤولة وبعدهم عن جادة الحق، وكفى بمذهبهم شناعة أن الله يقول استوى، وهم يقولون ما استوى ولكن استولى، فهل كان الله عاجزاً عن زيادة لام يزيل بها الاشكال ويوضح المراد.

وما أحسن ما قيل أن لام الجهمية كنون اليهودية، فاليهود قيل لهم قولوا حطة فقالوا حنطة، وهؤلاء قيل لهم: استوى، فقالوا استولى، تشابهت قلوبهم.

★ ★ ★

فصل

وله بحكم صريحة لفظان	هذا وثانيتها صريح علوه
ففة لقصد بيان	لفظ العلى ولفظه الأعلى معير
عميم والاطلاق بالبرهان	ان العلو له بمطلقه على الت
ذاتا وقهرا مع علو الشان	وله العلو من الوجوه جميعها
مال العلو فصار ذا نقصان	لكن نفاة علوه سلبوه أك
فله الكمال المطلق الرباني	حاشاه من أفك النفاة وسلبهم

الشرح: هذا هو النوع الثاني من الدلائل النقلية وهو التصريح بالعلو في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وقوله: ﴿سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١] فكل من هذين الاسمين الكريمين صريح في أثبات علوه تعالى، وقد جيء بكل منهما معرفة لافادة أن الثابت له سبحانه هو العلو المطلق من كل وجه علو الذات وعلو القدر والعظمة وعلو القهر والجبروت، ولكن المعطلة بناء على أصلهم الفاسد يحملون العلو في هذه الآيات على المعنيين

الأخيرين أعني علو القدر والقر فقط وينفون عنه المعنى الأول وهو علو الذات، ولا شك أن العلو المطلق من كل وجه أكمل من العلو الذي يكون مقيدا ببعض الوجود فم بتقييدهم للعلو سلبوه سبحانه كمال العلو، وسلب الكمال مستلزم للنقص، وحاشاه سبحانه مما يافك به هؤلاء النفاة من نقصه في علوه بل له الكمال المطلق في علوه وفي سائر صفاته.

★ ★ ★

وعلوه فوق الخليقة كلها	فطرت عليه الخلق والثقلان
لا يستطيع معطل تبديلها	أبدا وذلك سنة الرحمن
كل إذا ما نابه أمر يرى	متوجها بضرورة الإنسان
نحو العلو فليس يطلب خلفه	وأمامه أو جانب الإنسان
ونهاية الشبهات تشكيك	وتحميش وتغيير على الإيمان
لا يستطيع تعارض المعلوم وال	معقول عند بدائه الإنسان
فمن المحال القدح في المعلوم	بالشبهات هذا بين البطلان
وإذا البدائة قابلتها هذه	الشبهات لم تحتج إلى بطلان
شأن بين مقالة أوصى بها	بعض لبعض أول للثاني
ومقالة فطر الإله عباده	حقا عليها ما هما عدلان

الشرح: هذا استدلال على علوه تعالى فوق خلقه بدليل الفطرة الذي هو أقوى من دليل العقل عند من أنصف لاستناده إلى فطرة الله التي فطر الناس عليها فلا يستطيع أحد تبديلها، وذلك أن الله عز وجل قد فطر عباده على أن يتوجهوا في دعائهم إلى جهة الفوق رافعي أكفهم رانين بأبصارهم حتى أن كل من نابه من العباد أمر أو مسه ضر يرى متوجها بفطرته إلى جهة العلو وحدها دون الأمام أو الخلف أو اليمين أو الشمال، ولو رجع هؤلاء المعطلة إلى أنفسهم لوجدوا هذا المعنى مركزا في فطرهم، ولكنهم يكابرون ويحاولون إثارة الشبهات حول ما هو معلوم بالنقل والعقل والفطرة، ولكن نهاية شبهاتهم هي

اثارة الشكوك والتغيير في وجه الايمان إذ هي لا تقوى على معارضة أمر ثابت
 بضرورة العقل ومعلوم بالبديهية فإنه من المحال أن تنال الشبهات من المعلوم على
 وجه اليقين فإذا حصلت مقابلة بينها فلا شك أن هذه الشبهات تضحل وتزول
 ويبقى الحق ثابتاً فإنه شتان بين قضية وهم أوصى بها كل معطل من خلفه وبين
 قضية فطرة فطر الله العباد عليها وما هما في ميزان العدل سواء ؟

فصل

هذا وثالثها صريح الفوق مصحوباً بمن وبدونها نوعان
 إحداها هو قابل التأويل والأصل الحقيقة وحدها بيان
 فإذا ادعى تأويل ذلك مدعى لم تقبل الدعوى بلا برهان
 لكننا المجرور ليس بقابل التأويل في لغة وعرف لسان
 وأصخ لفائدة جليل قدرها تهديك للتحقيق والعرفان
 إن الكلام إذا أتى بسياقة يبدي المراد لمن له أذنان
 أضحى كنص قاطع لا يقبل التأويل يعرف ذا أولو الأذهان
 فسياقة الألفاظ مثل شواهد الـأحوال انها لنا صنوان
 إحداها للعين مشهود بها لكن ذاك لمسمع الإنسان

الشرح: هذا هو الوجه الثالث من الوجوه الدالة على علوه تعالى، وهو
 التصريح بلفظ الفوق في القرآن الكريم مصحوباً بمن أحياناً، كما في قوله تعالى في
 صفة ملائكته: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠] وبدونها أخرى،
 كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام:
 ١٨] ولا شك أن الفوق المجرور بمن نص في معناه لا يقبل التأويل، إذ لا يقال
 هذا اللفظ إلا في تعيين الجهة التي يكون فيها الشيء بالنسبة لما تحته، كما يقال:
 السماء من فوقنا، ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا
 مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥].

وأما الفوق المجرد عن الاقتران بمن فهو قد يقبل التأويل ، ولكن لا يقبله إلا بدليل ، لأن الأصل هو الحقيقة ، فلا يصرف اللفظ عن معناه الحقيقي إلا بقرينة صارفة تمنع من ارادة المعنى الأصلي ، فإذا ادعى الخصم ان قرينة العقل هي التي أوجبت ذلك الصرف لاستحالة الفوقية الحسية ، قلنا هذه القرينة معارضة عندنا بضرورة العقل القاضية بأن كل موجودين إذا نسب أحدهما إلى الآخر ، فأما أن يكون متداخلين أو متباينين ، وإذا كانا متباينين فلا بد أن يكون أحدهما في جهة من الآخر .

وقد ذكر المؤلف هنا فائدة جليظة ينبغي التنويه بها وهي اعتبار سياق الكلام في تحديد مدلولات الألفاظ ، فإذا جاء السياق يبدي المراد للمخاطب أصبح كالنص في افادة القطع وعدم قبول التأويل ، فبعض الألفاظ قد يكون محتملا لأكثر من معنى ، ولكن سياق الكلام هو الذي يعين المراد باللفظ من هذه المعاني ، فسياق الالفاظ مثل شواهد الأحوال كل منها قرينة تعين المعنى المقصود إلا أن هذه قرينة مرئية بالعيان وهذه قرينة مسموعة بالآذان .

★ ★ ★

تبدي المراد أتى على استهجان	فإذا أتى التأويل بعد سياقة
أحوال كان كأقبح الكتمان	وإذا أتى الكتمان بعد شواهد أُل
سقت له ان كنت ذا عرفان	فتأمل الألفاظ وانظر ما الذي
كل الوجوه لفاطر الأكوان	والفوق وصف ثابت بالذات من
جحدوا كمال الفوق للديان	لكن نفاة الفوق ما وافوا به
لى لا بفوق الذات للرحمن	بل فسروه بأن قدر الله أعـ
ذهب يرى من خالص العقبان	قالوا وهذا مثل قول الناس في
بالذات بل في مقتضى الأثمان	هو فوق جنس الفضة البيضاء لا
لله ثابتة بلا نكران	والفوق انواع ثلاث كلها
فوقية العليا على الاكوان	هذا الذي قالوا وفوق القهر وال

الشرح: بعني إذا دل سياق الكلام وفحواه على المعنى المراد من اللفظ، فإن التأويل عند ذلك يكون قبيحاً مستهجنًا كقبح الكتمان لما دلت عليه شواهد الأحوال، فالواجب هو تأمل الالفاظ والنظر فيما سيقته له حتى يعرف المراد بها.

ولا شك أن لفظ فوق في جميع سياقاته في القرآن الكريم يفيد أن الثابت لله عز وجل هو الفوقية المطلقة بجميع معانيها. فإن فوق وصف ثابت لله، فيجب أن يكون الثابت له هو كمال فوق لا بعض فوق، ولكن نفاة فوق جحدوا كمال هذا الوصف، كما جحدوا كمال علوه من قبل، وفسروا فوق بأحد المعاني الذي يحتملها، وهو فوقية القدر، كما يقال الذهب فوق الفضة، بمعنى أنه أعلى منها ثمنًا.

ولا شك ان هذا المعنى الذي ذكروه صحيح ولكن ليس هو كل المراد من لفظ فوق، فان للفوقية معاني ثلاثة: هي فوقية الذات، وفوقية القدر والعظمة، وفوقية القهر، وكلها ثابتة لله جل شأنه حسبما يقتضيه اطلاق اللفظ.

★ ★ ★

فصل

هذا ورابعها عروج الروح وال
ولقد أتى في سورتين كلاهما اشتملا على التقدير بالازمان
في سورة فيها المعارج قدرت
وبسجدة التنزيل ألفا قدرت
يوم المعاد بذى المعارج ذكره
وكلاهما عندي فيوم واحد
فالألف فيه مسافة لنزولهم
هذي السماء فإنها قد قدرت
أملك صاعدة الى الرحمن
خسين ألفا كامل الحسبان
فلأجل ذا قالوا هما يومان
واليوم في تنزيل في ذا الآن
وعروجهم فيه إلى الديان
وصعودهم نحو الرفيع الداني
خسين في عشر وذا صنفان

لكنما الخمسون ألف مسافة السبع الطباق وبعد ذي الأكوان
من عرش رب العالمين إلى الثرى عند الحضيض الأسفل التحتاني

الشرح: الوجه الرابع من تلك الوجوه النقلية الدالة على علوه تعالى على خلقه
اخباره سبحانه بعروج الملائكة والروح إليه، ورد ذلك في سورتين من كتاب
الله، وفي كل منهما قدر العروج بالأزمان، ففي سورة المعارج قدر ذلك بخمسين
ألف سنة، قال تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ
خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ * فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ [المعارج: ٤، ٥].

وفي سورة ألم تنزيل السجدة قدر بألف سنة فقط، قال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ
مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا
تَعُدُّونَ﴾ [السجدة: ٥] ومن أجل هذا الاختلاف في مدة العروج ظن كثير
من الفسرين أنها يومان متغايران، وليس المراد بهما يوماً واحداً، فاليوم المذكور
بذي المعارج هو يوم المعاد كما يفيد السياق في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ
بَعِيدًا * وَرَأَاهُ قَرِيبًا * يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾ [المعارج: ٦، ٨]
الآيات.

وأما اليوم المذكور في ألم تنزيل فهو في الدنيا، واختار المؤلف رحمه الله أن
المراد بهما يوم واحد، وأن العروج فيه إلى الله عز وجل، وإنما اختلفت المدة في
الآيتين، فكانت في احدهما ألفا وفي الأخرى خمسين ألفا لاختلاف المسافة
المقطوعة في كل منهما، فالألف جعلت مدة لنزول الملائكة وصعودهم إلى السماء
الدنيا، فإن المسافة بين الأرض والسماء الدنيا قدرت في الأحاديث بخمسمائة عام
فإذا قدر نزولهم وصعودهم كان المجموع ألف سنة. وأما الخمسون ألفا فهي
المدة التي يعرجون فيها من فوق السبع الطباق من عند العرش إلى المركز الأسفل
الذي هو الحضيض.

★ ★ ★

واختار هذا القول في تفسيره البغوي ذاك العالم الرباني

ومجاهد قد قال هذا القول لكن ابن اسحاق الجليل الشان
قال المسافة بيننا والعرش ذا المقدار في سير من الإنسان
والقول الأول قول عكرمه وقول قتادة وهما لنا علما
واختاره الحسن الرضي ورواه عن بحر العلوم مفسر القرآن
ويرجع القول الذي قد قاله ساداتنا في فرقهم أمران
أحدهما ما في الصحيح لمانع لزكاته من هذه الأعيان
يكوي بها يوم القيامة ظهره وجبينه وكذلك الجنبان
خسون ألفا قدر ذاك اليوم في هذا الحديث وذاك ذو تبيان

الشرح: هذا القول الذي اختاره المؤلف من أن المراد باليومين يوم واحد
وأن الاختلاف في الزمن مبني على اختلاف المسافة المقدرة لكل منهما قد اختاره
الإمام البغوي في تفسيره، وهو مروى أيضاً عن مجاهد الذي هو أشهر من نقل
عن ابن عباس حتى قال فيه القائل (إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به)
وأما ابن اسحاق صاحب السيرة فقال: أن الاختلاف يرجع الى كيفية السير
فالمسافة التي بيننا وبين العرش تقطع بسير الانسان في هذا المقدار وهو خمسون
الف سنة.

وأما القول الأول الذي فرق بين اليومين، فجعل أحدهما وهو المذكور بذوي
المعارج ليوم المعاد، والآخر في هذه الدنيا فقد ذهب اليه جل المفسرين عكرمة
وقتادة، واختاره الحسن البصري وأسنده الى ابن عباس رضي الله عنهما، ومما
يرجح هذا القول ما ورد في الصحيح من قوله عليه الصلاة والسلام « ما من
صاحب كنز لا يؤدي زكاته الا أحمي عليه في نار جهنم، فيجعل صفائح فتكوي
بها جنباه وجبهته حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين الف سنة »
الحديث بطوله رواه أحمد ومسلم.

وقد مال إلى هذا الفرق أيضاً علامة القصيم الشيخ عبد الرحمن آل سعدي غفر
الله له في شرحه على القصيدة النونية فقال (والظاهر لي أن آية المعارج التقدير

فيها ليوم القيامة، وأن معنى الكلام الاخبار بعظمة ذلك اليوم وطوله العظيم، وأنه في ذلك اليوم يظهر للخلائق من عظمة الرب وعظمة ملكه وكمال تدبيره، وأن أمور الملك وتدبيره تعرج بها الملائكة اليه وتنزل فيها منه، والسياق في الآيات التي في المعارج، يدل على ذلك. وأما تقديره بالألف في سورة السجدة فإنه في الدنيا، لأن السياق أيضاً يدل عليه، فإنه في سياق بيانه في الدنيا ليعرفوا عظمة الله وكبريائه ونفوذ تدبيره).

فالظاهر اليومان في الوجهين يو م واحد ما أن هما يومان قالوا وإيراد السياق بين المضـ منون منه بأوضح التبيان فانظر الى الأضمار ضمن يرونه ونراه ما تفسيره ببيان فاليوم بالتفسير أولى من عذاب ويكون ذكر عروجهم في هذه الدنيا بـ كنزولهم أيضاً هنالك ثابت فنزولهم بعد القضا كعروجهم ويزول هذا السقف يوم معادنا فعروجهم للعرش والرحمن هذا وما اتضحت لدي وعلمها المـ وأعوذ بالرحمن من جزم بلا والله أعلم بالمراد بقوله

الشرح: يعني أن الظاهر هو كون اليومين المذكورين في آية المعارج وحديث مانع الزكاة يوم واحد لا يومان، وإيراد السياق في كل من السورة الكريمة، والحديث يبين أن المراد به يوم واحد هو يوم المعاد بأوضح بيان وأجلاه، ونحن إذا تأملنا في الضمير الواقع مفعولاً في كل من يرونه ونراه والى مرجعه في الكلام السابق وجدنا أن رجوعه الى اليوم وتفسيره به أولى من رجوعه إلى عذاب واقع وذلك لأن اليوم أقرب مذكور، ويكون حينئذ ما في آية السجدة بيانا لعروجهم في هذه الدنيا، وما في آية المعارج بيانا لعروجهم يوم القيامة، ولهم كذلك نزولان نزول يوم القيامة، وهو المشار إليه لقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاءُ

بِالْغَمَامِ وَتُنزَلُ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلاً ﴿ [الفرقان : ٢٥] ونزولات في الدنيا للقيام بما يكلفم الله بهم من شئون خلقه ، واليه الإشارة لقوله تعالى : ﴿ وَمَا تَنْزَلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴾ [مريم : ٦٤] وقوله ﴿ تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴾ [القدر : ٤ ، ٥] وعروجهم بعد فصل القضاء و فراغ الله عز وجل من محاسبة الخلق ، هو كعروجهم في هذه الدنيا هو الى العرش والرحمن ، ولكن العروج الأول يكون بعد زوال هذا السقف ، يعني السموات السبع ، وطبها كطي السجل للكتب ، فلا يبقى هناك مراحل للصعود والعروج .

وبعد أن ساق المؤلف رحمه الله كلا من المذهبين ، المذهب الذي اختاره هو والمذهب الذي رواه عن جبهة المفسرين ، وبعد ان ساق الأدلة المقوية لهذا المذهب الثاني أعذر بأن المسألة لم تتضح له تماما ، ووكل علمها إلى الله عز وجل ، واستعاذ بالله من أن يقطع فيها برأي على غير علم وبينه ، وقال ان هذا هو أفسى ما امكنه من تحقيقها ، والله ورسوله أعلم بالمراد من كلامه عز وجل .

★ ★ ★

فصل

هذا وخامسها صعود كلامنا	بالطيبات اليه والاحسان
وكذا صعود الباقيات الصالحات	ت إليه من أعمال ذي الايمان
وكذا صعود تصدق من طيب	أيضاً اليه عند كل أوان
وكذا عروج ملائك قد وكلوا	منا بأعمال وهم بدلان
فإليه تعرج بكرة وعشية	والصبح يجمعهم على القرآن
كي يشهدون ويعرجون اليه بالاعم	ال سبحان العظيم الشأن
وكذاك سعي الليل يرفعه الى ال	رحمن من قبل النهار الثاني
وكذاك سعي اليوم يرفعه له	من قبل ليل حافظ الانسان

الشرح : هذا هو خامس الوجوه النقلية ، وهو اخباره سبحانه بصعود الكلم

الطيب والأعمال الصالحة اليه، قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠] وكذا تصعد اليه الصدقة اذا كانت من كسب طيب، فقد أخرج الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ « من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب، ولا يصعد الى الله تعالى الا الطيب، فإن الله عز وجل يقبلها بيمينه فيريها لصاحبها كما يري أحدكم فلوه حتى تكون مثل أحد ».

وكذلك ورد الأثر بأن أعمال العباد يعرج بها إلى الله الملائكة الموكلون بها فيصعد بها ملائكة النهار بعد صلاة العصر، وملائكة الليل بعد صلاة الفجر، روى الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمعه يقول: قال رسول الله ﷺ « الملائكة يتعاقبون فيكم، ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج اليه الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم، فيقول كيف تركتم عبادي؟ فيقولون تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون » ولهذا كان الأرجح في الصلاة الوسطى أنها صلاة العصر، وقال تعالى في صلاة الفجر: ﴿إِنْ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الاسراء: ٧٨] يعني تشهده الملائكة، ثم يعرجون الى الله بالأعمال بعد الفراغ من الصلاة.

وورد كذلك ان عمل الليل يرفع اليه سبحانه قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: « قام فينا رسول الله ﷺ بأربع كلمات فقال: « إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع إليه عمل الليل قبل النار وعمل النار قبل عمل الليل حجاب النور أو قال النار لو كشفه لأحرقت سبحات وجه ما انتى إليه بصره من خلقه ».

★ ★ ★

وكذلك معراج الرسول اليه — حق ثابت ما فيه من نكران بل جاوز السبع الطبايق وقد دنى منه الى أن قدرت قوسان

بل عاد من موسى اليه صاعدا
وكذاك رفع الروح عيسى المرتضى
وكذاك تصعد روح كل مصدق
حقا اليه كي تفوز بقربه
وكذا دعا المضطر أيضاً صاعد
وكذا دعا المظلوم أيضاً صاعد
خسا عداد الفرض في الحسبان
حقا اليه جاء في القرآن
لما تفوز بفرقة الابدان
وتعود يوم العرض للجثمان
أبدأ اليه عند كل اوان
حقا اليه قاطع الأكوان

الشرح: وكذلك ثبت بالأحاديث الصحيحة أنه ﷺ ليلة الاسراء عرج بشخصه يقظة الى السماء فقد جاء في صحيح البخاري من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: « ثم عرج به الى الجبار جل جلاله وتقدست أسماؤه فدنا منه حتى كان قاب قوسين أو ادنى فأوحى الى عبده ما أوحى وفرض له خمسين صلاة فرجع حتى مر على موسى فقال: بِمِ أَمَرْتِ؟ قال بخمسين صلاة، فقال أن أمتك لا تطيق ذلك أرجع إلى ربك فأسأله التخفيف لأمتك فالتفت الى جبرائيل كأنه يستشيره في ذلك فأشار أن نعم أن شئت فعلا به جبريل حتى جاء به الى الجبار تبارك وتعالى وهو في مكانه فوضع عنه عشراً، ثم نزل حتى مر بموسى فأخبره، فقال ارجع الى ربك فأسأله التخفيف فلم يزل يتردد بين موسى وبين الله تبارك وتعالى حتى جعلها خمساً فأمره موسى بالرجوع وسؤال التخفيف فقال قد استحيت من ربي ولكن أرضى وأسلم، فلما نفذ نادى مناد قد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي ».

وكذلك أخبر الله عن عيسى روح الله وكلمته انه رفعه اليه لما أراد اليهود قتله قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ خُذْ هَذِهِ وَارْتَقِهَا﴾ [آل عمران: ٥٥] وقال ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٥٨] وقد روى البخاري ومسلم في صحيحهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « كيف انتم اذا نزل ابن مريم من السماء فيكم وامامكم منكم » والمراد بهذا نزوله من السماء بعد رفعه الى الله عز وجل.

وكذلك ثبت أن روح المؤمن حين تفارق جسده عند الموت تصعد بها ملائكة الرحمة حتى تقف بين يدي الله عز وجل، وأنها تنعم هناك بقربه في الجنة حتى تعود إلى جسدها يوم القيامة، وكذلك يرفع اليه دعاء المضطرين فيجيب ما دعوه اليه ان شاء كما قال سبحانه: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: ٦٢] ودعاء المظلومين فينتقم لهم ممن ظلمهم، قال ﷺ للمعاذ حين بعثه الى اليمن « وائق دعوة المظلوم فأنها ليس بينها وبين الله حجاب » وردد ان الله يرفعها فوق الغمام ويقول وعزتي لأجيبنك ولو بعد حين.

فصل

هذا وسادسها وسابعها النزول والله أخبرنا بأن كتابه أيكون تنزيلا وليس كلام من أيون تنزيلا من الرحمن والر وكذا نزول الرب جل جلاله فيقول لست بسائل غيري بأحد من ذاك يسألني فيعطى سؤله من ذاك يسألني فأغفر ذنبه من ذا يريد شفاءه من سقمه ذا شأنه سبحانه وبجمده يا قوم ليس نزوله وعلوه وكذا يقول ليس شيئا عنديم كل مجاز لا حقيقة تحته

الشرح: هذا بيان للوجهين السادس والسابع من الأدلة النقلية الدالة على علوه

تعالى وهما نزوله سبحانه إلى السماء الدنيا كل ليلة على ما وردت به الأحاديث الصحيحة المتواترة في المعنى ، والثاني تنزيله القرآن من عنده كما نطقت به الآيات في مثل قوله تعالى : ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل : ١٠٢] وقوله في أول سورة [غافر : ١ ، ٢] ﴿ حَمَّ * تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ وقوله : ﴿ حَمَّ * تَنْزِيلُ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ [فصلت : ١ ، ٢] وفي أول سورة [الزمر : ١] ﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ الخ . وهذا التنزيل يقتضي علو من أنزله وكونه فوق عرشه مبينا لخلقه ، فإن التنزيل مصدر نزل بمعنى القي الشيء من أعلى الى أسفل فيكون الملقى عاليا على من أنزله اليهم والا لم يصح تسميته تنزيلا إذا كان المتكلم به ليس فوق عباده ولا مبينا لهم بل يسمى بغير ذلك مما لا يقتضي العلو كالتبليغ والتوصيل .

وأما نزوله تبارك وتعالى فقد ورد من طرق متعددة فيها اختلاف في بعض الالفاظ ففي بعضها انه ينزل حين يبقى ثلث الليل الآخر ، وفي بعضها أنه ينزل حين يتعار من الليل شطره الأول ولكنها كلها متفقة على اثبات النزول وأنه الى السماء الدنيا ويقول سبحانه اذا نزل لا أسأل عن عبادي غيري من ذا الذي يسألني فأعطيه من ذا الذي يستغفري فأغفر له ، من ذا الذي يدعوني فأستجب له ويظل هكذا سبحانه الى أن يطلع الفجر الثاني الذي يعرف بالصادق .

ولا شك ان معنى النزول معروف لا يمكن جحده ولا المهاراة فيه وتأويل ذلك بنزول الملك او بقرب الرحمة كما يقوله المعطلة اخراج للكلام عن معناه المتبادر منه بلا قرينة ، فإن ادعوا ان النزول الحسي مستحيل لأنه يقتضي هبوطاً وانتقالا من مكان إلى آخر وتفريغ محل وشغل آخر وان تكون السماء ظرفا للرب تبارك وتعالى قلنا لهم نحن نشبب النزول على ما اراده الله عز وجل بلا خوض في كفيته فلا يقتضي نزوله عندنا شيئا من هذه اللوازم الفاسدة التي يقتضيها نزول المخلوق وأما هم فلا يشبتون له نزولا ولا علوا ، بل ينفون عنه ما وصف به نفسه ووصفه به رسوله بدعوى ان ذلك من لوازم الجسم ، وأنه يقتضي المشابهة ،

وكذلك ينفون عنه أنه يقول هذه الكلمات التي تضمنها هذا الحديث كما ينفون عنه كل قول آخر وكل ذلك عندهم محمول على المجاز والتأويل بلا دليل ولا برهان.

★ ★ ★

هو رفعة الدرجات للرحمن	هذا وثامنها بسورة غافر
أيضاً له وكلاهما رفعان	درجاته مرفوعة كمعارج
وسياقها يأباه ذو التبيان	وفعيل فيها ليس معنى فاعل
لكمال رفعتة على الأكوان	لكنها مرفوعة درجاته
عنه وخذ معناه في القرآن	هذا هو القول الصحيح فلا تحد
في ذي المعارج ليس يفتقرآن	فنظيرها المبدي لنا تفسيرها
رجه اليه جل ذو السلطان	والروح والأملك تصعد في معا
الا سواء أو هما شهبان	ذا رفعة الدرجات حقاً ما هما
تفسير اهل العلم للقرآن	فخذ الكتاب ببعضه بعضاً كذا

الشرح: هذا هو الوجه الثامن، وهو اخباره سبحانه عن نفسه في سورة غافر بأنه رفيع الدرجات، ولا يصح أن يكون رفيع هنا بمعنى رافع. فإن السياق يأباه، فقد وصف الله نفسه قبل هذا بأنه العلي الكبير، ثم وصف نفسه بعد ذلك بأنه رفيع الدرجات ذو العرش، فالأوصاف كلها راجعة الى رفعتة هو وارتفاعه على خلقه لا الى رفعه بعض خلقه على بعض درجات، كما فهمه من لا يحسن تذوق كلام الله عز وجل، ولكن فعيل هنا بمعنى مفعول، والمراد أن درجاته مرفوعة لكمال علوه على خلقه، فهو كقوله تعالى [المعارج: ٣] ﴿ مِنْ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴾ يعني المصاعد التي تصعد فيها الملائكة اليه جل سلطانه، فهي درجات بعضها فوق بعض، وانتهائها اليه سبحانه هذا هو التفسير الذي يجب المصير اليه، فإن الله قد أنزل القرآن يصدق بعضه بعضاً، وخير ما يفسر به القرآن هو القرآن.

★ ★ ★

فصل

هذا وتاسعها النصوص بأنه فاستحضر الوحيين وأنظر ذاك تلقف
 ولسوف نذكر بعض ذلك عن قر وأذا أتتك فلا تكن مستوحشاً
 ليست تدل على انحصار إلهنا إذ أجمع السلف الكرام بأن معن
 أو أن لفظ سائه يعني به والرب فيه وليس يحصره من ال
 كل الجهات بأسرها عدمية قد بان عنها كلها فهو المحي
 ما ذاك ينقم بعد ذو التعطيل من أيرد ذو عقل سليم قط ذا
 والله ما رد أمرؤ هذا بغد فوق السماء وذا بلا حسابان
 اه ميناً واضح التبيان يب كي تقوم شواهد الايمان
 منها ولا تك عندها ببيان عقلا ولا عرفا ولا بلسان
 اها كمعنى الفوق بالبرهان نفس العلو المطلق الحقاني
 مخلوق شيء عز ذو السلطان في حقه هو فوقها ببيان
 ط ولا يحاط بخالق الأكوان وصف العلو لربنا الرحمن
 بعد التصور يا أولي الأذهان ير الجهل أو بجمية الشيطان

الشرح: هذا هو الوجه التاسع، وهو ما صرحت به النصوص التي لا تحصى
 كثرة من الكتاب والسنة بأن الله عز وجل في السماء، ومن يستحضرها وينظر
 فيها يلق ذلك في غاية الوضوح والبيان، فمن الكتاب قوله عز وجل: ﴿أَأَمَّنْتُمْ
 مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ * أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي
 السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ﴿ [الملك: ١٦، ١٧].

ومن السنة قوله عليه الصلاة والسلام «ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء»
 وقوله «ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء». وقوله في الرقية «ربنا الله
 الذي في السماء تقدس أسمك» الخ الحديث.

وقوله لابي حصين: كم الها تعبد؟ فقال سبعة، ستة في الأرض وواحد في
 السماء، فمن تعد لرغبتك ورهبتك؟ فقال الذي في السماء ولم ينكر عليه الرسول

صلى الله عليه وسلم قوله انه في السماء ، ومثل ذلك قوله للجارية : اين الله ؟ فقالت في السماء ، فقال لسيدها اعتقها فانها مؤمنة .

وينبغي لرجل السنة أن لا يستوحش من قراءة هذه الآيات والأحاديث ولا يتهيب الاستدلال بها على علوه تعالى على خلقه لما فيها من ايهام انحصاره تعالى في بعض مخلوقاته على ما « في » من معنى الظرف ، لانا نقول انها لا تدل على الانحصار عقلا ولا عرفا ولا لغة ، فقد أجمع السلف على أن « في » هنا ليست على معناها من الظرفية ، وانما هي بمعنى « على » كما في قوله تعالى : ﴿لَأَصْلَبَنَّكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه : ٧١] فهي هنا بمعنى الفوق للاتفاق على أن الله لا يحصره ولا يحيط به شيء من خلقه ، أو يراد من السماء في الآيات والأحاديث جهة العلو ، ولا شك ان الله في هذه الجهة ، فله العلو المطلق على سائر خلقه ، بحيث لا يكون شيء منها حاصراً له ولا محيطاً به ، فهو سبحانه ليس في جهة وجودية من هذه الجهات الواقعة داخل هذا العالم ، ولكن الجهات كلها بالنسبة اليه عدمية ، فإنه فوق عرشه ، والعرش هو الجسم الذي تنتهي به كرة العالم ، فالله عز شأنه هناك حيث انتهت جميع المخلوقات ، فهو فوقها مبين لها محيط بها ، ولا يحيط به شيء منها .

فإذا فهم علوه تعالى على خلقه بهذا المعنى ، فما الذي ينكره المعطل على من أثبت هذا العلو وصفا لله عز وجل ما دام هذا العلو لم يقتض حلولا ولا انحصاراً والا اتصالا بالمخلوق . وهل يجوز لمن عنده مسكة من العقل السليم والفهم الصحيح أن يرد هذا بعد تصوره على هذا النحو الذي لا يقتضي نقصاً ولا محالاً ، ان رده وانكاره لا يكون إلا عن أحد أمرين لا ثالث لهما : اما جهل بحقيقته وعدم فهم لمعناه ، واما تعصب وحمية وطاعة للشيطان الرجيم .

★ ★ ★

فصل

هذا وعاشرها اختصاص البعض من أملاكه بالعند للرحمن

وكذا اختصاص كتاب رحمته بعند الله فوق العرش ذو تبيان
لو لم يكن سبحانه فوق الورى كانوا جميعا عند ذي السلطان
ويكون عند الله إبليس وجبريل هما في العند مستويان
وتمام ذاك القول أن محبة الرحمن عين أراداة الأكوان
وكلاهما محبوبه ومراده وكلاهما هو عنده سيان

الشرح: هذا هو الوجه العاشر، ويقوم على ما وردت به النصوص من
الكتاب والسنة، من اختصاص بعض المخلوقات بأنها عنده سبحانه، فمن الكتاب
قوله تعالى في شأن الملائكة: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا
يَسْتَحْسِرُونَ﴾ [الانبياء: ١٩] وقوله في شأنهم أيضاً: ﴿فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ
عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾ [فصلت: ٣٨] وقوله
تعالى في أهل الجنة: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ
مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٤، ٥٥] ومن السنة مثل قوله عليه الصلاة والسلام
« ان الله كتب كتابا فهو عنده فوق العرش ان رحمتي سبقت غضبي ».

فهذا من أعظم الأدلة على علوه تعالى على خلقه، فتكون بعض مخلوقاته أقرب
إليه من بعض، إذ لو لم يكن كذلك لما كان هناك معنى لاختصاص بعضها
بالقرب منه، بل تكون جميعا عنده سواء، بل يكون أقربها وهو جبريل عليه
السلام بمنزلة، أبعدها وهو إبليس في تلك العندية، وهذا لازم للجهمية الذين
نفوا علوه تعالى ومنعوا نسبة العباد إليه بالقرب والبعد، وجعلوا نسبتهم إليه
نسبة واحدة، وزعموا أن محبته عين ارادته. وأن كل ما أراده الله فقد أحبه،
فلزمهم على هذا أن يكون كل من جبريل وإبليس مرادا له ومحبوبا، وأن يكون
كلاهما سواء عنده والحق أن محبته سبحانه غير ارادته للأشياء بالارادة الكونية
القدرية، لأن المحبة انما تتعلق بما يأمر الله به عباده ويريده منهم شرعا، وهذا
ليس بلازم أن يقع فقد لا يريده الله كونا وقدرًا، وأما الارادة الكونية فتتعلق
بكل كائن. سواء كان مما يحبه الله ويرضاه، أو كان مما يبغضه ويسخطه.

★ ★ ★

ان قلم عندية التكوين فالذاتان عند الله مخلوقان
 أو قلم عندية التقريب تقريب الحبيب وما هما عدلان
 فالحب عندكم المشيئة نفسها وكلاهما في حكمها مثلان
 لكن منازعكم يقول بأنها عندية حقا بلا روغان
 جمعت له حب الإله وقربه من ذاته وكرامة الإحسان
 والحب وصف وهو غير مشيئة والعند قرب ظاهر التبيان

الشرح: يعني يقال هؤلاء الجهمية الذين ينفون العندية الحقيقية المستلزمة
 لقرب بعض عباده منه قربا حقيقيا، كما دلت عليه الآيات والأحاديث، بماذا
 تفسرون تلك العندية؟ فإن قلم إنها عندية تكوين، فقد نفيتم أن يكون لجبريل
 زيادة اختصاص على عدو الله إبليس في ذلك، إذ لا شك أن ذات كل منهما
 مخلوقة لله، فهما في تلك العندية سواء.

وإن قلم انها عندية تقريب ومحبة، وليس جبريل وإبليس في حكمها سواء،
 فقد نقضتم مذهبكم، فإنكم تقولون ان المشيئة عين المحبة، ولا شك أن جبريل
 وابليس في حكم المشيئة سواء، فيكونان كذلك في المحبة أيضاً، فإن المتماثلين في
 حكم أحد المتساويين يتماثلان في حكم الآخر.

وإذا بطل تفسير العندية على الوجهين عندكم، فالحق ما ذهب إليه السلف من
 أن العندية هنا على حقيقتها، فهي تجمع لمن ثبتت له حب إله عز وجل وقربه
 من ذاته وكرامته بإحسانه، وذلك لأن لفظ العند واضح في معنى القرب، وهو
 قرب ذات ومحبة واحسان، ولا يلزم من قرب المحبة عموم ذلك لكل كائن،
 لأن الحب غير المشيئة.

★ ★ ★

فصل

هذا وحادي عشر هن اشارة نحو العلو بإصبع وبنان

لله جل جلاله لا غيره إذ ذاك اشراك من الانسان
ولقد أشار رسوله في مجمع الحج العظيم بموقف الغفران
نحو السماء بأصبع قد كرمت مستشهدا للواحد الرحمن
يا رب فاشهد اني بلغتهم ويشير نحوهم لقصد بيان
فغدا البنان مرفعا ومصوبا صلى عليك الله ذو الغفران
أديت ثم نصحت إذ بلغتنا حق البلاغ الواجب الشكران

الشرح: هذا هو الوجه الحادي عشر، وهو الإشارة بالأصبع إلى جهة العلو
عند ذكر الله عز وجل أو اشهاده على أمر من الأمور، فلا شك أن تلك
الإشارة ينبغي أن لا تكون إلا لله، فإن الإشارة الى غيره في مثل هذا المقام
اشراك، ولقد كان صلى الله عليه وسلم وهو يخاطب الناس يوم المجمع العظيم بعرفة في حجة
الوداع يشير بأصبعه الكريمة إلى السماء كلما ألقى إليهم أمراً من أمور الدين
ووصاياهم قائلاً: الا هل بلغت اللهم فأشهد ثم يخفصها إليهم وهذا من أقوى
الادلة على علوه تعالى وفوقيته اذ لو كانت كل الامكنة والجهات إليه متساوية لما
كان هناك معنى للإشارة إلى جهة العلو بالذات بل لم يكن هناك حاجة إلى
الإشارة أصلاً، فصلوات الله وسلامه على من هو أعلم الخلق بربه وبما ينبغي له
من التنزيه، لقد أدى الامانه وبلغ الرسالة ونصح لأمته، فجزاه الله عنها خير ما
يجزي به رسولاً كريماً، وقائداً براً رحماً.

★ ★ ★

فصل

هذا وثاني عشرها وصف الظهور له كما قد جاء في القرآن
والظاهر العالي الذي ما فوقه شيء كما قد قال ذو البرهان
حقاً رسول الله ذا تفسيره ولقد رواه مسلم بضمنان
فاقبله لا تقبل سواه من التقا سير التي قبلت بلا برهان
والشئ حين يتم منه علوه فظهوره في غاية التبيان

أو ما ترى هذي السما وعلوها وظهورها وكذلك القمران
والعكس أيضا ثابت فسفوله وخفاؤه إذ ذاك مصطحبان

الشرح: هذا هو الوجه الثاني عشر وهو ما وصف الله به نفسه في كتابه من
الظهور، قال الله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ [الحديد:
٣].

ومعنى الظاهر في الآية هو العالي الذي لا شيء فوقه كما فسره بذلك أعلم
الخلق بمعاني أسماء الله وصفاته محمد عبد الله ورسوله صلوات الله وسلامه عليه،
فقد روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ
قال: « إذا أراد أحدكم أن ينام فليضطجع على شقه الأيمن ثم ليقل: اللهم رب
السماوات ورب الأرض رب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء، فالق الحب
والنوى منزل التوراة والإنجيل والفرقان أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ
بناصيته اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعد شيء، وأنت
الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عنا الدين
وأغننا من الفقر » والشاهد هنا في قوله: وأنت الظاهر فليس فوقك شيء. فلا
شك أن ما بعد الفاء تفسير لما قبلها ونفي فوقية شيء عليه يستلزم علوه المطلق
على كل ما سواه، وهذا التفسير المأثور يتعين المصير إليه وعدم الالتفات إلى ما
سواه مما يعرف به من لا علم عندهم بمعاني أسمائه سبحانه من المعطلة الذين
يؤولون الظهور هنا بأنه ظهور القدرة أو الغلبة، أو بأنه ظهوره في أفعاله
ووضوح دلالتها على وجوده، فكلها تفاسير لا دليل عليها، ولا يجوز لمؤمن بعد
ورود التفسير عنه عليه السلام لاسم من أسمائه تعالى أن يضع له هو تفسيرا من
عنده أو يلتفت إلى ما فسره الناس به فقد قطعت جهيزة قول كل خطيب، ومما
يشهد لصحة هذا التفسير دون ما سواه، اننا نرى في الشاهد أن الشيء كلما تم
علوه كان في غاية الظهور فالعلو والظهور متلازمان بحيث يصح أن يقال كل
عال ظاهر وبالعكس. ومثال ذلك أن السماء والشمس والقمر لما كانت فوق

الأرض كانت ظاهرة لأهلها، ونشاهد كذلك أن السفول والخفاء متلازمان،
فالشيء كلما زاد سفوله زاد خفاؤه.

★ ★ ★

فانظر إلى علو المحيط وأخذه صفة الظهور وذاك ذو تبيان
وانظر خفاء المركز الأدنى ووصف السفلى فيه وكونه تحتاني
وظهوره سبحانه بالذات مثل علوه فيها له صفتان
لا تجحدنها جحود الجهم أو صاف الكمال تكون ذا بهتان
وظهوره هو مقتض لعلوه وعلوه لظهوره ببيان
وكذاك قد دخلت هناك الفاء للتسيب مؤذنة بهذا الشأن
فتأملن تفسير أعلم خلقه بصفاته من جاء بالقرآن
إذ قال أنت كذا فليس لضده أبدا إليك تطرق الاتيان

الشرح: ومما يدل على التلازم بين الظهور والعلو أن العرش وهو الجسم
المحيط بالمخلوقات لما كان فوقها جميعا كان أشدها ظهورا كما أن المركز الأدنى
وهو الخفيض التحتاني لما كان أسفلها كان أشدها خفاء، فظهوره سبحانه هو
مقتض لعلوه وكذلك العكس فكل منها صفة ثابتة له على الحقيقة لا يجوز
جحدها، ولا تأويلها بما يصرفها عن حقيقتها بلا دليل، كما هو دأب الجهمية في
تفهم صفات الكمال عنه سبحانه وحملهم إياها على معان بعيدة متكلفة يعلم كل
أحد أنها ليست هي المتبادر من اللفظ عند اطلاقه زاعمين أن قرينة العقل كافية
في ذلك الصرف، فيالسخافة العقول، ولما كان الظهور والعلو كما قدمنا كل
منها مقتض للآخر جاءت فاء السببية في كلامه صلى الله عليه وسلم مؤذنة باستلزام ما قبلها لما
بعدها، فكونه ظاهرا على الأشياء جميعاً مستلزم أن لا يكون منها شيء فوقه،
ونفي فوقية شيء عليه مستلزم لاثبات علوه على كل شيء (١).

★ ★ ★

(١) قال ابن القيم: والمقصود أن التعبد باسمه الظاهر يجمع القلب على المعبود، ويجعل له ربا =

فصل

هذا وثالث عشرها اخباره انا نراه بجنة الحيوان
 فسل المعطل هل نرى من تحتنا أم عن شمائلنا وعن أيمان
 أم خلفنا وأمامنا سبحانه أم هل نرى من فوقنا ببيان
 يا قوم ما في الأمر شيء غير ذا أو أن رؤيته بلا أمكان
 اذ رؤية لا في مقابلة من الرائي محال ليس في الامكان
 ومن ادعى شيئاً سوى ذا كان دعواه مكابرة على الأذهان

الشرح: هذا هو الوجه الثالث عشر وهو ما وردت به النصوص الصريحة من
 الكتاب والسنة بأن المؤمنين يرون الله عز وجل يوم القيامة في الجنة قال تعالى:
 ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] وقد صح عن رسول الله
 ﷺ أنه فسر تلك الزيادة بأنها النظر الى وجه الله - وقال تعالى: ﴿وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ
 نَاصِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣] وقال: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمِئِذٍ

= يقصده. وملجأ يلجأ إليه، وأما تعبده باسمه (الباطن) فأمر يضيق نطاق التعبير عن حقيقته،
 ويكل اللسان عن وصفه، فإنه يستلزم معرفة بريئة من شوائب التعطيل مخصصة من فرث
 التشبيه، منزهة عن رجس الحلول والاتحاد، وعبرة مؤدبة للمعنى، كاشفة عنه، وذوقا
 صحيحا، سليما من أذواق أهل الانحراف.

وباب هذه المعرفة والتعبد هو معرفة عظمة الرب سبحانه، واحاطته بالعالم، وأن العوالم كلها في
 قبضته، وأن السموات السبع والأرضين السبع في يده كخردلة في يد العبد قال تعالى: ﴿وَإِذ
 قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠] وقال: ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾
 [البروج: ٢٠] ولهذا يقرب سبحانه بين هذين الأسمين، الدالين على هذين المعنيين، اسم العلو
 الدال على أنه (الظاهر) وأنه لا شيء فوقه، واسم العظمة الدال على الاحاطة، وأنه لا شيء دونه
 كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ وقال: ﴿وَاللَّهُ
 الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ، فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٥] وهو
 تبارك وتعالى كما أنه العالي على خلقه بذاته فليس فوقه شيء، فهو الباطن بذاته فليس دونه
 شيء، بل ظهر على كل شيء فكان فوقه، وبطن فكان أقرب إلى كل شيء من نفسه، وهو
 محيط به، حيث لا يحيط الشيء بنفسه، وكل في قبضته، وليس شيء في قبضة نفسه، فهذا أقرب
 لاحاطة العامة.

لَمَحْجُوبُونَ ﴿ [المطففين: ١٥] فدل حجب الكفار عن رؤيته على ثبوتها للمؤمنين. وأما أحاديث الرؤية فتشبهه أن تكون متواترة في المعنى لكثرتها واشتهارها ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام « انكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب ولا تضامون في رؤيته ».

وإذا كانت الرؤية قد صارت قطعية الثبوت بتلك الأدلة فينبغي أن يسأل المعطل لاستوائه تعالى على عرشه عن الجهة التي تقع فيه الرؤية، فإن الجهات ست ولا بد من وقوع الرؤية في واحدة منها، فهل نراه من تحتنا - حاشاه سبحانه - أو عن أيمننا أو عن شمائلنا أو من خلفنا أو أمامنا أو نراه من فوقنا، لا تتحمل القسمة أكثر من هذا، فإذا نفي المعطل عنه سائر الجهات التي تمكن منها الرؤية صارت الرؤية ممتنعة غير ممكنة، لأن المرئي يجب أن يكون في جهة الرائي، ومن ادعى إمكان الرؤية بلا وجه فقد كابر العقول ووقع في التناقض لهذا لما رأى المعتزلة إنه لا يمكن اثبات الرؤية مع نفي الجهة التزموا نفي الرؤية، وأولوا ما ورد فيها من الآيات وردوا الاحاديث بدعوى أنها أحاديث آحاد ولا يؤخذ بها في الاعتقاد.

وأما الأشاعرة فإنه لما لم يتسطيعوا انكار الرؤية وكانوا مع المعتزلة في نفي الجهة التزموا اثبات رؤية بلا وجه، بل قال بعضهم جهلا تقع الرؤية كل جهة ولا يتأتى هذا إلا إذا انقلب الجسم كله عيوننا ترى. وما أوقع الأشاعرة في هذا التناقض الشنيع الذي سلم منه المعتزلة إلا تأرجحهم بين المذاهب وأخذهم من كل منها بطرق حتى سمو بالملفقة.

★ ★ ★

ولذا قال محقق منكم لأهل الاعتزال مقالة بأمان ما بيننا خلف وبينكم لذي التحقيق في معنى فيا اخواني شدوا بأجمعنا لنحمل حلة نذر الجسم في أذل هوان إذ قال ان هنا حقا يرى يوم المعاد كما يرى القمران

وتصير أبصار العباد نواظرا
لا ريب أنهم إذا قالوا بذا
ويكون فوق العرش جل جلاله
لكننا سلم وأنتم اذ تساءلوا
فعلوه عين المحال وليس فو
ولا تنصبوا معنا الخلاف فما له
هذا الذي والله مودع كتبهم
حقا إليه رؤية بعيان
لزم العلو لفاطر الأكوان
فلذاك نحن وحزبهم خصمان
عدنا على نفي العلو لربنا الرحمن
ق العرش من رب ولا ديان
طعم فنحن وأنتم سلمان
فانظر ترى يا من له عينان

الشرح: لما رأى بعض محققي الأشاعرة كالفخر الرازي وغيره تناقض مذهبهم في مسألة الرؤية. ذهبوا إلى أن الرؤية الثابتة للمؤمنين في الآخرة ليست بصرية، وإنما هي زيادة انكشاف الرب لهم وتمام معرفتهم به حتى كأنهم يرونه بأعينهم، قالوا: وعلى هذا يرتفع الخلاف بيننا وبين المعتزلة لأن الرؤية التي نثبتها ليست هي التي تنفيها المعتزلة، فنحن وهم متفقون على نفي الرؤية البصرية التي تقتضي وقوع المرئي في جهة من الرائي، ولو أن المعتزلة فسروا الرؤية بالمعنى الذي فسرناها به لم ينفوها، وإذا فيجب أن نكون نحن وهم البا واحدا على هؤلاء المجسمة الذين يزعمون أن الله يرى يوم القيامة بالأبصار رؤية حقيقية، كما يرى الشمس والقمر فإن اثبات مثل هذه الرؤية مستلزم لاثبات جهة العلو له سبحانه، وكونه فوق العرش بذاته وهو أمر قد قطعت عقولنا باستحالته وخاصمنا هؤلاء المجسمة عليه وعاديناهم بسببه.

وأما أنتم معشر المعتزلة فسلم لنا إذ قد توافقنا على نفي الجهة عن الله، وأقمنا نحن وأنتم الأدلة على استحالة علوه واستوائه على العرش بذاته، وإذا فلا معنى للخلاف بيننا وبينكم. ومن تأمل كتب المتأخرين من الأشاعرة مثل الرازي وعضد الدين الأبي والشريف الجرجاني والسعد التفتازاني والجلال الدواني وغيرهم وجدها مليئة بأمثال هذه المحاولات التي تبذل لرفع الخلاف بين مذهبي الأشاعرة والمعتزلة على حين أنهم لا يذكرون مذهب السلف إلا مقرونا

بالاستخفاف والتحقير، ومع ذلك يسمون أنفسهم أهل السنة والجماعة تبجحاً وغروراً.

★ ★ ★

فصل

هذا ورابع عشرها اقرار سا
ولقد رواه أبو رزين بعدما
ورواه تبليغاً له ومقررراً
هذا وما كان الجواب جواب من
كلا وليس لمن دخول قط في
دع ذا فقد قال الرسول بنفسه
والله ما قصد المخاطب غير معناها الذي وضعت له الحقاني
والله ما فهم المخاطب غيره واللفظ موضوع لقصد بيان

الشرح: هذا هو الوجه الرابع عشر وهو اقراره ﷺ لمن سأله بلفظ الاين، واجابته على سؤاله ولو كان السؤال فاسداً لنبهه ﷺ وبين له أن ذلك لا ينبغي في حق الرب جل شأنه ولم يجبه على سؤاله، فقد روي عن أبي رزين أنه قال قلت: يا رسول الله اين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والأرض قال ﷺ « كان في عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء وكان عرشه على الماء »

فقوله كان في عماء الخ دليل على أن الرسول ﷺ فهم أن السائل يسأل عن حقيقة الاين، ولهذا أجابه بالجواب المطابق لسؤاله فمن السخف بعد هذا أن يدعي أن السائل انما أراد (من ربنا) فإنه لا يصح أن يقال في جواب السائل بمن أنه في كذا، وانما يقال هو كذا، فالسياق كله في السؤال والجواب يبعد هذا بل ينفيه. وما لنا نتكلف هذا التأويل، وقد وقع السؤال بلفظ الأين منه هو نفسه صلوات الله عليه وسلامه حين قال للجارية أين الله، فقالت في السماء، فهل كان

الرسول عليه السلام يقصد غير المعنى الحقيقي للفظ الأين، وهل فهمت الجارية من اللفظ غير هذا المعنى الذي وضع اللفظ لافادته كلا والله ما قصد الرسول الى غير هذا المعنى، ولا فهم المخاطب من اللفظ سواه.

يا قوم لفظ الأين ممتنع على الرحم
ويكاد قائلكم يكفرنها به
لفظ صريح جاء عن خير الورى
والله ما كان الرسول بعاجز
والأين أحرفها ثلاث وهي ذو
والله ما الملكان أفصح منه اذ
ويقول أين الله يعني من فلا
كلا ولا معناها أيضا لذي
من عن عدم وذو بطلان
بل قد وهذا غاية العدوان
قولا واقراراً هما نوعان
عن لفظ من مع أنها حرفان
لبس ومن غاية التبيان
في القبر من رب السما يسلان
والله ما اللفظان متحدان
لغة ولا شرع ولا انسان

الشرح: يعني أن الجهمية يمنعون السؤال بلفظ الاين في حق الله عز وجل لأنه
أما يسأل به عن المكان والجهة والله منزه في زعمهم عن الحلول في الأمكنة
والجهات ولهذا يكادون يكفرون أهل السنة والجماعة لقولهم أنه فوق العرش بذاته
بل قد كفروهم فعلا ظلما منهم وعدوانا فإن الاين لفظ صريح في معناه وأرد
عمن هو أعلم الخلق بربه. وقد ورد عنه مرة على جهة السؤال منه لغيره كما في
سؤاله الجارية، ومرة على جهة الاقرار لمن سأله به كما في حديث أبي رزين. فلو
كان المقصود بأين في الموضوعين أن تكون بمعنى من. فما الحكمة في العدول عن
لفظ من الذي هو صريح في معناه الى لفظ الاين الموقع في الاشتباه والحيرة هل
كان الرسول عاجزاً عن النطق بمن مع أنها حرفان حتى استعمل بدلها لفظ الاين
الذي هو ثلاثة أحرف وهل كان الملكان الموكلان بسؤال القبر أفصح منه حين
يسألان الميت بقولها من ربك. ويقول هو اين الله يعني بها من مع أنه لا اتحاد
أصلا بين اللفظين ولا بين معناهما لا لغة ولا شرعا ولا في عقل عاقل. اللهم أنه

التعصب الأعمى الذي يصرف أصحابه عن الحق الواضح الصريح الى اقوال لا حجة عليها ولا دليل.

فصل

هذا وخامس عشرها الاجماع من
فالمرسلون جميعهم مع كتبهم
وحكى لنا أجماعهم شيخ الورى
وأبو الوليد المالكي أيضاً حكى
وكذا ابو العباس أيضاً قد حكى
وله اطلاع لم يكن من قبله
هذا ونقطع نحن ايضا انه
رسل الاله الواحد المنان
قد صرحوا بالفوق للرحمن
والدين عبد القادر الجيلاني
أجماعهم أعني ابن رشد الثاني
اجماعهم علم الهدى الخرائي
لسواه من متكلم ولسان
اجماعهم قطعاً على البرهان

الشرح: هذا هو الوجه الخامس عشر وهو اجماع الرسل عليهم الصلاة والسلام والكتب المنزلة على أن الله عز وجل في السماء وأنه فوق خلقه مستو على عرشه. وقد حكى هذا الاجماع غير واحد من العلماء المعترين مثل الشيخ عبد القادر الجيلاني في كتابه المسمى (بالغنية) وأبي الوليد بن رشد الاندلسي المالكي المسمى بابن رشد الحفيد في كتابه (الكشف عن مناهج الأدلة) يقول ابن رشد:

«القول في الجهة، واما هذه الصفة فما زال أهل الشريعة من أول الأمر يثبتونها لله سبحانه حتى نفتها المعتزلة ثم تبعهم على نفيها متأخرو الأشاعرة كأبي المعالي ومن اقتدى بقوله. وظواهر الشرع كلها تقضي باثبات الجهة مثل قوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةً﴾ [الحاقة: ١٧] ومثل قوله ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة: ٥] ومثل قوله ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤] ومثل قوله: ﴿أَمِينٌ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ

فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿ المَلِكُ : ١٦] . الى غير ذلك من الآيات التي أن سلط التأويل عليها عاد الشرع كله مؤولا ، وان قيل أنها من المتشابهات عاد الشرع كله متشابهها لأن الشرائع كلها مبنية على أن الله في السماء ، وأن منه تنزل الملائكة بالوحي الى النبيين وأن من السماء نزلت الكتب واليهما كان الاسراء بالنبي ﷺ حتى قرب من سدرة المنتهى وجميع الحكماء اتفقوا على أن الله والملائكة في السماء كما اتفقت جميع الشرائع على ذلك .»

وممن حكى هذا الاجماع كذلك شيخ الاسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني الدمشقي الذي لم يأت الزمان له بنظير في سعة الاطلاع والجمع بين المعقول والمنقول مع قدرة فائقة في الجدل وبراعة في تصريف الحجج وسبر لأغوار المذاهب ووقوف على دقائقها .

وقد قطع المؤلف رحمه الله بهذا الاجماع الذي حكاه عن هؤلاء قطعاً مبنياً على البرهان .

★ ★ ★

وكذاك نقطع أنهم جاؤا باثبات الصفات لخالق الأكوان
وكذاك نقطع أنهم جاؤا باثبات الكلام لربنا الرحمن
وكذاك نقطع أنهم جاؤا باثبات المعاد لهذه الابدان
وكذاك نقطع أنهم جاؤا بتوحيد الإله وما له من ثناء
وكذاك نقطع أنهم جاؤوا باثبات القضاء وما لهم قولان
فالرسل متفقون قطعاً في أصوات الدين دون شرائع الايمان
كل له شرع ومنهاج وذا في الأمر لا التوحيد فافهم ذان
فالدين في التوحيد دين واحد لم يختلف منهم عليه اثنان

الشرح: يعني كما نقطع باتفاق الرسل عليهم الصلاة والسلام واجماعهم على اثبات صفة العلو لله جل شأنه كذلك نقطع بأنهم متفقون على اثبات الصفات

كلها لله فليس فيهم حاشاهم من يعطل الله عز وجل عن شيء من نعوت كماله وصفات جلاله كما تفعل الجهمية ومتفقون على اثبات صفة الكلام لله فان الشرائع التي نزلت عليهم ليست الا كلام الله عز وجل قام جبريل الأمين بتبليغه اليهم ومتفقون على اثبات المعاد الجسماني خلافا للنصاري والفلاسفة الذين انكروه.

ومتفقون أيضاً على توحيد الله جل شأنه وأنه لا اله غيره، ولا رب سواه. ومتفقون على اثبات القضاء والقدر الذي أنكرته القدرية والمعتزلة وبالجملة فهم متفقون على كل ما هو من أصول الدين مما يتعلق بالله عز وجل وأحوال اليوم الآخر فان دينهم فيها واحد لا اختلاف فيه قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣] وقال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩] وانما يختلف الرسل عليهم الصلاة والسلام في الأحكام والشرائع العملية الفرعية التي تتعلق بها الأوامر والنواهي والتي تختلف باختلاف الزمان والمكان كما قال تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨] أي في الفروع لا في الأصول.

★ ★ ★

دين الاله اختاره لعباده	ولنفسه هو قيم الأديان
فمن المحال بأن يكون لرسله	في وصفه خيران مختلفان
وكذاك نقطع أنهم جاؤوا بعد	ل الله بين طوائف الانسان
وكذاك نقطع أنهم أيضاً دعوا	للخمس وهي قواعد الايمان
أيماننا بالله ثم برسله	وبكتبه وقيامه الأبدان
ومجنده وهم الملائكة الآلى	هم رسله لمصالح الأكوان
هذي أصول الدين حقاً لا أصو	ل الخمس للقاضي هو الهمداني

الشرح: يعني أن الدين الذي جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام هو دين

الله الذي اختاره لعباده ورضيه لنفسه ديناً وهو الدين القيم الذي لا عوج فيه ولا انحراف فيجب أن يكون واحداً لا اختلاف فيه لأنه يقوم على الأخبار المتعلقة بأسماء الله عز وجل وصفاته وأفعاله والأخبار عن اليوم الآخر وما فيه. ومن المحال أن يقع بين الرسل اختلاف في هذه الأخبار لأن ذلك يستلزم أن يكون بعضها صادقاً وهو ما طابق الواقع منها. وما عداه يكون كذباً وحاشا للرسول أن يكذبوا على الله عز وجل ويخبروا عنه بخلاف ما عليه الأمر، وأما الشرائع والأحكام الأمرية الطلبية فهذه لا يضر الاختلاف فيها مع القطع بأن شرائعهم كلها عادلة ومستقيمة.

ونقطع كذلك أنهم دعوا أممهم الى قواعد الايمان الخمسة التي هي أولا الايمان بالله على الوجه الصحيح القائم على توحيده في الهيته، فلا معبود غيره، وفي ربوبيته فلا خالق ولا مالك سواه، وفي أسمائه وصفاته، فنثبت له كل ما أثبتته لنفسه وما أثبتته له رسله من غير تكيف ولا تمثيل، وفي أفعاله فلا شريك له فيها وليس لغيره فعل يشبه فعله الى غير ذلك من شئونه جل شأنه.

وثانياً: الايمان بالرسول الذين جعلهم الله عز وجل وسطاء بينه وبين خلقه في تبليغ أمره ونهيه فضلاً منه ورحمة، والايمان بالرسول عليهم الصلاة والسلام يتضمن الايمان بعصمتهم في التبليغ وعدم كتمانهم لشيء مما أمروا بتبليغه وصدقهم في كل ما أخبروا به عن الله عز وجل الخ ما يتعلق بهم.

وثالثاً: الايمان بالكتب المنزلة على هؤلاء الرسل عليهم الصلاة والسلام نوراً وهدى للناس، قال تعالى ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ، وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥] ويجب الايمان تفصيلاً بأربعة منها لورودها في القرآن، وهي التوراة التي أنزلت على موسى الكليم، والزبور الذي أنزل على داود والانجيل الذي أنزل على عيسى والقرآن الذي أنزل على محمد وهو المهيمن عليها جميعاً.

ورابعاً: الايمان باليوم الآخر على الوجه الصحيح الذي أخبرت عنه الرسل

من قيام الأجساد من قبورها وحشرها الى الله عز وجل لفصل القضاء بينها ثم مصيرها الى الجنة أو النار الى آخر ما وردت به الأخبار من أحوال ذلك اليوم، كالصراط والميزان، وإيتاء الصحف، والشفاعة التي لبينا ﷺ في أهل الموقف وغيرها.

وخامساً: الإيمان بالملائكة الذين جعلهم الله عز وجل رسلا لتدبير مصالح خلقه، فمنهم الموكل بانزال الوحي على الأنبياء، وهو جبريل عليه السلام، ومنهم الموكل بالامطار والأرزاق، وهو ميكال، ومنهم الموكل بقبض الأرواح، وهو عزرائيل، ومنهم الموكل بالنفخ في الصور، وهو اسرافيل، ومنهم الحفظة الكاتبون، ومنهم حملة العرش الخ.

هذه الخمسة هي أصول الدين الحقة التي جاءت بها رسل الله ودعوا إليها، لا تلك الأصول الخمسة التي اتفقت عليها المعتزلة وجعلوها شعاراً للأعتزال، وهي التوحيد المتضمن لنفي صفات الله عز وجل وكلامه. والعدل المتضمن للتكذيب بقضاء الله وقدره وشمول ارادته ومشيئته، والوعد والوعيد المتضمن لوجوب تنفيذ وعيده سبحانه وخلود أهل الكبائر في النار ونفي الشفاعة، والمنزلة بين المنزلتين المتضمن لنفي اسم الايمان عن عصاة المؤمنين والقول بخلودهم مع الكفار في النار والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي استغله المعتزلة لفرض مذاهبهم على المسلمين بقوة السلطان.

تلك هي أصولهم الباطلة المنافية لما جاءت به الرسل ولما يقضي به العقل السليم فأين هي من تلك الأصول الكبار التي قام عليها دين الله الواحد في كل زمان ومكان؟

★ ★ ★

تلك الأصول للاعتزال وم لها
وجحود أوصاف الاله ونفيهم
فرع فمنه الخلق للقرآن
لعلوه وال فوق للرحمن
وكذاك نفيهم لرؤيتنا له
يوم اللقاء كما يرى القمران

ونفوا قضاء الرب والقدر الذي سبق الكتاب به هما شيئان من أجل هاتيك الأصول خلدوا ولأجلها نفوا الشفاعة فيهم ولأجلها قالوا بأن الله لم ولأجلها حكموا على الرحمن ولأجلها هم يوجبون رعاية حقا على رب الورى بعقولهم

سبق الكتاب به هما شيئان أصل الكبائر في لظى النيران ورموا رواة حديثها بطعان يقدر على ايمان ذي الكفران بالشرع المحال شريعة البهتان للأصلح الموجود في الأمكان سبحانك اللهم ذي سبحان

الشرح: يعني أن تكك الأصول الخمسة التي اتفق عليها أهل الاعتزال والتي قررها أحد شيوخهم، وهو القاضي عبد الجبار الهمداني، قد تفرعت عنها فروع هي غاية في الفساد والشناعة، فمما تفرع على توحيدهم الباطل الذي هو الأصل الأول عندهم القول بخلق القرآن، لأنهم لا يثبتون لله صفة الكلام، ويقولون أنه متكلم بمعنى خالق للكلام، والقول بانكار الصفات زعما منهم ان اثباتها ينافي التوحيد، والقول بنفي علوه تعالى على خلقه واستوائه على عرشه والقول بنفي رؤية المؤمنين له في الجنة رؤية حقيقية بالأبصار.

ومما تفرع عن أصلهم الثاني وهو العدل نفي القضاء والقدر، ونفي ارادة الله تعالى لفعل العبد، لأن ذلك في زعمهم يبطل مسئولية العبد عن فعله، وينافي العدل الذي يوجب أن يكون العبد حرا في فعله. وقد غلوا في هذا الباب حتى قالوا أنه لا يقدر على أفعال العباد فلا يقدر على خلق الإيمان في الكافر ولا خلق الكفر في المؤمن ولا يقدر أن يعين العبد على ما به يصير فاعلا.

ومنها أيضاً قولهم بوجوب الصلاح والأصلح على الله عز وجل بالنسبة للعبد على خلاف بينهم في معنى الأصلح هل هو الأنفع أو الاوفق في الحكمة، ويرد عليهم ذلك القول الفاسد خلقه تعالى للكافر الفقير المعذب في الدنيا بالفقر وفي الآخرة بالنار، فأبي صلاح له في هذا.

ومما تفرع على أصلهم الثالث وهو الوعد والوعيد، يعني وجوب ائابة المطيع

وعقاب العاصي القول مجلود مرتكب الكبيرة في النار أن مات ولم يتب منها ،
والقول بنفي الشفاعة الثابتة لعصاة الموحدين وانكار الاحاديث الواردة فيها
والطعن في روايتها .

وهذا قليل من كثير مما ترتب على أصولهم الجائرة ومبادئهم الخاسرة ، نسأل
الله العافية والعصمة من هذا الضلال ، وان يهدينا لما اختلف فيه من الحق باذنه .

فصل

هذا وسادس عشرها اجماع اهـ ل العلم أعني حجة الأزمان
من كل صاحب سنة شهدت له أهل الحديث وعسكر القرآن
لا عبرة بمخالف لهم ولو كانوا عديد الشاء والبعران
ان الذي فوق السموات العلى والعرش وهو مباين الأكوان
هو ربنا سبحانه وبجمده حقا على العرش استوى الرحمن
فأسمع اذا أقوالهم وأشهد عليهم هم بعدها بالكفر والايان
وأقرأ تفاسير الأئمة ذاكري الأسـ نـاد فهي هداية الحيران
وانظر الى قول ابن عباس بتفسـ ير استوى ان كنت ذا عرفان
وانظر الى أصحابه من بعده كمجاهد ومقاتل حبران

الشرح: هذا هو الوجه السادس عشر ، وهو اجماع من يعتد باجماعهم من
علماء السلف والخلف ، الذين كانوا حجة الأعصار والازمان ، والمشهود لهم بالسبق
والتحقيق من أهل الحديث والقرآن ، ولا اعتبار لمن يخالفهم من أهل الابتداع
والتعطيل مهما كان عددهم ، فان الحق ليس مداره على القلة والكثرة ، ولكن
علامته الوقوف عند حدود الكتاب والسنة وما كان عليه سلف هذه الأمة كما
قال رسول الله ﷺ عندما سئل عن الفرقة الناجية « هي ما كانت على مثل ما أنا
عليه اليوم وأصحابي » .

وقد أجمع هؤلاء الأئمة الأعلام على أن الله سبحانه مستو على عرشه استواءً

حقيقياً بمعنى علوه وارتفاعه على العرش بذاته مع المباينة والانفصال، ومن أراد الوقوف على أقوالهم فعليه بكتب التفاسير التي تعنى بذكر الأسانيد وتعزو الأقوال الى أصحابها، ولينظر في قول ابن عباس الذي هو ترجمان القرآن، وفي قول أصحابه من بعده كمجاهد ومقاتل حتى يدرك أن هؤلاء وهم أعلام التأويل لم يخرجوا عما قلناه من تأويل الاستواء بالعلو والارتفاع.

وأنظر الى الكلبي أيضاً والذي وكذا رفيع التابعي أجلهم كم صاحب القى اليه علمه فليهن من قد سبه اذ لم يوا فلهم عبارات عليها أربع وهي استقر وقد علا وكذلك أر وكذاك قد صعد الذي هو أربع يختار هذا القول في تفسيره والأشعري يقول تفسير استوى هو قول أهل الاعتزال وقول في كتبه قد قال ذا من موجز وكذلك البغوي أيضاً قد حكا

قد قاله من غير ما نكران ذاك الرياحي العظيم الشأن فلذاك ما اختلفت عليه اثنان فق قوله تحريف ذي البهتان قد حصلت للفارس الطعان تقع الذي ما فيه من نكران وأبو عبيدة صاحب الشيباني أدري من الجهمي بالقرآن بحقيقة استولى من البهتان اتباع لجهم وهو ذو بطلان وأبانة ومقالة بيان ه عنهم بمعالم القرآن

الشرح: كذلك يحكي المؤلف عن الكلبي صاحب التفسير المشهور، وعن الحسن البصري سيد التابعين الذي عاصر كثيرا من الصحابة وأخذ عنهم، ولهذا كان موضع ثقة جميع الأئمة والمحدثين ان عباراتهم في تفسير الاستواء لم تخرج عن هذه الألفاظ الأربعة وهي: استقر وعلا وارتفع وصعد، وقد اختار أبو عبيدة صاحب الإمام أحمد بن حنبل في تفسير الاستواء هنا بالمعنى الرابع وهو صعد، ولا شك أنه اهدى وأعلم من هؤلاء الجهمية بمعاني القرآن.

وهذا الأشعري الذي ينسب إليه أتباع مذهبه أنه من نفاة الاستواء يقول في

جميع كتبه المعتمدة مثل الموجز والابانة، ومقالات الاسلاميين أن تفسير الاستواء بالاستيلاء كذب وافتراء ويعزوه إلى المعتزلة والجهمية ويصرح ببطلانه، وكذلك الإمام البغوي في تفسيره المسمى بمعالم القرآن قد حكى ذلك التأويل الفاسد على الجهمية والمعتزلة.

★ ★ ★

وانظر كلام امامنا هو مالك قد صح عن قول ذي اتقان في الاستواء بأنه المعلوم لكن كيفه خاف على الأذهان وروى ابن نافع الصدوق سماعه منه على التحقيق والاتقان الله حقاً في السماء وعلمه سبحانه حقاً بكل مكان فانظر إلى التفريق بين الذات وال فالذات خصت بالسماء وإنما ال ذا ثابت عن مالك من رده وكذلك قال الترمذي بجامع الله فوق العرش لكن علمه معلوم من ذا العالم الرباني معلوم عم جميع ذي الأكوان فلسوف يلقي مالكا بهوان عن بعض أهل العلم والايان مع خلقه تفسير ذي ايمان

الشرح: وأما الإمام مالك فإنه قد أتى في هذه المسألة بفصل الخطاب، ولا تزال كلمته الماثورة التي أجاب بها من سأله عن كيفية استوائه تعالى على العرش نورا وهدى لأولي الالباب، فقد قال ويا نعم ما قال (الاستواء معلوم والكيف مجهول والايان به واجب والسؤال عنه بدعة) فأصبحت تلك الكلمة دستوراً يجب تطبيقه في كل ما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله أن نقول ان ثبوتها لله عز وجل معلوم لا مرية فيه، وأما كيفها فمما اختص الله عز وجل بعلمه.

ومن العجيب أن بعض المارقين من أهل الجحد والتعطيل يحرف كلمة مالك حتى توافق مذهبه الباطل في النفي فيضع كلمة مذكور بدل معلوم، وهذا ليس

بنافعه ، فإن لفظ الاستواء إذا كان مذكوراً فلا بد أن يراد منه معناه إذ لا يعقل أن يكون في القرآن لفظ لا معنى له .

وقد روى ابن نافع الذي كان من أعلم الناس بآراء مالك كلها عن مالك رحمه الله انه قال ان الله عزّ وجل في السماء بذاته ولكنه مع جميع خلقه بعلمه ، ففرق رحمه الله بين الذات والمعلوم ، فخص الذات بالسكون في السماء ، وأما العلم فجعله محيطاً شاملاً لجميع الأكوان .

وهذا القول الذي رواه ابن نافع عن مالك ثابت عنه رحمه الله ، فمن رده وأنكره فسوف يلقي مالكا يوم القيامة وهو مهين ذليل . وينبغي هنا التنبيه على أن ابن نافع لم يلق مالكا ولم يسمع منه فإنه رحل إلى المدينة فوجد مالكا قد مات ، فأخذ عن تلامذته ابن القاسم وابن وهب وأشهب . فقول المؤلف رحمه الله الصدوق سماعه منه ليس صحيحا ، ويجوز أن تكون الرواية عنه لا منه ويكون الخطأ في الطبع ويكون الجار والمجرور متعلق بروى وفصل بينهما بقوله الصدوق سماعه .

وكذلك روى الإمام الترمذي في جامعه عن بعض أهل العلم والإيمان مثل الذي رواه ابن نافع عن مالك وهو أن الله فوق العرش بذاته وأنه مع خلقه بعلمه في كل مكان .

★ ★ ★

وكذاك أوزاعهم أيضاً حكى عن سائر العلماء في البلدان من قرنه والتابعين جميعهم متوافرين وهم أولو العرفان أيانهم بعلوه سبحانه فوق العباد وفوق ذي الأكوان وكذاك قال الشافعي حكاه عنه البيهقي وشيخه الرباني حقا قضى الله الخلافة ربنا فوق السماء لأصدق العبدان حب الرسول وقائم من بعده بالحق لا فشل ولا متوان فانظر إلى المقضي في ذي الأرض لكن في السماء قضاء ذي السلطان

وقضاؤه وصف له لم ينفصل عنه وهذا واضح البرهان

الشرح: وكذلك الاوزاعي امام أهل الشام غير منازع يحكي عن جميع علماء عصره في سائر البلدان والتابعون يومئذ متوافرون جميعاً يؤمنون بأنه تعالى فوق عرشه وفوق العوالم جميعاً. وروى الحافظ البيهقي صاحب التصانيف المشهورة التي منها كتاب (الاسماء والصفات) و(دلائل النبوة والسنن).

وكذلك روى شيخه في الحديث الحاكم أبي عبد الله بن البيهقي عن الإمام الشافعي أنه قال ان خلافة أبي بكر قد قضاها الله في السماء فهو حب الرسول كما جاء في الحديث أن رسول الله ﷺ سئل من أحب الناس إليك فقال: أبو بكر: وهو القائم بعده بالحق ونصرة دين الله بكل ما أمكنه غير خوار ولا مقصر فحارب المرتدين ومانعي الزكاة.

والشاهد هنا في قول الشافعي أن الخلافة قضاها الله في السماء ، فهو دليل على أن الله في السماء لأن قضاؤه وصف له لا ينفصل عنه بخلاف المقضي به فإنه في الأرض.

★ ★ ★

يعقوب والألفاظ للنعمان	وكذلك النعمان قال وبعده
فوق السماء وفوق كل مكان	من لم يقر بعرشه سبحانه
يخفى عليه هواجس الأذهان	ويقر أن الله فوق العرش لا
لله درك من امام زمان	فهو لا شك في تكفيره
وله شروح عدة لبيان	هذا الذي في الفقه الاكبر عندهم
في ذاك تلقاها بلا حسان	وانظر مقالة أحد ونصوصه
وبالاستوى والفوق للرحمن	فجميعها قد صرحت بعلوه
لسواه من فرسان هذا الشأن	وله نصوص وارادات لم تقع
اذا كان ممتحنا بأعداء الحديث	وشيعة التعطيل والكفران
وإذا أردت نصوصه فانظر إلى	ما قد حكى الخلال ذو الاتقان

الشرح: وكذلك قال الإمام أبو حنيفة النعمان في كتابه المشهور المسمى بالفقه الأكبر، وقال صاحبة أبو يوسف القاضي صاحب كتاب الخراج. إن من لم يقر بأن الله عز وجل فوق عرشه وأنه مع ذلك لا يخفى عليه شيء من خلقه حتى ما تهجس به ضمائرهم فهو كافر لا شك في كفره. وأما الإمام أحمد رحمه الله فإن نصوصه في ذلك لا حصر لها وكلها تصرح بعلوه تعالى واستوائه وفوقيته على خلقه. وقد جاء في ذلك بما لم يسبق إليه نظرا لاشتغاله بالرد على أئمة التعطيل والكفر من الجهمية والمعتزلة، ومن أراد الاطلاع على تلك النصوص فعليه بكتاب السنة للخلال وكتاب أحمد في الرد على الزنادقة والجهمية.

★ ★ ★

وقد قال ما فيه هدى الحيران	وكذلك إسحاق الإمام فإنه
أنكأه علم على البهتان	وابن المبارك قال قولاً شافياً
حقاً به لنكون ذا أيمان	قالوا له ما ذاك نعرف ربنا
فوق السماء مباين الأكوان	فأجاب نعرفه بوصف علوه
وبأنه سبحانه حقاً على العرش الرفيع فجل ذو السلطان	وهو الذي قد شجع ابن خزيمة
اذ سل سيف الحق والعرفان	وقضي بقتل المنكرين علوه
بعد استتابتهم من الكفران	وبأنهم يلقون بعد القتل فو
ق مزابل الميتات والأنتان	فشفى الإمام العالم الحبر الذي
يدعى أمام أئمة الأزمان	وقد حكاه الحاكم العدل الرضي
في كتبه عنه بلا نكران	

الشرح: وكذلك قال الإمام إسحاق بن راهويه الذي يقول فيه الإمام أحمد ابن حنبل (لم يعبر الجسر إلى خراسان مثله) قال في هذا الشأن ما فيه هدى لكل حائر ضال، وأما عبد الله بن المبارك المحدث الفقيه الزاهد فقد قال لمن سأله بم نعرف ربنا؟ نعرفه بأنه فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه؟ فقيل له بجد أو بغير حد؟ فقال أي والله بجد. وهذا الذي أجاب به ذلك الإمام الجليل هو

الذي شجع امام الأئمة ابن خزيمة على أن يسلم سيف الحق على المعطلة المارقين فأفتى بأن من أنكر أن الله فوق عرشه يجب أن يستتاب، فإن تاب والا قتل مرتدا وقد شفى هذا الامام الخبر بفتواه صدور قوم مؤمنين وأرسلها سيفاً مصلتا على رقاب الزنادقة المنحلين، وقد حكى ذلك عنه في كتبه الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري صاحب المستدرک بما لا يدع مجالاً لشك ولا انكار.

★ ★ ★

وحكى ابن عبد البر في تمهيده
اجماع أهل العلم أن الله فوق
وأتى هناك بما شفى أهل الهدى
وكذا على الأشعري فإنه
من موجز وابانة ومقالة
وأقى بتقرير استواء الرب فوق
وأتى بتقرير العلو بأحسن
والله ما قال المجسم مثل ما
فأرموه ويحكم بما ترموا به
أو لا فقولوا أن ثم حزازة
فسلوا الإله شفاء ذا الداء العضال

وكتاب الاستذكار غير جبان
ق العرش بالايضاح والبرهان
لكنه مرض على العميان
في كتبه قد جاء بالتبيان
ورسائل للثغر ذات بيان
ق العرش بالايضاح والبرهان
التقرير فانظر كتبه بعيان
قد قاله ذا العالم الرباني
هذا المجسم يا أولي العدوان
وتنفس الصعداء من حران
ل مجانسب الإسلام والإيمان

الشرح: وكذلك قد حكى ابن عبد البر في أهم كتبه، وهما كتاب التمهيد والاستيعاب وكتاب الاستذكار اجماع أهل العلم الذين يعتد بإجماعهم على أن الله فوق عرشه بذاته، موضحاً ذلك بالبراهين القاطعة التي فيها شفاء لأهل الهدى، ولكنها مرض لأهل الجهل والعمى.

وكذلك أبو الحسن الأشعري في كتبه المعتبرة، مثل الموجز والابانة والمقالات وكذلك في رسائله لأهل الثغر قد قرر ذلك أحسن تقرير وأهداه، وأثبت علوه سبحانه بالأدلة الواضحة، وقال في هذا الباب أكثر مما قال شيخ الإسلام ابن

تيمية الذي يرميه هؤلاء المتأخرون من الأشاعرة بالتجسيم، فليرموا اذن شيخهم الأشعري بذلك الذي رموا به شيخ الإسلام من التجسيم بل هو أحق، وإلا فليصرحوا بما انطوت عليه نفوسهم من حقد وحزازات على شيخ حران وحجة الزمان، ويسألوا الله شفاء هذا الداء العيان الذي لا يليق بأهل الإسلام والإيمان.

★ ★ ★

<p>لله درك من فتى كرماني علماء مثل الشمس في الميزان تلك الرسالة مفصحا ببيان بالذات فوق العرش والأكوان شرح لتصنيف امرء رباني فهما الهدى للمدد حيران فيه من الآثار في ذا الشأن الثبت الرضي المتطلع الرباني وأبوه سفيان فرازياني هو عندنا سفر جليل معان محمد المولود من عثمان أتراهما نجمين بل شمسان ذاك أبن أصرم حافظ رباني</p>	<p>وانظر إلى حرب واجماع حكى وانظر إلى قول ابن وهب أوحد الـ وانظر إلى ما قال عبد الله في من أنه سبحانه وبجمده وانظر إلى ما قاله الكرخي في وانظر إلى الأصل الذي هو شرحه وانظر إلى تفسير عبد ما الذي وانظر إلى تفسير ذاك الفاضل ذاك الإمام ابن الامام وشيخه وانظر إلى النسائي في تفسيره واقراً كتاب العرش للعبسي وهو واقراً لمسند عمه ومصنف واقراً كتاب الاستقامة للرضي</p>
---	--

لله در المؤلف، فقد ذكر لنا أنفا وفيما يأتي سجلاً حافلاً بأسماء بعض أئمة الهدى، وأعلام السنة، وذكر ما لهم من كتب ورسائل وأقوال في اثبات العلو لله تعالى، مما لا يدع مجالاً للشك في أن ذلك هو الحق المبين، ومن أجمع الكتب لهذه الاقوال كتاب (اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية) للمؤلف وقد بدأ المؤلف هنا بذكر الامام حرب وهو من أبرز تلاميذ الإمام أحمد رحمه الله، وابن وهب مشهور، وعبد الله المراد به ابن المبارك، والبقية كلهم من

المشهود لهم بسعة العلم وسلامة العقيدة، وصحة الإيمان.

★ ★ ★

واقراً كتاب الحافظ الثقة الرضي
ذاك ابن أحد أوحد الحفاظ قد
واقراً كتاب الأثرم العدل الرضي
وكذا الامام ابن الامام المرتضي
تصنيفه نظماً ونثراً واضح
واقراً كتاب السنة الأولى التي
ذاك النبيل ابن النبيل كتابه
وانظر إلى قول ابن اسباط الرضي
وانظر إلى قول ابن زيد
في السنة العليا فتى الشيباني
شهدت له الحفاظ بالاتقان
في السنة الأولى امام زمان
حقاً أي داود ذي العرفان
في السنة المثلى هما نجمان
أبداه مضطلع من الايمان
أيضاً نبيل واضح البرهان
وانظر إلى قول الرضي سفيان
ذاك حماد وحامد الإمام الثاني

بدأ المؤلف هنا بذكر عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل وله كتاب (السنة)
وهو كتاب حافل بججج أهل السنة على النفاة، ثم ذكر جملة من أئمة السنة إلى
حماد بن زيد وهو مشهور.

★ ★ ★

وانظر إلى ما قاله علم الهدى
في نقضه والرد يالها كتا
هدمت قواعد فرقة جهمية
وانظر إلى ما في صحيح محمد
من رده ما قاله الجهمي بالنقل الصحيح الواضح البرهان
وانظر إلى تلك التراجم ما الذي
في ضمنها ان كنت ذا عرفان
وانظر إلى ما قاله الطبري في الشرح الذي هو عندكم سفران
أعني الفقيه الشافعي اللالكا
أي المسدد ناصر الايمان
وانظر إلى ما قاله علم الهدى التيمي في إيضاحه وبيان

ذاك الذي هو صاحب الترغيب والترهيب ممدوح بكل لسان
وانظر إلى ما قاله في السنة الكبرى سليمان هو الطبراني
وانظر إلى ما قاله شيخ الهدى يدعى بطلمنكيهم ذو شان
وانظر إلى قول الطحاوي الرضي وأجره من تحريف ذي بهتان
وكذلك القاضي أبو بكر هو ابن الباقلاني قائد الفرسان
قد قال في تمهيده ورسائل والشرح ما فيه جلي بيان
في بعضها حقا على العرش استوى لكنه استولى على الأكوان
وأتى بتقرير العلو وأبطل اللام التي زيدت على القرآن
من أوجه شتى وذا في كتبه باد لمن كانت له عينان

أول من ذكر هنا هو عثمان بن سعيد الدارمي، وكتبه كان لها أثر فعال في
زلزلة بناء النفاة عند ظهورها في عالم المطبوعات، والبخاري صاحب الصحيح،
وكم في تراجم أبوابه من غصة للنفاة، واللالكاني هو الإمام أبو القاسم الطبري
أحد أئمة أصحاب الشافعي رحمه الله وله كتاب في السنة، وهو من أجل الكتب.
والتمي هو الإمام إسماعيل بن محمد بن الفضل، كان إماما للشافعية،
والطلمنكي هو أبو عمر وله كتاب في الأصول، والطحاوي هو أبو جعفر إمام
الحنفية في وقته في الحديث والفقه ومعرفة أقوال السلف وله كتاب نفيس
(العقيدة الطحاوية) ولها شروح عدة.

والباقلاني هو القاضي أبو بكر الأشعري له كتاب التمهيد.

★ ★ ★

وانظر إلى قول ابن كلاب وما يقضي به لمعطّل الرحمن
اخرج من النقل الصحيح وعقله من قال قول الزور والبهتان
أو ليس الاله بداخل في خلقه أو خارج عن جملة الأكوان
وانظر إلى ما قاله الطبري في التفسير والتهذيب قول معاني
وانظر إلى ما قاله في سورة الاعراف مع طه ومع سبحان

وانظر إلى ما قاله البغوي في تفسيره والشرح بالاحسان
 في سورة الاعراف عند الاستوى فيها وفي الاولى من القرآن
 وانظر إلى ما قاله ذو سنة وقراءة ذاك الإمام الداني
 وكذلك سنة الاصبهاني أبي الشيخ الرضي المستل من جان
 وانظر إلى ما قاله ابن سريج البحر الخضم الشافعي الثاني
 وانظر إلى ما قاله علم الهدى أعني أبا الخير الرضي النعمان
 أول من ذكر هنا ابن كلاب وهو من أئمة المتكلمين وامام الطائفة الكلاية،
 والطبري هو الإمام محمد بن جرير امام أهل التفسير، والبغوي هو الحسين بن
 مسعود محيي السنة وقد اجتمعت على تلقي تفسيره بالقبول.

وختم المؤلف هذا السجل الحافل بابن سريج وهو أبو العباس امام الشافعية في
 وقته، ونحن نخيل القارىء إلى الكتب التي سردها المؤلف إذا أراد الاطلاع على ما
 فيها ليرى بنفسه اجماع سلف الأمة وأئمتها على هذه المقالة دون نكير حتى لا يغتر
 بتلبسات أهل التعطيل وشبههم الفاسدة وتأويلاتهم الباردة، فليسع كل مؤمن
 ناصح لنفسه ما وسع هؤلاء الأئمة الأعلام الذين هم أكمل هذه الأمة علما
 وعملاً وأرضاها ديناً، نسأل الله أن يوفقنا لاتباع سبيلهم بمنه وكرمه.

★ ★ ★

وكتابه في الفقه وهو بيانه يبدي مكانته من الايمان
 وانظر إلى السنن التي قد صنف العلماء بالآثار والقرآن
 زادت على المائتين منها مفردا أوفى من الخمسين في الحسبان
 منها لأحد عدة موجودة فينا رسائله إلى الاخوان
 واللاء في ضمن التصانيف التي شهرت ولم تحتج إلى حسان
 فكثيرة جدا فمن يك راغبا فيها يجد فيها هدى الحيران
 وهم النجوم لكل عبد سائر يبغي الاله وجنة الحيوان
 أصحابها هم حافظو الإسلام لا أصحاب جهم حافظو الكفران

وسواهم والله قطاع الطريق أئمة تدعو إلى النيران
 ما في الذين حكيت عنهم أنفاً من حنبلي واحد بضمنان
 بل كلهم والله شيعة أحد فأصوله وأصولهم سيان
 وبذاك في كتب لهم قد صرحوا وأخو العماية ما له عينان
 أتظنهم لفظية جهلية مثل الحمير تقاد بالارسان
 حاشاهم من ذاك بل والله هم أهل العقول وصحة الأذهان

الشرح: بعد أن سرد المؤلف هذه المصنفات الكثيرة في السنن والآثار وتفسير القرآن وبين تضافرها على إثبات صفة العلو له سبحانه على ما تقتضيه النصوص الصريحة القطعية من الكتاب والسنة، قال ان أصحاب هذه المصنفات هم بحق حملة الإسلام الحافظون له الذين ورد فيهم الأثر القائل (يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين) وهم رضي الله عنهم نجوم الهدى يهتدي بهم كل سائر إلى الله يبغي رضوانه وجنته. وأما سواهم من أتباع جهم وشيعته من أهل التعطيل، فهم قطاع طريق يصدون عن سبيل الله الحقة ويبغونها عوجاً، وهم أئمة تدعو إلى النيران، يعني إلى الأسباب الموجبة لها من المروق والتعطيل والالحاد.

ويقول المؤلف رداً على خصوم الحنابلة الذين يتهمونهم بالحشو والتجسيم أنه ليس في الذين حكى أقوالهم وسرد مصنفاتهم أنفاً حنبلي واحد ولكنهم مع ذلك هم شيعة أحد المتفقون معه في الأصول، فإن الأصول لا يسع أحد الخلاف فيها وكلمة أهل الحق فيها متفقة كما صرحوا جميعاً بذلك في كتبهم. وينكر المؤلف على هؤلاء الجهمية رميهم هؤلاء الأئمة الكبار بالألقاب الشنيعة مثل قولهم أنهم لفظية يعنون بذلك أنهم يقفون عند ظواهر الالفاظ ولا يتعمقون في فهم ما تحتمله من تأويلات، وقولهم أنهم جهلية نسبة إلى الجهل وحشوية يعنون أنهم من طغام الناس وحاشاهم رضي الله عنهم من مقالة السفهاء ولز الأغبياء، بل هم أهل العقول الراجحة والأذهان الصحيحة والفطرة السليمة المستقيمة.

★ ★ ★

فانظر إلى تقريرهم لعلوه
عقلان عقل بالنصوص مؤيد
والله ما استويا ولن يتلاقيا
افتقذفون أولاء بل أضعافهم
بالجهل والتشبيه والتجسيم
يا قومنا الله في اسلامكم
يا قومنا اعتبروا بمصرع من خلا
لم يغن عنهم كذبهم ومحالمهم
كلا ولا التدليس والتلبيس عند الناس والحكام والسلطان

الشرح: فانظر ان شئت دليلا على سمو علومهم وجودة اذهانهم إلى تقريرهم لعلوه سبحانه ببراهين النقل والعقل. ولكن العقل الذي يستعملونه هو العقل السليم المؤيد بالنصوص الصريحة لا عقل الجهمية المؤيد بقضايا المنطق اليوناني الفاسدة. ثم يلتفت المؤلف إلى هؤلاء المجترئين على أئمة السلف بقالة السوء فيقول لهم أفترمُون هؤلاء ممن ذكرنا وأضعافهم من سادة العلماء في كل زمان بما هم منه براء من الجهل والتشبيه وغيرها ولا تتقون الله في اسلامكم الذي أفسدتموه بعوامل الهوى والعصبية وحمية الشيطان كأنكم لم تعتبروا بمصرع من قبلكم من المارقين الكاذبين الذين لم يغن عنهم كذبهم وزورهم ولا ترويحهم لبدعهم بالتدليس والتلبيس عند العامة وعند الحكام والسلاطين وكأن الشيخ يشير بذلك إلى مصرع المعتزلة في عهد الخليفة المتوكل بعد ما كان لهم من صولة في عهد المأمون والمعتصم من قبله؟

★ ★ ★

وبدا لهم عند انكشاف غطائهم
وبدا لهم عند انكشاف حقائق الـ
ما عندهم والله غير شكاية
ما لم يكن للقوم في حسابان
إيمان أنهم على البطلان
فأءتوا بعلم وانطقوا ببيان

ما يشتكي إلا الذي هو عاجز
ثم اسمعوا ماذا الذي يقضي لكم
لبستم معنى النصوص وقولنا
من حرف النص الصريح فكيف لا
فاشكوا لنعذرکم إلى القرآن
وعليكم فالحق في الفرقان
فغدا لكم للحق تليسان
يأتي بتحريف على إنسان

الشرح: يعني أنه قد ظهر لهؤلاء الماضين من أهل التعطيل والكفر عندما انكشف عنهم الغطاء بالموت ما لم يكونوا يحتسبون فعرفوا زيف ما كانوا عليه من باطل وبهتان، وأن الحق كان مع خصومهم من أهل العلم والإيمان. فليعتبر بهم هؤلاء الذين يجرون وراءهم ويقلدونهم في باطلهم، فإنه يوشك أن ينزل بهم ما نزل بأسلافهم لا سيما وليس عندهم على ما يقولون إثارة من علم ولا بيان صريح وإنما هي شكاية العاجز الذي لا حيلة له. وإلى من يشتكون؟! إلى هذا المنطق السقيم والجدل العقيم كلا أنهم إذا أرادوا أن تسمع شكواهم، وأن يعذروا فيها، فليشتكوا إلى من يملك الفصل فيها وهو القرآن الذي هو الحكم العدل، ثم ليسمعوا ما الذي يقضي به، هل يقضي لهم أو عليهم؟ ولكنهم ما ارتضوا حكم القرآن، فقد لبسوا معاني نصوصه حين عمدوا إلى تأويلها بما يخرجها عن مواضعها، كما لبسوا على الناس معاني ما قال السلف حين أرادوا أن يخرجوا أقوالهم عما دلت عليه من الاثبات، وقالوا ان السلف يفوضون في المعاني أيضا كما يفوضون في الكيفيات، ولا ريب أن من اجترأ على تحريف النص الصريح من كتاب الله وكلام رسوله هو على تحريف غيرها أشد اجترأ.

★ ★ ★

يا قوم والله العظيم أسأتم
ما ذنبهم ونبههم قد قال ما
ما الذنب إلا للنصوص لديكم
ما ذنب من قد قال ما نطقته به
هذا كما قال الخبيث لصحبه
بأئمة الإسلام ظن الثاني
قالوا كذاك منزل الفرقان
اذ جسمت بل شبهت صنفاً
من غير تحريف ولا عدوان
كلب الروافض أخبث الحيوان

لما أفاضوا في حديث الرفض عند القبر لا تخشون من انسان
يا قوم أصل بلائكم ومصابكم من صاحب القبر الذي تريان
كم قدم ابن أبي قحافة بل غدا يثني عليه ثناء ذي شكران
ويقول في مرض الوفاء يؤمكم عني أبو بكر بلا روغان
ويظل يمنع من امامة غيره حتى يرى في صورة ميلان

الشرح: ينكر المؤلف على هؤلاء المعطلة أنهم أساؤا الظن بأئمة الإسلام حين
رموهم ظلما بالتجسيم والتشبيه، وما تقموا منهم إلا أنهم قالوا ما قال الله ورسوله
بلا زيادة ولا نقص، ولا تحريف ولا تبديل، ووقفوا عندما جاءت به النصوص
الصريحة في الاثبات بلا كيف ولا تمثيل فليتهموا النصوص إذا وليرموها هي
بالتجسيم والتشبيه، وليفعلوا ما فعله ذلك الرافضي الخبيث حين أشار إلى قبر
النبي ﷺ وقال لأصحابه مقالة المغيظ المحقق، ان أصل بلائكم وسر شقائكم
هو ما صرح به صاحب هذا القبر من تقديم أبي بكر على جميع أصحابه، وثنائه
عليه ثناء الشاكر له سالفته في الإسلام حيث يقول: « ان من أمن الناس عليّ في
صحبته وماله أبا بكر » وقوله في مرضه الذي توفي فيه، حين عجز عن الخروج
للصلاة: « مروا أبا بكر فليصل بالناس » ولما قالت له عائشة أن أبا بكر رجل
أسيف لا يملك نفسه ان هو قام مقامك من البكاء غضب وقال: انكن صواحب
يوسف مروا أبا بكر فليصل بالناس.

★ ★ ★

ويقول لو كنت الخليل لواحد
لكنه الأخ والرفيق وصاحي
ويقول للصديق يوم الغار لا
الله ثالثنا وتلك فضيلة
يا قوم ما ذنب النواصب بعد ذا
فتفرقت تلك الروافض كلهم
في الناس كان هو الخليل الداني
وله علينا منة الاحسان
تخزن فنحن ثلاثة لا اثنان
ما حازها إلا فتى عثمان
لم يدهكم إلا كبير الشأن
قد أطبقت اسنانه الشفتان

وكذلك الجهمي ذاك رضيهم
 ثوبان قد نسجا على المنوال يا
 فيها رضيها كفرهم بلبان
 عريان لا تلبس فما ثوبان
 والله شر منهما فهما على
 أهل الضلالة والشقا علمان

الشرح: ويقول صلوات الله وسلامه عليه « لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن اخوة الإسلام، فإن صاحبكم خليل الرحمن » وعندما كان الرسول ﷺ هو وأبو بكر في الغار محتفين من قريش نظر أبو بكر إلى فم الغار فوجد القوم مجتمعين عليه فبكى وقال: والله يا رسول الله لو نظر أحدهم موضع قدمه لأبصرنا، فقال له ﷺ ما حكاه القرآن: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠] وروي أنه قال له « ما ظنك باثنين الله ثالثهما » وهذه منقبة عظيمة لأبي بكر ما حازها أحد من هذه الأمة غيره، وإذا فلا ذنب للنواصب يا قوم في تقديمهم أبا بكر وعمر، وإنما الذنب على من قدمها ودل على فضلها، فلما سمع الروافض مقالة ذلك الخبيث تفرقوا وكلهم يعرض بأسنانه على شفثيه من الغيظ، فكذلك الجهمي رضيح الرافضة الذي رضع معهم بلبان الكفر يصب كل غيظه ونقمته على النصوص التي تفسد عليه أمره وتنادي بفساد مذهبه، فالرفض والتجهم ثوبان قد نسجا على منوال واحد، وهما والله شر ما عرف الناس من أثواب ما ارتداها أحد إلا كانا علامة على شقائه وضلاله.

★ ★ ★

فصل

هذا وسابع عشرها أخباره
 عن عبده موسى الكليم وحربه
 تكذيبه موسى الكليم بقوله
 ومن المصائب قولهم أن اعتقا
 سبحانه في محكم القرآن
 فرعون ذي التكذيب والطغيان
 الله ربي في السماء نباني
 د الفوق من فرعون ذي الكفران

فإذا اعتقدتم ذا فأشيع له أنتم وذا من أعظم البهتان
فأسمع إذا من ذا الذي أولى بفرعون المعطل جاحد الرحمن
وانظر إلى ما جاء في القصص التي تحكي مقال امامهم ببيان

الشرح: هذا هو الوجه السابع عشر من الوجوه الدالة على علوه تعالى فوق خلقه خلقه، وهو ما أخبر به سبحانه في كتابه عن كلمه موسى عليه السلام وعن عدوه فرعون ذي التكذيب والطغيان، فقد أخبر سبحانه أن فرعون كذب موسى عندما قال له انه مرسل من الله الذي في السماء. وقال ما حكاه عنه القرآن: ﴿يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صَرَخًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلِهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾ [غافر: ٣٦ ، ٣٧].

ومن المصائب أن الجهمية يعكسون المسألة ويجعلون اعتقاد الفوق من رأي فرعون ذي الكفران لم يسمعه من موسى، وأن كل من اعتقد الفوق فهو من شيعة فرعون وحزبه، وهذا من أعظم الكذب والبهتان، وذلك يظهر بأدنى تأمل في القصص التي حكي الله فيها مقالة امام المعطلة فرعون كما سيأتي.

★ ★ ★

والله قد جعل الضلالة قدوة فأمام كل معطل في نفسه طلب الصعود إلى السماء مكذبا بل قال موسى كاذب في زعمه فأبنبوا لي الصرح الرفيع لعلي وأظن موسى كاذبا في قوله وكذلك كذبه بأن الهه هو أنكر التكليم والفوقية الـ فمن الذي أولى بفرعون اذا

بأئمة تدعو إلى النيران فرعون مع نمروذ مع هامان موسى ورام الصرح بالبنيان فوق السماء الرب ذو السلطان أرقى إليه بجيلة الإنسان الله فوق العرش ذو السلطان ناداه بالتكليم دون عيان عليا كقول الجهمي ذي صفوان منا ومنكم بعد ذا التبيان

الشرح: يعني أن الله تعالى جعل الضلال في الاقتداء بفرعون وملئه الذين هم

ائمة الضلال الداعون الى النار، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى
النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ [القصص: ٤١] وهم انما يدعون إلى النار
أشياعهم في الجحد والتعطيل فامام كل معطل في نفسه هم هؤلاء الثلاثة:
فرعون. وهو لقب لمن ملك مصر، ونمرود، وهو لقب الكنعانيين، وهامان هو
وزير فرعون. فأولهم وهو فرعون انما طلب الصعود إلى السماء وأمر هامان ببناء
الصرح تكذيباً منه لموسى عليه السلام حين أخبره أن الرب في السماء، فإن موسى
حين أخبره بأنه رسول من رب العالمين، سأله عن مكانه وأين هو، فأخبره أنه في
السماء، فقال ما قال وكذلك كذبه حين أخبره أن الله ناداه وكلمه من وراء
حجاب دون رؤية، وبذلك يكون فرعون قد أنكر تكليم الله لموسى وفوقيته على
عرشه، كما أنكرها الجهم وشيعته. فمن إذا أولى بفرعون وأحق بالانتساب إليه
منا ومنكم، لا شك أن أولى الناس به هم من وافقوه على الجحد والتعطيل.

★ ★ ★

يا قومنا والله ان لقولنا	ألفا تدل عليه بل ألفان
عقلا ونقلا مع صريح الفطرة الأ	ولى وذوق حلاوة القرآن
كل يدل بأنه سبحانه	فوق السماء مباين الأكوان
أترون انا تاركو ذا كله	لجابع التعطيل والهديان
يا قوم ما أنتم على شيء إلى	أن ترجعوا للوحي بالاذعان
وتحكموه في الجليل ودقه	تحكيم تسليم مع الرضوان

الشرح: بعد أن أورد المؤلف هذا الوجه وقرره هذا التقرير الحسن التفت
إلى هؤلاء النفاة المعاندين مبينا لهم أن الأدلة على ثبوت الفوق لله عز وجل قد
بلغت من الكثرة أن صارت ألف دليل بل ألفين وهي أذلة متنوعة، فمنها ما
يرجع إلى العقل الصريح، ومنها ما يرجع إلى النقل الصحيح، ومنها ما يرجع إلى
الفطرة الأولى التي فطر الله عباده عليها، ومنها ما يفهمه العلماء الراسخون من
أساليب القرآن بأذواقهم السليمة، وكل واحد من هذه الأدلة المتكاثرة يكفي

وحده لاثبات ذلك المطلوب، وهو أن الله فوق عرشه مبين لخلقه، فهل يعقل بعد ذلك أن يترك أهل الحق هذه الأدلة القاطعة التي هي أوضح من الشمس في رابعة النهار من أجل تشغيب هؤلاء المعطلة وتوحيهاتهم الباطلة، وقد حكموا عقولهم الفاسدة في أمور نطق بها صريح الوحي ولم يترك فيها مجالاً لرأي، فما هم على شيء من الدين حتى ينزعوا عن غرورهم ويرجعوا إلى وحي ربهم ويدعنوا له ويحكموه في كل دقيق وجليل من أمور الدين، ثم يرضوا بحكمه ويسلموا له تسليماً.

★ ★ ★

قد أقسم الله العظيم بنفسه قسماً يبين حقيقة الايمان
 أن ليس يؤمن من يكون محكما غير الرسول الواضح البرهان
 بل ليس يؤمن غير من قد حكم الـ وحين حسب فذاك ذو إيمان
 هذا وما ذاك المحكم مؤمناً ان كان ذا حرج وضيق بطان
 هذا وليس بمؤمن حتى يسلم للذي يقضي به الوحيان
 يا قوم بالله العظيم نشدتكم وجرمة الايمان والقرآن
 هل حدثتكم قط أنفسكم بذا فسلوا نفوسكم عن الإيمان

الشرح: يشير المؤلف بهذه الآيات الى الآية الكريمة التي في سورة النساء والتي نزلت في شأن المنافقين الذين احتكموا الى الطاغوت وأعرضوا عن حكم رسول الله ﷺ، أعني قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: 65] فقد أقسم الله في هذه الآية الكريمة بنفسه أن هؤلاء لا يكونون مؤمنين أبداً حتى يحكموا الرسول ﷺ فيما ينشب بينهم من خصومات، ثم لا يقابلوا حكمه بالحرج وضيق الصدر، بل يرضوا به ويدعنوا، وبعد وفاته ﷺ انما يكون التحاكم الى كتاب الله وسنة رسوله فلا يتم ايمان أحد حتى يحكمها وحدها ويسلم للذي يحكمان به كما قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ

وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾
[النساء : ٥٩] .

فهؤلاء المبتدعة من أرباب المقالات والمذاهب حكموا في دين الله عقولهم
وقدموا كلام رؤسائهم وقادتهم في الضلال على حكم الله ورسوله، فأشبهوا
هؤلاء المنافقين الذين حكى الله عنهم تحاكمهم الى الطاغوت وصدودهم عن حكم
الرسول عليه السلام، ولهذا ينشدهم المؤلف بالله العظيم وبجرمة الايمان والقرآن أن
يراجعوا أنفسهم وأن يسألوها هل لا يزال فيها شيء من الايمان .

★ ★ ★

لكن رب العالمين وجنده	ورسوله المبعوث بالقرآن
هم يشهدون بأنكم اعداء من	ذا شأنه أبداً بكل زمان
ولأي شيء كان أحد خصمكم	أعني ابن حنبل الرضي الشيباني
ولأي شيء كان بعد خصومكم	أهل الحديث وعسكر القرآن
ولأي شيء كان ايضاً خصمكم	شيخ الوجود العالم الحراني
أعني أبا العباس ناصر سنة المخت	ار قاصع سنة الشيطان
والله لم يك ذنبه شيئاً سوى	تجريدته لحقيقة الايمان
اذ جرد التوحيد عن شرك كذا	تجريدته للوحي عن بهتان
فتجرد المقصود عن قصد له	فلذا لم ينصف الى انسان

الشرح: فإذا لم تشهدوا على أنفسكم ببراءتها من الايمان بسبب معاداتها
للوحي من السنة والقرآن، فاعلموا أن الله وجنده من الملائكة ورسوله المبعوث
بالقرآن، كلهم يشهدون عليكم بأنكم في كل زمان أعداء لمن شأنه التمسك
بالسنة والقرآن، دالا فأخبرونا لماذا عاديتم أمام أهل السنة وناصر مذهب السلف
وقدوة أهل الحق في الثبات والصبر والجهاد لأعداء الله أحمد بن حنبل رضي الله
عنه . ولماذا كان أعداؤكم دائماً هم أهل الحديث وعسكر القرآن . ثم لأي شيء
عاديتم شيخ الاسلام وعلم الأعلام غير منازع الذي بعثه الله على رأس المائة الثامنة

ليجدد هذه الأمة ما رث من أمر دينها ويشد ما وهى من عقد إيمانها من نصر الله به السنة وقمع به البدعة وأقام به على المارقين الحججة (تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم بن تیمیة الحراني الدمشقي) الذي لم يأت الزمان له بنظير في الجمع بين المعقول والمنقول، وهل كان ذنبه الا أنه جرد الدين من كل دخيل وأزال ما لصق به من أضرار الشرك وظلمات البدع حتى رده سليما نقيا. وأنه جرد الوحي مما زاده المفترون الكذابون.

هذا واعتذر للقارىء عن شرح البيت الأخير أعني قوله (فتجرد المقصود عن قصد له الخ) فإني لم أفهمه والله تعالى أعلم. ويجوز أن يكون الشيخ قد أراد أن المقصود من التوحيد والوحي قد تجرد عما لصق به من زيادات ومحدثات حين قصد شيخ الاسلام الى تجريده، فلهذا عودي رحمة الله ولم ينصفه من الناس أحد.

ما منهم أحد دعا لمقالة غير الحديث ومقتضى الفرقان
فالقوم لم يدعوا إلى غير الهدى ودعوتهم انتم لرأي فلان
شأن بين الدعوتين فحسبكم يا قوم ما بكم من الخذلان
قالوا لنا لما دعوناهم الى هذا مقالة ذي هوى ملآن
ذهبت مقادير الشيوخ وحرمة العلماء بل عبرتهم العينان
وتركتم أقوالهم هدرًا وما أصغت اليها منكم اذنان
لكن حفظنا نحن حرمتهم ولم نعد الذي قالوه قدر بنان

الشرح: يعني أن هؤلاء الذين عاديتهم من أهل الحديث وأئمة الهدى مثل أحمد وابن تیمیة، وأضرابها لم يدع أحد منهم الى مقالة مبتدعة ولا تزيد في دين الله ما ليس منه، وانما دعوا الى الأخذ بالحديث وما يفهم من صريح الكتاب. وأما أنتم فتعرضون عن السنة والكتاب جانبا وتدعون لرأي فلان وفلان ممن يجوز عليهم الخطأ وليسوا بمعصومين فشتان ما بين الدعوتين دعوة الى هدى،

ودعوة الى ضلال، وكفاحم هذا خذلانا .

والعجيب من أمرم انكم كلما دعاكم داع الى الرجوع للأصل الأول، وهو كتاب الله وسنة رسوله نفرتم منه نفار الوحش وقلتم له مقالة المغيظ المحنق، لقد أزريت بأقدار الشيوخ وأنتهكت حرمة العلماء حيث تدعوننا الى ترك أقوالهم وعدم الأصغاء الى آرائهم وأما نحن فقد حفظنا حرمتهم حيث لم نتجاوز أقوالهم ولم نعد آراءهم مقدار بنان أي طرف أصعب، وهذا الذي أشار اليه المؤلف هو دأب هؤلاء المقلدة الجامدين في كل زمان يعدون كل من يدعو الى الكتاب والسنة وأخذ الدين منها متهجما على الأئمة مزريرا بمذاهبهم التي يجب في نظرهم اتباعها وأخذ الأحكام منها دون مناقشة فبئس ما رضوا لأنفسهم أن يجرموها ميزة الفهم والادراك التي جعلها الله خاصة الانسان .

★ ★ ★

يا قوم والله العظيم كذبتم	وأتيتم بالزور والبهتان
ونسبتم العلماء للأمر الذي	هم منه أهل براءة وأمان
والله ما أوصاكم أن تتركوا	قول الرسول لقولهم بلسان
كلا ولا في كتبهم هذا بلى	بالعكس أوصاكم بلا كتان
اذ قد أحاط العلم منهم أنهم	ليسوا بمعصومين بالبرهان
كلا وما منهم احاط بكل ما	قد قاله المبعوث بالقرآن
فلذاك أوصاكم بأن لا تجعلوا	أقوالهم كالنص في الميزان
لكن زنوها بالنصوص فإن توا	فقهها فتلك صحيحة الاوزان

الشرح: يقسم المؤلف بالله العظيم أن هؤلاء المقلدة المتباكين على حرمة الائمة ومذاهبهم قد كذبوا على هؤلاء الائمة ونسبوهم الى ما هم منه براء من دعوة الناس الى الأخذ بمذاهبهم دون نظر في أدلتها من الكتاب والسنة . والله سبحانه ما أمرنا في كتابه أن نترك قول الرسول لقول أحد من الناس، بل قال سبحانه: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ [الحشر: ٧] وقال:

﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء : ٥٩] وكذلك الأئمة رحمهم الله لم يدع أحد منهم أن مذهبه هو الحق الذي يجب اتباعه بل صح عنهم جميعاً أنهم يبرأون إلى الله من كل قول لهم يخالف الحديث وقد صح عن الشافعي رحمه الله أنه قال (إذا جاء الحديث يخالف ما قلناه فخذوا به ودعوا ما قلناه).

وورد عن مالك رحمه الله أنه قال (كل انسان يؤخذ من قوله ويترك الا صاحب هذا القبر) وأشار الى قبر رسول الله ﷺ . وضح عن أحد أنه قال (لا يحل لأحد أن يأخذ بشيء من أقوالنا حتى يعلم من أين قلناه).

وهذا هو اللائق بهم رحمهم الله ، فإنهم يعلمون أنهم ليسوا بمعصومين ، بل هم مجتهدون يصيبون ويخطئون ، ويعلمون كذلك أن أحداً منهم لم يحط علماً بكل ما قاله الرسول ﷺ ، فلذلك جاءت وصيتهم جميعاً بأن لا تجعل أقوالهم مساوية للنص في الميزان ، بل يجب أن توزن بالنصوص فإن وافقتها فهي صحيحة والا وجب اتباع النص .

★ ★ ★

لكنكم قدتم أقوالهم	أبدا على النص العظيم الشأن
والله لا لوصية العلماء نف	ذتم ولا لوصية الرحمن
وركبتم الجهلين ثم تركتم النص	ين مع ظلم ومع عدوان
قلنا لكم فتعلموا قلتم أما	نحن الأئمة فاضلو الأزمان
من أين والعلماء أنتم فاستحوا	أين النجوم من الثرى التحتاني
لم يشبه العلماء الا أنتم	أشبهتم العلماء في الأذقان
والله لا علم ولا دين ولا	عقل ولا بمروة الانسان
عاملمت العلماء حين دعوكم	للحق بل بالبغي والعدوان

الشرح: لكنكم بالرغم من أمر الله لكم أن لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ومن وصية الأئمة لكم أن لا تقدموا آراءهم ومذاهبهم على قول الله وحديث

رسوله ﷺ، قد خالفتم هذا كله وقدمتم أقوالهم على النصوص الصريحة من الكتاب والسنة، فلا أنتم أمثلتم أمر ربكم بالوقوف عندما جاء به الرسول عليه السلام، ولا أنتم نفذتم وصية العلماء بترك أقوالهم إذا ظهر مخالفتها لصريح النص وركبتهم الجهلين، جهلكم بالحق الذي يجب اتباعه والايان به، وجهلكم انكم تجهلون، وهذا هو الجهل المركب، ثم تركتم النصين من الكتاب والسنة ظلاماً وعدواناً، واذا نصح لكل ناصح أن تتعلموا لأنكم لستم على شيء غضبتم من رمية لكم بالجهل، وقلتم تبجحاً وغروراً: ألسنا نحن الأئمة الفضلاء والعلماء الأذكياء، كذبتم فأين أنتم من هؤلاء او هؤلاء؟ ألم يبق في وجوهكم قطرة من حياء؟ فأين الثرى من الثريا؟ أم أين الأرض من السماء؟ ألم يبق مما يشبه العلماء ألا أنتم، صدقتم، ولكنكم أشبهتموهم في طول اللحي والأذقان أما ما وراء ذلك فأنتم لا علم ولا دين ولا عقل ولا حتى مروءة انسانية، فقد كنتم لثاما حين عاملتم من يدعوكم من العلماء الى الحق بالبغي والكيد الدنيء والاعتداء الاثيم، وكأنه يشير بذلك رحمه الله الى ما وقع عليه وعلى شيخه شيخ الاسلام ابن تيمية من علماء عصرهم من الجهلة المتعصبين للمذاهب من ايذاء واعتداء على حين لا ذنب لهما الا الذب عن دين الله ونصر السنة المطهرة والرجوع بالأمة الى ما كان عليه سلفها الصالح قبل نجوم الخلاف، وظهور البدع والمقاتلات.

★ ★ ★

أن أنتم الا الذباب اذا رأى	طعماً فيا لمساقط الدبان
وإذا رأى فزعاً تطاير قلبه	مثل البغاث يساق بالعقبان
وإذا دعوناكم الى البرهان كما	ن جوابكم جهلا بلا برهان
نحن المقلدة الا الى ألفوا كذا	آباءهم في سالف الأزمان
قلنا فكيف تكفرون وما لكم	علم بتكفير ولا ايمان
اذ أجمع العلماء أن مقلدا	للناس والأعمى هما أخوان
والعلم معرفة الهدى بدليله	ما ذاك والتقليد مستويان
حرنا بكم والله لا أنتم مع العلم	اء تنقادون للبرهان
كلا ولا متعلمون فمن ترى	تدعون نحسبكم من الثيران

لكنها والله أنفع منكم للأرض في حـرث وفي دوران
نالت بهم خيراً ونالت منكم المعهود من بغي ومن عدوان
فمن الذي خير وأنفع للورى أنتم أم الثيران بالبرهان

الشرح: يشبه المؤلف هؤلاء الأعدياء من أهل التعصب والتقليد الأعمى في دناءتهم وتهافتهم على حطام الدنيا بالذباب إذا رأى طعاماً، أي شيئاً حلوا كالعسل كثر تساقطه فيه، وهم من ذلك جناء رعايد إذا رأوا هبة طارت نفوسهم منها شعاعاً وانخلعت قلوبهم، كأنهم رخم تسوقه الصقور والعقبان، وإذا ناظرهم العلماء وطالبوهم بالبرهان لم يقدرُوا على اقامته، وكان جوابهم هو جواب أهل التقليد في كل زمان: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ فقيل لهم كيف تكفرون إذا من خالفكم وأنتم لا علم عندكم بمواضع التكفير والايان، وهل التقليد الا عمى في العقل والبصيرة، يحمل المقلد على الانقياد لمن يقلده، كانقياد الأعمى لمن يقوده، فأين هو من العلم الصحيح الذي يكون قائماً على الدليل والبرهان، فشتان ما بينها ثم شتان، ولقد تركتمونا في حيرة من أمركم فلا ندري الى أي قبيل ننسبكم، فلا أنتم مع العلماء في طلب الدليل والبرهان ولا أنتم ترضون أن تتعلموا لتزيلوا عن أنفسكم غشاوة الجهل والتقليد، فلا نظنكم الا أمة من الثيران التي لا تفقه ولا تعي، على أن الثيران كذلك خير منكم وأنفع، فإنها تحرث الأرض وتسقي الزرع، وأما أنتم فما نالت بكم الأرض الا شراً، فقد أكثرتم فيها البغي والعدوان، فأصبحتم أخف وزناً حتى من الثيران.

★ ★ ★

فصل

هذا وثامن عشرها تنزيهه سبحانه عن موجب النقصان
وعن العيوب وموجب التمثيل والتشبيهه جل الله ذو السلطان
ولذلك نزه نفسه سبحانه عن ان يكون له شريك ثان

أو أن يكون له ظهير في الورى
 أو أن يوالي خلقه سبحانه
 أو أن يكون لديه أصلاً شافع
 وكذلك نزه نفسه عن والد
 وكذلك نزه نفسه عن زوجة
 سبحانه عن افك ذي بهتان
 من حاجة أو ذلة وهوان
 إلا باذن الواحد المنان
 وكذلك عن ولدهما نسيان
 وكذلك عن كفو يكون مداني

الشرح: هذا هو الوجه الثامن عشر من الوجوه الدالة على علوه تعالى وفوقيته، وخلاصة هذا الوجه أن الله سبحانه قد نزه نفسه في كتابه عن كل ما يوجب نقصاً أو عيباً، وعن كل ما يقتضي تمثيلاً أو تشبيهاً له بأحد من خلقه، تعالى الله عن ذلك، فنزه نفسه سبحانه عن أن يكون له شريك ينازعه الملك والسلطان، ويكون مستحقاً للعبادة معه.

وآيات نفي الشريك في القرآن أكثر من أن تحصر، ومنها آيات مشتملة على دليل ذلك النفي، كقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢] وقوله ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [المؤمنون: ٩١] وكذلك نزه نفسه سبحانه عن الظهير، وهو المظاهر المعاون له في شيء من الخلق أو التدبير، كقوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ [سبأ: ٢٢] ونزه نفسه عن أن يكون له ولي من خلقه يواليه من ذل أو حاجة، قال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلِداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وُليٌّ مِنَ الذَّلِّ﴾ [الإسراء: ١١١] ونزه نفسه عن أن يكون لديه شافع أصلاً يشفع بغير أذنه فيقبل شفاعته لرغبة أو رهبة، كما يقبل الملوك في الدنيا شفاعته من حولهم من القواد والأمراء وذوي الجاه لخوافهم منهم وحاجتهم اليهم. أما الشفاعته عنده سبحانه فإنها لا تكون أبداً إلا بشرطين، أحدهما في الشافع، وهو اذن الله له بالشفاعة والثاني في المشفوع له، وهو أن يكون مرضياً عنه، قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى﴾ [الانبياء: ٢٨] وقال ﴿وَكَمْ مِنْ

مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ
وَيَرْضَى ﴿ [النجم: ٢٦] .

وكذاك نزه نفسه سبحانه عن الوالد والولد فقال: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾
[الإخلاص: ٣] وعن الزوجة والكفه الذي هو النظير المساوي قال تعالى:
﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤] وقال: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾
[مریم: ٦٥] أي شبيها ونظيراً يستحق مثل اسمه، وقال تعالى: ﴿أَتَى يَكُونُ لَهُ
وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً﴾ [الأنعام: ١٠١] وقال حكاية عن الجن: ﴿وَأَنَّهُ
تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [الجن: ٣] .

ولقد أتى التنزيه عما لم يقم	كي لا يزور بخاطر الانسان
فأنظر الى التنزيه عن طعم ولم	ينسب اليه قط من انسان
وكذلك التنزيه عن موت وعن	نوم وعن سنة وعن غشيان
وكذلك التنزيه عن نسيانه	والرب لم ينسب الى نسيان
وكذلك التنزيه عن ظلم وفي الافعال	سال عن عبث وعن بطلان
وكذلك التنزيه عن تعب وعن	عجز ينافي قدرة الرحمن

الشرح: يعني أنه سبحانه كما نزه نفسه عما قاله المبطلون ووصفوه به نزه
نفسه عما لم يقله أحد ولم ينسبه اليه حتى لا يقع بخاطر أحد، فنزه نفسه عن الطعم
مع أن أحداً لم يصفه به، قال تعالى: ﴿قُلْ أَغْبِرَ اللَّهُ اتَّخَذُ وَلِيًّا قَاطِرَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يَطْعَمُ﴾ [الأنعام: ١٤] وقال سبحانه ﴿مَا أُرِيدُ
مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُون﴾ [الذاريات: ٥٧] وكذلك نزه نفسه عن
الموت وعن السنة النوم وعن الغشيان الذي هو الجماع وعن النسيان الذي هو ضد
الذكر مع أن أحداً لم ينسبه الى شيء من ذلك قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ
الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨] وقال: ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة:
٢٥٥] وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مریم: ٦٤] .

ونزه نفسه كذلك عن الظلم في معاملة خلقه فلا يعاقب أحداً بغير ذنب، ولا

يضيع عمل عامل، ولا ينقصه شيئاً من أجره. ونزه نفسه في الأفعال عن العبث والباطل وهو خلو الفعل عن الحكمة المقتضية له قال تعالى: ﴿وَلَا يَظَلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩] وقال: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦] وقال: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا﴾ وقال: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ [المؤمنون: ١١٥] وقال: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ * وَمَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الدخان: ٣٨ ، ٣٩].

★ ★ ★

ولقد حكى الرحمن قولاً قاله ان الاله هو الفقير ونحن أصحابه وكذاك أضحى ربنا مستقرضا وحكى مقالة قائل من قومه هذا وما القولان قط مقالة لكن مقالة كونه فوق الورى قد طبقت شرق البلاد وغربها فلاي شيء لم ينزه نفسه عن ذي المقالة مع تفاسم أمرها بل دائما ييدي لنا اثباتها

فنحاص ذو البهتان والكفران
اب الغنى ذو الوجد والامكان
أموالنا سبحان ذي الاحسان
أن العزيز ابن من الرحمن
منصورة في موضع وزمان
والعرش وهو مباين الأكوان
وغدت مقررة لذي الأذهان
سبحانه في محكم القرآن
وظهورها في سائر الأديان
ويعيده بأدلة التبيان

الشرح: روى عكرمة عن ابن عباس في سبب نزول قوله تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران: ١٨١] الآية ان أبا بكر الصديق رضي الله عنه دخل بيت المدراس فوجد ناساً كثيرة من اليهود قد اجتمعوا على رجل منهم يقال له فنحاص وكان من علمائهم وأجبارهم، فقال له أبو بكر: اتق الله يا فنحاص واسلم فو الله انك لتعلم أن محمداً رسول من عند الله قد جاء بالحق من عنده تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة والإنجيل. فقال فنحاص: والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من حاجة من فقر وأنه إلينا لفقير، ولو

كان عنا غنيا ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم . فغضب أبو بكر وضربه على وجهه ضرباً شديداً ، فذهب فنحاص إلى رسول الله ﷺ يشكو أبا بكر . فقال له الرسول عليه السلام « ما حملك على ما صنعت يا أبا بكر » فقال : يا رسول الله ان عدو الله قال قولاً عظيماً يزعم أن الله فقير وأنهم أغنياء ، فلما قال ذلك غضبت لله بما قال ، فضربت وجهه فجحده فنحاص ذلك فنزلت الآية .

وكما حكى الله عز وجل مقالة فنحاص هذه حكى لنا مقالة بعض الجهلة من قومه اليهود أن عزيزاً ابن الله لما كتب لهم التوراة بقلمه بعد غلبة العمالقة على بني إسرائيل وذهاب علمائهم مع أن كلا من هاتين المقاتلتين فسادها ظاهر ، وليست مشهورة في أي مكان وزمان . فإذا كان الله سبحانه قد نزه نفسه عما تقدم من العيوب والنقائص وعما قاله اليهود مع عدم اشتهاره وظهور فسادها ، فلا شيء إذا لم ينزه نفسه عن تلك المقالة وهي كونه فوق عرشه مبيناً لخلقه إذا كانت متضمنة لمعنى فاسد لا يجوز اعتقاده في حق الله تعالى مع شهرة هذه المقالة وتفاقم أمرها واجماع أهل الأديان عليها ، فكانت هي أحق من هذا كله بالتنبيه على فسادها والتحذير منها مع ان العكس هو الواقع ، فالله عز وجل يثبت لنا هذه المقالة ويعيدها ويكررها في كتابه في اسلوب واضح صريح مثل قوله تعالى : ﴿ أَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ ﴾ [الملك : ١٧] ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [يونس : ٣] ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴾ [فاطر : ١٠] ﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ [المعارج : ٤] إلى غير ذلك من الآيات التي لا تقبل تأويلاً . وقوله - ذو البهتان - أي الكذب والافتراء واتهام الغير بما ليس فيه . وقوله ذو الوجد بضم الواو : بمعنى الغنى والتفاقم الزيادة والاشتهار .

★ ★ ★

مقرونة بعبادة الاوثان	لا سيما تلك المقالة عندكم
عبد الصليب المشرك النصراني	أو أنها كمقالة لثلث
ليس الإله منزل الفرقان	إذ كان جسماً كل موصوف بها
بالذات ليسوا عابدي الديان	فالعابدون لمن على العرش استوى

لكنهم عباد أوثنان لدى
ولذاك قد جعل المعطل كفرهم
هذا رأيناه بكتبكم ولم
ولأي شيء لم يحذر خلقه
هذا وليس فسادها بمبين
ولذاك قد شهدت أفاضلكم لها
وخفاء ما قالوه من نفي على الا
هذا المعطل جاحد الرحمن
هو مقتضى المعقول والبرهان
نكذب عليكم فعل ذي البهتان
عنها وهذا شأنها ببيان
حتى يحال لنا على الأذهان
بظهورها للوهم في الإنسان
ذهان بل تحتاج للبرهان

الشرح: يعني كيف ينزه الله نفسه عن تلك المقالة مع أنها عندكم من أشنع
المقالات فهي مساوية لعبادة الأوثان، أو هي كمقالة النصارى المثلثة المشركين
عباد الصليب إذ كان كل موصوف بها عندكم جسماً، ويستحيل أن يكون الإله
جسماً فالعابدون لمن استوى على العرش بذاته ليسوا بعبادين لله عز وجل عندكم
ولكنهم عباد أوثنان، ولهذا حكمتهم عليهم بالكفر في كتبكم وقلتم ان هذا هو
مقتضى العقل والبرهان، فمقالة هذا شأنها كيف يسكت الله عز وجل عنها ولا
يحذر خلقه منها مع أن فسادها ليس بين في نفسه حتى تحال معرفته على العقول،
ولهذا قد اعترف فضلائكم بأنها أظهر وأوضح للوهم أو لما سميتموه وهما وان
مذهبهم في النفي من الأمور التي تخفى على الأذهان فهو محتاج إلى البرهان.

فصل

هذا وتاسع عشرها الزام ذي التعطيل أفسد لازم ببيان
وفساد لازم قوله هو مقتضى
فسل المعطل عن ثلاث مسائل
ماذا تقول كان يعرف ربه
أم لا وهل كانت نصيحته لنا
هذا الرسول حقيقة العرفان
كل النصيحة ليس بالخوان

أم لا وهل حاز البلاغة كلها فاللفظ والمعنى له طوعان
فإذا انتهت هذي الثلاثة فيه كما ملة مبرأة من النقصان
فلأي شيء عاش فينا كاتما للنفي والتعطيل في الازمان
بل مفصحا بالضد منه حقيقة الا فصاح موضحة بكل بيان

الشرح: هذا هو الوجه التاسع عشر ويقوم على إلزام أهل التعطيل بأحد لوازم ثلاثة، كل منها في غاية الفساد، ولا شك أن فساد اللازم يقتضي عقلا فساد الملزوم، فيسأل هذا المعطل أولا: هل تعتقد أن الرسول ﷺ كان يعرف ربه حق المعرفة، وأنه لا أحد من الخلق يمكن أن يكون علمه بالله عز وجل مساويا لعلم رسوله به أم لا؟

ثم يسأل ثانيا: هل كان هذا الرسول صلوات الله وسلامه عليه في غاية النصح لأمته والحرص على هدايتهم، أم كان غاشا لهم كاتما عنهم ما يجب ان يعلموه من أسماء ربهم وصفاته؟

ثم يسأل ثالثاً: هل كان هذا الرسول في أعلى درجات البلاغة والقدرة على البيان والافهام، وأن الألفاظ والمعاني كانت تسلس له قيادها، فلا يستعصي عليه شيء منها ام لا؟

فإذا كانت هذه الأمور الثلاثة من العلم واردة البيان والقدرة عليه قد كملت فيه غاية الكمال، بحيث لا يمكن أن يساويه أحد من الخلق في واحد منها، ولا أن تجتمع لأحد من الخلق كما اجتمعت له، فلأي شيء إذا عاش طول حياته كاتماً لما يجب اعتقاده من النفي والتعطيل في زعمكم. بل لأي شيء عاش مفصحا عن ضد ذلك من الاثبات غاية الافصاح، ومبيناً له أوضح البيان.

إن مذهبكم في التعطيل يقتضي واحداً من هذه الثلاثة، أما نفي علم الرسول بما يجب لله من تنزيه وتقديس، وإما كتمان ذلك عن أمته غشاً وتليباً. وأما

عدم قدرته على بيان ذلك وايضاحه ، فأى واحد منها إذا تختارون لتسجيلوا على
أنفسكم أشنع الكفر والبهتان .

★ ★ ★

ولأى شيء لم يصرح بالذي صرحتم في ربنا الرحمن
العجزه عن ذلك أم تقصيره في النصح أم لخفاء هذا الشأن
حاشاه بل ذا وصفكم يا أمة التعطيل لا المبعوث بالقرآن
ولأى شيء كان يذكر ضد ذا في كل مجتمع وكل زمان
أتراه أصبح عاجزا عن قوله أستولى وينزل أمره وفلان
والله ما قال الأئمة غير ما قد قاله من غير ما كتمان
لكن لأن عقول أهل زمانهم ضاقت بجمل دقائق الإيمان
وغدت بصائرهم كخفاش أتى ضوء النهار فكف عن طيران
حتى إذا ما الليل جاء ظلامه أبصرته يسعى بكل مكان

الشرح: يعني إذا كان ما تقولونه من التعطيل ونفي الصفات هو الحق الذي
يجب اعتقاده ، فلأى شيء لم يصرح به الرسول صلوات الله وسلامه عليه كما
صرحتم أنتم به في حق الله عز وجل . لا بد أن يكون ذلك لأحد الأمور الثلاثة
التي قدمناها : أما لعجزه وعدم قدرته على التعبير والافصاح عن ذلك وحاشاه ،
فهو أكمل الخلق بلاغة وأقدرهم على أداء أي معنى بما يناسبه من الألفاظ . واما
لتقصيره في النصح لأئمة وقصده الى غشهم والتلبيس عليهم ، وحاشاه فهو الأمين
الذي ائتمنه الله على وحيه ، فلا يعقل منه كتمان لشيء من ذلك أو تبديل ، واما
لخفاء هذا الشأن عليه وعدم ظهوره له ، وحاشاه فهو أعلم الخلق بما يجب لربه عز
وجل وما يجوز وما يمتنع ، لا يخفى عليه شيء من ذلك في النفي والاثبات ، بل
أنتم يا جماعة التعطيل والانكار أولى بهذه الأوصاف ، فأنتم أجهل الناس بالحق
وأقصرهم تعبيراً وأداء وأغشهم لناصح ، وأما الرسول فبراء من ذلك .

وإذا كان ما تقولونه من التعطيل هو الحق ، فلأى شيء كان الرسول ﷺ

يذكر ضده ويصرح به في كل مجتمع وزمان، هل ترونه كان عاجزا عن قوله استولى بدلا من استوى، أو عاجزا عن قوله ينزل أمر ربنا بدلا من قوله ينزل ربنا الخ، ولا سيما إذا كانت الألفاظ التي نطق بها موقعة في اللبس والايهام. ولأي شيء عبت على الأئمة أقوالهم، وهم لم يقولوا غير ما قاله الرسول بلا تبديل ولا كتمان، لكن عقول أهل زمانهم القاصرة ضاقت عن فهم دقائق ذلك العلم وعجزت عن حل أسرارها، فهي أشبه شيء بالخفاش الذي لا يبصر ولا يطير إلا في الظلام، حتى إذا طلع عليه النهار كف عن الطيران لعجزه عن الابصار.

★ ★ ★

يا قوم كالحشرات والفيران	وكذاذ عقولكم لو استشعرتم
بمطالع الأنوار قط يدان	أنست بايماش الظلام وما لها
لعلوه وصفاته الرحمن	لو كان حقا ما يقول معطل
أو خلة منهن أو ثنتان	لزمتمك شنع ثلاث فارتوا
أو في البيان أذاك ذو امكان	تقديمهم في العلم أو في نصحهم
ضل الورى بالوحي والقرآن	أن كان ما قد قلمت حقا فقد
ضدان في المعقول يجتمعان	اذ فيها ضد الذي قلمت وما
ويحال في علم وفي عرفان	بل كان أولى أن يعطل منها
أما على جهم وجعد أو على النظام أو ذي المذهب اليوناني	

الشرح: يعني كما عجزت عقول أسلافكم في النفي والتعطيل عن رؤية الحق الواضح في كلام الله وكلام رسوله، وسلف هذه الأمة من أئمة الهدى والعلم، فكذلك عقولكم مثل عقولهم في الغمة والضلال، فهي لا تأنس إلا بظلام التعطيل والتأويل، ولا قدرة لها على مطالعة نور الحق الواضح الصريح.

ولو كان حقا ما تقولونه أيها المعطلة النافون لعلوه تعالى ولسائر صفاته لزمكم أن تكونوا أعلم بهذا الشأن من الله ورسوله، أو أخلص في النصح للأمة أو أقدر على التعبير والبيان، فهل يمكن أن تلتزموا واحدة من هذه الشنع الثلاث أو

كلها وهل يقبل هذا عقل عاقل، ولو كان حقا ما تقولونه لزم أن لا يكون الوحي والقرآن مصدر هداية للناس، بل مصدر ضلال وتلبيس، فإنها قد جاء بصريح الاثبات الذي هو ضد ما قلتم من النفي والتعطيل، ولا يمكن أن يجتمع الضدان، فلو فرض أن ما جئتم به هو الحق لزم أن يكون الوحي والقرآن باطلاً ووجب أن يحال الناس في العلم بالله وصفاته على ما قاله الجهم بن صفوان الترمذي والجعد بن درهم أو على ما قاله إبراهيم النظام المعتزلي صاحب القول بالطفرة أو على ما قاله ابن سينا صاحب المذهب اليوناني.

★ ★ ★

وكذاك أتباع لهم فقع الفلا صم وبكم تابعوا العميان
وكذاك أفراخ القرامطة الألى قد جاهروا بعبادة الرحمن
كالحاكمية والألى والوهم كأبي سعيد ثم آل سنان
وكذا ابن سينا والنصير نصير أهل الشرك والتكذيب والكفران
وكذاك أفراخ المجوس وشبههم والصابئين وكل ذي بهتان
اخوان ابليس اللعين وجنده لا مرجحاً بعساكر الشيطان

الشرح: ووجب أن يحال أيضاً في هذا الشأن على أتباع هؤلاء الضلال كأنهم فقع الفلا والفقع هو البيضاء الرخوة من الكمأة، وهو نبات ينبت في الصحراء على مياه الأمطار يشبه البطاطس ويجه البدو كثيراً، والمراد تشبيه هؤلاء بالفقع في كونهم يعيشون في متاهات الضلال كما يعيش الفقع في الفلوات.

ثم أخبر عنهم كذلك بأنهم تابعون لعميان لا يبصرون، فلهذا كانوا صماً وبكماً في الظلمات، ووجب أن يحال كذلك على أفراخ القرامطة أتباع قرمط المجاهرين بالعدوان لله ورسوله، من أمثال الحاكمية أتباع الحاكم بأمر الله الفاطمي الذين اعتقدوا الاهيته ولا يزالون يعبدونه إلى اليوم في جبال سوريا ولبنان، ويسمون بالدروز وكذاك من والاهم وتشيع لهم، مثل أبي سعيد؟ وآل سنان، وهي أسرة كانت تحكم خراسان، وفي ظلها نشأ ابن سينا القرمطي والنصير،

وهذا هو نصير الدين الطوسي شارح الاشارات لابن سينا ، والمحصل للرازي ،
وكذاك أتباع المجوس عبدة النار وأشباههم والصابئة عبدة النجوم والكواكب
وكل ذي فرية وبهتان كلهم اخوان إبليس وجنده وأعوانه في الاغواء والاضلال
فلا مرحبا بعساكر الشيطان أعداء الرحمن .

★ ★ ★

أفمن حوالتة على التنزيل والوحي المبين ومحكم القرآن
كمحير أضحت حوالتة على أمثاله أم كيف يستويان
أم كيف يشعر تائه بمصابه والقلب قد جعلت له قفلان
قفل من الجهل المركب فوقه قفل التعصب كيف ينفتحان
ومفاتيح الاقفال في يلد من له التصريف سبحان العظيم الشان
فاسأله فتح القفل مجتهدا على الأسنان ان الفتح بالأسنان

الشرح: ولكن كيف يستوي من حوالتة على الوحي المنزل في محكم القرآن
وصحيح السنة ومن هو حائر ضال يحال على أمثاله في الحيرة والضلال ، أم كيف
يشعر هذا التائه الضال بمصابه ، وقد جعل على قلبه قفلان يمنعان نور الحق من
النفوذ إليه ، أحدهما قفل الجهل المركب الذي هو جهله بأنه جاهل ، والآخر قفل
التعصب الأعمى الذي يحمل صاحبه على الحمية الجاهلية لما هو عليه من الباطل ،
فكيف يفتح هذان القفلان ، إلا أن يشاء الله الذي بيده قلوب العباد يقبلها
كيف شاء ، فليسأله العبد أن يفتح أقفال قلبه حتى يبصر الحق ويرى النور ،
ولكن كل مفتاح له أسنان ، فما لم يجتهد العبد في تحصيل الاسنان لم يتم له ما
أراد ، ولعل مراده بالأسنان هنا النظر الصحيح في الأدلة مع الانصياع لما تهدي
إليه من الحق في غير تعصب ولا تقليد .

★ ★ ★

فصل

هذا وخاتم العشرين وجها وهو أقربها إلى الأذنان

طرق الأدلة في أم بيان
وسياقة الالفاظ بالميزان
منها وأين البحر من خلجان
في سبع آيات من القرآن
ث قد غدت معلومة التبيان
معلومة برئت من النقصان

سرد النصوص فانها قد نوعت
والنظم ينعني من استيفائها
فأشير بعض اشارة لمواضع
فاذكر نصوص الاستواء فبانها
واذكر نصوص الفوق ايضا في ثلا
واذكر نصوص علوه في خمسة

الشرح: هذا هو الوجه العشرون من الوجوه الدالة على علوه تعالى على خلقه
واستواؤه فوق عرشه، وهو أقرب هذه الوجوه كلها تناولا، وأسهلها مؤنة لأنه
يقوم على سرد النصوص الصريحة من كتاب الله عز وجل الدالة على العلو عند من
أنصف عقله، ولم تفسد فطرته الاهواء، ولم يوسع هذه النصوص تحريفا، ولم
يسمها تأويلا. والشيخ رحمه الله يعتذر من عدم قدرته على إيراد هذه النصوص
هنا لتقيده بقيود النظم والقافية التي لا يجوز اخضاع هذه النصوص لها، فاكتفى
بأن يشير إلى مواضعها من القرآن، فذكر أن لفظ الاستواء قد ورد في سبع
آيات وهي قوله في سورة [الاعراف: ٥٤] ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ
يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ
تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ وفي سورة [يونس: ٣] ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ
شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ وفي سورة
[الرعد: ٢] ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى
الْعَرْشِ﴾ وفي سورة [طه: ٥] ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ وفي سورة
[الفرقان: ٥٩] الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ
اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾ وفي أم [السجدة: ٤] اللَّهُ
الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ
مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ وفي سورة [الحديد: ٤]

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾
الآية .

وأما نصوص الفوق فقد ذكر أنها وردت في ثلاث آيات . وهي قوله تعالى في
سورة [الانعام: ١٨] ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ وقوله
في نفس السورة: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ
أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ﴾ [الأنعام: ٦١] وقوله في
سورة [النحل: ٥٠] في شأن الملائكة ﴿يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما
يؤمرون﴾ .

وأما نصوص العلو فقد ذكر أنها وردت في خمسة مواضع وهي قوله في آخر
آية الكرسي من سورة [البقرة: ٢٥٥] ﴿وَلَا يُوَدُّهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ
الْعَظِيمُ﴾ وفي سورة [النساء: ٢٤] ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ
وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنِ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ
اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ .

وفي سورة [الرعد: ٩]: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ وفي سورة
[غافر: ١٢]: ﴿فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ وفي سورة [الأعلى: ١] ﴿سَبَّحَ
اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ .

ولا شك أن هذه النصوص كلها صريحة في علوه تعالى فوق خلقه واستوائه
على عرشه ولا يجوز صرفها عن ظاهرها الى معانٍ آخر لما قدمنا من عدم وجود
قرينة توجب ذلك الصرف ، وما يدعيه أهل التأويل الباطل من قرينة عقلية وهي
حكم العقل باستحالة الجهة على الله معارض بأدلة من العقل والفطرة أقوى منه
كما بينا .

★ ★ ★

واذكر نصوصا في الكتاب تضمنت تنزيله من ربنا الرحمن
فتضمنت أصلين قام عليها الـ أسلام والإيمان كالبيان

كون الكتاب كلامه سبحانه وعلوه من فوق كل مكان
 وعدادها سبعون حين تعد أو زادت على السبعين في الحسبان
 واذكر نصوصاً ضمنت رفعا ومعرا جا وأصعاداً الى الديان
 هي خمسة معلومة بالعد وال حسابان فاطلبها من القرآن

الشرح: أما النصوص التي وردت في الكتاب العزيز مصرحة بأن هذا القرآن منزل من عند الله عز وجل، فقد تضمنت أصليين عظيمين عليهما قام بناء الإسلام وصرح الايمان.

(الأصل الأول): ان هذا القرآن كلامه هو سبحانه حقيقة لا مجازاً، بمعنى أنه تكلم به بألفاظه ومعانيه بصوت نفسه، وسمعه منه الأمين جبريل عليه السلام وأداه الى رسول الله ﷺ كما سمعه.

(والأصل الثاني): أنه سبحانه وتعالى في جهة العلو فوق جميع الأمكنة، فإن النزول يقتضي الهبوط من أعلى الى أسفل، فلو لم يكن سبحانه عالياً فوق خلقه لم يصح الاخبار بكون الكتاب منزلاً من عنده وهذه النصوص المتضمنة لنزول القرآن من عند الله عز وجل، ذكر المصنف أن عددها سبعون أو تزيد، ويطول بنا القول لو ذكرناها جميعاً، فلنقتصر على بعضها على سبيل المثال، فنقول: منها قوله تعالى في سورة [آل عمران: ٧] ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ وفي سورة [الأنعام: ١١٤] ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْماً وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾

وفي سورة [النحل: ١٠٢] ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ وفي سورة [الشعراء: ١٩٢، ١٩٣] ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٢، ١٩٦].

وأما النصوص التي تضمنت رفع بعض الأشياء أو عروجها أو صعودها إليه سبحانه فقد ذكر المصنف أنها في خمسة مواضع من القرآن، الأول قوله تعالى في سورة آل عمران خطاباً لعيسى عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ خُذْ هَذَا الصَّلَافَ فِي يَمِينِكَ وَرَافِعَكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرَكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: ٥٥] وفي سورة [النساء: ١٥٨] اخباراً عنه عليه السلام ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيمًا﴾ وفي سورة ألم [السجدة: ٥] ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ وفي سورة [فاطر: ١٠] ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ وفي سورة [المعارج: ٤] ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ * فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ .

ولقد أتى في سورة الملك التي	تنجي لقارئها من النيران
نصان أن الله فوق سوائه	عند المحرف ما هما نصان
ولقد أتى التخصيص بالعند الذي	قلنا بسبع بل أتى بثمان
منها صريح موضعان بسورة الأ	عراف ثم الانبياء الثاني
فتدبر التعيين وانظر ما الذي	لسواه ليست تقتضي النصان
وبسورة التحريم أيضاً ثالث	بادي الظهور لمن له أذنان

الشرح: ورد في سورة الملك التي قال فيها رسول الله ﷺ «سورة من القرآن ثلاثون آية شفعت في صاحبها» نصان صريحان في أن الله عز وجل في السماء وهما قوله تعالى: ﴿أَأَمِنْتُمْ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ * أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ [الملك: ١٦، ١٧] وأما النصوص الدالة على تخصيص بعض الأشياء بكونها عنده فقد جاء ذلك في سبعة أو ثمانية مواضع: الأول: قوله تعالى في سورة

الأعراف ﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَآلَهُ
يَسْجُدُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٦] والثاني: في سورة الأنبياء: ﴿ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا
يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٩] فتخصيص الملائكة
الذين هم سكان السموات بكونهم عنده دليل على أن المراد بها عندية مكان.
والثالث: في سورة التحريم قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةً
فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَتَجَنِّي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ
وَتَجَنِّي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [التحريم: ١١].

★ ★ ★

ولديه في مزمل قد بينت	نفس المراد وقيدت ببيان
لا تنقض الباقي فما لمعطّل	من راحة فيها ولا تبيان
وبسورة الشورى وفي مزمل	سر عظيم شأنه ذو شأن
في ذكر تفتير السماء فمن يرد	علما به فهو القريب الداني
لم يسمح المتأخرون بنقله	جنبنا وضعفا عنه في الإيمان
بل قاله المتقدمون فوارس الا	سلام هم امراء هذا الشأن
ومحمد بن جرير الطبري في	تفسيره حكيت به القولان

الشرح: وأما بقية المواضع فإنه وان لم يصرح فيها بلفظ العند فإن الاضافة
فيها الى لفظ لدى الذي هو بمعنى عند ودال على نفس المراد منها، وذلك مثل
قوله تعالى: ﴿ إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيماً * وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيماً ﴾
[المزمل: ١٢، ١٣] وقوله: ﴿ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ [ق: ٣٥]
﴿ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ * مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ
وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ [ق: ٢٨، ٢٩] وفي سورة الزخرف ﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمَّ
الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ ﴾ [الزخرف: ٤].

وأما قوله: وفي مزمل سر عظيم، شأنه ذو شأن في ذكر تفتير السماء الخ، فهو
اشارة الى قوله تعالى من هذه السورة: ﴿ السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ﴾

فالضمير في به يهتمل أن يعود الى اليوم في قوله: ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ يعني أن السماء تنفطر في هذا اليوم وتتشقق، وتكون الباء بمعنى في، ويهتمل أن يعود الى الله عز وجل وان لم يسبق له ذكر، لأنه مفهوم من السياق، ويؤيده قوله بعد ذلك ﴿كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا﴾ فإن عود الضمير هنا على الله في غاية الظهور، ويكون معنى انفطار السماء بالله عز وجل تشققها عند نزوله لفصل القضاء بين عباده كما في قوله تعالى في سورة [الفرقان ٢٥] ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا﴾.

ولكن المتأخرين من المفسرين مثل ابن كثير وغيره جنبوا عن ايراد هذا القول الثاني ولم يصرح به الا المتقدمون من جهابذة الاسلام الذين هم أعلم هذه الأمة بمعاني كلام الله عز وجل. وقد حكى ابن جرير القولين في تفسيره.

★ ★ ★

فصل

هذا وحاديها وعشرون الذي
 اتيان رب العرش جل جلاله
 فانظر الى التقسيم والتنويع في الق
 ان المجيء لذاته لا أمره
 اذ ذاك الامر ان قد ذكرا وبينهم
 والله ما احتمل المجيء سوا مجي
 من أين يأتي يا أولى العقول أن
 من فوقنا او تحتنا او عن شما
 والله لا يأتيهم من تحتهم
 كلا ولا من خلفهم وأمامهم
 والله لا يأتيهم الا من الع
 الشرح: الوجه الحادي والعشرون من الوجوه الدالة على العلو والفوقية ما

نطقت به آيات الكتاب الكريم، ووردت به الأخبار الصحيحة، من اتيانه عز وجل ومجيئه يوم القيامة لفصل القضاء بين العباد، كقوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ [البقرة: ٢١٠] يعني ما ينتظر هؤلاء الا وقوع ذلك الأمر العظيم، وهو أن يأتيهم الله في ظلل الغمام وتأتي معه الملائكة وقضي الأمر، يعني فرغ من حسابهم، وعطف الملائكة هنا على الله ينفي تأويل المعطلة بأن الاتيان للملك، فهو كقوله: ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر: ٢٢] ولكن قد يقول المعطل ان اتيان الرب عز وجل هو اتيان امره كما في قوله تعالى في سورة النحل: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾ [النحل: ٣٣] فيرد عليه بتلك الآية التي تأخذ بخناقها ولا يجد لتأويلها مساعاً أعني قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ﴾ [الأنعام: ١٥٨] فان التردد هنا بين اتيان الرب والملائكة، والآيات أوضح دليل على ان المراد مجيء ذاته لا أمره، فإنه مذكور بين الأمرين الآخرين وهما مجيء الملك والآيات، فكيف يجوز تأويله بأحدهما، واذا ثبت مجيء الرب وأتيانه جل شأنه بهذه الآية القاطعة، فمن أين يأتي اذا؟ والجهات المعروفة ست، هي الفوق والتحت، واليمين والشمال، والأمام والخلف، فليقل لنا هؤلاء المعطلة أي هذه الجهات يختارون ليكون منها مجيء الرب وأتيانه، لا يعقل أبداً أن يجيئهم من تحتهم - تعالى الله عن ذلك - وكذلك لا يعقل أن يجيئهم من خلفهم ولا من أمامهم، ولا عن أيانهم ولا عن شمائلهم، فلم يبق الا أن يأتيهم من العلو المطلق الذي هو فوق الأمكنة جميعاً.

فصل في الاشارة الى ذلك من السنة

وأكذر حديثاً في الصحيح تضمنت كلياته تكذيب ذي البهتان
 لما قضى الله الخليفة ربنا كتبت يده كتاب ذي الاحسان

وكتابه هو عنده وضع على العرش المجيد الثابت الأركان
 اني أنا الرحمن تسبق رحمتي غضبي وذاك لرأفتي وحناني
 ولقد أشار نينا في خطبة نحو السماء بأصبع وبنان
 مستشهداً رب السموات العلى ليرى ويسمع قوله الثقلان
 أتراه أمسى للهما مستشهداً أم للذي هو فوق ذي الأكوان
 ولقد أتى في رقية المرضي عن الهادي المين أم ما تبيان
 نص بأن الله فوق سوائه فأسمعه ان سمعت لك الأذنان

الشرح: بعد أن فرغ من دلالة آيات الكتاب الحكيم على اثبات صفة العلو
 للعلي العظيم شرع في أيراد ما تضمنته السنة الصحيحة من دلالات واضحة
 وإشارات صريحة لا تخفى الا على من أعمى الهوى والتعصب بصائر قلوبهم، فمن
 ذلك قوله عليه السلام في الحديث الصحيح « ان الله لما خلق الخلق كتب في كتاب
 موضوع عنده فوق العرش أن رحمتي سبقت غضبي » فقوله في كتاب موضوع
 عنده فوق العرش لا يحتاج الى بيان أن تلك العندية تقتضي وجوده سبحانه فوق
 عرشه .

ومن ذلك أيضاً ما ثبت عنه عليه السلام في خطبة الوداع التي شهدها الجم الغفير من
 الصحابة أنه كان يوجه اليهم نصائحه ووصاياه (ويشير بأصبعه الى السماء ثم
 ينكبها اليهم، ثم يقول لهم: الا هل بلغت اللهم فاشهد) غير مرة، فالإشارة
 بأصبعه الى السماء لا يعقل أنه أراد بها أن يستشهد بالسماء على تبليغه رسالة الله
 التي أرسله بها الى خلقه، ولكنه أراد بها أن يشهد ربه عز وجل في آخر مجمع
 وأعظم مشهد حضره أنه أم رسالة ربه وبرىء من تبعة التقصير والكتان، ولهذا
 قال لهم في آخر خطبته « فليبلغ الشاهد منكم الغائب » قرب مبلغ أوعى من
 سامع .

ومن ذلك قوله في حديث الرقية الذي رواه أبو داود وغيره كالطبراني
 والحاكم وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات « ربنا الله الذي في السماء تقدس

اسمك، أمرك في السماء والأرض كما رحمتك في السماء أجعل رحمتك في الأرض أنت رب الطيبين أغفر لنا حوبنا وخطايانا، أنزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على هذا الوجع.»

فقوله ربنا الله الذي في السماء صريح لا يسوغ العقل تأويله أبداً لا بملك ولا برحه ولا بأمر ولا بغير ذلك مما يتكلفه المعطلة، فإن كلا من الرحمة والأمر مذكور في الحديث، وقصارى شغب المبطلين على هذه الأحاديث الصريحة أن يقولوا أنها أحاديث آحاد لا يعول عليها في باب الاعتقاد. ولكن هذه الشبهة يرد عليها بأن هذه الاحاديث وان كان كل واحد منها لا يفيد الا الظن الا أنها اذا ضم بعضها الى بعض تبلغ مبلغ التواتر المعنوي، وهو مفيد للعالم اليقيني.

والعجب من هؤلاء المخذولين الذين يردون على هذه الاحاديث ويرفضون أخذ عقائدهم منها، وهم اذا جاءهم خبر منقطع عن شخص مجهول يوافق أهواءهم طاروا به فرحاً وجعلوه حجة لهم في مجال التأويل والانكار، وم رأينا من هؤلاء من ينقل عن أرسطو وأفلاطون الوثنيين، وعن أفلوطين المسيحي، ويقدم ذلك على الوحي المنزل من عند الله، فبئس ما اشتروا به أنفسهم أن يقدموا كلام هؤلاء الكفرة على كلام الله ورسوله ويأخذوا دينهم عن أهل الشرك والاحاد.

ولقد أتى خبر رواه عمه العبد
أن السموات العلى مسن فوقه
والله فوق العرش ينظر خلقه
واذكر حديث حصين بن المنذر
اذ قال ربي في السماء لرغبتي
فأقره الهادي البشر ولم يقل
حيزت بل جيته بل شبهت بل

سأصنو أليه ذو الاحسان
الكرسي عليه العرش للرحمن
فانظره أن سمحت لك العينان
خبر الثقة الرضي أعني أبا عمران
ولرهبتي أدعوه كل أوان
أنت الجسم قائل بمكان
جسمت لست بعارف الرحمن

هذي مقاتلهم لمن قد قال ما قد قاله حقاً أبو عمران
فالله يأخذ حقه منهم ومن أتباعهم فالحق للرحمن

الشرح: روى أبو داود في سننه عن العباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ
قال « كنت في البطحاء في عصابة فيهم رسول الله ﷺ فمرت بهم سحابة فنظر
اليها فقال: ما تسمون هذه؟ قالوا السحاب، قال والمزن؟ قالوا والمزن قال
والعنان؟ قالوا والعنان: قال أبو داود لم أتقن العنان جيداً، قال هل تدرّون بعد
ما بين السماء والأرض؟ قالوا لا ندري، قال أن بعد ما بينها اما واحدة او
اثنان او ثلاث وسبعون سنة، ثم السماء فوقها كذلك حتى عد سبع سموات، ثم
فوق السابعة بحر بين أسفله وأعله مثل ما بين سماء الى سماء، ثم فوق ذلك ثمانية
أو عال بين أظلافهم وركبهم مثل ما بين سماء الى سماء، ثم على ظهورهم العرش
بين أسفله وأعله مثل ما بين سماء الى سماء، ثم الله تبارك وتعالى فوق ذلك ». ثم
رواه أبو داود من طريق آخر وفيه: ان الله فوق عرشه وعرشه فوق سمواته.

وكذلك رواه ابن ماجه والترمذي وحسنه، ورواه الحافظ ضياء الدين
المقدسي في المختارة وابن منده في كتاب التوحيد وهو صريح في فوقية الذات،
لأنه ذكر أن العرش فوق السموات، وهي فوقية حسية بالمكان، فتكون فوقية
الله عز وجل على العرش كذلك ولا يصح أبداً حمل الفوقية هنا على فوقية القهر
والغلبة، والا لتفكك معنى الحديث ولا يبقى حينئذ معنى لتخصيص العرش
بتلك الفوقية، اذ الله عز وجل فوق الخلق جميعاً قاهر لهم.

وأما حديث حصين بن منذر فقد رواه البيهقي في الأسماء والصفات عن
عمران بن حصين رضي الله عنه وفيه أن النبي ﷺ قال لحصين « كم الها تعبد؟
قال: سبعة ستة في الأرض وواحد في السماء. قال: من لرغبتك ورهبتك؟ قال:
الذي في السماء، قال: فاترك الستة واعبد الذي في السماء وأنا أعلمك دعوتين»
فأسلم وعلمه النبي ﷺ أن يقول « اللهم الهمني رشدي وقني شر نفسي ».

وظاهر من الحديث أن النبي ﷺ أقر حصيناً على ما قاله من أن الهه الذي

يدعوه في الرغب والرهب في السماء ولم يقل له أنت مجسم بذلك ولا قائل بالمكان ولا قال له حيزت أي أثبت الحيز لله، ولا جيئت أي اعتقدت الجهة، ولا شبهت ومثلت أي اعتقدت المشابهة والمماثلة وغير ذلك من الالفاظ التي يرمي بها المعطلة كل من قال بمثل مقالة حصين ولكن الله مطلع على ما يقوله الظالمون الجاحدون لصفاته وسياخذ حقه منهم يوم توفى الحقوق لأصحابها من كل ظالم غشوم.

★ ★ ★

واذكر شهادته لمن قال رب	سي في السما بحقيقة الايمان
وشهادة العدل المعطل للذي	قد قال ذا بحقيقة الكفران
واحكم بأبيها تشاء وأني	لأراك تقبل شاهد البطلان
ان كنت من أتباع جهم ص	احب التعطيل والعدوان والبهتان
واذكر حديثاً لابن اسحاق الرضي	ذاك الصدوق الحافظ الرباني
في قصة استسقائهم يستشفعو	ن الى الرسول بربه المنان
فاستعظم المختار ذاك وقال شأ	ن الله رب العرش أعظم شأن
الله فوق العرش فوق سمائه	صبحان ذي الملكوت والسلطان
ولعرشه منه أطيظ مثل ما	قد أط رحل الراكب العجلان

الشرح: قوله واذكر شهادته الخ. اشارة الى حديث الجارية التي سأها النبي صلى الله عليه وسلم: « أين الله . فقالت: في السماء . ثم قال لها: من أنا . فقالت: أنت رسول الله . فقال لسيدها: أعتقها فإنها مؤمنة ». فهذه شهادته صلى الله عليه وسلم لتلك الجارية بالايان، فقارن بينها وبين شهادة الجهمي المعطل لمن قال مثل قولها بالكفر واحكم بعد ذلك بأبيها شئت، ولا أراك أن كنت من أصحاب جهم الموصوف بالتعطيل لتعطيله ذات الرب جل شأنه عن صفاتها الواجبة لها والعدوان لمجاوزته الحق الذي دلت عليه النصوص والبهتان لكذبه وافترائه على الله، ولا أراك ان كنت كذلك الا قابلا لشهادة البطلان ومنحازاً الى فئة الشيطان.

وأما قوله واذكر حديثا الخ، فهو إشارة إلى الحديث الذي رواه ابن اسحاق أن اعرابيا جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله نهكت الانفس وجاع العيال وهلك المال فاستسق لنا ربك فإننا نستشفع بالله عليك وبك على الله، فسمح النبي ﷺ حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه، ثم قال للرجل ويحك أتدري ما الله ان الله لا يستشفع به على أحد من خلقه شأن الله أعظم ثم ذكر الحديث. بعد ما بين سماء وسماء، وبعد ما بين السماء السابعة والعرش، وأن الله فوق ذلك مستو على عرشه، وأن للعرش منه أطيطا وهو صوت الرجل الجديد كأطييط الرجل لراكب عجلان أي مغذ في سيره.

فالرسول ﷺ انما يذكر ذلك للأعرابي في مقام التعليم له بشأن الله عز وجل وعظمته تربية للمهابة في قلبه حين قال تلك القولة النكراء التي أطلقت لسان رسول الله ﷺ بالتسبيح والثناء فدل هذا على أن التعظيم والتنزيه ليس بنفي الجهة والاستواء كما يدعي الجهمية السفهاء.

★ ★ ★

لله ما لقي ابن اسحاق من الجهمي اذ يرميه بالعدوان ويظل يمدحه إذا كان الذي يروي يوافق مذهب الطعان كم قد رأينا منهم أمثال ذا هذا هو التطفيف لا التطفيف في واذكر حديث نزوله نصف الدجى فنزول رب ليس فوق سمائه واذكر حديث الصادق ابن رواحة فيه الشهادة أن عرش الله فوق الله فوق العرش جل جلاله ذكر ابن عبد البر في استيعابه

لله ما لقي ابن اسحاق من الجهمي اذ يرميه بالعدوان يروي يوافق مذهب الطعان فالحكم لله العلي الشأن ذرع ولا كيل ولا ميزان في ثلث ليل آخر أو ثان في العقل ممتنع وفي القرآن في شأن جارية لدى الغشيان ق. الماء خارج هذه الأكوان سبحانه عن نفي ذي البهتان هذا وصححه بلا نكران

الشرح: لله يعني في سبيل الله ما لقي ابن إسحاق من الجهمي بسبب روايته

لهذا الحديث حيث يتهمه بالعدوان والكذب، ولكنه يظل يمدحه ويطريه إذا هو روى ما يوافق مذهبه فهذا دأبهم دائماً تصديق للراوي فيما لا يصادم قضية من قضايا عقولهم الخاسرة فإذا روى هو نفسه حديثاً على خلاف ما ذهبوا إليه لم يكن نصيبه منهم إلا التشنيع والتكذيب، فما أجدر هؤلاء باسم المطففين حيث يستوفون الذي لهم وينكرون الذي عليهم فهذا هو التطفيف في الحقيقة لا التطفيف في كل أو ذرع أو ميزان. بل أجدرهم أن يكونوا ممن قال الله عز وجل فيهم ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ * وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ * أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [النور: ٤٨]، [٥٠].

وأما قوله: واذكر حديث نزوله الخ فقد تقدم الكلام على هذا الحديث وهو يدل دلالة قاطعة على وجود الله عز وجل فوق عرشه، فإن حقيقة النزول هي انتقال النازل من مكان عال إلى ما دونه فنزول بلا فوقية ممتنع في العقل والشرع جميعاً وأما تأويله بنزول الأمر أو الرحمة أو الملك فقد بينا فساد، وأما قوله واذكر حديث الصادق ابن رواحة الخ. فهو عبد الله بن رواحة الخزرجي أحد شعراء الرسول ﷺ قتل في غزوة مؤتة. وقد جاء في هذا الحديث أن عبد الله ابن رواحة وقع على جارية له فرأته زوجته فجاءت بسكين لتضربه بها فأنكر أنه غشي الجارية فقالت له: ان كنت صادقاً فاقرأ قرآناً فأنشدها هذين البيتين:

شهدت بأن وعد الله حق وأن النار مشوى الكافرين
وأن العرش فوق الماء طاف وفوق العرش رب العالمين

فقالت صدق الله وكذبت عيناى. وقد أخبر ابن رواحة رسول الله ﷺ بذلك فأقره، ولم ينكر عليه. وفي هذين البيتين تصريح بأن الله فوق عرشه فوقية حقيقية.

وحدث معراج الرسول فثابت
 وإلى إله العرش كان عروجه
 واذكر بقصة خندق حكما جرى
 شهد الرسول بأن حكم إلهنا
 واذكر حديثا للبراء رواه أصحاب المساند منهم الشيباني
 وأبو عوانة ثم حاكمتنا رضي
 قد صححوه وفيه نص ظاهر
 في شأن روح العبد عند وداعها
 فتظل تصعد في سماء فوقها
 حتى تصير إلى سماء ربها
 وهو الصريح بغاية التبيان
 لم يختلف من صحبه رجلان
 لقريظة من سعد الرباني
 من فوق سبع وفاقه بوزان
 وأبو نعيم الحافظ الرباني
 ما لم يعرفه أولو العدوان
 وفراقها لمساكن الابدان
 أخرى إلى خلائقها الرحمن
 فيها وهذا نصه بأمان

الشرح: المعراج آلة العروج وهو الصعود. وقد ثبت عروجه ﷺ ليلة
 الاسراء بالأحاديث الصحيحة التي تبلغ حد التواتر فلا مجال لانكاره ووقع اتفاق
 الصحابة فمن بعدهم على أن هذا العروج كان إلى ذي العرش سبحانه، وأنه
 قربه منه وأذناه، وفرض عليه وعلى أمته الصلاة مباشرة في تلك الليلة، وتأمل
 قول موسى عليه السلام (حين سأل نبينا ﷺ عما فرض الله عليه وعلى أمته فقال
 خمسين صلاة) أرجع إلى ربك فأسأله التخفيف، فان أمتك لا تطيق ذلك. وقوله
 عليه السلام فما زلت أراجع ربي حتى جعلها خمس صلوات في اليوم واللييلة.

فليت شعري ماذا يقول المعطلة في هذا؟ وهل يعقل أن موسى أمر نبينا ﷺ
 بالرجوع إلى ملك الله أو أمره كما يزعمون في غير هذا الموضوع وقد كان معه
 جبريل ملك الوحي وقتئذ، وقد ورد أنه استشار جبريل فيما قاله موسى فقال له
 نعم ان شئت. وأما قوله: واذكر بقصة خندق حكما جرى الخ، فهو اشارة إلى
 ما كان من أمر بني قريظة حين حاصرهم النبي ﷺ بسبب نقضهم العهد
 وانضمامهم للأحزاب في غزوة الخندق، فطلبوا منه أن يحكم فيهم سعد بن معاذ
 سيد الأوس رضي الله عنه، فحكم فيهم سعد بأن تقتل مقاتلتهم وأن تسبي
 نساؤهم وذرايرهم، وأن تؤخذ أموالهم غنيمة للمسلمين، فقال له النبي ﷺ:

« لقد حكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبع سموات ». وقد نزل في شأن هذه الغزوة قوله تعالى: ﴿ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَّاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا * وَأَوْرَثَكُم أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطُورُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢٦، ٢٧].

وأما قوله: واذكر حديثنا للبراء الخ، فهو إشارة إلى ما رواه البراء بن عازب رضي الله عنه من قوله ﷺ ما معناه أن روح العبد إذا فارقت البدن تصعد بها الملائكة من سماء إلى سماء حتى تنتهي إلى السماء الذي فيها الرب الخ، فهو صريح بوجود الرب جل شأنه في السماء، أي في جهة العلو.

★ ★ ★

واذكر حديثا في الصحيح وفيه تحذير لذات البعل من هجران من سخط رب في السماء على التي هجرت بلا ذنب ولا عدوان واذكر حديثا قد رواه جابر فيه الشفاء لطالب الايمان في شأن أهل الجنة العليا وما يلقون من فضل ومن احسان بيناهم في عيشهم ونعيمهم وإذا بنور ساطع الغشيان لكنهم رفعوا إليه رؤوسهم فإذا هو الرحمن ذو الغفران فيسلم الجبار جل جلاله حقا عليهم وهو ذو الاحسان

الشرح: قوله: واذكر حديثا في الصحيح الخ، اشارة الى قوله عليه السلام ما معناه « والذي نفسي بيده ما من امرأة تبيت هاجرة فراش زوجها إلا كان الذي في السماء ساخطا عليها حتى تصبح » فالذي في السماء إنما هو الرب جل شأنه لا يصح أن يحمل على شيء آخر من ملك ونحوه، فإن المقصود من الحديث الزجر والتهديد والوعيد الشديد لمن تفعل ذلك، والذي يناسب هذا إنما هو سخط الرب وغضبه.

وأما قوله: واذكر حديثا، قد رواه جابر الخ، فهو اشارة إلى قوله ﷺ ما

معناه فيما رواه ابن ماجه في سننه « بينا أهل الجنة في نعيمهم اذ سطع عليهم نور فرفعوا رؤوسهم فإذا الرب تعالى قد أشرف عليهم من فوقهم، فقال السلام عليكم يا أهل الجنة، فذلك قوله تعالى: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨] قال فينظر إليهم وينظرون إليه فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم ويبقى نوره وبركته عليهم وفي ديارهم » رواه ابن ماجه في كتاب السنة من سننه عن محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب.

★ ★ ★

واذكر حديثا قد رواه الشافعي طريقه فيه أبو اليقظان في فضل يوم الجمعة اليوم الذي بالفضل قد شهدت له النصفان يوم استواء الرب جل جلاله حقا على العرش العظيم الشأن واذكر مقالته ألت أمين من فوق السماء الواحد الرحمن واذكر حديث أبي رزين ثم سقه بطوله كم فيه من عرفان والله ما لمعطل بساعه أبدا قوي إلا على النكران فأصول دين نبينا فيه أتت وبطوله قد ساقه ابن امامنا في غاية الايضاح والتبيان وكذا أبو بكر بتاريخ له في سنة والحافظ الطبراني وأبوه ذاك زهير الرباني

الشرح: أخرج الشافعي رحمه الله في مسنده من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: « أتى جبريل رسول الله ﷺ بمرآة بيضاء فيها نكتة، فقال النبي ﷺ ما هذه؟ فقال هذه يوم الجمعة، فضلت بها أنت وأمتك والناس لكم فيها تبع، اليهود والنصارى ولكم فيها خير وفيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم يدعوا الله بخير إلا استجيب له، وهو عندنا يوم الميزد، فقال النبي ﷺ وما يوم الميزد يا جبريل؟ قال ان ربك اتخذ في الفردوس واديا أفيح فيه كتب من مسك، فإذا كان يوم الجمعة أنزل الله سبحانه وتعالى ما شاء من ملائكته وحوله منابر من نور عليها مقاعد النبيين، وحف تلك المنابر بمنابر من ذهب مكللة بالياقوت

والزبرجد عليها الشهداء والصديقون، فجلسوا من ورائهم على تلك الكئيب، فيقول الله عز وجل: أنا ربكم قد صدقتكم وعدي فسلوني أعطكم، فيقولون ربنا نسألك رضوانك، فيقول قد رضيت عنكم ولكم ما تمنيتم ولدي مزيد، فهم يحبون يوم الجمعة لما يعطيهم فيه ربهم من الخير، وهو اليوم الذي استوى فيه ربك على العرش وفيه خلق آدم وفيه تقوم الساعة).

والشاهد هنا في قوله: وهو اليوم الذي استوى فيه ربك على العرش، وهو موافق لما في القرآن من أن استواءه تعالى على العرش كان بعد خلق السموات والأرض، ومعلوم أن الله ابتداء الخلق يوم الأحد وفرغ منه يوم الجمعة حيث خلق آدم وهو آخر المخلوقات في آخر ساعة منه بعد العصر ثم استوى بعد ذلك على العرش، فيكون الاستواء قد وقع يوم الجمعة بعد الفراغ من الخلق.

وأما قوله: واذكر مقالته ألتست أمين من فوق السماء (البيت) فهو إشارة إلى ما ورد في الصحيح من حديث الخوارج من قوله عليه السلام (ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء، يأتيني خبر السماء صباحا ومساء).

والشاهد في قوله: وأنا أمين من في السماء، فليس له معنى إلا أنه أمين الله الذي في السماء، لا يجوز أبداً أن يراد بمن في السماء غير ذلك.

★ ★ ★

واذكر كلام مجاهد في قوله	أقم الصلاة وتلك في سبحان
في ذكر تفسير المقام لأحد	ما قيل ذا بالرأي والحسبان
ان كان تجسماً فإن مجاهداً	هو شيخهم بل شيخه الفوقاني
ولقد أتى ذكر الجلوس به وفي	أثر رواه جعفر الرباني
أعني ابن عم نينا وبغيره	أيضاً أتى والحق ذو التبيان
والدراقتي الامام يثبت الآثار في ذا الباب غير جبان	
وله قصيد ضمننت هذا وفيها لست للمروي ذا نكران	
وجرت لذلك فتنة في وقته	من فرقة التعطيل والعدوان

روي ابن جرير وغيره في تفسير: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً﴾ [الإسراء ٧٩] ان المقام المحمود هو الشفاعة العظمى، وذكر عن مجاهد أن المقام المحمود هو أن الله تعالى يجلس رسوله معه على العرش، والله أعلم.

★ ★ ★

والله ناصر دينه وكتابه ورسوله في سائر الأزمان لكن بمحنة حزبه من حربه ذا حكمة مذ كانت الفتان وقد اقتضت على يسير من كثير فانت للعهد والحسبان ما كل هذا قابل التأويل بالتحريف فاستحيوا من الرحمن

الشرح: إذا كانت الحرب في هذا الباب قائمة بين أهل الحق والاثبات من جهة، وبين أهل النفي والتعطيل من جهة أخرى، فإن النصر فيها مضمون لأقربها الى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، حيث وعد الله عز وجل بذلك في كتابه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧١، ١٧٢] وقال: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١] ولكن ما يجري على أهل الحق من عدوان أهل الباطل عليهم وإيذائهم لهم، فإن ذلك امتحان من الله تبارك وتعالى لحزبه وأوليائه ليصفي بذلك جوهرهم ويمحص قلوبهم ويزيدهم عنده كرامة ورفعة على ما أودوا في سبيله وصبروا وعلى ما احتملوا في جهاد أعدائه المبطلين، قال تعالى: ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَا بَعْضَكُمْ بَعْضًا﴾ [محمد: ٤].

ثم ذكر الشيخ رحمه الله أنه لم يذكر من أدلة علو الله تعالى على خلقه واستوائه على عرشه إلا طرفاً يسيراً جداً من كثير لا يمكن عدده واحصاؤه، ولا يعقل أن تكون هذه النصوص كلها من الآيات والأحاديث والآثار في كثرتها ووضوحها قابلة لتأويل هؤلاء المعطلة لولا أن القوم قد أصبحوا ولا حياء عندهم يمنعهم من الجرأة على كتاب الله عز وجل بالتحريف، ويلزمهم الوقوف

عندما وقف سلف هذه الأمة الذين هم أكملها علماً وأوسعها فهماً بدلاً من أن يتخطوا في هذه المتاهات التي أضلتهم عن سواء السبيل.

★ ★ ★

فصل في جناية التأويل على ما جاء به الرسول والفرق بين المردود منه والمقبول

هذا وأصل بلية الإسلام من تأويل ذي التحريف والبطلان وهو الذي قد فرق السبعين بل زادت ثلاثاً قول ذي البرهان وهو الذي قتل الخليفة جامع القرآن ذا النورين والاحسان وهو الذي قتل الخليفة بعده أعني علياً قاتل الأقران وهو الذي قتل الحسين وأهله فغدوا عليه ممزقي اللحان وهو الذي في يوم حربهم أبا ح حمى المدينة معقل الإيمان حتى جرت تلك الدماء كأنها في يوم عيد سنة القربان وغدا له الحجاج يسفكها ويقتل صاحب الإيمان والقرآن وجرى بمكة ما جرى من أجله من عسكر الحجاج ذي العدوان

الشرح: بعد أن بين الشيخ رحمه الله فساد مذهب أهل التأويل في مسألة العلو وما يفضي إليه من نفي وجود الرب جل شأنه قرر هنا أن أساس كل بلية أصيب بها الإسلام إنما هو التأويل الذي هو في الحقيقة تحريف والحاد، فجميع الأحداث الكبار التي وقعت في هذه الأمة وهزت من كيائها وفرقتها شيعاً لم يكن لها من سبب إلا جنوح فريق منها إلى أتباع الهوى والاستحسان بالرأي وترك الاعتصام بالكتاب والسنة. فهذا هو الذي فرق هذه الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة مصداق قوله عليه السلام فيما رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما «ان بني إسرائيل تفرقوا على ثنتين وسبعين ملة، وأن أمي ستفرق على ثلاث وسبعين

ملة كلها في النار ، إلا ملة واحدة . قيل من هي يا رسول الله ؟ قال عليه الصلاة والسلام : ما أنا عليه اليوم وأصحابي .»

وهو الذي كان سبباً في قتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه صاحب المناقب الغراء في جمع القرآن في المصحف الإمام وتجهيز جيش العسرة من ماله واختصاصه بتزوج اثنتين من بناته صلى الله عليه وسلم . اذ لولا ظهور التأويل ونشر الدعايات الخبيثة في الأمصار ضد خليفة الإسلام لما جرؤت هذه الوفود التي قدمت المدينة على محاصرة داره واقتحامها عليه وقتله ظلماً وهو يتلو كتاب الله عز وجل .

وكان مما تأوله هؤلاء القتلة في ذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المائدة : ٤٤] فقالوا أن عثمان كفر لحكمه بغير الحق وكل كافر فهو مشرك حلال الدم والمال ، وبهذه التأويلات الفاسدة استحل الخوارج الذين خرجوا في زمن علي رضي الله عنه دماء المسلمين وأموالهم وكفروا علياً ومعاوية ومن معها من الصحابة وخرج منهم عبد الرحمن بن ملجم أشقى هذه الأمة فقتل علياً رضي الله عنه وهو ينادي لصلاة الصبح بمسجد الكوفة سنة ٤٠ من الهجرة .

وكان التأويل أيضاً سبباً في مقتل الحسين والايقاع به هو وأهله في كربلاء حيث قتله جند يزيد بن معاوية متأولين أنه من البغاة الخارجين عن طاعة الإمام .

وكان التأويل كذلك هو السبب في استباحة جند يزيد حمى المدينة المنورة في وقعة الحرة ثلاثة أيام يسفكون الدماء وينهبون الأموال ويهتكون الاعراض حتى فني في هذه الموقعة معظم الأنصار الذين آووا ونصروا رضي الله عنهم أجمعين .

ومن بعد ذلك جرى بمكة ما جرى من عسكر الحجاج الغشوم حيث حاصرها في أيام ابن الزبير رضي الله عنه وضربها بالمنجنيق وانتهت المعركة بمقتل ابن الزبير بعد أن تخلى عنه أصحابه .

فكل هذه البلايا ما وقعت الا بسبب تأويلات الخوارج والمرجئة والقدرية والرافضة وغيرهم من فرق الضلال والزيغ التي اتبعت ما تشابه من الكتاب، وتركت محكمة فصاروا في أمر مريج.

وهو الذي أنشأ الخوارج مثل انشاء	اء الروافض أخبث الحيوان
ولأجله شتموا خيار الخلق بعد	د الرسل بالعدوان والبهتان
ولأجله سل البغاة سيوفهم	ظنا بأنهم ذوو احسان
ولأجله قد قال أهل الاعتزاز	ل مقالة هدت قوى الأيمان
ولأجله قالوا بأن كلامه	سبحانه خلق من الأكوان
ولأجله قد كذبت بقضائه	شبه المجوس العابدي النيران
ولأجله قد خلدوا أهل الكبا	ثر في الجحيم كعابدي الأوثان
ولأجله قد أنكروا لشفاعة ال	مختار فيهم غاية النكران

الشرح: والتأويل كذلك هو الذي كان سببا في ظهور الخوارج والروافض أما الخوارج فهم الذين يسمون بالحرورية أو الشراة، وقد كانوا أولا في معسكر علي رضي الله عنه ثم خرجوا عليه بعد حادثة التحكيم وقالوا لا حكم الا لله وكفروا علياً ومعاوية ومن معها من الصحابة رضي الله عنهم واستحلوا دماء المسلمين وأموالهم ومن مذهبهم أن من ارتكب كبيرة ولم يتب منها فهو كافر مخلد في النار ومن شبههم الفاسدة في هذا أن الله عز وجل قال: ﴿يَوْمَ لَا يَخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ [التحريم: ٨] ثم قال في آية أخرى ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ﴾ [آل عمران: ١٩٣] فقالوا أن الله قد نفى الخزي عن المؤمنين وأثبتته لأهل النار وعلى ذلك فكل من دخل النار فليس بمؤمن وكل من ليس بمؤمن فهو كافر. وهم محجوجون بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨] وبالأحاديث المتواترة في خروج الموحددين من النار. وأما الروافض فهم غالبية الشيعة الذين

غلوها في علي رضي الله عنه وفي أهل بيته، وكان سبب تسميتهم بهذا الاسم أنهم طلبوا من زيد بن علي أن يتبرأ من امامة الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فلما لم يجيبهم انفضوا عنه. فقال رفضني هؤلاء فسموا رافضة وهؤلاء الروافض أخبث الناس قولاً في صحابة رسول الله ﷺ وأكذبهم في الحديث عنه. ويقولون بالامام المعصوم وبالتقية والرجعة وهم خارجون عن دائرة الاسلام. والتأويل كذلك هو السبب في خروج البغاة على الأئمة، وشقهم عصا الطاعة وخروجهم عن الجماعة وترويعهم المسلمين ويظنون أنهم بذلك من أهل الاحسان لأنهم يريدون إقامة العدل، ودك صروح الظلم والطغيان وينسون قوله عليه السلام « من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه » وهو كذلك السبب فيما ذهب اليه أهل الاعتزال من أقوال منكورة كانت معاول هدم في صرح الايمان منها قولهم أن كلام الله مخلوق منفصل عنه، وليس صفة قائمة به فخالفوا بذلك العقل والنقل واتوا منكراً من القول وزوراً. وقد سبق الكلام في هذه المسألة، ومنها تكذيبهم بقضاء الله وقدره وقولهم أن الأمر أنف وأن الله لم يكن يعلم أعمال العباد قبل أن يفعلوها وأن الله لا يريد أفعال العباد ولا يقدر عليها، بل هم الذين يخلقونها، فأشبهوا بذلك المجوس حيث اثبتوا خالقاً غير الله.

ومنها حكمهم على أهل الكبائر بالخلود في النار مع الكفار كما قالت الخوارج الا أنهم لا يسمونهم كفاراً ولا مؤمنين بل يجعلونهم في منزلة بين المنزلتين ومنها انكارهم لشفاعه النبي ﷺ في أهل الكبائر وهي ثابتة بالأحاديث البالغة حد التواتر ويتمسكون في هذا بالآيات التي تنفي الشفاعه (١) مع أنها خاصة بالشفاعة لأهل الشرك، ونفي الشفاعه عن هؤلاء يفيد ثبوتها لغيرهم كقوله تعالى: ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] فنفي الشفاعه بغير اذن يفيد ثبوتها بالاذن كقوله تعالى: ﴿ وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ

(١) مثل قوله تعالى: ﴿ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾ [المدثر: ٤٨] وقوله على لسان المشركين:

﴿ قَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴾ [الشعراء: ١٠٠].

شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴿ [النجم: ٢٦] .

★ ★ ★

ولأجله ضرب الامام بسوطهم
ولأجله قد قال جهم ليس رب
كلا ولا فوق السموات العلى
ما فوقها رب يطاع جباهنا
ولأجله جحدت صفات كماله
ولأجله أفنى الجحيم وجنة الـ
ولأجله قالوا الاله معطل
ولأجله قد قال ليس لفعله
صديق أهل السنة الشيباني
العرش خارج هذه الأكوان
والعرش من رب ولا رحمن
تهوى له بسجود ذي خضعان
والعرش أخلوه من الرحمن
هأوى مقالة كاذب فتان
أزلا بغير نهاية وزمان
من غاية هي حكمة الديان

الشرح: ولأجل التأويل أيضاً ضرب أحد بن حنبل الشيباني صديق أهل السنة رضي الله عنه حيث أراد المأمون بتأثير المعتزلة أن يحمل العلماء على القول بخلق القرآن، وامتحنهم بذلك امتحاناً شديداً، فأجابوه الى ذلك تقية وخوفاً من القتل، ولم يثبت في المحنة الا أحد بن حنبل ومحمد بن نوح، فأمر المأمون بحملها اليه بواسطة ولكن المنية عاجلته قبل أن يصلا اليه فقام بها أخوه المعتصم بوصية منه، وضرب أحمد بن حنبل وطيف به وهو مصر على قولة الحق في أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، منه بدأ واليه يعود، فاستحق بذلك منصب الامامة في الدين، كما قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بَيَّاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ٢٤] .

وكانت محنة أحمة نقطة سوداء في تاريخ بني العباس والمعتزلة قبهم الله، ولأجل التأويل كذلك نفى جهم شيخ المعطلة وجود الله عز وجل فوق عرشه بذاته وقال: ليس في السماء اله يعبد ولا فوق العرش رب يصلي له ويسجد، وتأول جميع الآيات والاحاديث الواردة في أثبات جهة العلو، وهي من الكثرة والوضوح بحيث لا ينكرها الا ضال أعمى كما قدمنا، ولا متمسك له هو

وأشباعه على هذا النفي الا شبه واهية يسمونها عقلية، وهي جهليات لا تغني من الحق شيئاً كقولهم: اذا كان الله في جهة كان محدوداً ومتحيزاً وذا صورة، ويمكن أن يشار اليه بالاشارة الحسية وهذا من خواص الاجسام.

والجواب ما قدمناه من أن استواءه تعالى على العرش ليس كاستواء المخلوق على المخلوق، فلا يلزمه ما يلزمها، على أن ما ذكره من اللوازم ليس كله فاسداً، كالحذ والتحيز والصورة والاشارة الحسية الخ، وادعاؤهم أن هذا من لوازم الأجسام أن أرادوا تلك الأجسام الاصطلاحية التي هي مركبة عندهم، أما من الجواهر الفردة على رأي المتكلمين أو الهيسولي، والصورة على رأي الفلاسفة فممنوع، وانما هي من خواص كل موجود قائم بنفسه وله وجود مستقل، اذ لا يعقل وجود بدون هذه اللوازم، ولأجل التأويل أيضاً جحد الجهم وأشباعه صفات الله عز وجل من العلم والقدرة والحياة والارادة والسمع والبصر والكلام وغيرها. وقالوا لا نصفه بصفة المخلوق، ومنهم من أثبت بعضاً ونفى بعضاً على اختلاف مذاهبهم في التجهم والتعطيل، وكل من نفى صفة من الصفات اضطر الى تأويل ما ورد في اثباتها من النصوص، ولا متمسك لهم على هذا النفي أيضاً الا ادعاؤهم أن الاثبات يقتضي الماثلة بين الله عز وجل وبين خلقه، وهو وهم فاسد، فإن الاثبات لا يستلزم الماثلة، بل يثبت للخالق من ذلك ما يليق به ويثبت للمخلوق ما يليق به، فليس العلم كالعلم، ولا القدرة كالقدرة، وليست اليد كاليد ولا العين كالعين، وليس الاستواء كالاستواء ولا النزول كالنزول الخ. فان الاشتراك انما هو في مسمى الاسم الكلي، وذلك يستلزم التماثل بين أفرادها في الخارج، ألا ترى أن الوجود الكلي يشترك فيه الواجب والممكن، وليس وجود الواجب في الخارج يماثل وجود الممكن، وهكذا، ولأجل التأويل ذهب الجهم الى القول ببقاء الجنة والنار، وهي مقالة لم يقلها في الاسلام غيره.

وقال هو ومن تبعه من المعتزلة والأشاعرة ان الله لم يكن فاعلاً في الأزل ثم صار فاعلاً، أي انه لم يزل معطلاً عن الفعل مدة لا نهاية لها من الزمان قبل أن

يخلق هذا العالم، ثم آتبدأ الخلق، وكان هذا مما أعان الفلاسفة عليهم حيث أوردوا عليهم أنه يلزم حدوث شيء في ذاته اقتضى الفعل بعد أن لم يكن مقتضياً، كأن كان عاجزاً فقدر، أو كان فاقداً لآلة فوجدها، أو كان غير مرید للفعل ثم أراد الخ.

فإن قلتم أن الإرادة قديمة والقدرة موجودة في الأزل وجميع الشرائط المعتبرة في الفعل مستكملة، فما الذي منعه من أن يفعل وليس لكم أن تقولوا ان الإرادة القديمة إنما تعلقت بالايجاد في هذا الوقت دون غيره، فإن الأوقات كلها متساوية بالنسبة للإرادة في الأزل وليس وقت منها أولى من غيره، ولأجل التأويل أيضاً نفي الجهم وأشياعه من الفلاسفة والمعتزلة والأشاعرة الحكمة عن فعله تعالى، وقالوا أن أفعاله لا تعلق بالأغراض والغايات، فإن الفاعل لغرض مستكمل، وتوهموا أن اثبات غاية باعثة له عز وجل على الفعل نقص يجب تنزيه الله تعالى عنه، وجوزوا ترجيح القادر لأحد الأمرين المتساويين بلا مرجح، وفاتهم أن مثل ذلك يكون عبثاً يستحيل صدوره عن الله عز وجل، على ان الغايات والمصالح التي من أجلها يفعل ربنا سبحانه ظاهرة متجلية في كل ما خلقه أو أمر به، والقرآن والسنة فيها الكثير من تلك الحكم التي لا ينكرها الا مكابر مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٧] ومثلها قوله: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [المالك: ٢] ومثل قوله جل وعلا: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣] ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيَسْتَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَبْلُوَنَّكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾ [المائدة: ٩٤] ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ﴾ [البقرة: ١٤٣] ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ

الكافرين ﴿ [آل عمران : ١٤٠ ، ١٤١] .

الخ ما لا يمكن حصره من آيات الكتاب العزيز .

★ ★ ★

ولأجله قد كذبوا بنزوله	نحو السماء بنصف ليل ثان
ولأجله زعموا الكتاب عبارة	وحكاية عن ذلك القرآن
ما عندنا شيء سوى المخلوق والـ	قرآن لم يسمع من الرحمن
ماذا كلام الله قط حقيقة	لكن مجاز ويح ذا البهتان
ولأجله قتل ابن نصر أحمد	ذاك الخزاعي العظيم الشأن
اذ قال ذا القرآن نفس كلامه	ما ذاك مخلوق من الأكوان

الشرح: وكما جنى التأويل على صفة العلو والاستواء على العرش التي جاء بها صريح الكتاب والسنة، كذلك حمل هؤلاء المتأولة على التكذيب بنزوله سبحانه وتعالى الى السماء الدنيا حين يبقى شطر الليل الآخر مع صحة الحديث بذلك وبلوغه مبلغ التواتر، ومن سلم منهم بصحة الحديث تأوله بدنو الرحمة أو بنزول الامر أو الملك الى غير ذلك مما لا تدل عليه العبارة لا تصريحاً ولا تلميحاً وهل يعقل أن يكون الأمر أو الملك هو الذي يقول: هل من سائل فأعطيه الخ.

ومن أجل التأويل أيضاً ذهب الكلابية والأشعرية الى إثبات الكلام النفسي ونفي الحرف والصوت عن كلام الله عز وجل، ولهذا قالوا ان هذا المتلو بالالسة والمكتوب في المصاحف والمحفوظ في الصدور ليس كلام الله، بل هو عبارة أو حكاية عنه، فإن كلام الله قديم ليس بحرف ولا صوت، وهذا الذي عندنا محدث مخلوق لأنه مركب من حروف وأصوات. والله لم يتكلم عندهم بالقرآن، لأن كلامه ليس بحروف وأصوات مسموعة، فجبريل عليه السلام لم يسمع القرآن من الله عز وجل، ولكنه أخذ من اللوح المحفوظ او سمع كلاماً في الهواء الخ.

ثم اختلفوا هل يطلق لفظ القرآن بالاشتراك بين المعنى النفسي القائم بذاته تعالى وبين هذا المتلو المسموع او هو حقيقة في النفسي مجاز في اللفظي أو العكس. فهذا القرآن عندهم ليس كلام الله على الحقيقة بل على سبيل المجاز من باب اطلاق اسم المدلول على الدال.

ومن أجل التأويل أيضاً قتل الشيخ أحمد بن نصر الخزاعي رحمه الله زمان المحنة حين ثبت مع الامام أحمد في القول بأن هذا القرآن المتلو المسموع هو نفس كلامه تعالى ليس بمخلوق من جملة المكونات.

★ ★ ★

قالوا مقالته على الكفران	وهو الذي جر ابن سينا والآلي
وحدوثها بحقيقة الامكان	فتأولوا خلق السموات العلى
وصفاته بالسلب والبطلان	وتأولوا علم الاله وقوله
رسل الاله لهذه الأبدان	وتأولوا البعث الذي جاءت به
حتى تعود بسيطة الأركان	بفراقها لعناصر قد ركبت
يتأولون شرائع الايمان	وهو الذي جر القرامطة الألى
لمي عندهم بلا فرقان	فتأولوا العملي مثل تأول الع
حتى أتوا بعساكر الكفران	وهو الذي جر النصير وحزبه
وخارها فينا الى ذا الآن	فجرى على الإسلام أعظم محنة

الشرح: والتأويل كذلك هو الذي جرأ أبو علي ابن سينا الفيلسوف، ومن لف لفه على القول بقديم العالم بالزمان، لأنه معلول لعلة قديمة والعللة التامة يجب أن يقارنها معلولها ولا يتأخر عنها، وتأولوا خلق الله للعالم وحدوثه عنه بأنه مفتقر اليه لامكانه افتقار المعلول الى علته، وليس معنى الخلق أو الحدوث أن الله أوجده من العدم، والقول بقديم العالم كانت إحدى المسائل التي كفر بها الغزالي الفلاسفة في كتابه (التهافت).

وكذلك تأولوا علم الله عز وجل وجميع صفاته بمعان سلبية تحاشياً من القول

بالتركيب. يقول ابن سينا في كتابه النجاة: فإذا حققت تكون الصفة الأولى لواجب الوجود أنه أن وموجود، ثم الصفات الأخرى يكون بعضها المتعين فيه هذا الوجود مع اضافة، وبعضها هذا الوجود مع السلب، وليس ولا واحد منها موجباً في ذاته كثرة البتة ولا مغايرة.

وكذلك تأولوا علم الله عز وجل وجميع صفاته لمعان سلبية تحاشياً من البعث الجسماني الذي جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام والذي هو خروج الموتى من قبورهم أحياء بأنه فراق الروح لعالم العناصر الذي هو عالم الكون والفساد ورجوعها الى عالمها الأول، حين كانت تعيش في عالم البسائط والمجردات التي لا يعترها تحلل ولا فساد، ولا يجوز أن يكون الضمير في قوله (بفراقها) عائداً على الأبدان، لأن الأبدان من عالم العناصر، فكيف تفارقه؟ اللهم إلا إذا اريد بهذا أنها تتحلل فيعود كل عنصر منها الى حاله قبل التركيب، ولكن اطلاق اسم البعث على هذا المعنى بعيد، فالظاهر أن المراد بالبعث هنا مفارقة الروح لعالم العناصر.

وكذلك جراً التأويل القرامطة اتباع حمدان قرمط، وهم من غلاة الشيعة على أن يتأولوا شرائع الايمان العملية، كما تأولوا شرائع العلمية بلا فارق بينهما، فتأولوا الصلاة والصيام، والحج والزكاة، والجهاد وغيرها بمعان اصطلاحاً عليها تناسب مذاهبهم الخبيثة، وفسروا آيات الكتاب برموز واشارات وقالوا أن لها ظاهراً وباطناً. ولهذا سمو باطنية.

والتأويل كذلك هو الذي جراً نصير الدين الطوسي الخبيث شارح الاشارات لابن سينا، والمحصل للرازي على أن يكد للاسلام وأهله. فيقال أنه هو الذي كتب الى هولاء ليغزو بجيوشه الباغية بلاد الاسلام، ويقوض أركان الخلافة الاسلامية، وقد جرى للمسلمين على أيدي هؤلاء التتار من المحن والبلايا ما بقيت آثاره الى أيام الشيخ ابن القيم رحمه الله.

وجميع ما في الكون من بدع واحـداث تخالف موجب القرآن

فأساسها التأويل ذو البطلان لا
اذ ذاك تفسير المراد وكشفه
قد كان أعلم خلقه بكلامه
يتأول القرآن عند ركوعه
هذا الذي قالت أم المؤمن
فانظر الى التأويل ما تعني به
أتظنها تعني به صرفاً عن آل
تأويل أهل العلم والايمن
وبيان معناه الى الأذهان
صلى عليه الله كل أوان
وسجوده تأويل ذي برهان
نين حكاية عنه لها بلسان
خير النساء وافقه النسوان
معنى القوي لغير ذي الرجحان

الشرح: يعني أن جميع ما أحدث في الدين من بدع مخالفة لمقتضى الكتاب
والسنة الصحيحة فلا سبب له الا التأويل الباطل الذي هو في الحقيقة تحريف
للکلم عن مواضعه وعدول بالألفاظ عن معانيها المتبادرة منها بغير موجب لذلك
الصرف الا محاولة تصحيح ما جنح اليه القوم من الأهواء الضالة التي أخذوها مما
عند اليهود والنصارى وفلاسفة اليونان والصابئة وغيرهم.

وأما تأويل أهل العلم والايمن فهو تأويل صحيح لأن المراد به كشف المعنى
وتفسيره وبيان المراد منه وحقيقته نفس ما يؤول اليه الشيء، فإن كان اللفظ
خبراً فتأويله هو نفس المخبر عنه وذلك مثل آيات الصفات والوعد والوعيد
وأحوال أهل الجنة وأهل النار، فتأويلها هو نفس حقيقة ما أخبر الله عنه فيها،
ومنه قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ
مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ
فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ﴾ [الأعراف: ٥٣]. ومعناه ما ينتظر هؤلاء
المكذبون بيوم البعث والجزاء الا تأويله أي وقوع ما أخبر عنه القرآن من ذلك،
ومنه أيضاً قول القرآن حكاية عن الصديق يوسف عليه الصلاة والسلام: ﴿ قَالَ يَا
أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ﴾ [يوسف: ١٠٠] فقد
أراد بتأويل الرؤيا وقوع مضمونها المفسر لها فيما جرى بينه وبين أخوته وما تقلب
فيه من محن وأرزاء حتى بلغ من استخلاص الملك اياه وجعله على خزائن
الأرض، ومنه قول الصديقة بنت الصديق رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ

كان يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده « سبحانك اللهم ربنا وبمحمدك اللهم اغفر لي » يتأول القرآن، تعني أنه كان ينفذ ما أمر به في القرآن، بقوله تعالى: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ﴾ [النصر: ٣] لأن اللفظ ان كان طلباً فتأويله هو نفس المأمور به أو المنهى عنه.

فهل يظن أن عائشة رضي الله عنها كانت تعني بقولها يتأول القرآن، ذلك المعنى الفاسد للتأويل الذي إصطلح عليه أهل الكلام وهو صرف اللفظ عن المعنى الراجع المتبادر منه الى المعنى المرجوح بلا صارف.

★ ★ ★

وانظر الى التأويل حين يقولون علمه لعبد الله في القرآن ماذا أراد به سوى تفسيره قول ابن عباس هو التأويل لا وحقيقة التأويل معناه الرجوع وكذلك تأويل المنام حقيقة الـ وكذلك تأويل الذي قد أخبرت لا خلف بين أئمة التفسير في نفس الحقيقة اذ تشاهدها لدي

الشرح: وتأمل كذلك قوله ﷺ لابن عمه عبدالله بن عباس رضي الله عنها « اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل » فهل أراد به الا أن يرزقه الله الفهم لتفسير كتابه وبيان معناه، وقد استجاب الله دعوة نبيه عليه السلام لابن عمه فكان يسمى ترجمان القرآن. فما أثر عن ابن عباس من تفسير للقرآن وكشف عن معناه هو الذي يصح أن يسمى تأويلاً لا تأويلات هؤلاء الجهمية المبطلين. وذلك لان حقيقة التأويل كما قدمنا هي الرجوع الى حقيقة المعنى الذي يدل عليه اللفظ ويقتضيه عند الاطلاق لا الى معنى باطل لا يدل عليه الا باحتمال مرجوح فتأويل المنام مثلاً وقوع نفس ما رآه النائم في حال اليقظة مطابقاً للرؤية.

وتأويل ما أخبرت به الرسل عليهم الصلاة والسلام من أسماء الله وصفاته واليوم الآخر وما فيه ونعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار الخ هو نفس الحقائق المخبر عنها كما سبق بحيث تشاهدها يوم القيامة مطابقة للخبر عنها ولا خلاف بين أئمة التفسير في أن هذا المعنى للتأويل هو الذي يدل عليه قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾ [الأعراف: ٥٣] الآية أي ما ينتظرون الا حصول ما انذروا به من العذاب ووقوعه.

★ ★ ★

هذا كلام الله ثم رسوله	وأئمة التفسير للقرآن
تأويله هو عندهم تفسيره	بالظاهر المفهوم للأذهان
ما قال منهم قط شخص واحد	تأويله صرف عن الرجحان
كلا ولا نفي الحقيقة لا ولا	عزل النصوص عن اليقين فذان
تأويل أهل الباطل المردود عند	د أئمة العرفان والايان
وهو الذي لا شك في بطلانه	والله يقضي فيه بالبطلان

الشرح: فهذا كلام الله وقرآنه لم يجيء فيه التأويل في جميع استعمالاته الا بمعنى التفسير وبيان المعنى أو وقوع المخبر عنه، وهذا كلام رسوله ﷺ في دعائه لابن عمه بتعلم التأويل لم يرد الا هذا المعنى كذلك. وهؤلاء أئمة التفسير من السلف الذين هم أعلم الناس بمعاني كتاب الله عز وجل مطبقون على أنه لا معنى للتأويل الا كشف المعنى وتفسيره، ما قال أحد منهم قط بمثل مقالكم المحدثه التي لا أصل لها ولا فسر التأويل بما فسرتموه به من أنه صرف اللفظ عن معناه الراجح الذي هو حقيقة فيه وحمله على معنى مرجوح بطريق المجاز ولا أدعي أحد منهم أن نصوص الكتاب والسنة لا تفيد اليقين، لان اللفظ يحتمل الحقيقة والمجاز والعموم والخصوص الخ، ولكنكم أنتم اللذين إجتأتم على التلاعب بالنصوص فحرفتموها عن مواضعها، ونفيتم حقائقها وعزلتموها عما جاءت له من افادة العلم واليقين وحلمتموها على ما شاء لكم الهوى من معان

موافقة لمذاهبكم الباطلة، فهذه هي تأويلاتكم التي لا يعرفها أهل المعرفة والايان، بل ينكرونها أشد النكران وهي في حكم الله مقضي عليها كذلك بالبطلان.

فجعلتم للفظ معنى غير معناه لديهم باصطلاح ثان
وحلمت لفظ الكتاب عليه حتى جاءكم من ذاك محذوران
كذب على الألفاظ مع كذب على من قالها كذبان مقبوحان
وتلاهما أمران أقبح منهما جحد الهدى وشهادة البهتان
اذ يشهدون الزور أن مراده غير الحقيقة وهي ذو بطلان

الشرح: ويقال هؤلاء المتأولين الذين جعلوا القرآن عضي، فجعلوا للألفاظ معاني أخرى باصطلاحهم الفاسد غير المعاني المفهومة منها، واستكروها ألفاظ الكتاب في حملها على هذه المعاني البعيدة. يقال لهم يلزمكم في صنيعكم هذا أمران محذوران. أحدهما: الكذب على الألفاظ حيث حملتموها من المعاني ما لا تحتل وصرتموها قسراً واعتسافاً الى هذه المعاني التي لا تخطر لأحد ممن يفهم معاني هذه الألفاظ عند اطلاقها. والثاني هو الكذب على من قالها حيث زعمتم أن مراده منها كذا وكذا وزوراً، بل يلزمكم في صنيعكم هذا أمران آخران هما أقبح من المذكورين، أحدهما جحدكم الهدى الذي دلت عليه هذه الألفاظ حيث نفيت معانيها الحق التي أراد الله أن تكون بياناً وهدى. والثاني شهادتكم الزور والبهتان. اذ تشهدون على الله عز وجل أن مراده من هذه الألفاظ كذا وكذا، وأنه لم يرد منها حقائقها، وان تلك الحقائق لا يمكن أن تكون مرادة لله من هذه الالفاظ لما يترتب عليها في زعمكم من محالات، فأى شهادة زور أشنع من هذه التي شهدتموها على ربكم أيها الجاهلون.

فصل

فيما يلزم مدعي التأويل لتصحيح دعواه

وعليكم في ذا وظائف أربع
منها دليل صارف للفظ عن
اذ مدعي نفس الحقيقة مدع
فإذا استقام لكم دليل الصرف يا
وهو احتمال اللفظ للمعنى الذي
فإذا أتيتم ذاك طولبتم بأمر
اذ قلتتم ان المراد كذا فما
والله ليس لكم بهن يـدان
موضوعه الأصلي بالبرهان
للأصل لم يحتج الى برهان
هيهات طولبتم بأمر ثان
قلم هو المقصود بالتبيان
ثالث من بعد هذا الثاني
ذا دللكم انحصر الكهان

الشرح: ويلزمكم لتصحيح ما ادعيتموه من التأويل أربع أمور ليس لكم
والله قدرة على واحد منها، الأول أن تأتوا بدليل صارف للفظ عن معناه
الأصلي، فإن اللفظ لا يجوز صرفه عن معناه الموضوع له الا لدليل يدل على
استحالة ذلك المعنى، وما تدعونه من قرائن عقلية موجبة لذلك لا يسلمها لكم
خصومكم، وأما نحن فلا نحتاج الى مثل ذلك الدليل لأننا ندعي أن اللفظ
مستعمل في حقيقته التي هي الأصل فيه، فإذا ظفرتم بالدليل الصارف للفظ عن
معناه، وهيهات طولبتم باثبات أن اللفظ محتمل لذلك المعنى الذي ادعيتم أنه
المقصود من اللفظ، ثم عليكم بعد هذا أن تثبتوا بالدليل أن المعنى الذي عنيتموه
حين قلتتم أن المراد كذا هو المقصود للمتكلم، فهذه أمور ثلاثة تلزم مدعي
التأويل فلا تستقيم له دعواه الا إذا أثبت كل واحد منها بالدليل، وما له الى
ذلك من سبيل.

ثم ينضم اليها أمر رابع سيذكره المصنف فيما سيأتي، وهو الجواب عن المعارض
فان الدعوى لا تتم الا بذلك، والمعارض هنا هو جميع أدلة الاثبات في الكتاب
والسنة وأقوال الصحابة والتابعين وأدلة العقل والفطرة، مما لا سبيل الى معارضته
بما يشغب به القول من ترهات وأباطيل.

★ ★ ★

هب أنه لم يقصد الموضوع لك
غير الذي عينتموه وقد يكون
كتعبد وتلاوة ويكون ذا
من قصد تحريف لها يسمى بتأ
والله ما القصدان في حد سوا
بل حكمة الرحمن تبطل قص
وكذاك تبطل قصده انزالها
وهما طريقا فرقتين كلاهما

من قد يكون القصد معنى ثان
ن اللفظ مقصوداً بدون معان
ك القصد أنفع وهو ذو امكان
ويل مع الأتعاب للاذهان
ء في حكمة المتكلم المنان
سده التحريف حاشا حكمة الرحمن
من غير معنى واضح التبيان
عن مقصد القرآن منحرفان

الشرح: فلو قدر أن المتكلم لم يقصد المعنى الحقيقي الموضوع له اللفظ لم يمكن إثبات أنه أراد به المعنى الذي عينتموه، لجواز أن يكون له قصد آخر، أو أن يكون اللفظ مجرداً عن المعنى قد قصد من أنزله التعبد بتلاوته، وهذا مع كونه جائزاً أنفع وأقرب الى الحكمة من قصد معنى بعيد لا يدل عليه اللفظ، فإن ذلك تحريف للفظ عن معناه مع ما في ذلك من كد الأذهان واتعابها في استخراج ذلك المعنى البعيد. فإذا وازنا هذا القصد الثاني بالأول الذي هو انزال اللفظ للتعبد لم نجد لها سواء في حكمة المتكلم المنان جل شأنه، بل وجدنا الأول أقرب الى الحكمة وأدنى الى النفع من الآخر، بل الحكمة الالهية في سموها وكهاها تبطل أن يكون قصده جل شأنه التحريف للألفاظ باستعمالها في غير معانيها، كما هو زعم المؤولة، وكذلك تبطل أن يكون قصده منها معنى غير مفهوم من اللفظ، ولا يمكن للعباد أدراكه كما هو زعم المفوضة. فهذان الطريقتان للمؤولة والمفوضة كلاهما منحرف عما قصد اليه القرآن الكريم من استعمال الألفاظ في معانيها الموضوعه لها في اللغة التي نزل بها، فلا تفويض ولا تأويل.

فصل في طريقة ابن سينا وذويه من الملاحظة في التأويل

وأتى ابن سينا بعد ذا بطريقة أخرى ولم يأنف من الكفران قال المراد حقائق الألفاظ تخييباً لا وتقريباً إلى الأذهان عجزت عن الإدراك للمعقول لا في مثال الحس كالصبيان كي يبرز المعقول في صور من المحسوس فتسلط التأويل أبطال لهذا القصد وهو جنابة من جان هذا الذي قد قاله مع نفيه لحقائق الألفاظ في الأذهان وطريقة التأويل أيضاً قد غدت مشتقة من هذه الخلقان وكلاهما اتفقا على أن الحقيقة منتف مضمونها ببيان

الشرح: وجاء بعد ذلك أبو علي ابن سينا الذي يلقيه أشياعه بالشيخ الرئيس فابتدع طريقة أخرى في التأويل، فقال ان المراد بالألفاظ حقائقها، لكن على سبيل التخيل تقريباً إلى الأذهان، فإن عقول العامة تعجز عن ادراك هذه المعاني العقلية لشدة اتصالها بالمحسوسات، فإذا أبرزت لها هذه المعقولات في صورة الأمور المحسوسة كانت مقبولة لديها. وقال ان تسلط التأويل على هذه النصوص يبطل ما قصد إليه الشارع من جعلها مثلاً للحقائق تقرّبها من الأذهان فهو جنابة يا لمرتكبها من جان، ولكن ابن سينا نسي أنه هو أيضاً ينفي حقائق الألفاظ المعقولة، ويدعي عليها أنها مستعملة في حقائق حسية ليست هي مقصود المتكلم بهذه الألفاظ. فطريقته في الإيهام والتخيل أخت لطريقة أهل التحريف والتأويل كلتاها مشتقة من أصل واحد وهو الإنكار والتعطيل، وهما متفقتان على نفي حقائق الألفاظ وعزلها عن أن تكون مقصودة من التنزيل.

لكن قد اختلفا فعند فريقكم
 لكن عندهم أريد ثبوتها
 اذ ذاك مصلحة المخاطب عندهم
 فكلاهما ارتكبا أشد جناية
 جعلوا النصوص لأجلها غرضاً بهم
 وتسلط الأوغاد والاقواح
 كل اذا قابلته بالنص قا
 ما أن أريدت قط بالتبيان
 في الذهن اذ عدت من الاحسان
 وطريقة البرهان أمر ثان
 جئيت على القرآن والايان
 قو خرقوه بأسهم الهذيان
 والأرذال بالتحريف والبهتان
 بله بتأويل بلا برهان

الشرح: يعني أن الطريقتين وإن اتفقتا في نفي حقائق النصوص وإنكار معانيها قد اختلفتا في وجود هذه الحقائق، فعند فريق المؤولة هي من قبيل المستحيل الذي لا وجود له لا في الذهن ولا في الخارج، ولا يمكن أن تراد من النص أصلاً. وعند ابن سينا وأشباعه من المتفلسفة هي حقائق ثابتة، لكن ثبوتها ذهني لا خارجي، والنصوص إنما دلت على أمثلة ضربت لها من عالم الحس، وذلك لمصلحة المخاطبين، اذ كانوا لا يستطيعون ادراك هذه المعاني الا بطريق التخيل. وأما طريقة البرهان عندهم، فهي التي توصل الى إدراك هذه المعقولات بذاتها، وهي طريقة الخواص، يعنون بذلك أنفسهم، فيا عجباً لهؤلاء الحمقى يجعلون طريقة القرآن خطابية شعرية تخيلية، وأما طريقتهم التي بنوها على قواعد المنطق الارسطي فهي طريقة البرهان واليقين، وما هي الا طريقة الضلال والتجهيل، الا ساء ما يزعمون.

وكلا الفريقين من المؤولة والمتفلسفة قد ارتكب أشد جناية على القرآن والايان حيث جعلوا النصوص الكريمة هدفاً لسهام هذيانهم وفتحوا المجال لكل وغد ورذيل ليقول في النصوص بما شاء له هواه. فكلها أرودت له نصاً قابله بتأويل من تلك التأويلات السمجة بلا دليل ولا برهان.

★ ★ ★

ويقول تأويلي كتأويل الـ ذين تأولوا فوقية الرحمن

بل دونه فظهورها في الوحي بالنص
 يسوغ تأويل العلو لكم ولا
 وكذلك تأويل الصفات مع أنها
 والله تأويل العلو أشد من
 وأشد من تأويلنا لحياته
 وأشد من تأويلنا لحدوثه
 وأشد من تأويلنا لبعض الشرا
 وأشد من تأويلنا لكلامه

بين مثل الشمس في التبيان
 تتأولوا الباقي بلا فرقان
 ملء الحديث وملء ذا القرآن
 تأويلنا لقيامه الابدان
 ولعلمه ومشية الاكوان
 هذا العالم المحسوس بالامكان
 نع عند ذي الانصاف والميزان
 بالفيض من فعال ذي الاكوان

الشرح: ويقول الفيلسفي اذا حدثته في فساد تأويله وشناعته أن تأويلي
 كتأويل هؤلاء الجهمية الذين تأولوا فوقية الرحمن ، بل هو دونها في الشناعة ، فإن
 نصوص الفوقية من الكتاب والسنة كالشمس في الوضوح والبيان ، فكيف يسوغ
 لكم أيها الجهمية تأويل علوه سبحانه على كثرة نصوصه ووضوحها ، ثم تنكرون
 علينا ما تأولناه ، وكيف ساغ لكم أن تتأولوا آيات الصفات وأحاديثها مع أنها
 ملء الكتاب والسنة ولا يسوغ لنا ذلك . والله لتأويلكم للعلو أشد من تأويلنا
 للقيامه بأن المراد بها رجوع الروح الى عالمها الأول مع عود الجسم الى العناصر
 التي تتركب منها وأشد من تأويلنا لحياته وعلمه ومشيته بأن ذلك كله نفس ذاته
 وأشد من تأويلنا لحدوث هذا العالم بأنه ليس معناه الوجود من عدم ، بل معناه
 أنه ممكن في ذاته مفتقر الى علة يستند اليها في وجوده . فإن الممكن لا وجود له
 من ذاته لكنه مع ذلك لم يسبق بعدم لأن علته قديمة لا أول لها في الزمان وهو
 مقارن لها وأشد من تأويلنا بعض الشرائع من الصلاة والحج ونحوهما بأن المراد
 بها معان فكرية وأشد من تأويلنا لكلامه بأنه فيض من العقل الفعال الذي هو
 عقل القمر المختص بالتدبير في عالم العناصر وأفاضة المعلومات على العقول
 الانسانية وانزالها على لوح قلب النبي ﷺ وانتقاش صور تلك المعاني في خياله
 حروفاً وكلاماً منظوماً .

وأشد من تأويل أهل الرفض أخبار الفضائل حازها الشيخان
وأشد من تأويل كل مؤول نصاً أبان مراده الوحيان
اذ صرح الوحيان مع كتب الاله جميعها بالفوق للرحمن
فلأني شيء نحن كفار بذا التأويل بل أنتم على الإيمان
انا تأولنا وأنتم قد تأو لتم فهاتوا وأضح الفرقان
ألكم على تأويلكم أجران حيث لنا على تأويلنا ووزان
هذي مقالتهم لكم في كتبهم منها نقلناها بلا عدوان
ردوا عليهم ان قدرتم أو فنحوا على طريق عساكر الإيمان
لا تحطمنكم جنودهم كحطم السيل ما لاقى من الديدان

الشرح: وتأويلكم للعلو أشد كذلك من تأويل الراضة للأخبار التي وردت
في فضل الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وأشد من تأويل كل من تأول
نصاً أظهر المراد منه الوحيان من كتاب وسنة، فإن نصوص الفوقية فيها وفي
غيرها من الكتب السماوية في غاية الصراحة ونهاية الكثرة، فلأني شيء إذا أيها
الجهميون نكون نحن كفاراً بتأويلنا وأنتم المؤمنون، وأي فرق بين تأويلنا
وتأويلكم، دلونا ان استطعتم على ما يصلح أن يكون فارقاً بينها، لعلكم تقولون
اننا مجتهدون في هذا التأويل ومصيبون فيه، فلنا على تأويلنا أجران، ولكنكم
أنتم مخطئون في هذا التأويل متعمدون فعليكم فيه وزران. وهذا كذب فنحن
وأنتم سواء في تعمد الكذب على النصوص، حيث لا موضع للاجتهاد.

هذه مقالة الفلاسفة في الرد على الجهمية الذين ينكرون عليهم التأويل منقولة
من كتبهم بلا زيادة ولا تبديل، فهل يستطيع هؤلاء الجهمية أن يردوا عليهم أو
يتخلصوا من هذا الالتزام الذي وجهوه إليهم؟ كلا فليتركوا الميدان إذا لأهل
الحق وعساكر الإيمان، وليخلوا لهم الطريق حتى لا تحطمهم جنودهم كحطم
السيل المنهمر لما يقابله من الخشاش والديدان.

وكذا نطالبكم بأمر رابع والله ليس لكم بهذا امكان
وهو الجواب عن المعارض اذ به الدعوى تم سليمة الأركان
لكن ذا عين المحال ولو يسا عدم عليه رب كل لسان
فأدلة الأثبات حقاً لا يقو م لها الجبال وسائر الأكوان
تنزيل رب العالمين ووحيه مع فطرة الرحمن والبرهان
أني يعارضها كناسة هذه الأذهان بالشبهات والهذيان
وججاجع وفراقع ما تحتها إلا السراب لسوارد ظمآن

الشرح: سبق أن طالب المؤلف مدعي التأويل بأربعة أمور، ذكر منها ثلاثة
هناك، وهي الاتيان بدليل صارف للفظ عن معناه، واثبات أن اللفظ محتمل
للمعنى الذي ادعوه والاتيان بدليل على أن هذا المعنى يتعين ارادته من اللفظ.

ثم ذكر هنا الأمر الرابع، وهو الجواب عن المعارض حتى تتم لهم دعوى
التأويل سليمة، وذلك من أمحل المحال وان استعانوا عليه بكل فصيح مقوال،
فإن المعارض هنا لا يقوم له شيء حتى ولا شم الجبال وغيرها من سائر الأكوان
كيف وهو تنزيل رب العالمين ووحيه مع فطرة الله التي لا تبديل لها، ومع براهين
العقل القطعية، فإني يعارض ذلك كله بأوساخ القرائح وزبالة الأذهان من تلك
الشبهات والهذيان التي هي كالطبل الأجوف، أو كالسراب الذي يحسبه الظمآن
ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً.

★ ★ ★

فلتهنكم هذي العلوم اللاء قد ذخرت لكم عن تابع الإحسان
بل عن مشايخهم جميعاً ثم وفقتم لها من بعد طول زمان
والله ما ذخرت لكم لفضيلة لكم عليهم يا أولى النقصان
لكن عقول القوم كانت فوق ذا قدراً وشأنهم فأعظم شان
وهم أجل وعلمهم أعلى وأشرف أن يشاب بزخرف الهذيان
فلذاك صانهم الاله عن الذي فيه وقعت صون ذي احسان

الشرح: فإن كنتم لا تجدون ما تعارضون به النصوص الصريحة من الكتاب والسنة مع ما ينضم إليها من أدلة العقل والفطرة إلا هذه الهديات التي ورثتموها عن أسلافكم في الضلال من فلاسفة اليونان والرومان وغيرهم من ضلال اليهود والنصارى والصابئة، فلتهنكم إذا هذه العلوم التي هي أحق أن تسمى جهالات، والتي قد ادخرت لكم في بطون الكتب التي تركها لكم هؤلاء الأسلاف حتى وقعتم عليها بعد زمان طويل، فاشتغلتم بها عن الوحي ونقلتموها إلى لسانكم العربي وفتنتم بها أيما فتنة وظننتم أنكم وقعتم على لحم، وأنكم تميزتم بها عن أئمة الهدى ممن أحسنوا الاتباع ووقفوا عندما سنه لهم سلفهم الصالح رضي الله عنهم أجمعين. فلا تظنوا أن هذه العلوم قد ادخرت لكم لكي يرفعكم الله بها، أو أن اشتغالكم بهذه العلوم قد أورثكم فضلاً وكمالاً فقمتم به هؤلاء الآخيار من أهل السنة والاتباع، فإن عقولهم أسمى من أن تشتغل بهذه الترهات، وهم أجل أن ينزلوا بأنفسهم إلى هذا الدرك الذي نزلتم إليه، وعلمهم أعلى وأشرف من أن يدنسوه بهذه المقالات السخيفة. وهذا من فضل الله عز وجل عليهم أن صانهم وحاهم عما تورطتم أنتم فيه من أوساخ وأقذار هي نتاج عقول لم تستضيء بنور الله ولم تنتفع بما جاء به رسله عليهم الصلاة والسلام من الهدى والعلم النافع الصحيح.

سميتكم التحريف تأويلاً كذا التعطيل تنزيها هما لقبان
وأضفتم أمراً إلى ذا ثالثاً شراً وأقبح منه ذا بهتان
فجعلتم الاثبات تجسماً وتشبيهاً وذا من أقبح العدوان
فقلبت تلك الحقائق مثل ما قلبت قلوبكم عن الايمان
وجعلتم المدوح مذموماً كذا بالعكس حتى استكمل اللسان
وأردتم أن تحمدوا بالاتباع ع نعم لكن لمن يا فرقة البهتان
وبغيتم أن تنسبوا للابتداء ع عساكر الآثار والقرآن

الشرح: هذه العلوم التي ورثتموها عن أسلافكم في الضلال، وظننتموها

مسلمات عقلية لا تقبل الجدل ، وأحسنتم الظن بأصحابها الى حد اعتقاد العصمة ، بل قدمتموها على الوحي بدعوى أنها أمور قطعية لا يتطرق إليها الاحتمال هي التي أفسدت عقولكم وسممت أفكاركم ، فعدت مريضة منتكسة تعطي الأشياء غير اسمها ، وتقلب الحقائق على رأسها ، فهي تسمى التحريف للنصوص والخروج بها عن وضعها الحقيقي الذي توجهه اللغة تأويلاً ، وهي تسمى التعطيل الذي هو نفى ما أثبتته الله لنفسه أو أثبتته له رسوله ﷺ من الصفات تنزيهاً بل أدهى من ذلك أمر ، وادخل في باب الافتراء والبهتان أنها تسمى الاثبات للأسماء والصفات التي وردت به النصوص الصريحة تشبيهاً وتجسماً ، وما قلبكم لهذه الحقائق والتباسها عليكم إلا نتيجة حتمية لفساد فطركم وزيف قلوبكم ، فجعلتم بجهلكم ، المحمود من الاثبات للأسماء والصفات التي هي كمالات محضة ، مذموماً وبالعكس ، جعلتم المذموم من النفي والتعطيل محموداً ، وأردتم أن تحمدوا بالاتباع فنعم ولكن من تتبعون ؟ ان تتبعون إلا أهواءكم الجاحمة وظنونكم الكاذبة وشياطينكم الذين زخرفوا لكم وموهوا .

واعجب من ذلك أنكم ترمون بدائلكم في الابتداع والزيف جند الرحمن وعساكر الآثار والقرآن .

★ ★ ★

وجعلتم الوحيين غير مفيدة	للعلم والتحقيق والبرهان
لكن عقول الناكبين عن الهدى	لها تفيد ومنطق اليونان
وجعلتم الإيمان كـفـراً والهدى	عين الضلال وذا من الطغيان
ثم استحقيتم عقولاً ما أرا	د الله ان تزكوا على القرآن
حتى استجابوا مهطعين لدعوة التعطيل	قد هربوا من الايمان
يا ويجهم لو يشعرون بمن دعا	ولما دعا قعدوا قعود جبان

الشرح: ومن شر حماقاتكم وأشنع غلطاتكم ما اجترأتم به من الحكم على نصوص الوحيين من الكتاب والسنة بأنها غير مفيدة . للعلم اليقيني وليست من

قبيل البراهين التي تفيد القطع ولا تحتل النقيض بما زينه لكم الشيطان من أن هذه النصوص ألفاظ تحتل الحقيقة والمجاز، ويدخلها التعميم والتخصيص والاجمال والتفصيل والاطلاق والتقييد وغير ذلك مما ينافي العلم بالمراد، ألا ساء ما تحكمون، وبئس ما تظنون بكتاب ربكم وسنة نبيكم حيث عزلتموها عن افادة العلم والهدى في الوقت الذي تزعمون فيه أن عقولكم المريضة التي نكبت عن صراط الله وحادت عن سبيله هي التي يوثق بأدلتها، فهي في نظركم براهين مفيدة للعلم اليقيني وموصلة إلى النتائج القطعية إذا كانت مؤلفة تأليفاً صحيحاً على أساس المنطق اليوناني الذي وضعه أرسطو.

وكذلك نتج عن التواء فهمكم وانتكاس عقولكم جعلتم الايمان بعلو الله فوق خلقه وغير ذلك من صفاته كفراً، وجعلتم هذا الهدى هو عين الضلال طغياناً منكم وتجاوزاً عن الحد، لأن عقولكم لم تطق حمل حقائق القرآن، ولا أراد الله لها أن تزكو بآياته وتحسن الفهم لمقاصده وغاياته، فارتكست في غيها وضلالها، واستجابت مسرعة لمن دعاها إلى النفي والتعطيل، هاربة من الإيمان بمقتضى التنزيل، ولو علمت بحال من دعاها وحال ما دعاها إليه لقعدت قعود الجبان عن سلوك هذا السبيل المؤدي إلى أسوأ عاقبة وشر مقيل.

فصل

في شبه المحرفين للنصوص باليهود وارثهم التحريف منهم
وبراءة أهل الاثبات مما رموهم به من هذا الشبه

هذا وثم بلية مستورة فيهم سأبديها لكم ببيان
ورث المحرف من يهود وهم أولو التحريف والتبديل والكتان
فأراد ميراث الثلاثة منهم فعصت عليه غاية العصيان
اذ كان لفظ النص محفوظاً فما التبديل والكتان في الامكان

فأراد تبديل المعاني اذ هي المقصود من تعبير كل لسان
فأتى إليها وهي بارزة من أَل ألفاظ ظاهرة بلا كتمان
فنفى حقائقها وأعطى لفظها معنى سوى موضوعه الحقائي
فجنى على المعنى جناية جاحد وجنى على الألفاظ بالعدوان

الشرح: وهناك بلية أخرى خفية قد ابتلى بها هؤلاء المتأولون قد لا يفتن
إليها كثير من الناس، وهي أنهم ورثوا تحريفهم للنصوص عن اليهود واتبعوا
سنتهم فيه حذو القذة بالقذة، فإن اليهود - فبحمهم الله - جمعوا بين جريمة
التحريف الذي هو تفسير الألفاظ بغير معانيها وامالتها عن المقصود منها وبين
جناية التبديل الذي هو حذف بعض نصوص الكتاب المنزل ووضع أخرى
مكانها مما كتبه أيديهم وزورته أقلامهم، وبين خيانة الكتمان الذي هو اخفاء ما
عندهم من الحق وعدم بيانه للناس مع حاجة الناس إليه، فأراد هؤلاء المتأولون
أن يرثوا عن اليهود هذه العظائم الثلاث. ولكنهم لم يجدوا إلى التبديل والكتمان
سبيلاً، إذ كانت ألفاظ النصوص محفوظة لا يمكن لأحد أن ينال منها بتغيير أو
تبديل، ولا بحذف أو زيادة، كما لا يمكن أن ييحد منها شيئاً، فاكتمى من
ذلك بالتحريف وتبديل المعاني التي هي المقصود من الألفاظ، فعمد إليها وهي
بارزة من الألفاظ تكاد تنطق معلنة عن نفسها وتترأى للعقول من خلال الألفاظ
واضحة لا خفاء فيها، فنفى حقائقها وحول الألفاظ إلى معان أخرى، يعلم كل
من مارس اللغة وعرف مدلولاتها أنها ليست هي المقصود من هذه الألفاظ
وبذلك جنى على المعاني والألفاظ جميعاً، فجنى على المعاني بالجحد والانكار،
وجنى على الألفاظ بمحملها قسراً على ما لا تحتمله من المعاني عدواناً وظلماً، فبعداً
للقوم الظالمين.

★ ★ ★

وأق إلى حزب الهدى أعطاهم شبه اليهود وذا من البهتان
اذ قال انهم مشبهة وأنتم مثلهم فمن الذي يلحاني

في هتك أستار اليهود وشبههم
يا مسلمون بحق ربكم اسمعوا
ثم احكموا من بعد من هذا الذي
أمر اليهود بأن يقولوا حطة
وكذلك الجهمي قيل له استوى
قال استوى استولى وذا من جهله
من فرقة التحريق للقرآن
قولي وعوه وعي ذي عرفان
أولى بهذا الشبه بالبرهان
فأبوا وقالوا حنطة لهوان
فأبى وزاد الحرف للنقصان
لغة وعقلاً ماها سيان

الشرح: والعجيب من أمر هؤلاء المتأولين أنهم يرمون أهل الحق بما هم به
أولى وأحق وهو بهم أشبه وألصق من الشبه باليهود حيث يقولون أن اليهود
شبهوا حين قالوا أن الله فقير ونحن أغنياء، وأنه استراح من الخلق يوم السبت الخ
وأنتم شبهتم حين قلتم أن الله مستو على عرشه، وأن له وجهاً ويداً، وأنه ينزل
ويجيء الخ، سبحانه هذا بهتان عظيم. اننا حين نشبث لله عز وجل ما أثبتته لنفسه
أو أثبتته له رسوله ﷺ من صفات لا نعتقد أن هذه الصفات له تشبه ما
للمخلوق من ذلك، بل نشبثها له على ما يليق بعظمته وجلاله فنحن لسنا مشبهين
ولا ممثلين، كما أننا لسنا معطلين ولا جاحدين، بل شأننا في ذلك أثبات بلا
تمثيل وتنزيه بلا تعطيل كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ
الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] ثم أننا نحتكم نحن وأنتم إلى كل مسلم يمكن أن يعي
قولنا ويعرفه ليحكم اينا أقرب شبهاً إلى اليهود، وأولى أن ينسب إليهم.

أن اليهود أمرهم الله عز وجل أن يدخلوا الباب سجداً، وأن يقولوا حطة
من الخط، يعني أن تحط عنا ذنوبنا وتغفر لنا خطايانا، فبدل الذين ظلموا قولاً
غير الذي قيل لهم، ووضعوا حنطة مكان حطة لهوان نفوسهم واخلادهم إلى هذه
الارض وقصر أنظارهم على حطام الحياة ومادة العيش دون اعتبار للمعاني
السامية والمبادئ الكريمة.

وهكذا أنتم معشر الجهمية، يقول الله لكم استوى على العرش فتأبون الا أن
تزيدوا حرفاً على النص، وذلك من نقصانكم في العلم والفهم، فتقولون استولى

بدلاً من استوى جهلاً منكم بمواضع الألفاظ في اللغة التي لم يستعمل فيها لفظ استوى قط بمعنى استولى. ومخالفة منكم لمنطق العقل الذي يحكم بأن كل موجودين، فلا بد أن يكونا اما متداخلين يعني أحدهما داخل في الآخر، وأما متباينين كل منهما منفصل عن الآخر، وما دام الله عز وجل باتفاق منا ومنكم ليس داخلاً في العالم ولا حالاً فيه فلم يبق إلا أن يكون منفصلاً عنه عالياً عليه.

وقول الشيخ: فمن الذي يلحاني استفهام انكاري تعجبي أي لا أحد يلومني ويعنفني على ما قصدت إليه من فضيحة اليهود واخوانهم المحرفين للقرآن.

★ ★ ★

عشرون وجهاً تبطل التأويل باسـ	تولى فلا تخرج عن القرآن
قد أفردت بمصنف هو عندنا	تصنيف حبر عالم رباني
ولقد ذكرنا أربعين طريقة	قد أبطلت هذا بحسن بيان
هي في الصواعق ان ترد تحقيقها	لا تحتفي إلا على العميان
نون اليهود ولام جهمي هما	في وحي رب العرش زائدتان
وكذلك الجهمي عطل وصفة	ويهود قد وصفوه بالنقصان
فهما إذاً في نفيهم لصفاته العليا	كما بينته أخوان

الشرح: يعني أن تأويل الجهمية للفظ استوى باستولى باطل من عشرين وجهاً، ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله سره في مصنف خاص. وقد ذكرها المصنف رحمه الله في كتابه (الصواعق المرسله في الرد على الجهمية والمعتلة) وزاد عليها عشرين وجهاً أخرى، فصار المجموع أربعين وجهاً مع قوة في الحججة وحسن في البيان كما هو دأبه في كل كتبه صغيرها وكبيرها، فهو بحق كما وصفه أحد الاخوان من أنصار السنة (صاحب القلم السيال والسحر والحلال) جزاه الله وجزى أستاذه شيخ الإسلام عن هذه الأمة خير ما يجزي به العلماء العاملين الذين أناروا الطريق للسالكين، ومهدوا لمن بعدهم سبل الحق واليقين.

ولا نطيل الكلام في سرد هذه الوجوه، فليرجع إليها من أراد في كتاب

الصواعق المذكور غير أننا نحب أن نشير إلى بعض ما يظهر به فساد هذا التأويل وتتضح به تفاهته أو سخافته وهو أنه يقتضي أن الله لم يكن مستولياً على العرش ولا مالكاً له ثم استولى عليه وملكه، وذلك يقتضي أن العرش كان في حوزة ملك آخر قبل أن يقهره الله وينتزع العرش منه.

ثم ما الحكمة في تخصيص العرش وحده باستيلاء الله عز وجل عليه وهو مالك الملك كله من عرشه إلى فرشه كله في قبضته مقهور بقهر جبروته وعزته. أفلا يستحي هؤلاء من ترديد مثل هذا الهراء وتدريسه للناشئة من طلاب المعاهد اللذين يأخذونه من أفواه شيوخهم عقيدة مسلمة لا يجروون على مناقشتهم فيها، وإلا رموا بالكفر والاحاد.

وما أحسن قول من قال (لام الجهمية كنون اليهودية) فكلتاها زائدة على الوحي حيث جاء أمراً لليهود بأن يقولوا حطة فقالوا حنطة. وجاء نخبراً عن الله بأنه استوى فقال الجهمية: استولى. وكما وصف اليهود ربهم بما لا يليق به من النقائص. من قولهم أنه فقير ويده مغلولة، وأنه تعب من الخلق فاستراح في يوم السبت الخ. كذلك عطله الجهمية عن صفات كماله ونفوها عنه.

وبذلك اتفق الفريقان على نفي صفاته العليا التي هي كمالات محضة وبان لكل أحد أنها أخوان متشابهان.

فصل

في بيان بهتانهم في تشبيه أهل الاثبات بفرعون وقولهم أن مقالة العلو عنه أخذوها وأنهم أولى بفرعون وهم أشباهه

ومن العجائب قولهم فرعون مذ هبه العلو وذاك في القرآن ولذلك قد طلب الصعود إليه بالصرح الذي قد رام من هامان هذا رأيناه بكتبهم ومن أفواههم سمعاً إلى الآذان

فاسمع إذا من ذا الذي أولى بفرعون المعطل جاحد الرحمن
وانظر إلى من قال موسى كاذب حين ادعى فوقية الرحمن
فمن المصائب أن فرعونيكم أضحى يكفر صاحب الايمان
ويقول ذاك مبدل للدين سا ع بالفساد وذا من البهتان

الشرح: ومن عجائب هؤلاء الجهمية كذلك أنهم يرمون أهل الاثبات لصفة العلو وغيرها بأنهم أشباه لفرعون، فقد حكى عنه القرآن أنه كان يعتقد أن اله موسى في السماء، ولهذا قال لهامان وزيره: ﴿يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صِرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾ [غافر: ٣٦ ، ٣٧] ويذكرون هذا في كتبهم ويصرحون به في مجالسهم، ونحن نبين من هو أولى بفرعون المعطل الجاحد لوجود الصانع جل وعلا، ومن هو أحق أن ينسب إليه نحن أم هم؟ ان فرعون حين أخبره موسى عليه السلام بأنه رسول من رب العالمين سأله فرعون سؤال المتظاهر بالجحد والانكار: ما رب العالمين وأين هو؟ فأخبره موسى بأن إلهه الذي أرسله في السماء، فقال فرعون ما حكاه عنه القرآن: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَيَّ الطِّينَ فَاجْعَلْ لِي صِرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [القصص: ٣٨] ففرعون كذب موسى في قوله ان الهه في السماء ولهذا طلب بناء الصرح ليرقى عليه ويستطلع جلية الخبر.

وهكذا أنتم أيها الجهمية أشياع لفرعون في التعطيل والانكار، اذا أخبركم أهل الحق بأن الله فوق خلقه مستو على عرشه قلمت حشوية كفار وخشيتهم منهم ما خشيه فرعون من موسى حين قال: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ [غافر: ٢٦] فأنتم أشياع فرعون في الكذب والبهتان ترمون به أهل الحق والإيمان كما رمى به هو موسى بن عمران.

★ ★ ★

أن المورث ذا لهم فرعون حين رمى به المولود من عمران

فهو الامام لهم وهافيههم بمتبوع يقودهم إلى النيران هو أنكر الوصفين وصف الفبوق والتكليم انكاراً على البهتان اذ قصده إنكار ذات الرب فالتعطيل مرقاة لذا النكران وسواه جاء بسلام وبآلة وأتى بقانون على بيان وأتى بذلك مفكراً ومقدراً ورث الوليد لعابد الأوثان وأتى إلى التعطيل من أبوابه لا من ظهور الدار والجدران

الشرح: فهذا البهت الذي بهتم به أهل السنة والجماعة من قولكم حشوية ومجسمة حددوا ربهم وجعلوا له مكاناً الخ، إنما ورثتموه من فرعون امامكم في الضلال حين رمى به موسى بن عمران كليم الرحمن، فقال انه ما جاء إلا لتبديل الدين والسعي في الأرض بالفساد فهو امامكم في الدنيا، وسيكون كذلك اماماً لكم في الآخرة يقودكم إلى النار، كما قال تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ * يَقَدِّمُ قَوْمَهُ الْقِيَامَةَ فَأُورِدَهُمُ النَّارَ وَيَنْسِ الْوَرْدُ الْمُرْوَدُ﴾ [هود: ٩٧، ٩٨].

وهو أنكر الوصفين جميعاً، وصف الفوق ووصف التكليم، أما وصف الفوق فبما تقدم من قوله في شأن موسى ﴿وإني لأظنه كاذباً﴾ وأما وصف التكليم فلأنه جحد رسالة موسى وكذب بها، والرسالة انما مبناها على تكليم الله لمن يرسله فمن جحدها فقد جحد ما تنبى عليه من وصف التكليم، وكان قصد فرعون من الجحد لهذين الوصفين انكار ذات الرب جل شأنه، فجعل من هذا التعطيل مرقاة يثب منها إلى جحد الصانع جل وعلا وتعطيل العالم عن صانعه واله، ولكنكم حين قصدتم إلى هذا التعطيل والانكار أعدتم للأمر عدته واستكملتم لآلته وبنيتم على هندسة ونظام مع تفكير وتقدير ورثتموه عن سلفكم في الجحود والانكار: الوليد بن المغيرة حين قال في القرآن بعد أن فكر وقدر ان هذا الا سحر يؤثر. ودخلتم إلى التعطيل من بابه ولم تتسوروا الجدران ولا أتيتم البيت من ظهره، لهذا راج باطلكم وجاز تلبيسكم وخداعكم على كثير لا من العامة

فحسب بل ممن ينسبون إلى العلم والدين، ونالوا لقب الامامة والزعامة بين المسلمين، والله في خلقه شؤون.

★ ★ ★

وأتى به في قالب التنزيه والتعظيم تليساً على العميان
وأتى إلى وصف العلو فقال ذا التجسيم ليس يليق بالرحمن
فاللفظ قد أنشاه من تلقائه وكساه وصف الواحد المنان
والناس كلهم صبي العقل لم يبلغ ولو كانوا من الشيخان
إلا أناساً سلموا للوحي هم أهل البلوغ وأعقل الانسان
فأتى إلى الصبيان فانقادوا له كالشاء إذ تنقاد للجوبان
فانظر إلى عقل صغير في يدي شيطان ما يلقي من الشيطان

الشرح: يعني أنكم حين عطلمت الباري عن صفاته سميت هذا التعطيل تنزيهاً وتعظيماً للرب جل شأنه لكي تلبسوا بذلك على أهل الغفلة والعمي فينقادوا لكم ويدينوا بتعطيلكم وعمدتم إلى وصف العلو الثابت له سبحانه بما لا يحصى من الأدلة النقلية والعقلية، فقلتم هذا تجسيم يجب تنزيه الله عنه، وهكذا أنشأتم لفظ التنزيه من عند أنفسكم وكسومتموه مما تشاؤون من صفات، فاقتضى تنزيهكم أن تنفوا عنه الجهة والمكان والحيز والحركة والنزول والصعود والمقدار والصورة والإشارة الحسية الخ، مما يجعله سبحانه، وحاشاه أقرب إلى المعدوم منه إلى الموجود، وكل صفة مما أثبتته هو لنفسه أو أثبتته له رسوله لا تروق لكم تنفونها بحجة التنزيه. والناس ينقادون لكم في هذا النفي والتعطيل، لأنهم صبيان العقول وان كانوا كبار الأعمار، ولكن المتبعين للوحي والواقفين عند النص هم الذين بلغوا رشدهم واستوت أحلامهم فهم لا ينقادون لكم ولا يغترون بجمععتكم، وإنما ينقاد لكم الصبيان انقياد الشاء للجوبان، يعني الراعي، وماذا يصنع عقل صغير بين يدي شيطان إلا أن يلعب به كما تلعب بالكرة الصولجان.

★ ★ ★

فصل

في بيان تدليسهم وتلبسهم الحق بالباطل

قالوا إذا قال المجسم ربنا
فسلوه كم للعرش معنى واستوى
وعلى فكم معنى لها أيضا لدى
بين لنا تلك المعاني والذي
فاسمع فذاك معطل هذي الجعا
قل للمجمع ويحك اعقل ذا الذي
العرش عرش الرب جل جلاله
ما فيه إجمال ولا هو موهم
ومحمد والانبياء جميعهم
منهم عرفناه وهم عرفوه من

حقا على العرش استوى بلسان
أيضاً له في الوضع خمس معان
عمرو فذاك أمام هذا الشأن
منها أريد بواضح التبيان
جع ما الذي فيها من الهذيان
قد قلته إن كنت ذا عرفان
واللام للمعهود في الأذهان
نقل المجاز ولا له وضعان
شهدوا به للخالق الرحمن
رب عليه قد استوى ديان

الشرح: مما أوصى به المعطلة النفاة بعضهم بعضاً أنهم قالوا: إذا قال لك
المجسم - يعنون المثبت لعلوه تعالى واستوائه على العرش - ربنا على العرش
استوى حقاً كما جاء ذلك صريحاً في كتابه بلسان عربي مبين، فسله أي معنى من
معاني العرش تريد؟ فإن العرش يطلق ويراد به سرير الملك، ويطلق ويراد به
عرش الكروم، ويطلق ويراد به العريشة، ويطلق ويراد به عرش بلقيس ملكة
سبأ، ويطلق ويراد به السقف.

وكذلك سله عن معنى استوى فإنه كذلك لفظ محتمل لعدة معان، يقال
استوى بمعنى جلس، واستوى بمعنى قصد، واستوى بمعنى بلغ تمامه وكماله،
واستوى بمعنى ساوى. وسله أيضاً عن معنى على فإنها تأتي للاستعلاء ولغيره، كما
ذكر ذلك أئمة اللغة، فقل له بين لنا كل هذه المعاني التي تراد من هذه
الألفاظ، وأي هذه المعاني تريد، فإذا حاول المعطل تشكيكك بمثل هذه
الهذيان، وأراد أن يسد عليك باب الفهم للنصوص بسلب الألفاظ دلالتها على

معانيها المتبادرة منها، وادعاء أنه لا يمكن فهم مقصود المتكلم بهذه الألفاظ لاحتمالها لعدة معان، فقل له: دع عنك هذه الجعاجع والمغالطات، فكل لفظ من هذه الالفاظ الثلاثة واضح الدلالة على معناه.

فالمراد بالعرش هنا ليس إلا عرش الرب جل شأنه الذي هو فوق السموات وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ [غافر: ٧] وفي قوله: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ﴾ [غافر: ١٥] وفي قوله: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [المؤمنون: ٨٦] إلى ما لا يحصى من الآيات والأحاديث واللام فيه للعهد الذهني، وليس في هذا اللفظ بحمد الله اجمال يحتاج معه إلى تفصيل، ولا هو موهم أنه مستعمل في معنى مجازي، ولا هو من الالفاظ المشتركة الموضوعة لعدة معان، وهو العرش الذي شهد الرسول ﷺ وجميع الأنبياء قبله بشبوته لربهم، وقد عرفنا نحن ذلك من أخبارهم كما عرفوه هم بالوحي الذي أنزل عليهم ممن على العرش استوى جل وعلا.

لم تفهم الأذهان منه سريـر بلقيس ولا بيتاً على الأركان
 كلا ولا عرشاً على بحر ولا عرشاً لجبريل بلا بنيان
 كلا ولا العرش الذي ان ثل من عبد هوى تحت الحضيض الداني
 كلا ولا عرش الكروم وهذه الأعناب في حرث وفي بستان
 لكنها فهمت بحمد الله منه عرش الرب فوق جميع ذي الاكوان
 وعليه رب العالمين قد استوى حقاً كما قد جاء في القرآن

الشرح: يعني أن العرش المذكور في مثل قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] قد جاء إما مطلقاً معرفاً بلام العهد كما في الآية، أو مضافاً إلى الرب جل شأنه كما في قوله « وكان عرشه على الماء » فلا يمكن أن يفهم الذهن منه غير معنى واحد وهو هذا الجسم المخصوص الذي تنتهي به كرة

العالم، ولا يعقل أن يفهم منه أنه عرش بلقيس ملكة سبأ، فإنه مضاف إليها كما يدل عليه قول سليمان لجنوده: ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بَعْرَشَهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٣٨] وقوله لها حين جاءت: ﴿أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾ [النمل: ٤٢] ولا يفهم منه كذلك أنه عرش على بحر، وهو عرش الشيطان كما ورد في حديث ابن صوريا أن النبي ﷺ سأله عما يرى، فقال (أرى عرشاً على الماء) فقال عليه السلام ذاك عرش الشيطان، ولا يفهم منه أيضاً أنه العرش الذي استوى عليه جبريل حين رآه النبي ﷺ جالساً على كرسي بين السماء والأرض قد سد الافق، كما ورد في حديث جابر، وذلك بعد فترة الوحي وكان النبي ﷺ قد جاور بجراء شهراً، فلما خرج سمع صوتاً يناديه فرفع رأسه فرآه على صورته الملكية فرعب منه، ولا يمكن أن يفهم منه أنه عرش ملك من ملوك الدنيا بحيث لو ثل أي سلب عنه هوى أي سقط عن عز ملكه وصار واحداً من الناس، ولا يفهم منه أنه العرش الذي تقوم عليه الكروم والاعناب، إلى غير ذلك من المعاني التي لا يمكن أن تخطر ببال أحد يقرأ هذه الآيات ولكنه لا يفهم منه إلا أنه عرش الرب الموجود فوق جميع هذه الموجودات، ولا يفهم إلا أن الله استوى عليه استواء حقيقياً كما جاء في القرآن.

★ ★ ★

وكذا استوى الموصول بالحرف الذي ظهر المراد به ظهور بيان
لا فيه اجمال ولا هو مفهم للاشتراك ولا مجاز ثمان
تركيبه مع حرف الاستعلاء نص في العلو بوضع كل لسان
فإذا تركيب مع الی فالقصد مع معنى العلو لوضعه ببيان
وإلى السماء قد استوى فمقيد بنمات صنعتها مع الاتقان
لكن على العرش استوى هو مطلق من بعدها قد تم بالاركان
لكننا الجهمي يقصر فهمه عن ذا فتلك مواهب المنان
فإذا اقتضى واو المعية كان معناه استوى متقدم والثاني
فإذا أتى من غير حرف كان معناه الكمال فليس ذا نقصان

لا تلبسوا بالباطل الحق الذي قد بين الرحمن في الفرقان

الشرح: وكذلك الفعل استوى إذا تعدى بالحرف، فإن معناه في غاية الظهور فليس فيه اجمال يحتاج معه إلى التفصيل ولا هو من الالفاظ المشتركة التي تحتمل أكثر من معنى ولا هو منقول من حقيقته إلى مجازه، بل إذا تعدى بعلى الموضوعه للاستعلاء كان نصاً في العلو لا يحتمل معنى آخر، قال تعالى: ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِكِ فَقُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٨] وقال: ﴿لَتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾ [الزخرف: ١٣] ولا يمكن أن يقال استوى على كذا من غير أن يفيد ذلك معنى العلو، ويكون نصاً فيه، وإذا تعدى بإلى أفاد القصد مع العلو وضعا يقال استوى إلى كذا بمعنى قصد إليه مستعلياً عليه، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ [فصلت: ١١] يفيد القصد إلى خلقها مع الاحكام والاتقان للخلق كما قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧] أما قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] فهو مطلق لا يفيد إلا علوه تعالى على العرش الذي قام على أركانه بعد السموات، والذي هو أعلى الموجودات، ولكن الجهمي المعطل يعجز عن فهم هذه المعاني لجهله بأوضاع اللغة والله هو الذي يهب الفهم من يشاء بمنه وكرمه. أما إذا اقتضى الفعل استوى واو المعية كما في قولنا: استوى الماء والخشبة أفاد أن ما قبل الواو قد ساوى ما بعدها. فإذا أتى من غير حرف واستعمل لازماً كما في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى﴾ [القصص: ١٤] أفاد معنى الكمال وتمام القوة. هذه هي استعمالات الفعل استوى في لغة العرب التي نزل بها القرآن الكريم، فلا تخططوا أيها الجهمية الحق الذي بينه الله في كتابه بما تختلقونه من المفتريات والأباطيل.

★ ★ ★

وعلا للاستعلاء فهي حقيقة فيه لدى أرباب هذا الشأن

وكذلك الرحمن جل جلاله
يا ويجه بعماه لو وجد اسمه الر
لم يحتمل معنى سوى الرحمن
حن محتملا لخمس معان
إلا التلاوة عندنا بلسان
معناه ما قد ساء كم ببيان
هي عندنا والله بالكيمان

الشرح: وكذلك الحرف (على) الذي تعدى به فعل الاستواء هو نص في إفادة الاستعلاء عند أهل اللغة لا يجوز صرفه عن هذا المعنى الذي هو حقيقة فيه بلا قرينة كلامية توجب ذلك وتدل عليه. وكذلك الاسم الكريم (الرحمن) لا يحتمل معنى سوى الرب الموصوف بالرحمة الواسعة التي وسعت كل شيء جل شأنه. فيا ويح هذا المعطل الأعمى لو رأى كذلك أن اسمه الرحمن ليس نصاً في الدلالة على مسماه وطرد قاعدته الفاسدة في احتمال الألفاظ عليه، وادعى له هو الآخر أنه محتمل لخمس معان، كما ادعى ذلك في العرش: إذاً لوجب أن يحكم بأن الألفاظ خالية من معانيها، وأن نصيب القارىء منها هو التلاوة باللسان فقط دون أن يفقه لها معنى. وهذا هو ما يهدف اليه هؤلاء المعطلة أعداء الكتاب والسنة أن يعزلوا نصوصها عن إفادة الحق واليقين ليرجعوا في ذلك إلى قضايا عقولهم الفاسدة، وإذا ثبت أن كل لفظة من ألفاظ الآية الكريمة، أعني قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] هو نص في معناه بحيث لا يجوز صرفه عنه لم يكن حينئذ للاستواء على العرش معنى إلا العلو والارتفاع عليه، وهذا المعنى هو الذي أطبق عليه أئمة الإسلام ولكن قلوبكم المريضة لم تتسع له لامتلائها من الباطل الذي ورثتموه عن فلاسفة اليونان وغيرهم فساء كم ما قاله أئمة الهدى، وملاً قلوبكم غيظاً عليهم، ولن تستطيعوا إنكار نسبة هذا القول اليهم، فقد أحلناكم على كتبهم التي لا يشك في نسبتها اليهم وهي بحمد الله من الكثرة بحيث تشبه الكيمان، والكيمان جمع أكوام الذي هو جمع كومة، والكومة هي الجملة من الشيء المتكومة المجتمعة.

فصل

في بيان سبب غلطهم في الألفاظ والحكم عليها باحتمال عدة معان حتى أسقطوا الاستدلال بها

واللفظ منه مفرد ومركب في الاعتبار فما هما سيان
واللفظ في التركيب نص في الذي قصد المخاطب منه في التبيان
أو ظاهر فيه وذا من حيث نسبه إلى الإفهام والأذهان
فيكون نصاً عند طائفة وعند سواهم هو ظاهر التبيان
ولدى سواهم مجمل لم يتضح لهم المراد به إتضح ببيان
فالأولون لأفهم ذاك الخطأ ب والفهم معناه طول زمان
طال المراس لهم لمعناه كما اشتدت عنايتهم بذلك الشأن
والعلم منهم بالمخاطب إذ هم أولى به من سائر الإنسان
ولهم أتم عناية بكلامه وقصوده مع صحة العرفان
فخطابه نص لديهم قاطع فيما أريد به من التبيان

الشرح: يريد الشيخ رحمه الله أن يبين أحوال الناس في إدراكهم لمعاني
الألفاظ ومدلولاتها، فيقسم اللفظ إلى مفرد لم يستعمل مع غيره من الألفاظ،
كزيد مثلاً، وإلى مركب، وهو ما تركب مع غيره لإفادة معنى تام، وذلك مثل
الجمل الفعلية والاسمية، فإذا تركب اللفظ مع غيره اختلف الناس في دلالة على
معناه تبعاً لاختلاف أفهامهم وأحوالهم، فمن الناس من يجعله نصاً في المعنى الذي
قصده منه المخاطب بكلامه فلا يكون محتملاً لغيره، ومنهم من يعتبره ظاهراً فيه
فقط، فيرجح أن يكون المقصود به هذا المعنى، ولكنه لا يقطع به. ومنهم طائفة
ثالثة تجعل اللفظ من قبيل المجمل الذي لم يتضح المراد منه، فهو عندهم محتمل
لعدة معان ولا يدرون أيها هو المراد من اللفظ، لأن هذه المعاني عندهم متساوية
فيه، فالأولون لأنهم ألفوا هذا الخطاب واعتادوه، وألفوا معانيه وطال مراسهم
لها، واشتدت عنايتهم بها، ولأنهم أعرف الناس بالمخاطب لهم، وأولى به من

غيرهم، وأكمل الناس عناية بفهم خطابه وإدراك مقاصده مع ما لهم من الفهم الصحيح والنظر الصائب والفترة السليمة التي لم تفسد بالتقليد الأعمى، يعتبرون خطابه نصاً قاطعاً في الدلالة على ما قصد إليه منه دون ان يتطرق إلى نفوسهم أي توهم للاحتمال أو المجاز. والمراس هو الممارسة، وهو كثرة التمرن والاعتیاد.

★ ★ ★

لكن من هو دونهم في ذلك لم	يقطع بقطعهم على البرهان
ويقول يظهر ذا وليس بقاطع	في ذهنه لا سائر الأذهان
ولألفه بكلام من هو مقتد	بكلامه من عالم الأزملا
هو قاطع بمراده وكلامه	نص لديه واضح التبيان
والفتنة العظمى من المتسلق المخدوع ذي الدعوى أخي الهذيان	
لم يعرف العلم الذي فيه الكلا	م ولا له ألف بهذا الشأن
لكنه منه غريب ليس من	سكانه كلا ولا الجيران
فهو الزنيم دعوي قوم لم يكن	منهم ولم يصحبهم بمكان
وكلامهم أبداً لديه مجمل	وبمعزل عن أمرة الإيقان

الشرح: لكن من نقصت درجته في العلم والتحصيل والفهم لمضمون الخطاب عن هؤلاء السابقين لم يسلك سبيلهم في القطع بمعاني النصوص، بل يرى فقط أن هذا هو الظاهر المتبادر منها إلى الذهن مع تجويزه أن يكون المراد بها معنى آخر، وذلك لقلّة ألفه بالنصوص الصريحة من الكتاب والسنة وقلّة ممارسته لها، ولكنه لطول الفه بكلام من يقلده ويقتدي به من علماء زمانه يقطع بمراده من كلامه، ويعتبر كلامه نصاً واضحاً فيما يتضمنه من معنى، فجعل كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ أقل في الإفادة والإفهام من كلام شيخه، ولم يرض حتى بالمساواة، وصاحب هذا المسلك هو على كل حال أقل خطراً وأخف ضرراً، ولكن الفتنة العظمى والداهية الكبرى في هذا المتسلق للجدران المخدوع بزخارف البهتان صاحب الدعوى العريضة في العلم والعرفان، وما هو إلا أخو

ضلالة وهذيان، يهرف بما لا يعرف، ويتكلم فيما لا علم له به، ولا يحسن الكلام فيه لعدم الفه له وقلة مصاحبته إياه، فهو منه غريب كل الغربة، فلا هو من سكانه المقيمين معه ولا حتى من جيرانه القريبين منه، وهو زنيم يدعي النسبة إلى قوم ليس هو منهم ولم يتشرف أبداً بصحبتهم في أي مكان، فكلامهم دائماً غير واضح المعنى عنده وبمعزل عن إفادة اليقين. والمراد بالقوم هنا أهل الحق من سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين ومن سلك سبيلهم في الأتباع رضي الله عنهم أجمعين.

★ ★ ★

نشد التجارة بالزيوف يخالها	نقداً صحيحاً وهو ذو بطلان
حتى إذا ردت اليه ناله	من ردها خزي وسوء هوان
فأراد تصحيحاً لها إذ لم يكن	نقد الزيوف يروج في الأثمان
ورأى استحالة ذا بدون الطعن في	باقي النقود فجاء بالعدوان
واستعوض الثمن الصحيح بجهله	وبظلمه يغييه بالبهتان
عوجاً ليسم نقده بين الوري	ويروج فيهم كامل الأوزان
والناس ليسوا أهل نقد للذي	قد قيل إلا الفرد في الأزمان
والزيف بينهم هو النقد الذي	قد راج في الأسفار والبلدان
إذ هم قد اصطلحوا عليه وارتضوا	بجوازه جهراً بلا كتمان

الشرح: وهذا الداعي الزنيم المتعالم ولا علم عنده لا يتجر إلا في الزيوف، وهي الدراهم المغشوشة، يظنها بجهله وقلة بصره نقداً جيداً، فتراه يروج بين الناس قضايا وهمية وجهالات سوفسطائية، يخدعهم بها، ويوهمهم أنها علم صحيح، فإذا انبرى له أهل الحق وأرباب البصائر وردوا عليه زيوفه وكشفوا عن بهرجها لحقه من ذلك أشد الخزي وأسوأ الهوان، ولكنه لا يستسلم للهزيمة ولا يفيء إلى الحق بل يحاول تصحيحها لتروج في الأثمان، ويرى أن ذلك مستحيل بدون الطعن في باقي النقود، فيعمد إلى النقد الصحيح من علوم

الكتاب والسنة، فيتعوض عنه بجهله وظلمه، ويريده بالكذب والافتراء عوجاً ليسلم له زيفه ويروج باطله، والناس كلهم إلا من عصم الله ليسوا أهل بصر بالنقود، فلا يقدرّون على تمييز الجيد من الرديء، ولا لهم خبرة بوزن الأقوال وتمحيص الآراء، اللهم إلا أفراد قلائل يوجدون في الأزمان المتطاولة. ولذلك تجد الزيف هو النقد المتداول بينهم والرائج في الأسفار والبلدان، لأنهم قد تعارفوا عليه وارتضوه جهرة بلا كتان.

★ ★ ★

ذهب مصفى خالص العقيان	فإذا أتاهم غيره ولو أنه
من غيره بمراسم السلطان	ردوه واعتذروا بأن نقودهم
قطعت جوامكننا من الديوان	فإذا تعاملنا بنقد غيره
نكذب عليهم ويح ذى البهتان	والله منهم قد سمعنا ذا ولم
غضب الإله وموقد النيران ^(١)	يا من يريد تجارة تنجيه من
وتفيدة الأرباح بالجنات	والحور الحسان ورؤية الرحمن
ما للفناء عليه من سلطان	في جنة طابت ودام نعيمها
لا تشتري بالزيف من أثمان	هيء لها ثمناً يباع بمثلها
ضرب المدينة أشرف البلدان	نقداً عليه سكة نبوية

الشرح: فإذا جاءهم أحد بنقد آخر غير هذا الذي تعارفوا عليه ردوه على الناقد، ولو كان من نضار الذهب وخالصة معتذرين بأن نقدهم عليه سكة السلطان فإذا هم تعاملوا بنقد غيره قطعت رواتبهم من ديوان الحكومة، وكان المؤلف رحمه الله يشير بهذا إلى حال كثير من العلماء الرسميين الذين توظفهم الحكومة في بعض الوظائف، مثل القضاء والافتاء والحسبة وغيرها، فيتوخون في أعمالهم موافقة الحكام في مذاهبهم ولا يجراون على مخالفتها خوفاً من العزل وهذا المعنى كان موجوداً منذ قريب عندنا في مصر في عهد الحكم التركي، حين كان

(١) وموقد بفتح القاف مضاف إلى النيران إضافة صفة إلى موصوف، والتقدير والنيران الموقدة.

لا يولي مناصب القضاء والافتاء إلا حنفياً، بل ولا يزال كثير من العلماء في مصر وغيرها يدينون بمذهب الأشعري في العقيدة، لأنه منذ عهد صلاح الدين كان هو المذهب الرسمي لكثير من البلاد الإسلامية، وكان أتباعه هم الذين يتولون وظائف التدريس في مدارس الحكومة، فمثل هؤلاء العلماء إنما يريدون تجارة الدنيا من الخطوة عند الحكام وإغداق الأرزاق عليهم. أما أنت يا من تريد تجارة الآخرة التي رأسها النجاة من غضب الله وناره المتسعة، والربح فيها جنات عرضها السموات والأرض، تتمتع فيها بالخور الحسان، وأعظم من ذلك رؤية الرحمن جل جلاله، ولك فيها ما شئت من ألوان النعيم، وأنت فيها خالد مقيم لا تفنى ولا تريم، فيهيء لتلك الدار الطيبة التي هي سلعة الله الغالبة ثمناً يليق بها من نقد جيد صحيح، فإنها لا تشتري بالنقد الزائف المغشوش نقداً عليه سكة النبوة وطابعها ومضروباً في المدينة أشرف البلدان ومصدر العلم والهدى والإيمان.

★ ★ ★

أظننت يا مغرور بائعها الذي يرضى بنقد ضرب جنكيز خان
 منتك والله المحال النفس ان طمعت بذا وخذعت بالشيطان
 ولا يذهبن بك الغرور فتظن أن بائعها جلا وعلا يرضى بالنقد الزائف ثمناً
 لها مثل النقود التي هي ضرب جنكيز خان قائد التتار الغشوم، فإذا أنت طمعت
 في ذلك أن تنالها بمثل هذه الأثمان المزورة المغشوشة فقد منتك نفسك المحال،
 وخذعك الشيطان بكواذب الآمال. وقوله المحال بالنصب مفعول ثانٍ لمنتك
 والنفس بالرفع فاعل.

★ ★ ★

فاسمع إذا سبب الضلال ومنشأ التخليط إذ يتناظر الخصمان
 يحتج باللفظ المركب عارف مضمونه بسياقه لبيان
 واللفظ حين يساق بالتركيب محفوف به للفهم والتبيان
 جند ينادي عليه مثل ندائنا بإقامة وأذان

كي يحصل الاعلام بالمقصود من ايراده ويصير في الأذهان
فيفك تركيب الكلام معاند حتى يقلقله من الأركان
ويروم منه لفظة قد حملت معنى سواها في كلام ثان
فيكون دبوس الشقاق وعدة للدفع فعل الجاهل الفتان
فيقول هذا مجمل واللفظ محتمل وذا من أعظم البهتان

الشرح: إذا عرفت أن اللفظ ينقسم إلى مفرد ومركب، وأن اللفظ في التركيب غيره حال الإفراد سهل عليك ان تعرف سبب الضلال ومصدر ما يقع من خلط وتخبط عند الحجاج والمناظرة، فقد يحتج باللفظ المركب فاهم لمضمونه وما يدل عليه سياق التركيب، حيث أن اللفظ في هذه الحالة تحف به قرائن تعين المراد منه وتنفي عنه كل شائبة احتمال، وتكون له جنداً ينادي عليه بحقيقة مدلوله نداء واضحاً قوياً كندائنا بالإقامة والأذان للصلاة، وبذلك يحصل العلم بالمقصود من ايراده ويثبت في الأذهان بلا مرية ولا نكران فيجيء خصمه المعاند للحق ويفك تركيب الكلام حتى يجعله انقاضاً لا يرتبط منه لفظ بآخر ثم ينظر الى الألفاظ هكذا مجردة عن تركيبها فربما قصد إلى لفظة من المركب تحتمل معنى آخر سوى معناه الثابت لها في التركيب في كلام آخر فيكون هذا دبوس الشقاق فيجعل استعمال اللفظة في هذا المعنى الآخر في هذا الكلام الثاني عدة له في الدفع والمعارضة وإسقاط الاستدلال بالمركب على ما فهم منه وما يقتضيه سياقه. وهذا فعل جاهل يبتغي الفتنة والمهارة بالباطل، ويدعي حينئذ أن اللفظ مجمل وأنه محتمل لغير هذا المعنى، واللفظ متى تطرق اليه الاحتمال سقط به الاستدلال، وهذا منه كذب وافتراء، فإن اللفظ إذا كان يحتمل غير معناه حال التجرد والإفراد فإنه في التركيب كما قلنا نص في معناه لما يحف به من قرائن تبين المراد منه وتنادي عليه والله أعلم.

وقوله محفوف: أي محيط خبراً للفظ، وجند فاعل محفوف، وجملة ينادي صفة لجند.

وبذاك يفسد كل علم في الورى والفهم من خبر ومن قرآن
 إذ أكثر الألفاظ تقبل ذاك في الـ أفراد قبل العقد والتبيان
 لكن إذا ما ركبت زال الذي قد كان محتملاً لدى الوجدان
 فإذا تجرد كان محتملاً لغير مراده أو في كلام ثان
 لكن ذا التجريد ممتنع فإن يفرض يكن لا شك في الأذهان
 والمفردات بغير تركيب كمثمل الصوت تنعقه بتلك الضان
 وهنالك الإجمال والتشكيك والتجهيل والتحريف والإتيان بالبطلان
 فإذا هم فعلوه راموا نقله لمركب قد حذف بالتبيان
 وقضوا على التركيب بالحكم الذي حكموا به للمفرد الوجداني
 جهلاً وتجهيلاً وتدليساً وتليسياً وترويحاً على العميان

الشرح: وبهذا الذي يعمد اليه هؤلاء الجهلة من التشكيك في دلالات الألفاظ المركبة والحكم عليها بالإجمال والاشتباه يفسد كل علم في الوجود، فإن أي قضية علمية ترد لا يمكن فهم معناها ما دامت ألفاظها محتملة وموهمة خلاف المقصود منها وكذلك ينسد باب الفهم للكتاب والسنة، فلا يعلم أحد مراد الله جل وعلا من كلامه ولا مراد رسوله ﷺ، وبذلك تبطل التكاليف جملة وتبقى نصوص الكتاب والسنة مجرد ألفاظ تتلى دون ان يكون وراءها معنى، فأى فساد للدين أعظم من هذا، ولا سبب لهذا الفساد إلا ما يعمد اليه هؤلاء الجاهلون من التسوية بين الألفاظ في حالتي أفرادها وتركيبها، فإن أكثر الألفاظ حال الأفراد تكون جملة وقابلة للاحتمال لكن إذا ما ركبت مع غيرها زال كل احتمال وصارت نصاً في معناها الذي يدل عليه سياق التركيب ويفهمه فحوى الخطاب. فإذا تجرد اللفظ عن ذلك الوجود التركيبي أمكن حينئذ ان يكون محتملاً لغير المراد منه في التركيب. وكذلك إذا استعمل في كلام ثان جاز ان يستعمل فيه بمعنى آخر بحسب ما تدل عليه القرائن التي تحف به. لكن تجريد الألفاظ أمر فرضي محض لا وجود له إلا في الأذهان، فإن الألفاظ يمتنع استعمالها مفردة إذ هي حينئذ بمثابة الأصوات التي تنادي بها الحيوانات. وهنالك

أي عند التجريد والأفراد يكون ادعاء الإجمال ويكون التشكيك والتجهيل والتحريف لها عن مواضعها والإتيان بالباطل، ولكن هؤلاء الجهلة يدعون هذا في المركب أيضاً مع ما يحف به من بيان ينفي عنه كل اشتباه، ويحكمون على الألفاظ في حال التركيب بمثل ما يحكمون به عليها في حال التجرد والأفراد. جهلاً منهم بالفرق بينها وتجهيلاً لغيرهم، وتدليساً أي خدعاً بصرف اللفظ عن معناه، وتلبساً أي سترًا للحق وإظهار للأمر على خلاف ما هو عليه، وترويحاً لباطلهم عند السذج الذين لا بصر لهم بالأمر.

(فصل في بيان شبه غلطهم في تجريد اللفظ بغلط الفلاسفة في تجريد المعاني)

هذا هداك الله من إضلالهم	وضلالهم في منطلق الإنسان
كمجردات في الخيال وقد بنى	قوم عليها أوهن البنيان
ظنوا بأن لها وجوداً خارجاً	وجودها لو صح في الأذهان
أني وتلك مشخصات حصلت	في صورة جزئية بعيان
لكنها كلية إن طابقت	أفرادها كاللفظ في الميزان
يدعونه الكلي وهو معين	فرد كذا المعنى هما سيان
تجريداً ذا في الذهن أو في خارج	عن كل قيد ليس في الإمكان
لا الذهن يعقله ولا هو خارج	هو كالخيال لطيفة السكران

الشرح: واعلم - هداك الله أن الذي وقع فيه هؤلاء من الأضلال والضلال بالنسبة للألفاظ حيث حكموا عليها بجواز التجرد في الخارج هو شبه بضلال بعض الفلاسفة في مجردات الخيالية حيث ظنوا بأن لها وجوداً في الأعيان وبنوا على ذلك الظن أوهن البنيان مع أن وجودها لو صح لا يكون إلا في الأذهان، فإن الموجود في الخارج لا يكون إلا مشخصاً حافلاً في صورة جزئية معينة غير مشتركة أما إذا كانت الصورة صادقة على أفراد كثيرة ومطابقة لهم، فهي كلية

ولا وجود لها إلا في الذهن، وهؤلاء يقيسون الألفاظ على تلك المجردات قياس فاسد على فاسد، فيسمون اللفظ كلياً وهو معين فرد. وكذلك يسمون معناه الجزئي كلياً مع أن تجريد اللفظ عن كل قيد يجعله من قبيل الممتنع الذي لا وجود له لا في العقل ولا في الخارج، بل يكون كخيال السكران خرافة وهذيان.

لكن تجردها المقيد ثابت وسواه ممتنع بلا إمكان فتجرد الأعيان عن وصف وعن فرض من الأذهان يفرضه كفر الله أكبر كم دهي من فاضل تجريد ذي الألفاظ عن تركيبها والحق أن كليها في الذهن مفروض فلا تحكم عليه وهو في الأذهان فيقودك الخصم المعاند بالذي سلمته للحكم في الأعيان فعليك بالتفصيل إن هم أطلقوا أو أجلوا فعليك بالتيبان

الشرح: يعني ان التجريد إذا كان مقيداً ببعض القيود فهو ثابت. وأما سواه وهو التجرد المطلق عن كل وصف وقيد فممتنع غير ممكن، فتجرد الأعيان الخارجية عن الوصف والكيفية، وعن الوضع الذي تكون عليه، وعن الوقت والزمان الذي هو ظرف لوجودها، وعن المكان والحيز الذي تشغله، كل هذا أمر يفرضه الذهن كما يفرض المستحيل.

ومن العجيب المؤسف أن كثيراً من الفضلاء قد دهاهم هذا التجرد منذ القدم فآمنوا بهذه الخرافة، وأثبتوا في عالم الأعيان أشياء يسمونها المجردات ينفون عنها كل وصف وقيد، فيقولون لا حيز لها ولا مكان ولا جهة ولا توصف بقرب ولا بعد ولا اتصال ولا انفصال، وليست بذات صورة ولا كم، ولا مقدار ولا ثقل، ولا لون ولا تقبل الإشارة إليها بأنها هنا أو هنا إلخ ما نعتوها به من ألقاب النفي التي تجعلها من قبيل المعدوم الممتنع، ويجعلون الله جل

شأنه من قبيل هذه المجردات، فعطلوه عن وجوده وصفاته، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً فتجريد الألفاظ عن تركيبها، وكذلك تجريد المعاني كلاهما من قبيل الفرض الذهني فلا يجوز الحكم عليه في تلك الحالة بحكم، فيقودك الخصم للتسليم بثبوت ذلك الحكم له في الأعيان، بل عليك بالتفصيل إذا هم عمدوا إلى الإطلاق. فتقول إن أردتم أن هذا حكم له في الذهن على فرض تجرده فمسلّم، وإن أردتم أن هذا حكم له حال التركيب في الأعيان فممنوع. وكذلك إن أجملوا فعليك بالبيان والإيضاح.

فصل

في بيان تناقضهم وعجزهم عن الفرق بين ما يجب تأويله وما لا يجب

وتمسكوا بظواهر المنقول عن أشياخهم كتمسك العميان وأبو بأن يتمسكوا بظواهر النصين وا عجباً من الخذلان قول الشيوخ محرم تأويله إذ قصدهم للشرح والتبيان فإذا تأولنا عليهم كان أبط لا لما راموا بلا برهان فعلى ظواهرها تمر نصوصهم وعلى الحقيقة حملها لبيان يا ليتهم أجروا نصوص الوحي بل عندهم تلك النصوص ظواهر لم تغن شيئاً طالب الحق الذي

الشرح: ينعى المؤلف رحمه الله على هؤلاء المتأخرين من علماء الكلام أهل الجمود والتقليد أنهم يتمسكون بالأقوال المأثورة عن أشياخهم ويجعلونها نصوصاً لا تقبل التأويل، ويحملونها على ظواهرها المتبادرة منها دون صرف لها عنها بدعوى مجاز أو غيره، بل يرون ذلك ممنوعاً لأنه ينافي ما قصد إليه الشيوخ من الشرح والبيان، فإذا صرفت تلك الأقوال عن ظواهرها كان ذلك إبطالاً لما

قصدوا إليه بدون دليل ولا قرينة توجب ذلك التأويل . ولكنهم بالنسبة لنصوص الوحي من الآيات والأحاديث لا يسلكون هذا المنهج ، بل يرونها ظواهر لفظية معزولة عن إفادة اليقين ، يقولون أن دلالتها ظنية لا تفيد إلا احتمالاً راجحاً ، فهي لا تغني عن طالب الحق شيئاً ، بل يجب أن يسلك طريق البرهان العقلي إذا أراد تحصيل اليقين .

فهؤلاء الحيارى المنهوكون بلغت بهم الجرأة والقحة أن يقدموا أقوال شيوخهم على نصوص الوحي ، فهي عندهم محكمة لا تقبل التأويل ولا تتحمل أكثر من معنى . وأما نصوص الوحيين فهي في نظرهم متشابهة لا تفهم معنى واحداً ولا يجوز حملها على ظواهرها ، وهي أيضاً ظنية الدلالة لا تفيد علماً ولا تورث يقيناً ، ولكن عقولهم المريضة هي الطريق الوحيد لإفادة العلم واليقين ، فما أسوأ ظن هؤلاء بربهم ، وما أجزأهم على كتابه الذي سماه بياناً وهدى وشفاء ورحمة ، وما أشد استخفافهم بسنة رسول الله ﷺ الذي هو أفصح الناس وأظهرهم بياناً وأصدقهم قيلاً وأحسنهم حديثاً .

★ ★ ★

وسطوا على الوحيين بالتحريف إذ	سموه تأويلاً بوضع ثمان
فانظر إلى الأعراف ثم ليوسف	والكهف وافهم مقتضى القرآن
فإذا مررت بآل عمران فهم	ت القصد فهم موفق رباني
وعلمت أن حقيقة التأويل تب	بين الحقيقة لا المجاز الثاني
ورأيت تأويل النفاة مخالفاً	لجميع هذا ليس يجتمعان
اللفظ هم أنشوا له معنى بذا	ك الاصطلاح وذاك أمر دان
وأتوا إلى الحاد في الأسماء	والتحريف للألفاظ بالبهتان
فكسوه هذا اللفظ تليسياً وتد	ليسا على العميان والعوران

الشرح: فهؤلاء إذ لم يرضوا لنصوص الوحيين حتى مثل ما جعلوه لكلام شيوخهم من الاحترام والوقوف بها عند ظواهرها ، أخذوا يتلاعبون بها

واجترأوا عليها بالتحريف الذي سموه تأويلاً كذباً منهم وتضليلاً، فإن لفظ التأويل لم يستعمل في القرآن بهذا المعنى الذي أدعوه، وهو صرف اللفظ عن معناه الظاهر الراجح إلى معنى آخر لا يحتمله اللفظ إلا على وجه مرجوح، وإنما هو اصطلاح اصطلحوا عليه وسموه بهذا الاسم تلبساً منهم على الجهلة وإنصاف العلماء. ونحن إذا تتبعنا لفظ التأويل في مواضعه من القرآن لم نجد قد استعمل إلا بمعنى الحقيقة التي يؤول إليها الخبر والتي هي لنفس المخبر عنه. فتأويل ما أخبر الله به عن نفسه من أسمائه وصفاته هو نفس الأسماء والصفات المخبر بها أي حقائقها، وتأويل ما أخبر الله به من الوعد والوعيد هو وقوع ما أخبر الله به من ذلك وهكذا.

فقوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ﴾ [الأعراف: ٥٣] معناه ما ينتظر هؤلاء في عنادهم وإصرارهم على كفرهم إلا وقوع ما توعدهم القرآن به من العذاب الذي هو تأويل، أي ما يؤول ويصير إليه.

وقوله: ﴿ وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ﴾ [يوسف: ١٠٠] معناه أن هذا الذي حصل من دخول أبيه وإخوته عليه وسجودهم له هو تأويل رؤياه التي رآها من قبل، والتي ذكرت في قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ [يوسف: ٤] ومعنى تأويلها أي وقوع ما تضمنته تلك الرؤيا في عالم اليقظة ومطابقة ذلك لما رآه الصديق في منامه.

وقوله تعالى: ﴿ سَأَتَّبِعُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾ [الكهف: ٧٨] معناه سأخبرك بحقيقة ما رأيت من الأمور التي أنكرت ظواهرها ولم تطق صبراً عليها. وعلى هذا يمكن أن نفهم المراد بلفظ التأويل في قوله تعالى ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٧] أي لا يفهم حقيقة المشابهة وكيفيته، وهو ما أخبر الله به عن نفسه من أسمائه وصفاته ووعدته ووعيده وغير ذلك من أمور الغيب إلا الله عز وجل. فحقيقة هذه الأمور وكمياتها على التفصيل مما استأثر

الله عز وجل بعلمه ، ولهذا لا يخوض فيها الراسخون في العلم بتأويل ولا تفسير ، ولكنهم يقابلونها بالتفويض والتسليم قائلين ما حكاه الله عنهم : ﴿ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ﴾ . [آل عمران : ٧] .

هذه هي حقيقة التأويل كما تدل عليها جميع استعمالاته في القرآن الكريم ، لا يراد منه إلا بيان حقيقة الشيء المطابقة للخبر عنه ، فأين هي إذاً من تأويل أولئك النفاة الذين يستعملون لفظ التأويل بمعنى المجاز الذي هو صرف اللفظ عن حقيقته إلى معنى آخر بعيد لا يهتم له إلا بكثير من التكلف . فهؤلاء ينشئون للفظ معنى غير معناه المتبادر منه ، ويصطلحون على استعمال ذلك اللفظ في ذلك المعنى الذي اخترعوه ، ويلبسونه إياه ثوب زور ليلبسوا به على الجهلة وضعفاء العقول ، وبذلك يلحدون في الأسماء ، ويحرفون الألفاظ عن معانيها زوراً وبهتاناً والله أعلم .

★ ★ ★

من باطني قرمطي جان	فاستن كل منافق ومكذب
للحق تأويلاً بلا فرقان	في ذا بسنتهم وسمى جحده
شراً بشير صارخاً بأذان	وأقى بتأويل كتأويلاتهم
فأتوا نحاكمكم إلى الوزان	أنا تأولنا كما أولتم
وكذاك تأويلاتكم بوزان	في الكفتين نخط تأويلاتنا
ديننا صريح العدل والميزان	هذا وقد أقررتم اننا بأي
أو ليس ذلك منطلق اليونان	وغدوتم فيه تلاميذاً لنا
لا تجحدونا منه الإحسان	منا تعلمتم ونحن شيوخكم
وسلوا القواعد ربة الأركان	فسلوا مباحثكم بسؤال تفهم
وعلى يدي من يا أولي النكران	من أين جاءتكم وأين أصولها
وأنتم مؤمنون ونحن متفقان	فلأي شيء نحن كفار

الشرح: يعني أن هؤلاء المتأخرين من الأشعرية لما فتحوا باب التأويل

للنصوص وحرّفوها عن مواضعها حتى توافق ما رأته عقولهم، هياؤا بذلك فرصة عظيمة لأهل النفاق والكذب من القرامطة الباطنية أن يستندوا بسنتهم في ذلك، فيجحدوا الحق المبين، ويسمو ذلك تأويلاً بلا فارق أصلاً بين تأويل هؤلاء وتأويل أولئك، فالكل صرف للألفاظ عن ظواهرها وحل لها على معان أخرى بمحض الهوى. فلو قدر أن أولئك المتأولين من الأشعرية لاموا هؤلاء الجناة من الباطنية على ما أوغلوا فيه من التأويل، لاستطاعوا إفحامهم بأننا تأولنا كما تأولتم، فنحن وأنتم في هذا الباب سواء، وإلا فدلونا على فارق يجعل التأويل حلالاً لكم وحراماً علينا، ونحن مستعدون أن نتحاكم نحن وأنتم إلى وزان يضع تأويلاتنا في كفة ويضع تأويلاتكم في الكفة الأخرى، وسترون حينئذ أن تأويلاتنا أرجح من تأويلاتكم، وأننا أولى بهذا الأمر منكم، لأننا أهل المنطق وأساتذته، وأما أنتم فتلاميذ لنا فيه، وهذا أمر تقررون به ولا تنكرونه، فنحن شيوخكم في المعقول، ومنا تعلمتم تركيب الأقيسة وفنون الحجاج، فمننا العلم الثاني الفارابي والشيخ الرئيس ابن سينا اللذان مهذا لَكُمْ سبيل هذا العلم وأحكام قواعده، وأنتم عالة عليها في كل ما تقررونه. وإن أبيتم إلا الإنكار فارجعوا إلى مباحثكم وأسألوها وإلى قواعدم فاستفتوها. وهي تنبئكم نأ صدق من أين جاءتكم وأين وجدتم أصولها، وعلى يدي من وصلتكم، حتى تقرروا لنا بالسبق في هذا المضمار والتفوق عليكم فيه.

وإذا تبين لكم هذا وتحققتموه، فنحن نسألکم لماذا أنتم مؤمنون ونحن كفار وطريقتنا واحدة والاتفاق بيننا قائم على :

★ ★ ★

لم تفض قط بنا إلى إيقان	أن النصوص أدلة لفظية
أيضاً كذاك فنحن مصطلحان	فلذاك حكمنا العقول وأنتم
حرب الحزوب ونحن كالأخوان	فلأي شيء قد رميتم بيننا
زول ونحن وأنتم صنوان	الأصل معقول ولفظ الوحي مع

لا بالنصوص نقول نحن وأنتم أيضاً كذلك فنحن مصطلحان

الشرح: إن النصوص من الكتاب والسنة لا تكفي في إفادة اليقين الذي لا بد منه في باب الإعتقاد، لأن دلالتها لفظية لا تفيد إلا الظن بسبب احتمالها للحقيقة والمجاز، ولهذا رأينا نحن وأنتم أن نجعل العقل أصلاً نحتكم إليه في هذا الباب، وجعلنا أحكامه قطعية لا تقبل النقض، وبهذا وقع الصلح بيننا وبينكم. فلماذا تهيجون بيننا وبينكم نار العداوة والخصام وما بيننا إلا الوفاق والوثام؟

★ ★ ★

ذاك العدو الثقل ذي الأضغان	فذرُوا عداوتنا فإن وراءنا
فجميعنا في حرهم سيان	فهم عدوكم وهم أعداؤنا
الله فوق جميع ذي الأكيوان	تلك المجسمة الألى قالوا بأن
وإليه ترقى روح ذي الإيمان	والية يصعد قولنا وفعالنا
وكذا ابن مريم مصعد الأبدان	وإليه قد عرج الرسول حقيقة
ق العرش قدرته بكل مكان	وكذلك قالوا أنه بالذات فو
نحو السماء فها هنا جهتان	وكذلك ينزل كل آخر ليلة
جسام اين الله من هذان	للابتداء والانتهاء وذان للأ
قام الكلام به فيا أخوان	وكذلك قالوا أنه متكلم
صوت فهذا ليس في الإمكان	أيكون ذاك بغير حرف أم بلا

الشرح: وإذا كان الأمر كذلك من الاتفاق بيننا وبينكم على خطة سواء تقوم على عزل النصوص والاستمسك بحجج العقل، فيجب أن لا يكون بيننا عداوة أصلاً، وأن نكون البأ واحداً في حرب هذا العدو المشترك الذي يحمل لنا كل ضغينة ويجاهرنا بالعداوة وهم هؤلاء الذين اصطلحنا نحن وأنتم على تسميتهم بالمجسمة لأنهم يشبتون الجهة لله فيقولون: إنه بذاته فوق خلقه استمسكاً بظاهر قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] وأن إليه تصعد الملائكة بأقوال العباد وأفعالهم كما قال سبحانه: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ

الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴿ [فاطر : ١٠] وأنها ترقى إليه بأرواح المؤمنين كما قال سبحانه ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ﴾ وأنها ترقى إليه بأرواح المؤمنين كما ورد بذلك الحديث الصحيح - وأن الرسول ﷺ قد عرج إليه ليلة الإسراء عروجاً حقيقياً حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى . وأن عيسى عليه السلام قد رفعه الله إليه ببدنه كما نطقت بذلك الآيات من سورتي النساء وآل عمران . وأنه سبحانه مع كونه فوق العرش بذاته فهو في كل مكان بقدرته وعلمه . ويقولون كذلك أنه ينزل آخر كل ليلة إلا السماء الدنيا نزولاً حقيقياً لورود الحديث الصحيح به مع ما يقتضيه ذلك من إثبات جهتين جهة ابتداء يبتدىء منها النزول ، وجهة انتهاء ينتهي إليها وذلك من خواص الأجسام ويقولون أنه متكلم بكلام قام بذاته ، وأن كلامه حروف وأصوات مسموعة إذ لا يعقل من الكلام إلا ذلك - والثقل بكسر الثاء أي الثقل ، والأضغان جمع ضغن وهو الحقد وقوله فهم عدوكم أي أعداؤكم ، ولفظ عدو يستعمل كثيراً في الجمع .

★ ★ ★

وكذلك قالوا ما حكينا عنهم	من قبل قول مشبه الرحمن
فذرنا الحراب لنا وشدوا كلنا	جمعاً عليهم حلة الفرسان
حتى نسوقهم بأجمعنا إلى	وسط العرين ممزقي اللحان
فلقد كوونا بالنصوص وما لنا	بلقائها أبد الزمان يدان
كم ذا يقال الله قال رسوله	من فوق أعناق لنا وبنان
إذ نحن قلنا قال أرسطو ذا المعد	لم أولاً أو قال ذاك الثاني
وكذاك إن قلنا ابن سينا قال ذا	أو قاله الرازي ذو التبيان
قالوا لنا قال الرسول وقال في القرآن كيف الدفع للقرآن	
وكذاك أنتم منهم أيضاً بهذا المنزل الضنك الذي تريان	
إن جئموهم بالعقول أتوكم	بالنص من أثر ومن قرآن

الشرح : وكذلك قالوا ما روينا عنهم قبلا من إثبات الوجه واليدين والعينين والقدم والساق والإصبع مما هو فينا أبعاض ، ومن اثبات الرضى والمحبة

والكراهية والمقت والغضب والضحك والعجب وغير ذلك مما هو فينا إعراض، فشبها الله بخلقه، ونحن وأنتم متفقون على إستحالة ثبوت هذه الصفات لله. فاتركوا إذن محاربتنا ولنحمل جميعاً عليهم حملة واحدة حتى ندعهم في الميدان أشلاء متناثرة ونشفي منهم غيظ قلوبنا، ونستريح من تطاولهم علينا بالنصوص التي طالما كوونا بها وجرعونا غصصها، وما لنا قدرة على مناجزتها وهم دائماً يهتمون في هذه النصوص ويعتصمون بها عند المصاولة ويشهرونها في وجوهنا سيوفاً مسلولة، فكلما قلنا لهم: قال رسطو الملقب عندنا بالمعلم الأول، أو قال الفارابي الذي هو المعلم الثاني، أو قال ابن سينا الذي لقبناه بالشيخ الرئيس، أو قال أبو عبد الله فخر الدين الرازي صاحب كتاب التبيان في تفسير القرآن، قابلونا بقولهم: قال الرسول كذا وقال الله في القرآن كذا، وهل نملك للقرآن دفعاً أو نستطيع له رداً، وكذلك حالكم معهم أيها المتأخرون من الأشاعرة فأنتم منهم كما نحن بأضيقت المنازل وأهونها. كلما جئتموهم بما تزعمون أنه مقررات العقول أتوكم بالنص الصريح من الكتاب والسنة. فلنتأزر نحن وأنتم في القضاء عليهم وتشيت جوعهم حتى تسلم لنا مناهجنا القائمة على العقل وحده الذي وثقنا نحن وأنتم فيه وارتضينا حكمه دون هذه النصوص التي لا تخلوا من إجمال واشتباه.

★ ★ ★

فتحالفوا إنا عليهم كلنا	حزب ونحن وأنتم سلمان
فإذا فرغنا منهم فخلافتنا	سهل فنحن وأنتم اخوان
فالعرش عند فريقنا وفريقكم	ما فوقه أحد بلا كتان
ما فوقه شيء سوى العدم الذي	لا شيء في الأعيان والأذهان
ما الله موجود هناك وإنما العدم	دم المحقق فوق ذي الأكوان
والله معدوم هناك حقيقة	بالذات عكس مقالة الديسان
هذا هو التوحيد عند فريقنا	وفريقكم وحقيقة العرفان
وكذا جاعتنا على التحقيق	في التوراة والإنجيل والفرقان

ليست كلام الله بل فيض من الفعال أو خلق من الأكوان
 فالأرض ما فيها له قول ولا فوق السما للخلق من ديان
 بشر أتى بالوحي وهو كلامه في ذاك نحن وأنتم مثلان
الشرح: فلنتحالف بيننا أن نكون عليهم حزباً واحداً، وأن يكون كل منا
 سلباً لصاحبه، فإذا فرغنا من قتالهم والقضاء عليهم، فإن ما بيننا من الخلاف هين
 بسيط، بل نحن في حقيقة الأمر أخوان متفقان في أكثر المبادئ والأحكام،
 فالعرش عند جماعتنا وجماعتكم (وهو الجسم المحيط بكرة العالم) ليس فوقه شيء
 اللهم إلا العدم المحض الذي ليس شيئاً موجوداً، لا في الأعيان ولا في الأذهان.
 بل ليس وراءه إلا العدم المحقق، فالله عندنا وعندكم ليس فوق العرش بذاته
 عكس ما يقوله الديبائية (الذين يقولون بأصلين نور وظلمة، وأن النور لم يزل
 يلقي الظلمة بأسفل صفحة منه، وأن الظلمة لم تنزل تلقاه بأعلى صفحة منها)
 وهذا هو عندنا وعندكم حقيقة التوحيد والمعرفة أن الله وجود مجرد بسيط لا
 تكثر فيه، ولا يقال فوق ولا تحت ولا داخل ولا خارج ولا يوصف بقرب ولا
 بعد ولا اتصال ولا انفصال، ولا يشار إليه ولا يصعد إليه شيء، ولا ينزل من
 عنده شيء وكذلك جماعتنا تقول في التوراة والإنجيل والقرآن أنها ليست كلام
 الله على الحقيقة، بل هي عندنا فيض من العقل الفعال الذي هو عقل القمر،
 وهو آخر العقول العشرة وأقربها إلى عالم العناصر، وهو المتصرف فيها بالكون
 والفساد، وهو الذي يفيض العلوم على البشر بحسب الاستعداد والتوجه كما
 يفيض الصور النوعية على المركبات، وهي عندكم كذلك من جملة المخلوقات،
 لأنها حروف وأصوات وألفاظ مكتوبات، فالاتفاق بيننا وبينكم قائم على نفي
 أن يكون لله كلام في الأرض، أو أن يكون بذاته على العرش، بل الذي نقرؤه
 بألسنتنا إنما هو كلام بشر أتى بالوحي وليس كلام الله، ونحن وأنتم في هذا
 مثلان (١).

★ ★ ★

(١) انظر كيف يعقد المؤلف هذا الشبه القوي بين الأشعرية المتأخرة وبين الفلاسفة رغم ما كانا
 يتظاهران به من عداة.

ولذا قلنا أن رؤيتنا له عين المحال وليس في الإمكان
وزعمتم أنا نراه رؤية المعدوم لا الموجود في البرهان
إذ كل مرئي يقوم بنفسه أو غيره لا بد في البرهان
من أن يقابل من يراه حقيقة من غير بعد مفرط وتدان
ولقد تساعدنا على إبطال ذا أنتم ونحن فما هنا قولان
أما البلية فهي قول مجسم قال القرآن بدا من الرحمن
هو قوله وكلامه منه بدا لفظاً ومعنى ليس يفرقان
سمع الأمين كلامه منه وأد اه إلى المختار من إنسان
فله الأداء كما الأدا لرسوله والقول قول الله ذي السلطان

الشرح: ولهذا الذي ذهبنا إليه نحن وأنتم من نفي الجهة وإنكار أن يكون الله فوق عرشه بذاته، قلنا أن رؤيتنا له التي وردت بها النصوص الصريحة من الكتاب والسنة مستحيلة غير ممكنة، وأما أنتم فلما لم تجربثوا على إنكار تلك النصوص أو تأويلها أثبتتم رؤية بلا جهة، وهي لا تليق إلا بالمعدوم دون الموجود في الأعيان، فإن البرهان قام على أن كل مرئي، سواء كان قائماً بنفسه، وهو ما لا يكون تحيزه تابعاً لتحيز غيره، أو كان قائماً بغيره، كالعرض لا بد أن يكون مقابلاً للرائي وفي جهة منه، وقد تظاهرننا نحن وأنتم على إبطال ذلك، أي الوجود في الجهة في حق الله تعالى، فقولنا في ذلك هو عين قولكم، لهذا حكمنا باستحالة الرؤية، والتزمت رؤية بلا جهة، فليس ثم خلاف بيننا وبينكم في هذه الأصول، أما المخالف لنا ولكم جميعاً فهو ذلك المجسم الذي يقول بأن القرآن كلام الله، لفظه ومعناه، منه بدأ وإليه يعود، فيثبت الحرف والصوت، ولا يفرق بين اللفظ والمعنى، ولا يقول أن اللفظ مخلوق، بل يقول أن القرآن كله، لفظه ومعناه، هو قول الله وكلامه، سمعه منه الأمين جبريل عليه السلام ثم أداه إلى سيد البشر ومختارهم محمد ﷺ كما سمعه، فليس لجبريل فيه إلا الأداء فقط، وكذلك الرسول عليه السلام أداه لأمته كما سمعه من جبريل، والقول قول الله في كل ذلك، لأن القول إنما ينسب إلى من قاله مبتدئاً لا إلى من بلغه مؤدياً. نعم قد

ينسب القرآن قولاً إلى كل من جبريل ومحمد عليهما السلام، ولكن باعتبار الأداء لا بمعنى الابتداء والإنشاء.

★ ★ ★

هذا الذي قلنا وأنتم أنه عين المحال وذاك ذو بطلان
فإذا تساعدنا جميعاً أنه ما بيننا لله من قرآن
إلا كبيت الله إضافة المخلد-وق لا الأوصاف للديان
فعلام هذا الحرب فيما بيننا مع ذا الوفاق ونحن مصطلحان
فإذا أبيتم سلمنا فتحيزوا لمقالة التجسيم بالأذعان
عودوا مجسمة وقولوا ديننا الـ أثبات دين مشبه الديان
أو لا فلا منا ولا منهم وذا شأن المنافق إذ له وجهان
هذا يقول مجسم وخصومه ترميه بالتعطيل والكفران
هو قائم هو قاعد هو جاحد هو مثبت تلقاه ذا ألوان
يوماً بتأويل يقول وتارة يسطو على التأويل بالنكران

الشرح: هذا الذي يقوله المجسم من إثبات الكلام اللفظي الذي هو حروف وأصوات مسموعة، ولا تكون إلا حادثة، لأن لها ابتداء وانتهاء، هو الذي قلنا نحن وأنتم أنه عين المحال لاستلزامه مشابهة الله لخلقه، وكونه محلاً للحوادث.

فإذا كنا قد اتفقنا نحن وأنتم على أن هذا المكتوب بين دفتي المصحف المقروء بألسنتنا المسموع بأذاننا ليس هو كلام الله، وأنه ليس لله في الأرض قرآن، وأن إضافته إلى الله تعالى كإضافة البيت والناقة وغيرها من الأعيان المخلوقة إليه، وليست إضافة صفة إلى موصوف، فعلام إذاً تناجزونا الحرب مع كل هذا الوفاق في معظم الأصول والقواعد الأساسية، فإذا أبيتم إلا حربنا وعداوتنا فانبذوا ما أنتم عليه مما توافقوننا فيه وانحازوا إلى مقالة التجسيم مدعين، وكونوا مع هؤلاء المجسمة المثبتين، وقولوا رضينا بالإثبات ديناً، وإلا فصرحوا بأنكم لستم منا ولا منهم، وأنكم كالشاة الحائرة بين الغنمين، شأن المنافق صاحب

الوجهين لا تثبتون على مبدأ، ولا يستقر لكم منهج، فنحن نقول عنكم مجسمة لاثباتكم بعض الصفات، وخصومنا يرمونكم بالتعطيل والجحود لنفيكم بعضها بلا فارق بين ما أثبتموه وما نفيتموه، فأنتم كقوس قزح تتعدد ألوانه، مرة تجحدون وأخرى تثبتون، لم تطردوا قاعدتكم في الجحد ولا قاعدتكم في الإثبات بل تفرقون بين المتماثلين وتسوون بين المختلفين، ومرة تؤولون وأخرى تحرمون التأويل وتسطون عليه بالإنكار.

والحق أن هذه الفرقة التي تسمى بالأشعرية، لا سيما المتأخرين منها، أشد الفرق حيرة واضطراباً وتذبذباً، بسبب أنهم أرادوا الجمع بين العقل والنص، فلا للنص نصروا، ولا لخصومهم من الفلاسفة والمعتزلة كسروا، لأنهم لما جاروا هؤلاء الخصوم في كثير مما ذهبوا إليه من النفي والتعطيل أعانواهم على أنفسهم، وأعطوهم سلاحاً يقابلونهم به كلما أرادوا "تعرض لهم، ومن يقرأ كتاب (تهافت التهافت) لابن رشد في الرد على كتاب تهافت الفلاسفة للغزالي، يظهر له جلياً كيف أعان هؤلاء الأشاعرة خصومهم على ضربهم في الصميم.

فصل

في المطالبة بالفرق بين ما يتأول وما لا يتأول

فنقول فرق بين ما أولته ومنعته تفريق ذي برهان
 فيقول ما يقضي إلى التجسيم أولناه من خبر ومن قرآن
 كالاستواء مع التكلم هكذا لفظ النزول كذاك لفظ يدان
 إذ هذه أوصاف جسم محدث لا ينبغي للعواحد المنان
 فنقول أنت وصفته أيضاً بما يفضي إلى التجسيم والحدثان
 فوصفته بالسمع والأبصار مع نفس الحياة وعلم ذي الأكوان
 ووصفته بمشيئة مع قدرة وكلامه النفسي وهو معان
 أو واحد والجسم حامل هذه الأ وصاف حقاً فئات بالفرقان

بين الذي يفضي إلى التجسيم أو لا يقتضيه بواضح البرهان
والله لو نشرت شيوذك كلهم لم يقدرُوا أبداً على الفرقان

الشرح: ونحن كذلك معشر أهل السنة والجماعة، نقول لهؤلاء النفاة من
الأشاعرة الذين يتأولون ما ورد من النصوص في الصفات الخبرية، ولكنهم
يمنعون التأويل لما أثبتوه مما يسمونه صفات عقلية، فنقول لهم فرقوا لنا ببرهان
صحيح مقبول بين ما أولتموه وبين ما منعتموه، فإن قالوا إن ما يوهم التجسيم
ويفضي إلى مشابهة الله بخلقه أولناه، وذلك كاستواء الله على العرش والتكلم
بالحرف والصوت والنزول إلى سماء الدنيا وإثبات اليد وغير ذلك من صفات
الأجسام المحدثة التي يجب تنزيه الله تعالى عنها.

قلنا لهم: وأنتم أيضاً وصفتموه بما يفضي إلى التجسيم والحدوث من السمع
والبصر والحياة والعلم والقدرة والمشية والكلام النفسي، سواء كان معنى واحداً
أو أكثر، فهذه كلها صفات الأجسام، ونحن لا نرى في الشاهد موصوفاً بها إلا
الجسم، وبذلك بطل ما ادعيتموه من الفرق بين ما أثبتتموه وبين ما نفيتموه،
ونحن نطالبكم أن تأتوننا بدليل واضح على الفرق بين ما يفضي إلى التجسيم وبين
ما لا يوجبه ويقتضيه في زعمكم، ولن تستطيعوا ذلك أبداً، ولا حتى شيوذك
لو أقامهم الله من قبورهم، فإنهم لا يقدرُونَ على الإتيان بذلك الفرقان.

فصل

في ذكر فرق لهم آخر وبيان بطلانه

فلذاك قال زعيمهم في نفسه فرقاً سوى هذا الذي تريان
هذي الصفات عقولنا دلت على إثباتها مع ظاهر القرآن
فلذاك صنأها عن التأويل فأعجب يا أبا التحقيق والعرفان
كيف اعتراف القوم أن عقولهم دلت على التجسيم بالبرهان

فيقال هل في العقل تجسيم أم المعقول نفيه كذا النقصان
إن قلم نفيه فانفوا هذه لأً وصاف وانسلخوا من القرآن
أو قلم نقضي بإثبات له ففراركم منها لأي معان
أو قلم نفيه في وصف ولا نفيه في وصف بلا برهان
فيقال ما الفرقان بينها وما الـ برهان فاتوا الآن بالفرقان

الشرح: لما طالبناهم بتحقيق الفرق بين هذا الذي أثبتوه من صفات المعاني
وبين ما نفوه من الصفات الخبرية، أجابوا أولاً بأن هذه الأخيرة مفضية إلى
التجسيم والحدوث بخلاف الأولى فإنها لا تقتضيه، ولما بينا لهم أن هذا الفرق غير
سديد، لأن كلاً مما أثبتوه وما نفوه هو الشاهد من صفات الأجسام، فإثبات
أحدهما موجب لإثبات الآخر، ونفيه موجب لنفي الآخر لجأوا إلى فرق آخر،
وهو أن هذه الصفات السبع إنما أثبتناها بالعقل، فإن وجود المخلوقات دل على
القدرة، وما فيها من التخصيصات دل على الإرادة، والإتقان في الصنعة دل على
العلم والسمع والبصر، وهذه الخمس تدل على الحياة مع ظاهر القرآن، فلذلك
صناها عن التأويل، بخلاف الصفات الأخرى فإنها لم تثبت بالعقل، فاضطررنا
إلى تأويل الظواهر الواردة فيها.

فأعجب لهذا الاعتراف منهم على أنفسهم بأن عقولهم دلت على التجسيم
بالبرهان وحينئذ يقال لهم إن كان في العقل ما يدل على نفي التجسيم وأتم تنفونه
غاية النفي فيلزمكم نفي ما أثبتموه من الصفات السبع، وموافقة الجهمية في
التعطيل التام وإن كان فيه ما يقتضي التجسيم ويدل على ثبوته، فلأي شيء
تفرون من إثبات ما وردت به النصوص من الكتاب والسنة، وإن قلم نفيه في
بعض الأوصاف دون بعض فاذكروا لنا الفرق بينها ويلزمكم الإتيان ببرهان
صحيح على هذا الفرق حتى يمكن قبول دعواكم فيه.

والحاصل أنه لا مخلص لهم من اختيار واحد من هذه الوجوه الثلاثة فيلزمهم
حينئذ لازمه المترتب عليه.

ويقال قد شهد العيان بأنه ذو حكمة وعناية وحنان
مع رأفة ومحبة لعباده أهل الوفاء وتابعي القرآن
ولذاك خصوا بالكرامة دون أعداء الاله وشيعة الكفران
وهو الدليل لنا على غضب وبغض منه مع مقت لذي العصيان
والنص جاء بهذه الأوصاف مع مثل الصفات السبع في القرآن
ويقال سلمنا بأن العقل لا يفضي إليها فهي في الفرقان
أفني آحاد الدليل يكون للمدلول نفياً يا أولي العرفان
أو نفي مطلقه يدل على انتفاء المدلولون في عقل وفي قرآن
أبعد ذا الإنصاف ويحكم سوى محض العناد ونخوة الشيطان
وتحيز منكم إليهم لا إلى القرآن والآثار والإيمان

الشرح: ويقال لهم ونحن أيضاً نثبت هذه الصفات الخيرية بمثل ما أثبت به
هذه السبع، ونقول أن العقل دل على ثبوتها لله، فإن نفع العباد بالإحسان إليهم
يدل على الرحمة وإكرام الطائعين بأنواع الكرامة في الدنيا والآخرة يدل على
المحبة وعقاب الكافرين وإهانتهم يدل على البغض والغضب والمقت والغايات
المحمودة في مفعولاته ومأموراته تدل على الحكمة وهكذا، والنص أيضاً جاء بها
صريحاً كما جاء بالصفات السبع وبذلك تكون ثابتة مثلها بالنص والعقل معاً فلا
فرق.

ويقال لهم كذلك سلمنا أن العقل لا يدل على ثبوت هذه الصفات، فإن
ذلك لا يستلزم نفيها فإن عدم الدليل المعين لا يستلزم عدم المدلول المعين.
وكذلك نفي مطلق الدليل لا يدل على انتفاء المدلول لا في العقل ولا في الشرع،
بل لا بد للنافي من أن يأتي بالدليل على النفي كالمثبت سواء بسواء. وهذه
الأمر ثابتة بالسمع الذي لم يعارضه معارض لا سمعي ولا عقلي، فيجب إثبات
ما أثبتته الدليل السالم عن المعارض المقاوم.

وهكذا ينهج المؤلف رحمه الله مع هؤلاء الخصوم خطة القصد والانصاف بلا
شطط ولا اعتساف، ولهذا يقول لهم ليس وراء رفضكم لهذه الخطة إلا محض

المكابرة والعناد وحيثكم لمذاهبكم الباطلة حية الجاهلية وانضمامكم إلى فئة الشيطان دون معسكر القرآن والآثار والإيمان.

فصل

في بيان مخالفة طريقهم لطريق أهل الاستقامة عقلاً ونقلًا

واعلم بأن طريقهم عكس الطر
جعلوا كلام شيوخهم نصاً له الأ
وكلام بارئهم وقول رسولهم
فتولدت من ذينك الأصليين أو
إذ من سفاح لا نكاح كونها
عرضوا النصوص على كلام شيوخهم
والعزل والإبقاء مرجعه إلى ال
وكذلك أقوال الشيوخ فإنها لم ي
إن وافق قول الشيوخ فمرحبا أو خالفت فالدفع بالإحسان
أما بتأويل فإن أعياف تفويض وتركها لقول فلان

الشرح: وطريقة هؤلاء في باب الاعتقاد طريقة عوجاء مائلة عن طريق أهل
القصد والاستقامة فهم بدلاً من أن يجعلوا النص أصلاً محكماً ويردوا إليه ما
تنازعوا فيه، ويزنوا به أقوال الناس عكسوا القضية فجعلوا كلام شيوخهم هو
النص المحكم وجعلوه هو الميزان الذي يزنون به نصوص السنة والقرآن وجعلوا
كلام الله وكلام رسوله ﷺ مجملًا متشابهًا محتملاً لأكثر من معنى، وتولد عن
هذين الأصليين الفاسدين أسوأ النتائج، فمنها أنهم يجعلون كلام شيوخهم هو
صاحب السلطان في الإبقاء على ما يشاء من النصوص وعزل ما يشاء شأن القائد
مع جيشه والحاكم مع رعيته فهو يتصرف فيها بما يشاء.

ومنها أنهم يجعلون أقوال الشيوخ هي الميزان الذي توزن به النصوص من السنة والقرآن، فإن وافقته فيها ونعمت وإن خالفته وجب دفعها، أما بتأويلها بما يتفق مع أقوال هؤلاء الشيوخ، وأما بتفويضها وتركها ألفاظاً بلا معنى من أجل قول فلان وفلان فما أسوأ ما رضوا لأنفسهم أن يستبدلوا بكلام الله وكلام رسوله كلاماً عامتاً خلط وهذيان.

وقوله له الأحكام بكسر الهمزة أي جعلوه هو المحكم والنصان يعني السنة والقرآن. وقوله أولاد فاعل تولدت وللغي يعني لغير رشدة.

★ ★ ★

فظواهر المنقول ذات معان	إذ قوله نص لدينا محكم
وبجاله ما حيلة العميان	والنص فهو به علم دوننا
حتى يقودهم كذي الأرسان	إلا تمسكهم بأيدي مبصر
كون المقلد صاحب البرهان	فاعجب لعميان البصائر أبصروا
ه بغير ما بصر ولا برهان	ورأوه بالتقليد أولى من سوا
معناها عجباً لذي الحرمان	وعموا عن الوحيين إذا لم يفهموا
قول الشيوخ أتم تبياناً	من الوحيين لا والواحد الرحمن
ذي عصمة في غاية التبيان	النقل نقل صادق والقول من
يك قول معصوم وذي تبيان	وسواه إما كاذب أو صح لم
والله لا يتأثر النقلان	أفيستوي النقلان يا أهل النهى

الشرح: يعني أنهم يتركون النصوص لقول فلان من الناس، لأن قوله في نظرهم نص محكم لا اشتباه فيه ولا يحتمل أكثر من معنى. أما ظواهر النصوص فهي متشابهة محتملة لمعان عدة. ولأنه من جهة أخرى أعلم بالنصوص وبجالتها منهم، فهم لا يعرفون تفسيرها إلا من جهته، ولا ينظرون فيها إلا بعينه. كالعميان في حاجتهم إلى قائد بصير يقودهم قود الدواب ذوات الأرسان، ولكن العجب من هؤلاء العميان كيف أبصروا أن مقلدهم ومتبوعهم هو

صاحب البرهان وكيف آثروا كلامه على كلام غيره بمجرد التقليد من غير برهان في الوقت الذي عموا فيه عن الوحيين ولم يروا أنفسهم أهلاً للنظر فيها، فإيا له من حرمان أن يجعل قول الشيوخ أم بياناً من الوحيين، فهم إذا سئلوا عن شيء منها أظهروا الحذق والمهارة في فهمه وتقريره بحيث لا يخفي عليهم موضع حرف منه، ولكنهم إذا سئلوا عن معنى آية أو حديث استعظموا ذلك واستهولوه واكتفوا بذكر ما يحفظونه من كلام شيوخهم فيه. فلا والله الواحد الرحمن لا يكون كلام شيوخهم أبداً أم بياناً ولا أوضح دلالة من الوحيين، لا من جهة سنده ولا متنته، فإن النقل فيها نقل صادق قام به أئمة عدول وجهابذة ثقات، والقول هو قول المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، والذي هو أعلم الناس بما يقول، وأقدرهم على الأداء والبيان وأما ما سواهما من قول سائر الناس فلا يخلو إما أن يكون كاذباً من جهة النقل، أو قاصراً على إفادة المطلوب أو محتملاً للخطأ، فلا يمكن أن يستوي النقلان أبداً عند ذوي الأبواب. والأرسان جمع رسن وهو الحبل المعروف الذي تشد به الدابة.

★ ★ ★

في الله نحن لأجله خصمان	هذا الذي ألقى العداوة بيننا
لكن نصرنا موجب القرآن	نصروا الضلالة من سفاهة رأيهم
رجلان مناقط يلتقيان	ولنا سلوك ضد مسلكهم فما
دانوا من الآراء والبهتان	إننا أبينا أن ندين بما به
يكفي الرسول ومحكم الفرقان	إننا عزلناها ولم نعبأ بها
ه الله شر حوادث الأزمان	من لم يكن يكفيه ذان فلا كفا
ه الله في قلب ولا أبدان	من لم يكن يشفيه ذان فلا شفا
العرش بالإعدام والحرمان	من لم يكن يغنيه ذان رماه رب
ه الله سبيل الحق والإيمان	من لم يكن يهديه ذان فلا هدا

الشرح: يعني أن انتصار هؤلاء لأقوال شيوخهم وتقديمهم إياها على الكتاب

والسنة دون ان يخلوا بها هو الذي أرث بيننا وبينهم العداوة وجعلنا خصمين في الله لا يلتقيان وكيف يلتقي من كان مشايحاً للضلالة سفاهاً وجهلاً، ومن كان ناصراً لمقتضى القرآن، كيف يلتقي منهجنا ومنهجهم وهما ضدان لا يجتمعان. فنحن نأبى أن ندين بما يدينون به من الآراء الضالة والقضايا الفاسدة فهي عندنا بمعزل عن مكان القدوة والاعتبار، ولا نراها أهلاً لأن نجعل فيها الأذهان والأفكار، بل كفايتنا في ذلك القرآن والآثار، فإن من لم يكتف بها في دينه وعقيدته فلا كفاه الله أبداً ما يلقي من زمانه من خطوب وأرزاء، ومن لم يجد فيها شفاء قلبه وعقله فلا برئت له علة ولا انحسم له داء، ومن لم يجد فيها الغني كل الغنى عما عداها ضربه الله بالعدم والإملاق وجعل الفقر لازماً له أبد الدهر. ومن لم يجد فيها الهدى كل الهدى، فلا ذاق طعم الهداية أبداً إلى طريق الحق والإيمان.

إن الكلام مع الكبار وليس مع	تلك الأراذل سفلة الحيوان
أوساخ هذا الخلق بل أنتاناه	جيف الوجود أخبث الإنسان
الطالبين دماء أهل العلم بالكفران والعدوان والبهتان	للسنة العليا مع القرآن
الشامي أهل الحديث عداوة	فالله يقطعها من الأذقان
جعلوا مسبتهم طعام حلوقهم	وتجاوزاً لمراتب الإنسان
كبراً وإعجاباً وتيهاً زائداً	كنا حملنا راية الشكران
لو كان هذا من وراء كفاية	عن رتبة الإيمان والإحسان
لكنه من خلف كل تخلف	

الشرح: إن كلامنا ومناظراتنا في قضايا العقيدة الكبرى إنما نتوجه بها إلى رؤساء القوم والمتصدرين منهم لنصرة هذه المذاهب الباطلة، ولسنا نعني بها أولئك الأخساء الأرزال الذين هم شر الدواب الصم البكم الذين لا يعقلون، بل هم أقدار هذا الوجود وجيفه وأخبائه، فقد انطوت نفوسهم على الحقد القاتل

والعداوة للددود لأهل العلم والإيمان، يودون لو خلت منهم الدنيا حتى يستريحوا من استطالتهم عليهم بالآثار والقرآن، فهم يطلبون دماءهم، ويسعون في الإيقاع بهم لا بالحق والعدل بل بالكفر والعدوان، وبما يرمونهم به من البهتان، وهم مع ذلك قد بسطوا أيهم ألسنتهم بالسوء، عداوة منهم للسنة والقرآن، وجعلوا سبابهم مضغ أفواههم وطعام حلوقهم وقربتهم التي يتقربون إلى الله بها. وليتهم فعلوا ذلك عن جدارة وكفاية، وكان عندهم من العلم والمعرفة ما يؤهلهم للنزول في مضمار الخصومة والجري في حلبتها، إذاً لعرفنا لهم حقهم وشكرنا لهم هذه الهمة في المنازلة والدفاع، ولكنهم لا يصدرن في ذلك إلا عن كبر في صدورهم ما هم ببالغيه، وإعجاب منهم بأرائهم الضالة، وزيادة تيه وعدم معرفة منهم بأقدارهم صلفاً وغروراً، وهم مع ذلك متخلفون أشد التخلف، قاصرون كل القصور عن أقل درجات الإيمان والإحسان.

ولا يعجبن القارىء من وصف الشيخ رحمه الله لهؤلاء الجامدين المتعصبين بما وصفهم به، فإنهم طالما عادوه وعادوا شيخه شيخ الإسلام وحجة الدهر ابن تيمية رحمه الله ورضي عنه، ورموها بكل نقيصة من الضلال والإضلال والكفر والإلحاد، الخ ما يشتمل عليه قاموس المطاعن والمفتريات، واليك نموذجاً واحداً مما يقوله التقي السبكي في العلامة ابن القيم خلال رده الهزيل المتهافت على تلك النونية العصماء. فقد قال عند تعليقه على قول الناظم في شأن إمام الحرمين الجويني:

(ولقد وجدت لفاضل منهم مقاماً قامه في الناس منذ زمان الخ)

« فانظر أن مالكا رضي الله عنه - وناهيك به - قد فسر الحديث بما قال هذا المتخلف النحس أنه الحاد، فهو الملحد عليه لعنة الله ما أوقحه وما أكثر تجراه؟ أخزاه الله. »

ثم يعلق على تلك العبارات البشعة التي تدل على قدارة قائلها وخلوه من كل

معاني الأدب والإيمان. تلميذه ومشايعه في الجهل والضلال المدعو زاهد الكوثري، فيقول في تكملته:

« ترى المؤلف على ورعه البالغ يستنزل اللعنات على الناظم في كثير من مواضع هذا الكتاب، وهو يستحق تلك اللعنات من حيث خروجه على معتقد المسلمين بتلك المخازي لكن الخاتمة مجهولة، فالأولى كف اللسان الآن عن اللعن ».

وأما استنزال المؤلف اللعنة عليه فكان في حياة الناظم، وهو يمضي على زيغه وإضلاله، عامله الله بعدله، وإنما قدمت لك هذه الصورة لترى في أي جو خانق مظلم مليء بأنواع الكيد والأذى كان يعيش المؤلف وشيخه وغيرها من أئمة السنة والحديث، رحمهم الله ورضي عنهم أجمعين.

★ ★ ★

من لي بشبه خوارج قد كفروا بالذنب تأويلاً بلا إحسان
ولهم نصوص قصروا في فهمها فأتوا من التقصير في العرفان
وخصومنا قد كفرونا بالذي هو غاية التوحيد والإيمان

الشرح: إذا قلت من لي بفلان كان معنى هذا التعبير أنك تطلب من يكتفيكه ويريحك منه، فالمؤلف يود لو أن له بهؤلاء الجاهلين قوة، ويرميهم بشبه الخوارج في تكفيرهم بالذنب بلا إحسان في التأويل، وباستمسكهم بنصوص قصروا عن فهمها فضلوا بها عن سواء السبيل. وخصومنا كذلك، بل هم شر من الخوارج، فإنهم ما كفرونا بذنوب ارتكباها، ولكن كفرونا بما هو غاية التوحيد والإيمان، وهذا أعظم الجهل ومنتهى الخذلان أو يوصف التوحيد منا بالشرك، والإيمان منا بالكفران. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

والمراد بعدم الإحسان في التأويل هو التمسك ببعض المتشابه من الآيات من غير ردها إلى المحكم الذي يوضح المراد منها. وقوله: فأتوا من التقصير في

العرفان معناه أن تقصيرهم في فهم النصوص ومعرفة المراد بها كان هو سبب
فتنتهم وضلالهم.

★ ★ ★

فصل في بيان كذبهم ورميهم أهل الحق بأنهم أشباه الخوارج وبيان شبههم المحقق بالخوارج

ومن العجائب أنهم قالوا لمن
أنتم بهذا مثل الخوارج أنهم
فانظر إلى ذا ألبهت هذا وصفهم
سلوا على سنن الرسول وحزبه
خرجوا عليهم مثل ما خرج الالى
والله ما كان الخوارج هكذا
كفرتم أصحاب سنته وهم
إن قلت هم خير وأهدى منكم
شتان بين مكفر بالسنة العليا وبين مكفر العصيان

قد دان بالآثار والقرآن
أخذوا الظواهر ما اهدوا لمعان
نسبوا إليه شيعة الإيمان
سيفين سيف يد وسيف لسان
من قبلهم بالبغي والعدوان
وهم البغاة أئمة الطغيان
فساق ملته فمن يلحاني
والله ما الفتان مستويان

الشرح: والعجيب من أمر هؤلاء المنحرفين عن طريق الكتاب والسنة أنهم
يعيرون على من قد دان بها ووقف عند نصوصها من غير تحريف لها ولا تأويل
متكلف لشيء منها، ويشبهونه في ذلك بالخوارج الذين كانوا يأخذون بظواهر
النصوص من غير فهم لمعانيها. وهذا بهت منهم لأهل السنة والحديث، حيث
رموهم بما هم منه براء^(١) بل هم في الحقيقة أولى بهذا الوصف الذي نسبوه لهم إليه

(١) إن موقف السلف من النصوص وموقف الخوارج منها جد مختلفين، فإن الخوارج كما ذكرنا
يتشبثون ببعض التشابه من غير فهم له ولا رجوع إلى المحكم الذي يفسره، ويضربون كتاب
الله بعضه ببعض ولا يقيمون للسنة وزنا وهي التي جعلها الله بيانا للكتاب.

على حد المثل القائل (رمتني بدائها وانسلت) فهم يشبهون الخوارج في عداوتهم للسنن وأهلها، فلا شيء أبغض اليهم من ذكر الآثار التي تصادم مذاهبهم في التعطيل، ولهذا تراهم يكرون عليها بالإبطال والتأويل والتهوين من شأنها، ويسلون على روايتها والتمسكين بها سيوف البغي والعدوان، مرة باليد ومرة باللسان، فهم أحقاء بأن يسموا بالخوارج البغاة لخروجهم على السنة وأهلها ومعاداتهم لها. كما خرج الذين من قبلهم على أئمة الحق بالبغي والعدوان بل لو حققت الأمر عليهم لوجدتهم شراً من الخوارج حالاً وأصل سبيلاً، فإن الخوارج إنما كفروا فساق ملته عليه الصلاة والسلام. وأما هؤلاء فيكفرون أصحاب سنته، فمن يلومنا إذا، إذا نحن قلنا أن الخوارج خير منهم حالاً وأهدى سبيلاً، وإذا نحن أقسمنا بأن الفئتين لا تستويان، وهل يستوي مكفر بالسنة العليا ومكفر بالفسق والعصيان فستان ما بينها شتان.

★ ★ ★

قلتم تأولنا كذاك تأولوا وكلاهما فئتان باغيتان
ولكم عليهم ميزة التعطيل والتحريف والتبديل والبهتان
ولهم عليكم ميزة الإثبات والتصديق مع خوف من الرحمن
ألكم على تأويلكم أجران إذ لهم على تأويلهم وزران
حاشا رسول الله من ذا الحكم بل أنتم وهم في حكمه سيان
وكلاهما للنص فهو مخالف هذا وبينكما من الفرقان
هم خالفوا نصاً لنص مثله لم يفهموا التوفيق بالإحسان
لكنكم خالفتم المنصوص للشبه التي هي فكرة الإذهان
فلأي شيء أنتم خير وأقرب منهم للحق والإيمان
هم قدموا المفهوم من لفظ الكتاب على الحديث الموجب التبيان
لكنكم قدمتمو رأي الرجا ل عليهما أفأنتما عدلان
أم هم إلى الإسلام أقرب منكم لاح الصباح لمن له عينان

الشرح: فإن قلت معتذرين عن تكفيركم لأهل السنة والحديث واستحلالكم لدمائهم وأعراضهم أنا متأولون في ذلك فالخوارج كذلك كانوا متأولين في تكفيرهم لمن خالفهم من المسلمين. ومع اشتراككم في البغي والعدوان والخطأ في التأويل فإنكم تنفردون عنهم بقبائح، منها البهتان والتعطيل، والتحريف والتبديل، وهم ينفردون عنكم بمحاسن، منها الإثبات والتصديق، والخوف من الرب الجليل فماذا يكون لكم على تأويلكم أجران، ويكون لهم على تأويلهم وزران. فإذا كان الرسول ﷺ قد حكم عليهم بالمروق من الإسلام لتكفيرهم متأولين أهل الإيمان فأنتم وهم في حكمه سيان.

ومع اشتراككم كذلك في مخالفة النصوص إلا أن هناك فرقاً بينكم وبينهم من جهتين تجعلانهم خيراً وأقرب إلى الحق منكم، الجهة الأولى أنهم يخالفون النص لتمسكهم بنص آخر معارض له في الظاهر، ولم يفهموا طريق الاحسان في التوفيق بينها ولكنكم أنتم تخالفون النصوص لما تسمونه عندكم شبهات عقلية ترون تقديمها على موجب النص لأنها في زعمكم قواطع تفيد اليقين، والجهة الثانية أنهم يقدمون ما يفهم من ظاهر الآيات على الأحاديث المبينة لها، وأما أنتم فتقدمون آراء شيوخكم ومتبوعيكم على ما يدل عليه الكتاب والسنة جميعاً، فهل أنتم وهم بعد هذا الفرق البين عدلان أم هم أقرب منكم إلى الإسلام والإيمان لقد وضح الصبح لمن له عينان.

★ ★ ★

والله يحكم بينكم يوم الجزا	بالعدل والإنصاف والميزان
هذا ونحن فمنهم بل منكم	برآء إلا من هدى وبيان
فاسمع إذا قول الخوارج ثم قو	ل خصومنا واحكم بلا ميلان
من ذا الذي منا إذا أشباههم	إن كنت ذا علم وذا عرفان
قال الخوارج للرسول اعدل فلم	تعدل وما ذي قسمة الديان
وكذلك الجهمي قال نظير ذا	لكنه قد زاد في الطغيان

قال الصواب بأنه استولى فلم
وكذلك ينزل أمره سبحانه
ماذا بعدل في العبارة وهي مو
وكذاك قلت بأن ربك في السما
كأن الصواب بأن يقال بأنه
وكذاك قلت اليه يعرج والصوا

قلت استوى وعدلت عن تبيان
لم قلت ينزل صاحب الغفران
همة التحرك وانتقال مكان
أوهمت حيز خالق الأكوان
فوق السما سلطان ذي السلطان
ب إلى كرامة ربنا المنان

الشرح: بعد أن حكم الشيخ المؤلف بأن الخوارج خير وأقرب إلى الإسلام
من هؤلاء وكل أمرهم جميعاً إلى الله الذي له الحكم وحده واليه يرجعون يوم
الجزاء فيجازي كلاً منهم بما يستحقه في قانون العدل الإلهي والقسطاس المستقيم
الذي لا تغيب عنه ذرة، ثم أعلن براءة أهل السنة من الفريقين جميعاً إلا مما
يوجد عندهم من الهدى والبيان، ثم عقد هذه المقارنة الرائعة بين الخوارج وبين
هؤلاء الخصوم ومنها يتبين جلياً أنهم هم أشباه الخوارج عند كل من له علم
ومعرفة بأراء الفريقين.

فالخوارج قالوا للرسول ﷺ على لسان زعيمهم ذي الخويصرة التميمي: يا
رسول الله اعدل فإنك لم تعدل، وقالوا عن قسمته هذه قسمة ما أريد بها وجه
الله.

وكذلك الجهمي المعطل قال مثل ذلك وزاد عليه، فلم يعجبه قول الرسول أن
ربه استوى على العرش، وقال بل صوابه استولى وعاب على الرسول أنه عدل عن
هذا اللفظ الصريح إلى ذلك اللفظ الموهم للعلو والإرتفاع، وكذلك لم يعجبه قول
الرسول ينزل ربنا، فقال بل الصواب ينزل أمر ربنا، واتهمه بعدم العدل في هذه
العبارة التي توهم جواز الحركة على الله والانتقال من مكان إلى مكان، وكذلك
لم يرض قوله أن الله في السماء لأن ذلك يوهم الحيز والجهة وهما عنده مستحيلان
على الله والصواب عنده ان يقال فوق السماء سلطانه لا ذاته.

وينكر الجهمي كذلك ان يقال أن الملائكة والروح تعرج اليه إذ هو لا يؤمن

بإله فوق العرش، فكيف يصعد إليه شيء، والصواب عنده ان يقال تعرج إلى محل كرامته ونحو ذلك، والخلاصة أن كلاً من الخوارج والجهمية اتهموا الرسول ﷺ بعدم العدل إلا أن الأولين اتهموه بذلك في قسمة الأموال والجهمية اتهموه بعدم العدل في المقال.

★ ★ ★

وكذاك قلت بأن منه ينزل القد
كان الصواب بأن يقال نزوله
وتقول أين الله ذاك الأين ممتنع
لو قلت من كان الصواب كما ترى
وتقول اللهم أنت الشاهد الأ
نحو السماء وما اشارتنا له
والله ما ندري الذي نبديه في
قلنا لهم ان السما هي قبلة الد
قالوا لنا هذا دليل أنه
فالناس طرا انما يدعونه
لا يسألون القبلة العليا ولـ
قالوا وما كانت اشارته الى
أتراه أمسى للسما مستشهدا

رآن تنزيلا من الرحمن
من لوحه او من محل ثان
ع عليه وليس في الامكان
في القبر يسأل ذلك الملكان
على تشير بأصبع وبنان
حسية بل تلك في الأذهان
هذا من التأويل للأخوان
اعى كبيت الله ذي الأركان
فوق السماء بأوضح البرهان
من فوق هذي فطرة الرحمن
كن يسألون الرب ذا الاحسان
غير الشهيد منزل الفرقان
حاشاه من تحريف ذي البهتان

الشرح: والجهمي لا يرضى كذلك قول الرسول ﷺ أن القرآن منزل من عند الله لأن من تفيد جهة الابتداء وهذا يقتضي أن الله في السماء ويقول ان الصواب أن يقال ان نزوله من اللوح المحفوظ أو في محل آخر كأن يخلق الله كلاما في الهواء فيسمعه جبريل عليه السلام وينزل به، كما قالوا مثل ذلك في تكليمه تعالى لموسى عليه السلام أنه خلق كلاما في الشجرة سمعه موسى ونحو ذلك وكذلك يعيظ الجهمي أشد الغيظ ويكوى قلبه بنار الحقد أن يسأل الرسول

ﷺ عن ربه بلفظ الأين، كما وقع في سؤاله للجارية التي كان يمتحنها، ولما
 قالت في السماء حكم بإيمانها، ويقول الجهمي ان الأين وهو سؤال عن المكان
 ممتنع على الله وليس في الامكان. فكيف يليق أن يسأل عنه رسوله بما هو ممتنع
 عايه، فالرسول في نظر الجهمي قد جار في هذه العبارة وما عدل، وكان
 بصواب عنده أن يقول لها من الله؟ كما يقع من الملكين عند السؤال في القبر،
 ولا يستريح الجهمي كذلك الى ما وردت به الأخبار الصحيحة من أن الرسول
 ﷺ في خطبته يوم عرفة في حجة الوداع وفي أعظم مجمع للمسلمين كان يشير
 بأصبعه الى السماء يشهد الله عز وجل على البلاغ والأداء قائلًا « اللهم فاشهد »
 لأن تلك الاشارة الحسية عند ذلك الجهمي ممتنعة على الله لاقتضائها الجهة، فهو
 عنده لا يقبل الا الاشارة الذهنية العقلية، ويحار الجهمي أشد الحيرة في تفسير
 هذه الأمور، ولا يدري ماذا يقول في تأويلها، فان قال ان الأكف والأبصار انما
 ترفع الى السماء لأنها قبلة الدعاء كما يتوجه المصلي قبل البيت. قيل له: وهذا
 أيضاً أوضح دليل على ان الله في السماء، فان الناس يتوجهون بالفطرة في دعائهم
 اليها حتى من لا يعرف أن الشرع أمر به، والناس طبعاً في توجههم نحو السماء لا
 يسألونها هي قضاء حوائجهم، ولكن يسألون الرب صاحب الفضل والاحسان
 جل شأنه. والرسول كان يشير بأصبعه الى السماء لم يكن يطلب شهادتها هي على
 ما قام به من البلاغ والأداء، وانما كان يشهد رب السماء الذي هو الشهيد المطلع
 على عمله كله، والذي هو منزل الفرقان ولو كره ذلك المحرفون الجهلاء.

★ ★ ★

وكلامه المسموع بالآذان	وكذاك قلت بأنه متكلم
سمع النداء في الجنة الأبوان	نادى الكلم بنفسه وكذاك قد
بالصوت يسمع صوته الثقلان	وكذا ينادي الخلق يوم معادهم
لوم من العبد الظلوم الجاني	أني أنا الديان آخذ حق مظ
وكذا يقول وليس في الامكان	وتقول ان الله قال وقائل

قول بلا حرف ولا صوت يرى من غير ما شفة وغير لسان
أوقعت في التشبيه والتجسيم من لم ينف ما قد قلت في الرحمن

الشرح: وكذلك يسوء الجهمي ويخزيه ويأتي على تعطيله من القواعد وصف
الرسول ﷺ لربه بأنه متكلم، بمعنى ان الكلام قائم به لا بمعنى أنه مخلوق له،
وقوله: ان كلامه حروف وأصوات مسموعة بالآذان، فهو الذي نادى بنفسه
الكليم موسى بن عمران بنداء سمعه موسى عليه السلام، كما قال تعالى ﴿وَإِذْ
نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ أَنْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الشعراء: ١٠] وكما قال
﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢].

وهو سبحانه الذي نادى آدم وحواء حين أكلا من الشجرة ووقعا في الخطيئة
معاتبا لهما على عصيانها أمره ونسيانها تحذيره لهما من عداوة الشيطان، كما قال
تعالى: ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلُّ لَكُمَا إِنَّ
الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [الأعراف: ٢٢].

وهو سبحانه ينادي عباده يوم القيامة بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من
قرب ويقول: «أنا الديان لا ظم اليوم». كما ورد بذلك الحديث.

وهو سبحانه موصوف بأنه قال في الماضي وقائل في الحال، ويقول في
المستقبل فالقول ثابت له بكل صيغ الاشتقاق، ولا يعقل قول بلا حروف
وأصوات.

فهذا كله مما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام، يراه الجهمي جوراً في
العبارة مجانباً للصواب في التنزيه وموقعاً لمن لا علم له بنفيه عن الرحمن في التجسيم
والتشبيه.

والثقلان الانس والجن، والديان صيغة مبالغة من دانه بمعنى جازاه، وقوله
قول بلا حروف الخ، هو اسم ليس في البيت قبله.

بإشارة حسيّة بينان
 قد صرحت بالفوق للديان
 فينا ولا هو خارج الأكوان
 كانوا لنا اسرى عبيد هوان
 شاؤوا لنا منهم أشد طعان
 يرموننا غرضاً بكل مكان
 ما كان يوجد بيننا رجفان
 ذات الصدور يغل بالكتان
 صفحات أوجههم يرى بعيان
 وتلوت شاهده من القرآن
 تلك الوجوه كثيرة الألوان
 من قابل فتراه ذا كتمان

لو لم تقل فوق السماء ولم تشر
 وسكت عن تلك الأحاديث التي
 وذكرت أن الله ليس بداخل
 كنا انتصفنا من أولى التجسيم بل
 لكن منحتهم سلاحاً كلما
 وغدوا بأسهمك التي أعطيتهم
 لو كنت تعدل في العبارة بيننا
 هذا لسان الحال منهم وهو في
 يبدو على فلتات أنفسهم وفي
 سيما اذا قرىء الحديث عليهم
 فهناك بين النزاعات وكورت
 ويكاد قائلهم يصرح لو يرى

اللغة: يقال انتصف من خصمه اذا غلب عليه بالحجة وقهره، والغرض هو الشيء الذي ينصب للرمي كالمهدف، والرجفان من الرجفة والاضطراب، وهو الشديد الفزع والشاهد هو المطابق المؤيد. وقوله: بين النزاعات وكورت، يعني به قوله تعالى في سورة عبس في وصف وجوه الكفار: ﴿وَوُجُوهُ عَلَيَّهَا غَبْرَةٌ نَجْمَةٌ تَرَهَقُهَا قَتْرَةٌ﴾ [عبس: ٤٠، ٤١].

الشرح: هذا من جملة خطاب الجهمي للرسول ﷺ يحكيه عنه المؤلف، يعني أنك لو لم تقل بأن الله فوق السماء ولم تشر اليه بالإشارة الحسية الى جهة الفوق، ولم تتحدث بتلك الأحاديث المستفيضة التي تصرح باثبات تلك الجهة لله، ولو أنك بدلا من هذا ذكرت ما يفيد تنزهه عن الجهة والمكان، فقلت انه ليس داخل العالم ولا خارجه، لكننا بذلك قد انتصرنا على المجسمة وحجزناهم في أقباع السمس، حيث يكون معنا سلاح النقل الى جانب ما عندنا من المعقول، لكنك منحتهم بهذه الأحاديث والنصوص سلاحاً جباراً يطعنوننا به كلما شاؤوا

دون أن نملك مقاومة، وأصبحوا بتلك السهام النافذة التي منحتم إياها، يرموننا في مقاتلنا، ويتخذون منا غرضاً لها حيثما ثقفونا .

ولو أنك عدلت في العبارة ولم تمل بها الى جانب التشبيه والتجسيم، وأتيت بها على وجهها نصاً في التعطيل والتنزيه ما وجد بيننا من يفرع أو يضطرب في ساحة هذه المعركة الزبون هذا ما تنطق به حال القوم بالنسبة الى أحاديث الصفات وما يغلون عليه صدورهم. وهو كذلك قد يبدو على فلتات ألسنتهم، ويظهر جلياً على صفحات وجوههم، لا سيما اذا قرئت عليهم هذه الأحاديث، وأتبعت بما يشهد لها من القرآن، هناك تغبر وجوه القوم وتعلوها الكآبة، وتضيق صدورهم وتكاد تنفجر من الغيظ، ثم يندمون على ما كان منهم من ابداء دخائلهم وكشف ضمائرهم حتى ليكاد أحدهم يصرح بأنه سيجتهد مستقبلاً في اخفاء ذلك وكتمانه .

★ ★ ★

يا قوم شاهدنا رؤوسكم على	هذا ولم نشهده من انسان
الا وحشو فؤاده غل على	سنن الرسول وشيعة القرآن
وهو الذي في كتبهم لكن بلطف عب	ارة منهم وحسن بيان
وأخو الجهالة نسبة للفظ والم	عنى فنسب العالم الرباني
يا من يظن بأننا حفنا عليه	هم كتبهم تنبيك عن ذا الشأن
فانظر تر لكن نرى لك تركها	حذرا عليك مصايد الشيطان
فشباكها والله لم يعلق بها	من ذي جناح قاصر الطيران
الا رأيت الطير في قفص الردى	يبكى له نوح على الأغصان
ويظل يجبط طالبا لخلصه	فيضيق عنه فرجة العيدان
والذنب ذنب الطير أخلى طيب الشم	رات في عال من الأفنان
وأتى الى تلك المزابل يبتغي الفض	لات كالحشرات والديدان

المفردات: الرؤوس: الزعاء والقادة - الغل: الحقد والغيظ. الحيف: الجور
مصايد الشيطان: حباله ومكايده - علق الطائر بالشبكة: اذا أمسك الفخ

برجليه فلم يستطع النهوض. الردى: الهلاك - النوح: جمع نائح، والمراد به الطير التي تنوح على الأغصان. يخبط: يضرب بجناحيه فرجة العيدان: ما بينها من اتساع - أخلى: ترك - الأفناء: جمع فنن وهو الغصن.

الشرح: ينادي الشيخ رحمه الله جمهور هؤلاء الجهمية من المقلدين لأشياخهم في الضلال بأنه شاهد رؤوسهم، أي زعماءهم على تلك الحال من الزاوية بالسنن والبرم بها اذا رويت، لما فيها من نفس مذاهبهم في التعطيل والاحاد. ويقول أن هذا لم ير من انسان قط الا وكان ممتلىء الفؤاد غيظاً وغلا على السنة وأهلها. وأن ذلك موجود أيضاً في كتبهم، فتراهم لا يألون جهداً في التهوين من شأن هذه الآثار ومقابلة كثير منها بالطعن والانكار، لكن مع لطف في العبارة وحسن في البيان، حتى لا يفتن أحد الى ما تكنه صدورهم من زراية وامتهان، ولا يظن أحد أننا نتجنى على القوم أو نتهمهم بغير الحق، فتلك كتبهم تخبر عنهم كل من ينظر فيها وتشهد عليهم شهادة صدق، فليقرؤها من شاء ليتأكد من صحة ما نسبناه اليهم، لكننا مع ذلك ننصح كل أحد أن لا يقرأ هذه الكتب حتى لا يقع في حبالها ويغره ما فيها من تزويق المنطق وتنميق الأفكار، لا سيما اذا لم يكن ممن رسخ في علوم الكتاب والسنة قدمه ولا تمكن منها فهمه، فهذا لا يلبث أن يقع أسير شباكها، تبكيه نائحة الدوح على غصنها، وهو يجتهد في طلب الخلاص فلا يستطيع، والذنب في ذلك ذنبه هو، حيث ترك أطيب الثمرات على أغصانها العالية حلوة المجتنى طيبة المأكول، وهبط الى المزابل وأمكنته القذارة يتقمم الفضلات كما تفعل الديدان والحشرات.

وما أروع تشبيه الشيخ رحمه الله حال من وقع أسير هذه الكتب وما فيها من ضلالات مزوقة قد فتن بها لبه وتأثر بها عقله، مجال طير في قفص قد أحكم غلقه فهو يضرب بجناحيه طالباً للخلاص منه فلا يجد فرجة ينفذ منها لضيق ما بين العيدان من فرج.

وما أجمل أيضاً تشبيهه لعقائد الكتاب والسنة بثمرات شهية كريمة المذاق على أغصان عالية، بحيث لا يصل اليها فساد ولا يلحقها تلوث، وتشبيهه لعقائد

هؤلاء الزائعين بفضلات قدرة وأطعمة عفنة ألقيت في إحدى المزابل ، فلا يأوى إليها الا أصحاب العقول القذرة والفطرة المنتكسة .

★ ★ ★

يا قوم والله العظيم نصيحة
جربت هذا كله ووقعت في
حتى أتاح لي الاله بفضله
حبر أتى من أرض حران فيا
فالله يجزيه الذي هو أهله
أخذت يداه يدي وسار فلم يرم
ورأيت أعلام المدينة حولها
ورأيت آثاراً عظيماً شأنها
ووردت رأس الماء أبيض صافيا
ورأيت أكوازا هناك كثيرة
ورأيت حوض الكوثر الصافي الذي
میزاب سنته وقول الهه
والناس لا يردونه الا من الآ
وردوا عذاب مناهل أكرم بها
من مشفق وأخ لكم معوان
تلك الشباك وكنت ذا طيران
من ليس تجزيه يدي ولساني
أهلاً بمن قد جاء من حران
من جنة المأوى مع الرضوان
حتى أراني مطلق الايمان
نزل الهدى وعساكر القرآن
محبوبة عن زمرة العميان
حصبأؤه كلالء التيجان
مثل النجوم لوارد ظلمان
لا زال يشخب فيه ميزابان
وهما مدى الأيام لا ينيان
لاف أفـرـاداً ذوي ايمان
ووردتم أنتم عذاب هوان

الشرح: يحكي الشيخ هنا في صورة نصيحة يقدمها الى هؤلاء الهلكى شفقة بهم ما جربه هو بنفسه من الوقوع في أسر هذه المذاهب الباطلة، ولكنه كان أوتي من قوى التمييز والفهم ما يقدر به على التخلص من أغلال التقليد . فما أن قيض الله له شيخ الاسلام وأكرمه بصحبته حتى انفتح له باب الخلاص مما كان يعانيه فلازم هذا الخبر الرباني الجليل ملازمة الظل، وأخذ من علمه وفضله ما لا يقدر أن يكافئه عليه بيد ولا لسان، وهو لهذا يدعو الله أن يجزيه عنه بما يستحقه من نعيم الجنان وكريم الرضوان . فهو الذي أخذ بيده وسار فلم يتركه

حتى فتح عينه على مهبط الايمان ومشرق النور والعرفان . وهنالك رأى المدينة دار الهجرة قد ارتفعت أعلامها وخفقت بنودها ، والتفت من حولها طلاب الهدى وجند القرآن وشاهد من عظيم الآثار التي خلفها الرسول ﷺ وصحابته الأخيار ما لا يطيق رؤيته هؤلاء المحجوبون من خفافيش الظلام وعبدة الأوهام .

وورد هناك نبع الشريعة صافياً لم يختلط بما يكدره من اقداء ، ورأى عنده من الكيزان ما قد يعد بنجوم السماء وقد أعدت لمن يردده ويطلب ربه من الظماء ، ورأى هنالك حوض الكوثر الصافي وهو علمه ﷺ الذي تركه في أمته لازال يصب فيه ميزابان ، ميزاب الكتاب الكريم والسنة المطهرة كما أن حوضه في الموقف يوم القيامة سيصب فيه ميزابان من نهر الكوثر الذي في الجنة ، فمن شرب من حوض علمه الصافي في الدنيا فهو الجدير أن يرد حوضه في الآخرة ، ومن صد عنه وآثر عليه هذه الموارد الآسنة فسيذاد عن حوضه ويبعد جزاء وفاقاً وما ربك بظلام للعبيد ، ومن المؤسف ان الناس لا يردون حوض علمه في الدنيا من الآلاف المؤلفة الا الفرد بعد الفرد ممن هداهم الله ووقفهم وهم الذين وردوا أكرم المناهل وأعذبها ، وأما أنتم أيها المعرضون المخذولون فقد وردتم موارد العذاب المهين تبقون فيها خزايا نادمين .

★ ★ ★

فبحق من أعطاكم ذا العدل والا	نصاف والتخصيص بالعرفان
من ذا على دين الخوارج بعد ذا	أنتم أم الحشوي ما تريان
والله ما أنتم لدى الحشوي	أهلاً أن يقدمكم على عثمان
فضلاً عن الفاروق والصديق فض	لاً عن رسول الله والقرآن
والله لو أبصرتم لرأيتم الحش	وي حامل راية الايمان
وكلام رب العالمين وعبده	في قلبه أعلى وأكبر شان
من أن يحرف عن مواضعه وأن	يقضى له بالعزل عن أيقان
ويرى الولاية لابن سينا أو أبي	نصر أو المولود من صفوان

أو من يتابعهم على كفرانهم أو من يقلدهم من العميان
يا قومنا بالله قوموا وأنظروا وتفكروا في السر والاعلان
نظراً وان شئتم مناظرة فمن مثني على هذا ومن وحدان
أي الطوائف بعد ذا أدنى الى قول الرسول ومحكم القرآن
فاذا تبين ذا فاما تتبعوا أو تعذروا أو تؤذنوا بطعان

الشرح: يقسم عليهم بالله الذي اعطاهم ما يزعمون أنه عدل وانصاف، وبحق من خصهم بتلك المعرفة أن يبينوا له بعد هذا الذي قدمه من الشرح والبيان أي الفريقين منهم ومن الحشوية هو على دين الخوارج وأقرب اليهم نسباً ولن يجدوا محيصاً من الحكم على أنفسهم بأنهم أولى بشبه الخوارج من خصومهم فهم الذين يتهمون الرسول ﷺ بعدم العدل في العبارة كما اتهمه من قبلهم من الخوارج بعدم العدل في القسمة.

ثم يقسم بالله مرة ثانية أنهم ليسوا عند الحشوي أهلاً لأن يقدمهم في فهم الدين على ثالث الخلفاء الراشدين عثمان ذي النورين رضي الله عنه فضلاً عن أن يقدمهم على صديق الأمة أبي بكر أو فاروقها عمر رضي الله عنها فضلاً عن أن يقدمهم على سنة رسول الله ﷺ وعلى القرآن الكريم، ثم يقسم ثالثة بالله أنهم لو كانوا ذوي بصر وفضة لأدركوا أن هذا الذي يسمونه الحشوي استهزاء وسخرية هو حامل راية الأيمان لأنه هو الذي وقف عند نصوص الكتاب والسنة فلم يسمها تأويلاً ولم يحرفها عن مواضعها تبديلاً، بل هي عنده أجل وأكبر من أن يتلاعب بها أو يحكم عليها بالقصور عن افادة اليقين. أو يتركها ويهملها من أجل كلام هؤلاء المارقين من أمثال أبي علي ابن سينا الذي يسمونه بالشيخ الرئيس أو أبي نصر الفارابي الملقب بالمعلم الثاني، أو الجهم بن صفوان الترمذي رأس الضلال والفتنة، أو من يشايحهم على كفرهم وضلالهم، ويقلدهم تقليداً أعمى بلا نظر ولا معرفة.

ثم يدعوهم الشيخ مرة أخرى إلى أن يقوموا مثني وفرادي، ثم يتفكروا وينظروا في السر والعلانية، وإن شأوا مناظرة فليناظروا ليعرفوا أي الطوائف

منهم، ومن الحشوية هو أقرب إلى قول رسول الله ﷺ وإلى محكم القرآن، فإن ظهر لهم ذلك وتبينوه فإما أن يتبعوا الحق وإما أن يقدموا عذراً عن بقائهم على ما هم عليه، وإما أن يعلنوها حرباً بينهم وبين خصومهم تفصل بينهم إذ لم تجد الحجة ولم ينفع البرهان.

★ ★ ★

(فصل في تلقيبهم أهل السنة بالحشوية) وبيان من أولى بالوصف المذموم من هذا اللقب من الطائفتين وذكر أول من لقب به أهل السنة أم أهل البدعة)

ومن العجائب قولهم لمن اقتدى	بالوحي من أثر ومن قرآن
حشوية يعنون حشواً في الوجو	د وفضلة في أمة الإنسان
ويظن جاهلهم بأنهم حشوا	رب العباد بداخل الأكوان
إذ قولهم فوق العباد وفي السما	ء الرب ذو الملكوت والسلطان
ظن الحمير بأن في الظرف والر	حمن محوى بظرف مكان
والله لم يسمع ندا من فرقة	قالتة في زمن من الأزمان
لا تبهتوا أهل الحديث به فما	ذا قولهم تباً لذي البهتان
بل قولهم أن السموات العلى	في كف خالق هذه الأكوان
حقاً كخردلة ترى في كف ممسكها تعالى الله ذو السلطان	يا قومنا ارتدعوا عن العدوان
أترونه المحصور بعد أم السما	فالبهت لا يخفى على الرحمن
كم ذا مشبهة وم حشوية	

الشرح: ومن عجيب أمر هؤلاء الجهمية المعطلة أنهم يسمون أهل السنة والجماعة المتمسكين بنصوص الوحيين حشوية، يعنون بذلك أنهم من حشو الناس وسقطهم فلا يعتد بكلامهم في العقيدة لأنهم لم يتعمقوا تعمقهم في التأويل، ولا ذهبوا مذاهبهم في الإنكار والتعطيل. فكل من آمن بظواهر النصوص عندهم،

ولم يشتغل بصرفها عما تفيده من معان توهم التشبيه، فهو حشوي بعيد عن التحقيق وليس من العلماء الراسخين، وربما ظن الجاهل من هؤلاء الجهمية أنهم إنما سموا حشوية لأنهم جعلوا ربهم حشو هذا الكون، أي داخله، لأن مذهبهم يقوم على أن الله في السماء وأنه فوق العباد، وإنما أوقعهم في هذا الجهل توهمهم أن (في) عند قولنا الله في السماء للظرف فتفيد أن الله مظروف في السماء، وأن السماء حاوية له وهذا القول الذي نسبوه إلى الحشوية في زعمهم لم يسمع عن فرقة من فرق الإسلام أنها قالت به وذهبت إليه حتى المشبهة الذين صرحوا بالتشبيه لم يقولوا أنه محصور في السماء ولكنهم أرادوا بذلك بهت أهل الحديث بما ليس من قولهم، فتباً لهم على سوء بهتهم وعظيم افتراءهم، بل قول أهل الحديث الذي يصرحون به دائماً أن الله فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه، وأنه لا يحصره ولا يحيط به شيء من مخلوقاته، وأن الكون كله بسمواته وأرضه في قبضة يده جل شأنه كخردلة في يد أحدنا، فتعالى الله عما يقوله الظالمون علواً كبيراً.

وإذا عرف أن هذا هو مذهب أهل السنة والحديث، فمن على هذا يكون محصوراً في الآخر، هو جل شأنه أم السماء؟ لا جرم أن السماء والكون كله هو المحصور المقهور تحت سبحانه. ولكن القوم لا يكفون عن عدوانهم على أهل السنة وبهتهم لا يخفى على الله الذي لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء وسيجزئهم عليه يوم القيامة أشد الجزاء.

المفردات: الفضلة: الشيء الزائد الذي لا يؤبه له - والبهت رميك غيرك بما ليس فيه - قولهم أي مذهبهم، وهو مبتدأ خبره الجملة بعده.

★ ★ ★ ★

يا قوم إن كان الكتاب وسنة المختار حشواً فاشهدوا ببيان
أنا بجمد هنا حشوية - صرف بلا جحد ولا كتمان
تدرون من سمت شيوخمكم بهذا الاسم في الماضي من الأزمان
سمى به ابن عبيد عبدالله ذا ك ابن الخليفة طارد الشيطان

فورثتم عمراً كما ورثوا لعبد الله أنى يستوي الأثران
تدرون من أولى بهذا الاسم وهـ و مناسب أحواله بوزان
من قد حشا الأوراق والأذهان من بدع تخالف موجب القرآن
هذا هو الحشوي لا أهل الحد يث أئمة الإسلام والإيمان
وردوا عذاب مناهل السنن التي ليست زبالة هذه الأذهان
ووردتم القلوط مجرى كل ذي الـ لأوساخ والأقذار والأنتان
وكسلمت أن تصعدوا للورد من رأس الشريعة خيبة الكسلان

الشرح: فإن كنتم معشر الجهمية تعدون التمسك بالكتاب والسنة والوقوف
عند نصوصها حشواً، فاشهدوا علينا أننا بجمد الله حشوية خالصون في الحشو لا
ننكر ذلك ولا نخفيه، ولكن هل تعلمون من الذي سمته شيوخم بهذا الاسم في
الماضي؟ أنه رجل من خيار التابعين، هو عبدالله بن عبيدالله بن عمر أمير
المؤمنين، فهو حفيد الفاروق الذي يفر منه الشيطان ولا يمشي معه في طريق فأنتم
معشر الجهمية قد ورثتم عمرو بن عبيد صاحب واصل بن عطاء الذي كان رأساً
في البدعة والاعتزال، وأما أهل السنة والحديث فقد ورثوا عبدالله هذا فكيف
إذاً يستوي الأثران، وهذا إرث سنة وهدى، وذلك إرث بدعة وضلالة.

ولكن هل تدرون أيضاً من أحق الناس بهذا الاسم ومن تكون حاله مناسبة
له تماماً، إنه من حشا الأوراق وسودها، وملأ الأذهان وأفسدها بالبدع
والضلالات التي تخالف مقتضى القرآن.

هذا هو الحقيق أن يسمى حشويًا، وليس أهل الحديث أئمة الهدى وأساتذة
الإيمان الذين وردوا يتابع السنن عذبة صافية غير مشوبة بزبالة الأذهان وأقذار
الأفكار.

وأما أنتم فورثتم أسوأ مورد وأخبثه، وردتم القلوط بجمع كل وسخ وتتن كسلًا
منكم أن تصعدوا بعقولكم ونفوسكم إلى موارد الشريعة الصافية، ورضي منكم

بالتبعية الذليلة لأصحاب هذه الأوساخ الفكرية، فخيبة لكل متواكل كسلان.

★ ★ ★ ★

فصل

في بيان عدوانهم في تلقيب أهل القرآن والحديث بالمجسمة وبيان أنهم أولى بكل لقب خبيث

كم ذا مشبهة مجسمة نوا
أسماء سميتم بها أهل الح
سميتموهم أنتم وشيوخكم
وجعلتموها سبة لتنفروا
ما ذنبهم والله إلا أنهم
وأبوا بأن يتحيزوا لمقالة
وأبوا يدينوا بالذي دتم به
وصفوه بالأوصاف في النصين من
إن كان ذا التجسيم عندكم فيا
أنا مجسمة بجمد الله لم

بته مسبة جاهل فتان
ديث وناصرى القرآن والإيمان
بهتاً بها من غير ما سلطان
عنهم كفعل الساحر الشيطان
أخذوا بوحى الله والفرقان
غير الحديث ومقتضى القرآن
من هذه الآراء والهديان
خبر صحيح ثم من قرآن
أهلاً به ما فيه من نكران
نجد صفات الخالق الديان

الشرح: يتجنى أهل التعطيل على أهل الحق فينعتونهم بالألقاب السوء التي هم
منها براء، فأحياناً يسمونهم مشبهة لأنهم بزعمهم لما أثبتوا الصفات قد شبهوا الله
بخلقه، وأحياناً مجسمة لأنهم لما اعتقدوا علو الله وفق خلقه فقد جعلوه جسماً
متحيزاً حالاً بالمكان، وأحياناً يطلقون عليهم النوابت، يعنون بذلك أنهم نبتوا
في الإسلام بأقوال بدعية.

وهذه كلها أسماء سموها بها أهل الحديث وناصرى القرآن والإيمان، ما لهم
عليها من حجة ولا من سلطان، ولكنها محض الزور والبهتان، وقد قلدوا في
ذلك شيوخاً لهم من أهل البغي والعدوان، وجعلوا هذه الألقاب الشينعة مسبة

لأهل الحق لينفروا الناس عن اتباعهم والأخذ بأقوالهم كفعل الساحر الشيطان الذي قد يبلغ من سحره أن يفرق بين المرء وزوجه بإلقاء الكراهية والبغضاء . ولا ذنب لأهل الحق عند هؤلاء السمحاء إلا أنهم وقفوا عند الوحي المنزل من السماء ، وأبوا أن يميلوا عنه إلى مقالات من صنع مبطلين سفهاء ، وإن سماوا أنفسهم محققين وحكماء ولم يرضوا أن يدينوا بالذي يدين به هؤلاء من آراء باطلة معوجة وهذيانات سخيفة فجة ووصفوا ربهم بكل وصف جاء في الكتاب والسنة ، فإن كان هذا في نظر هؤلاء الجاهلين تجسماً ، فنحن نرحب به ونرضاه لنا ديناً ، ونحمد الله على أننا مجسمة لا نجحد شيئاً من صفات الخالق الديان ، سبحانه وتعالى عما يقول المعطلة علواً كبيراً .

والله ما قال امرؤ منا ب أن الله جسم يا أولي البهتان
والله يعلم أننا في وصفه لم نعد ما قد قال في القرآن
أو قاله أيضاً رسول الله فهو الصادق المصدوق بالبرهان
أو قاله أصحابه من بعده فهم النجوم مطالع الإيمان
سموه تجسماً وتشبيهاً فلسفاً جاحديه لذلك الهذيان
بل بيننا فرق لطيف بل هو الفرق العظيم لمن له عينان
إن الحقيقة عندنا مقصودة بالنص وهو مراده التبيان
لكن لديكم فهي غير مرادة أنى يراد محقق البطلان
فكلامه فيما لديكم لا حقي قة تحته تبدو إلى الأذهان
فكلامه فيما لديكم لا حقي قة تحته تبدو إلى الأذهان
في ذكر آيات العلو وسائر الأ وصاف وهي القلب للقرآن
بل قول رب الناس ليس حقيقة فيما لديكم يا أولي العرفان

الشرح: على أنه لم يقل أحد منا معشر أهل السنة أن الله تعالى جسم ، ولكنكم تبهتوننا بذلك وتجعلونه من لوازم قولنا أن الله فوق عرشه بذاته ، لأن الوجود في الأين عندهم من خصائص الأجسام ، فإذا قلنا أن الله في السماء كما أخبر عن نفسه قلتم لنا جسمتم ، ولكن الله يعلم أننا لم نتجاوز في وصفه ما ذكره

الله في كتابه أو ما قاله رسول الله ﷺ في الصحيح عنه، فإنه الصادق في كل ما يخبر به عن ربه المصدوق الذي صدقه ربه في كل ما أوحى به إليه، أو ما قاله أصحابه رضي الله عنهم من بعده، فهم نجوم الهدى لهذه الأمة وأكملها إيماناً وعلماً فإذا سميت إثباتنا لهذه الصفات الثابتة بالكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة تجسماً أو تشبيهاً فلن يحملنا هذيانكم هذا على جحد شيء منها أو إنكاره، بل نحن باقون على الإثبات أبداً ما شاء الله، وبيننا وبينكم في ذلك فرق واضح لكل ذي بصر، وأن بدا للبعض دقيقاً لطيفاً. هو أن هذه النصوص عندنا مستعملة في معانيها الحقيقية التي تفهم من اللفظ عند إطلاقه ولا يجوز حل شيء منها على المجاز حيث لا قرينة تدل عليه. ولم ترد هذه النصوص للألغاز والتعمية، وإنما جاءت للبيان والإيضاح، فلو حمل شيء منها على غير معناه بلا داع ولا قرينة لا ننفي عنها وصف البيان، ولكن الحقيقة عندهم غير مرادة، لأنها في نظركم باطلة، فكيف تراد من النص؟ وكلامه سبحانه عندهم لا حقيقة له عند العقل، لأن العقل عندهم يحيل كل ما أثبتته الآيات من الصفات الخبرية، كالعلو ونحوه، مع أنها هي لب القرآن وجوهره، ومعظم المقصود من إنزاله. بل قول الله نفسه ليس له حقيقة عندهم لأنكم تنفون عنه الحرف والصوت، والقول لا يكون إلا حروفاً وأصواتاً، فقول الله كصفاته، لا حقيقة لشيء من ذلك عندهم، يا من تدعون المعرفة زوراً وهتاناً.

★ ★ ★ ★

ينفي على الاطلاق والإمكان	وإذا جعلتم ذا مجازاً صح أن
فيما زعمتم فاستوى النفيان	وحقائق الألفاظ بالعقل انتفت
دلت عليه فحظكم نفيان	نفي الحقيقة وانتفاء اللفظ ان
لفظاً ومعنى ذاك إثباتان	ونصينا إثبات ذاك جميعه
لقب بلا كذب ولا عدوان	فمن المعطل في الحقيقة غيركم
بأدلة وحجاج ذي برهان	وإذا سببتم بالمحال فسبنا
وتبين جهلكم مع العدوان	تبدي فضائحكم وتهتك ستركم

يا بعد ما بين السباب بذاكم وسبابكم بالكذب والطغيان
من سب بالبرهان ليس بظالم والظلم سب العبد بالبهتان

الشرح: فإذا كان الله عندهم ليس بقائل على الحقيقة وجعلتم القول المضاف إليه مجازاً صح نفيه عنه ، أما على جهة الاطلاق المقتضى سلب القول عنه بالفعل أو على جهة الإمكان المقتضى سلب إمكان ذلك منه فضلاً عن وقوعه . فهذا نفي وأنتم قد نفيتم حقائق الألفاظ ، وزعمتم أن معانيها الحقيقية مستحيلة عند العقل ، فهذا نفي آخر فاجتمع لكم بذلك نفيان ، نفي الألفاظ عن الله عز وجل وإنكار أن يكون هو متكلماً بها ، ونفي الحقائق التي دلت عليها . فهذا حظكم من الإيمان بالوحي إنكار للفظ والمعنى جميعاً .

وأما نحن فنصيبنا إثبات ذلك كله لفظاً ومعنى وعدم إنكار شيء منه . فأنتم الأحقاء وحدكم بوصف التعطيل وهو لقب لائق بكم لا كذب فيه ولا عدوان وإذا أنتم شتمتمونا بما ليس فينا شتماً قائماً على الزور والبهتان فسبنا لكم لا يكون إلا عن حجة وبرهان يكشف سترك ويفضح جهلكم وعدوانكم فما أبعد الفرق بين شبابنا وسبابكم ، فإن من سب خصم بالدليل لا يكون ظالماً ولا واضعاً للشيء في غير موضعه ، ولكن الظلم هو سب العبد بالزور والبهتان .

★ ★ ★ ★

فحقيقة التجسيم أن تك عندكم وصف الإله الخالق الديان
بصفاته العليا التي شهدت بها آياته ورسوله العدلان
فتحملوا عنا الشهادة واشهدوا في كل مجتمع وكل مكان
أنا مجسمة بفضل الله وليشهد بذلك معكم الثقلان
الله أكبر كثرت عن نأبها الـ حارب العوان وصيح بالأقران
وتقابل الصفان وانقسم الوري قسمن واتضح لنا القسمان

الشرح: فإذا كنتم مصرين على أن وصف الرب جل شأنه بصفاته العليا التي صرحت بها آيات الكتاب العزيز والسنة المطهرة (وكل منها شاهد عدل) موقع

في التجسيم بحيث يكون مجسماً عندكم كل من أثبت صفة من هذه الصفات فتحملوا عنا إقرارنا بذلك التجسيم واشهدوا علينا في كل مجتمع ومكان أنا مجسمة وادعوا من استطعتم من الإنس والجن ليشهدوا معكم بذلك، فإن تشييعكم علينا بمثل هذه الألفاظ لن يغير شيئاً من حقيقة الخلاف بيننا وبينكم بعد أن استعرت بيننا نار الحرب وشمرت عن ساقها وتداعى إليها الفريقان وتقابل الصفان وعرف كل فريق ما عند خصمه واضحاً لا خفاء فيه، فالحقيقة التي عليها نجادكم هي أننا نؤمن بحقيقة ما أنزل الله على رسوله، وأنتم تنكرونه ونحن ندين بالكتاب والسنة في الإثبات والنفي، وأنتم لا ترجعون في ذلك إلا إلى قضية عقولكم الخاسرة، وما وضعه لكم شيوخكم في الضلال من قواعد وأصول جعلتموها ديناً لكم واستعضتم بها عن الحق الذي جاء به الرسول ﷺ فوقعت في الضلال البعيد والخسران المبين.

فصل

في بيان مورد أهل التعطيل

وأهم تعوضوا بالقلوط عن السلسيل

يا وارء القلوط ويحك لو ترى	ماذا على شفئك والأسنان
أو ما ترى آثارها في القلء	ب والنيات والأعمال والأركان
لو طاب منك الورد طابت كلها	أتى تطيب موارد الانتان
يا وارء القلوط طهر فاك من	خبث به واغسله من انتان
ثم اشتم الحشوي حشو الـ	دين والقرآن والآثار والإيمان
أهلاً بهم حشو الهذى وسواهم	حشو الضلال فما هما سيان
أهلاً بهم حشو اليقين وغيرهم	حشو الشكوك فما هما صنوان
أهلاً بهم حشو المساجد والسوى	حشو الكنيف فما هما عدلان
أهلاً بهم حشو الجنان وغيرهم	حشو الجحيم أيستوي الحشوان

الشرح: ينادي المؤلف رحمه الله هؤلاء الناكبين عن صراط الله المستقيم ناعياً عليهم أعراضهم عن ينابيع الدين الصافية وموارده الكريمة التي هي كتاب الله تعالى وأحاديث رسوله ﷺ، وما أثر من أقوال السلف الصالح واستعاضتهم عنها بتلك الموارد العفنة مما وضعه ضلال الفلاسفة والجهمية وغيرهم، وأنهم حين يلوكون هذه الأقوال الخبيثة وتتلوث بها شفاههم وأسنانهم تبدوا ثارها القبيحة في ما تضره قلوبهم من الأخلاق والنيات وما تقوم به جوارحهم من الأعمال والاركان لأنه لا يمكن ان تطيب منهم هذه الأمور وموردها متن خبيث، ثم دعاهم قبل ان يشتغلوا بشتم أهل الحق ويعيبوهم بألقاب السوء ان يغسلوا أفواههم أولاً ويطهروها مما بها من خبث وقذر؛ ثم التفت الى من يسمونهم حشوية فجعل هذه النسبة التي قصد بها الأعداء إلى ذمهم موضع مدح وفخار لهم فهم حشوية قد حشوا من الدين والقرآن والسنة والإيمان وهم حشوية حشوه المهدى واليقين على حين حشى أعداؤهم من الضلال والشكوك والشبهات وهم حشوية لأنهم حشو بيوت الله يعمرونها بذكره ومدارسة كتابه وسنة رسوله ﷺ وأعداؤهم حشو الأماكن القذرة من الغائط والقلوط وهم أخيراً حشو الجنة دار الخلد التي أعدها الله للمتقين وأما أعداؤهم فحشو الجحيم يصلونها بما عرضوا عن سبل الله المستقيمة، وبما اتبعوا من سبل الضلال والكفران.

★ ★ ★ ★

يا وارد القلوط ويحك لو تـ
وتراه من رأس الشريعة شاربا
وتراه يسقي الناس فضلة كأسه
لعذرتـه أن بال في القلوط لم
يا وارد القلوط لا تكسل فرأ
هو منهل سهل قريب واسع
والله ليس بأصعب الورددين بل
رى الحشوي وارد منهل الفرقان
من كف من قد جاء بالفرقان
وختامها مسك على ريجان
يشرب به مع جملة العميان
س الماء فاقصده قريب دان
كاف إذا نزلت به الثقلان
هو أسهل الورددين للظآن

الشرح: وهنا أيضاً ينادي المؤلف رحمه الله وارد القلوط نداء ترحم وإشفاق لعماه وجهله وعدم قدرته على التمييز بين كرام المناهل وعذابها، وبين آسنها وخبيثها فيقول له إنك لو ترى الحشوي وهو يرد منهل الفرقان ويشرب من أصل الشريعة الصافي وينبوعها الطيب من كف رسول الله ﷺ، ثم يوزع فضلة كأسه على الناس مختومة بمسك وريحان، إذاً لعذرتة أن احتقر وردك الآجن وبال فيه ولم يكن من جملة وراده الذين استعذبوه بسبب عمهم عما فيه من أخباث وأقذار.

ثم دعاه أن يطرح الكسل، وأن لا يرضى لنفسه بالدون، وأن يقصد إلى رأس الماء فإنه قريب دان والطريق إليه سهل ميسور، وهو واسع ولا يضيق بوراده مهما كثروا فلو نزل به الثقلان جميعاً لكفاهم، وهو إذا قيس بالورد الآخر أيسر منه منالاً للوارد الظمان.

ولعلك أيها القارئ قد فهمت ما قصد إليه المؤلف من المقابلة بين هذين الوردين وما أراده بكل منهما، فهو يكنى بأكرمها عن المصادر الأولى للشريعة من الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة التي سلمت من الزيغ والانحراف ويكنى بأخبثها المعبر عنه بالقلوط عن تلك الآراء والأقوال المتدعة التي يزعمها أصحابها عقليات، وما هي إلا أوساخ العقول وقاذورات الأفهام، وهي تفضي بسالكها إلى الخروج من حظيرة الإسلام.

فصل

في بيان هدمهم لقواعد الإسلام والإيمان بعزهم نصوص السنة والقرآن

يا قوم والله انظروا وتفكروا في هذه الأخبار والقرآن
مثل التدبر والتفكر للذي قد قاله ذو الرأي والحسبان

فأقل شيء أن يكونا عندهم
والله ما استويا لدى زعمائكم
عزلوها بل صرحوا بالعزل عن
قالوا وتلك أدلة لفظية
ما أنزلت لينال منها العلم بالإل
بل بالعقول ينال ذاك وهذه
حدا سواء يا أولي العدوان
في العلم والتحقيق والعرفان
نيل اليقين ورتبة البرهان
لسنا نحكمها على الايقان
ثبات للأوصاف للرحمن
عنه بمعزل غير ذي السلطان

الشرح: من أعظم الشاعات التي وقع فيها المتكلمون من الأشعرية وغيرهم قولهم أن دلالة كل لفظ على معناه دلالة ظنية لتطرق الاحتمال إليها بسبب ما يعتري الألفاظ من إجمال وإبهام وحذف واشتراك وحقيقة ومجاز الخ. وطرردوا قاعدتهم اللثيمة على نصوص الوحيين، فحكموا بعزلها عن إفادة اليقين والشيخ هنا يستحلفهم بالله أن ينظروا فيها ويتدبروها، كما يفعلون ذلك بالنسبة إلى ما ينقل إليهم من آراء أهل الفكر والنظر، فإن هذا أقل ما ينبغي أن يكون عليه المسلم أن يسوي بين نصوص الوحي وكلام الناس في درجة التفكير والاعتبار، أما أن يؤثر كلام الناس بالنظر، فذلك هو العدوان والخسار، ولكن أنى لهؤلاء المتأخرين بتلك التسوية، وقد ضل عنها شيوخهم الذين سئوا لهم سبيل الجور والاعتساف، وجنفوا بهم عن طريق الحق والإنصاف، والذين صرحوا بعزل نصوص الوحيين عن إفادة اليقين وقصورها عن رتبة البرهان.

وقالوا إنها أدلة لفظية لا يجوز التعويل عليها في مسائل الاعتقاد التي لا يكفي فيها الظن بل لا بد فيها من العلم اليقيني الذي لا يتطرق إليه الاحتمال. وهذا عندهم لا يستفاد إلا من البراهين العقلية التي تفيد القطع والجزم. وأما هذه النصوص التي هي أصل الدين فبمعزل عندهم عن إفادة اليقين، وليس لها في عقائد الإيمان حكم ولا سلطان، فبئس ما قاله أولياء الشيطان من الإفك والزور والبهتان.

★ ★ ★

فبجهدنا تأويلها والدفح في
ككبير قوم جاء يشهد عند ذي
فيقول قدرك فوق ذا وشهادة
وبوده لو كان شيء غير ذا
فلقد آتانا عن كبير فيهم
لو كان يمكنني وليس بممكن
ذكر استواء الرب فوق العرش لكن ذلك ممتنع على الإنسان
والله لولا هيبته الإسلام والقـرآن والأمراء والسـلطان
لأتوا بكل مصيبة ولدكذكوا الإسلام فوق قواعد الأركان

الشرح: وقالوا إذا كانت نصوص الوحيين من الكتاب والسنة لا تفيد اليقين المطلوب في باب الاعتقاد، وكانت البراهين العقلية وحدها هي التي يعول عليها في هذا الباب، فلنجد إذاً في تأويل هذه النصوص بصرفها عما توهمه ظواهرها من معان مستحيلة عند العقل، ولندفع في جوانبها بما يكسر قوتها ويضعف صولتها، بأن نوقع في روع الناس أن هذه النصوص فوق ما تناله مداركنا وتتصوره أفهامنا، وذلك كرجل ذي قدر وشرف جاء يشهد في قضية من القضايا، والقاضي يريد دفع شهادته بأسلوب لا يكون فيه حرج لكرامته، فيوهمه أن قدره أعلى من أن يقف في موقف الشاهد في مثل هذه القضية، وأن شهادة من غيره تكفي، وليس غرضه من ذلك إلا دفع الحكم بموجب تلك الشهادة، ولكنه لا يستطيع التصريح بذلك مخافة بطش السلطان به فكذلك حال هؤلاء المعطلة مع نصوص الوحيين المصرحة بإثبات الصفات، يريدون دفع ما دلت عليه من ذلك فلا يستطيعونه عن طريق التكذيب والإنكار، فيلجأون إلى المراوغة بدعوى قصور الافهام عنها. وكان بودهم لو لم تكن هذه النصوص أصلاً، حتى روى عن كبير من هؤلاء، وهو عند الله والمؤمنين من أحقر الحقراء أنه قال مقالة الكافر العنيد والشانيء الحقود، وددت لو حككت من المصحف كل ما فيه ذكر استواء الرب على عرشه، لكن أنى له بذلك وقد حفظ الله كتابه

من كيد حقود مثله، فليمت غيظاً، وستبقى هذه الآيات الكريمة سيفاً مصلتاً فوق رأسه تنادي بفساد قوله وبطلان رأيه، ولولا هيبة الاسلام ورجالاته في قلوب هؤلاء الجبناء لنقضوا حبل الإسلام عروة عروة، وأتوا على بنائه من القواعد، ولكنهم لا يجروون على العمل ظاهرين .

سلام من محن على الأزمان	فلقد رأيت ما جرى لأئمة الإ
ذا قدرة في الناس مع سلطان	لا سيما لما استألوا جاهلاً
بل قاسموه بأغلظ الأيمان	وسعوا إليه بكل إفك بين
الشیطان حين خلا به الأبوان	إن النصيحة قصدهم كنصيحة
تلك القشور طويلة الأردن	فيرى عمائم ذات أذنان على
وتهول أعمى في ثياب جبان	ويرى هيمولى لا تهول لمبصر
كذب وتلبس ومن بهتان	فيذا أصاخ بسمعه ملئوه من
يا محنة العينين والأذنان	فيرى ويسمع فشرهم وفشارهم
واحل بلا كيل ولا ميزان	فتحوا جراب الجهل مع كذب فخذ

الشرح: يستدل على كيد هؤلاء للإسلام وأهله بما جرى على أيديهم من محن وأرزاء لأئمة الإسلام في جميع الأزمان، كأحد بن حنبل وشيخ الإسلام ابن تيمية رضي الله عنهما، لا سيما حين يستميلون إليهم الجهلة من الأمراء ويسعون إليهم بالإفك والافتراء مؤكداً إفكهم بالأيمان الفاجرة أنهم ما قصدوا إلا محض النصيحة كما أقسم إبليس لآدم وحواء حين خلا بهما في الجنة: ﴿إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٢١]. فلا يسع ذلك الجاهل إلا أن يغير بيهتانهم ويؤخذ بزخرف أقوالهم، لا سيما حين يرى عليهم عمائم كالأبراج، قد أرخوا أذنانها على أفقائهم، ويرى أجساماً ضخمة كتلك التي حكاها الله عن المنافقين في قوله جل شأنه: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مُسَدَّدٌ﴾ [المنافقون: ٤] ولكن تلك الهيئة الضخمة لا تروع الحصيف العارف بحقيقة هؤلاء وما هم عليه من جهل وضلال، وإنما تروع كل

أعمى جبان لا يبصر ما تحتها من ضعف وهوان، فإذا ألقى إليهم سمعه ورأوا أنهم قد ملكوه، أخذوا يملأون قلبه حقداً وعداوة على أهل الحق والإيمان، وحشوه بالكذب والتليس والبهتان، فيرى من زيهم ويسمع من فشرهم ما فيه بلاء لعينيه وأذنيه ويبدون له من الجهل والكذب ما لا يقدر بكيل ولا ميزان.

★ ★ ★

وأتوا إلى قلب المطاع ففتشوا عما هناك ليدخلوا بأمان
 فإذا بدا غرض لهم دخلوا به منه إليه كحيلة الشيطان
 فإذا رأوه هش نحو حديثهم ظفروا وقالوا ويح آل فلان
 هو في الطريق يعوق مولانا عن المقصود وهو عدو هذه الشأن
 فإذا هم غرسوا العداوة واطبوا سقي الغراس كفعل ذي البستان
 حتى إذا ما أثمرت ودنا لهم وقت الجذاذ وصار ذا إمكان
 ركبوا على حرد لهم وحمية واستنجدوا بعساكر الشيطان
 فهالك ابتليت جنود الله من جند اللعين بسائر الألوان
 ضرباً وحسباً ثم تكفيراً وتبديعاً وشمماً ظاهر البهتان

الشرح: وتراهم لكي يضمنوا انحياز هؤلاء الأمراء والحكام إليهم في الخصومة بينهم وبين أهل الحق، يحكمون الحيلة ويتلطفون في الدخول إلى قلوبهم بالتفتيش عما فيها من أمان وأغراض، فإذا ظهر لهم منها شيء جعلوه وسيلتهم في احتلال قلوب هؤلاء وامتلاكها بما يظهرون من الرضى والإستحسان لذلك، فإذا رأوه انبسط إليهم وأعجبه حديثهم، أخذوا في إغرائه بخصومهم واستعداداته عليهم بأن يوهموه أنهم ضد رغبته وعلى خلاف مراده، حتى إذا نجحوا في غرس العداوة لهم في قلبه تعهدوا ذلك الغرس بالسقي، كما يفعل البستاني بالشجر حتى تستحکم وتخرج إلى حد البطش والانتقام، وحينئذ يستعلن هؤلاء الجبناء بخصومة أهل الحق ويركبون أفراس البغي ويجعلون في قلوبهم الحمية، حمية الجاهلية ويستنجدون بعساكر الشيطان، فهالك تبلى جنود الرحمن من جند

اللعين بشتى أنواع البغي والعدوان، فمن ضرب مبرح إلى إلقاء في غياهب السجون إلى رمي بالكفير والتبديع إلى أقذاع في الشتم والهجاء، بظاهر الإفك والافتراء.

★ ★ ★

فلقد رأينا من فريق منهم من سبهم أهل الحديث ودينهم يا أمة غضب الاله عليهم تباً لكم إذ تشتمون زوامل وسببتموهم ثم لستم كفؤهم هذا وهم قبلوا وصية ربهم حذر المقابلة القبيحة منهم وكذلك أصحاب الحديث فإنهم سبواكم جهالهم فسببتم وصددتم سفهاءكم عنهم وعن

أمراً تهد له قوى الايمان أخذ الحديث وترك قول فلان الأجل هذا تشتموا بهوان الإسلام حذب الله والقرآن فرأوا مستبكم من النقصان في تركهم لمسبة الأوثان بمسبة القرآن والرحمن ضربت لهم ولكم بهذا مثلاً سنن الرسول وعسكر الإيمان قول الرسول وذا من الطغيان

الشرح: لقد حمل التعصب والتقليد للمذاهب الباطلة فريقاً من هؤلاء الجاهلين أن يرتكبوا أمراً عظيماً يتصدع منه بناء الإسلام وتتضعف له قوى الإيمان وهو شتمهم أهل الحديث ورميهم إياهم بالبلادة والغفلة وقلة الفقه وما نقموا منهم إلا أنهم جعلوا دينهم ومذهبهم التمسك بالحديث والعض عليه بالنواجذ وترك ما يخالفه من أقوال الناس، فهل يصلح هذا أن يكون سبباً لشتمهم وإهانتهم بألسنة هؤلاء المارقين الملعونين، فويل لهم إذ يشتمون حملة العلم والدين ويسبون جند الله والقرآن وكان بوسع أهل السنة والحديث أن يردوا عليهم ويقابلوهم بمثل سفاهتهم لولا أن هؤلاء الأوغاد ليسوا كفؤاً لهم فرأوا مسبتهم مما ينقص من قدرهم. وكذلك امتثلوا فيهم قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾

[الأنعام : ١٠٨] فقد نهى الله المؤمنين عن سب الأصنام حذراً أن يحمل ذلك المشركين على الحمية لأصنامهم، فيقابلوا هذا السب بسب الله جل وعلا عدواناً وجهلاً. فكذلك أهل السنة كفوا عن سب هؤلاء الجهلاء حتى لا تأخذهم العزة بالإثم فيسبوا السنة وأهلها كما فعلوا ذلك حين تعرض لهم بعض الجهلة من أهل السنة. ويقال لهم أيضاً أنتم صددتم سفاءكم عن اتباع أهل السنة والأخذ بأقوال الرسول ﷺ وذلك منتهى الطغيان والعدوان.

★ ★ ★

ودعتموهم للذي قالته أشياخ لكم بالخرص والحسبان
فأبوا إجابتكم ولم يتحيزوا إلا إلى الآثار والقرآن
وإلى أولي العرفان من أهل الحد يث خلاصة الإنسان والأكوان
قوم أقامهم الإله لحفظ هذاالدين من ذي بدعة شيطان
وأقامهم حرساً من التبديل والتحريف والتتميم والنقصان
يزك على الإسلام بل حصن له يأوي إليه عساكر الفرقان
فهم المحك فمن يرى متنقصاً لهم فزنديق خبيث جنان
إن تتهمه فقبلك السلف الألى كانوا على الإيمان والاحسان
أيضاً قد اتهموا الخبيث على الهدى والعلم والآثار والقرآن
وهو الحقيق بذاك إذ عادى رواة الدين وهي عداوة الديان

الشرح: لا يعتد هؤلاء المقلدون بشيء من دينهم إلا ما أخذوه عن أشياخهم من أقوال لم تبني على عقل صريح ولا على نقل صحيح، وإنما بنيت على ظن وتخمين فتراهم يتعصبون لها ويدعون إليها كل أحد، ولكن أهل الحق لا يجيئونهم إلى الأخذ بهذه الأباطيل، ولا يتحيزون إلا إلى الآثار الصحيحة والكتاب الكريم فهما المصدران لكل معرفة حقة، وكذلك يرجعون إلى ما يؤثر عن أئمة الحديث وجهابذة السنة الذين هم خلاصة أهل الأرض ديناً وعلماً وإيماناً، والذين قد اختارهم الله لحفظ دينه، ونصبهم حراساً عليه من أهل

الأهواء والبدع حتى لا يفسدوه بتبديل أو تحريف أو زيادة فيه أو حذف منه فهم الشهب التي يرمي بها الله شياطين الإنس حامية لدينه منهم كما يرمي بالشهب السماوية من يحاول استراق السمع من شياطين الجن وهم حصون الإسلام وكهفه الذي يأوي إليه كل من سلك سبيلهم في نصر السنة والكتاب وهم الميزان الذي يعرف به صحيح الأقوال من سقيمها، فما أنكروه هو المنكر، وما أقروه فهو الحق فمن عمد إلى تنقصهم والتهوين من شأنهم فهو خبيث القلب مغموص في دينه، ولا حرج على من يتهمه بذلك فقد اتهم قبله السلف الصالح رضي الله عنهم الخبيث المارق المدعو بالجهم بن صفوان، ولم يأمنوه على العلم والهدى والآثار والقرآن، وقد كان جديراً بهذا الإتهام حيث عادی رواة الدين وحلة السنة، وعداوتهم هي عداوة الله الواحد الديان.

★ ★ ★

فإذا ذكرت الناصحين لربهم وكتابه ورسوله بلسان
 فاغسله ويلك من دم التعطيل والتكذيب والكفران والبهتان
 أتسبهم عدواً ولست بكفئتهم فالله يفدي حزبه بالجاني
 قوم هم بالله ثم رسوله أولى وأقرب منك للإيمان
 شان بين التاركين نصوصه حقاً لأجل زبالة الأذهان
 والتاركين لأجلها آراء من آراؤهم ضرب من الهذيان
 لما فسا الشيطان في آذانهم ثقلت رؤوسهم عن القرآن
 فلذاك ناموا عنه حتى أصبحوا يتلاعبون تلاعب الصبيان
 والركب قد وصلوا العلى وتيمموا من أرض طيبة مطلع الإيمان
 وأتوا الى روضاتها وتيمموا من أرض مكة مطلع القرآن
 قوم إذا ما ناجذ النص بدا طاروا له بالجمع والوحدان
 وإذا بدا علم الهدى استبقوا له كتسابق الفرسان يوم رهان
 وإذا هم سمعوا بمبتدع هذي صاحوا به طراً بكل مكان

الشرح: يقول لهذا الجهمي الخبيث أن لسانك القدر الذي لا ينطق إلا بكل إفك وزور ليس أهلاً لأن يلوك أسماء هؤلاء الأبرار الذين أخلصوا النصيحة لله ولكتابه ولرسوله فإذا أردت ذكرهم فاغسل لسانك أولاً مما ولغ فيه من دم التعطيل والإنكار والتكذيب للسنن والآثار والكفران والجحود والبهتان. ثم ينكر عليه أشد الإنكار أن يسبهم وهو ليس معهم في إطار، ولا يقدر على الجري معهم في مضمار. ويدعو عليه أن يجعله الله فداءهم لأنهم حزبه وجنده الأطهار - الذين لم يعولوا في دينهم إلا على ما قاله الله ورسوله المختار، فهم أولى وأقرب إلى الإيمان من ذلك المعطل المختار - والفرق هائل جداً بين من يترك النصوص الصريحة متعلقاً بزبالات الأذهان والأفكار، وبين من يتمسك بالنصوص ويعض عليها ضارباً بكل ما عداها مما يهذي به المخرفون عرض الجدار وكيف يستوي من هو بليد غافل قد بال الشيطان في أذنه فأثقل رأسه وأطال نومه حتى أصبح، وقد استحوذ عليه يقوده من خطامه، ويلعب به لعب الصبيان بالكرة. كيف يلحق هذا المتخلف المفتون بركب الله على الطائر الميمون وهم قد حلقوا في سماء الرفعة قاصدين مطلع الإيمان من أرض طيبة ليستمتعوا برياضها الأنف وأزهارها الناضرة، وقاصدين كذلك مهابط القرآن من أرض مكة، فهم قوم لا هم لهم إلا أن يتلمسوا الهدى من مصادره، فإذا أبدى لهم النص ناجذيه، وثبتت لديهم صحته طاروا إليه زرافات ووحدانا غير متعثرين ولا متخلفين، وإذا بدا لهم علم الهدى استبقوا نحوه كتسابق المتراهنين. وإذا سمعوا عن ضال ذي بدعة يهذي بها وينشرها في الناس صاحوا به صيحات الغضب والاستنكار ورموا من كل جانب بشهب الآيات والآثار حتى يكشفوا عن بدعته ويجلوه الخزي والعار.

ورثوا رسول الله لكن غيرهم	قد راح بالنقصان والحرمان
وإذا استهان سواهم بالنص لم	يرفع به رأساً من الخسران
عضوا عليه بالنواجذ رغبة	فيه وليس لديهم بمهان
ليسوا كمن نبذ الكتاب حقيقة	وتلاوة قصداً بترك فلان
عزلوه في المعنى وولوا غيره	كأبي الربيع خليفة السلطان

ذكروه فوق منابر وبسكة رقموا اسمه في ظاهر الاثمان
والأمر والنهي المطاع لغيره ولمهتد ضربت بهذا مثلان
يا للعقول ايسوى من قد سال بالقرآن والآثار والبرهان
ومخالف هذا وفطرة ربه الله أكبر كيف يستويان

الشرح: وهم الذين ورثوا علم النبوة وحملوا أمانته على حين باء أعداؤهم
بالنقصان والحرمان لما عرضوا عنه ورفضوه، واذا حل الغرور العقلي أعداءهم أن
يستهيئوا بالنص، ويتكبروا عن قبوله بسبب ما هم فيه من خسار وضلال، تراهم
هم جد حريصين على التمسك به واحترامه فهم ليسوا كمن نبذ الكتاب وراء
ظهره فلم يحسن تدبره، ولم يحكم تلاوته مقلداً في ذلك من سبقه من شيوخه، فان
هؤلاء لم يؤمنوا الا بألفاظ الكتاب يرددونها بلا فهم ولا تدبر ولا يأخذون
دينهم منها بل هي عندهم معزولة عن افادة العلم، ولا يرجعون في ذلك الا الى
حاكم العقل يستفتونه في كل ما يجب اثباته ونفيه، فصار الكتاب عندهم لا حكم
له الا في الاسم فقط، وأما في الحقيقة فالحكم لغيره فهو كأبي الربيع خليفة
السلطان يهتف باسمه على المنابر، ويرقم اسمه على وجه النقود، ومع ذلك فليس
له في الامور حل ولا عقد بل الأمر والنهي في يد غيره.

فيا عجباً لعقول هؤلاء، كيف ضلت حتى استوى عندها من دان بالكتاب
والسنة وبرهان العقل والفطرة، ومن خالف ذلك جملة، الله أكبر كيف استوى
عندهم الأعمى والبصير، أم كيف استوت الظلمات والنور؟ ان هذا هو الضلال
الكبير.

★ ★ ★

بل فطرة الله التي فطروا على مضمونها والعقل مقبولان
والوحي جاء مصدقاً لها فلا تلق العداوة ما هما حريان
سلمان عند موفيق ومصدق والله يشهد أن هما سلمان
فالإ تعارض نص لفظ وارد والعقل حتى ليس يلتقيان

فالعقل اما فاسد ويظنه الرائي
 أو ان ذاك النص ليس بثابت
 ونصوصه ليست تعارض بعضها
 واذا ظننت تعارضاً فيها فذا
 او أن يكون البعض ليس بثابت
 صحيحاً وهو ذي بطلان
 ما قاله المعصوم بالبرهان
 بعضاً فسل عنها علم زمان
 من آفة الأفهام والأذهان
 ما قاله المبعوث بالقرآن

الشرح: يرى أهل السنة قبول كل من حكم الفطرة وحكم العقل ، فان الله
 لا يمكن أن يفطر عباده على خلاف الحق ، كما لا يمكن اذا استقام تفكير العقل ،
 ولم يشبه شيء من الهوى والتقليد أن يزيغ عن الهدى أو يجيد . ويرى أهل السنة
 كذلك أن الوحي لا يمكن أن يجيء بما يناقض الفطرة أو يخالف العقل ، بل لا بد
 أن يكون مصداقاً لها ، فان رب الفطرة والعقل هو منزل الشرع فهو مصدر ذلك
 كله ، فلا يعقل أن يناقض نفسه ، فمن الخطأ توهم عداوة بين هذين الأصلين
 ووجود حرب بينهما بل هما سلمان عند من يحسن التوفيق بينهما ويرزق التصديق
 والقبول للنصوص والآثار والله يشهد كذلك أنها سلمان لا يعاند أحدهما
 الآخر ، فاذا بدا تعارض بين النص والعقل فلا بد أن يكون سببه أحد أمرين :
 اما فساد في العقل بسبب ما خالطه من هوى أو وهم فيظنه الناظر فيه صحيحاً
 وهو في حقيقته باطل واما كذب في النقل ، فيكون غير ثابت الورود عن رسول
 الله ﷺ .

وكذلك اذا نسبت النصوص بعضها الى بعض فلا يمكن ان يقع بينها تعارض
 فسل عنها علماً بتأويلها وأوجه التوفيق بينها ليزيل ما يتوهم بينها من تعارض .
 واذا ظننت بينها تعارضاً فلا سبب لذلك الا واحد من أمرين : أما قصور في
 الفهم وحصول آفة له تمنعه من الجمع بينهما ، واما أن يكون أحدهما ليس بثابت
 النقل عن الرسول ﷺ .

★ ★ ★

لكن قول محمد والجهم في قلب الموحد ليس يجتمعان

الا ويطرد كل قول ضده والناس بعد على ثلاث: حزبه فاختر لنفسك أين تجعلها فلا من قال بالتعطيل فهو مكذب ان المعطل لا اله له سوى الم وكذا اله المشركين نحيته الأ لكن اله المرسلين هو الذي تالله قد نسب المعطل كل من والله ما في المرسلين معطل كلا ولا في المرسلين مشبهه فخذ الهدى من عبده وكتابه

فاذا هما اجتماعاً فمقتلان أو حربه أو فارغ متوان والله لست برابع الأعيان بجميع رسل الله والفرقان نحوت بالأفكار في الأذهان يدي هما في نحتهم سيان فوق السماء مكون الأكوان بالبينات أتى الى الكتمان نافي صفات الواحد الرحمن حاشاهم من افك ذي بهتان فهما الى سبل الهدى سبيان

الشرح: واذا ثبت أن هذه الثلاثة من الفطرة والعقل ونصوص الشرع متساندة متعاضدة يؤيد بعضها بعضاً، وهي متضافرة على اثبات الصفات، فان العداوة والمنافاة قائمة على أشدها بين قول الرسول ﷺ وبين قول الجهم امام التعطيل، فليس يجتمعان في قلب موحد، حتى يجتمع فيه الماء والنار، فهما ضدان متعاندان لا يمكن أن يجتمعا في محل واحد، فاذا هما اجتماعاً فلا بد من وقوع حرب بينهما. والناس حينئذ على أقسام ثلاثة، فمنهم من هو من حزب الحق وجنده، فهو يقاتل تحت رايته ويذب عنه أعداؤه، ومنهم من هو حزب عليه يقاتل في صفوف خصومه، ومنهم من هو فارغ اللب من هذه الحرب لا يكثرث لها ولا ينتصر لأي الفريقين المتحاربين لتوانيه عن تحصيل ما ينجي، فيجب على العاقل أن يختار لنفسه بين هذه الفرق الثلاث، فان قال بقول الجهم في التعطيل فقد كذب بما جاءت به جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام، فان أقوالهم كلها متفقة على الاثبات، وقد رضي لنفسه ان يعبد صنماً قد نحته بفكره وذهنه، ونسجه بخياله، كما يعبد المشركون أصناماً نحتوها بأيديهم من الحجارة.

وأما اله الرسل الذين جاؤوا للتبليغ عنه والدعوة الى توحيده، فهو الذي فوق

السماء مستو على عرشه، وهو الموجد لجميع الكائنات.

تالله لقد نسب المعطل كل الرسل عليهم الصلاة والسلام الى جحود الحق وكتمانه، اذا كان الحق هو ما ذهب اليه من التعطيل، فان كلامهم كله صريح في الاثبات، وليس فيهم أبداً من هو معطل جاحد لصفات الواحد الرحمن، كما أنه ليس فيهم مشبه يمثّل الله بخلقه، فحاشاهم من كل ما يفتره عليهم أهل الافك والبهتان. فعلى طالب الهدى أن لا يأخذه الا من مصدره الحقيقين، وهما عبد الله ورسوله، وما أنزل من كتابه، فهما وحدهما السبيل اليه، فمن تركهما ضل وجانبه الصواب.

فصل

في بطلان قول الملحدين ان الاستدلال بكلام الله ورسوله لا يفيد العلم واليقين

واحذر مقالات الذين تفرقوا
واسأل خبيراً عنهم ينبئك عن
قالوا الهدى لا يستفاد بسنة
اذ كل ذلك أدلة لفظية
فيها اشترك ثم اجمال يرى
وكذلك الاضمار والتحقيق والحد
والنقل آحاد فموقوف على
اذ بعضهم في البعض يقدر دائماً
وتواتر وهو القليل ونادر
هذا ويحتاج السلامة بعد من
وهو الذي بالعقل يفرض صدقه

شيعا وكانوا شيعه الشيطان
أسرارهم بنصيحة وبيان
كلا ولا أثر ولا قرآن
لم تبد عن علم ولا أيقان
وتجوز بالتزييد والنقصان
ذف الذي لم يبد عن تبيان
صدق الرواة وليس ذا برهان
والقدرح فيهم فهو ذو إمكان
جدا فأين القطع بالبرهان
ذاك المعارض صاحب السلطان
والنفي مظنون لدى الانسان

فلأجل هذا قد عزلناها وولينا العقول ومنطق اليونان

الشرح: من الضلالات الشنيعة التي وقع فيها أرباب الكلام المذموم، وكانت محل اتفاق بينهم رغم ما هم عليه من عداوة وخلاف، زعمهم أن الأدلة اللفظية وحدها لا تفيد العلم واليقين، ولكن تفيد الظن الذي لا قطع معه بأحد المعنيين، وعللوا هذا بأن الألفاظ يعرض لها مثل الاشتراك الذي هو وضع اللفظ لمعنيين أو لعدة معان على السواء، فاذا أطلق لا يدري أيها هو المقصود منه، كلفظ العين مثلاً، فانه موضوع للباصرة والجارية والشمس الخ.

ويعرض لها كذلك الاجمال الذي يحتاج الى بيان وتفصيل كما في قوله تعالى مثلاً: ﴿حَرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾ [المائدة: ٣] فهذا مجمل يحتاج الى بيان الأشياء التي يتناولها اسم الميتة وهل يدخل فيها ميتة البحر والجنين الذي خرج من بطن أمه المذكاة ميتاً أو لا يدخل... الخ، ويعرض لها أيضاً المجاز بالزيادة والنقصان، والاضمار الذي لا يعرف معه مرجع الضمير، والحذف الذي لا يدري معه تقدير الحذوف الى غير ذلك من العوارض التي قد تعرض للألفاظ فلا يمكن معها الجزم بمعنى اللفظ. وهذا عارض من جهة من اللفظ. وأما من جهة السند فالنقل اما أخبار آحاد فتتوقف على صدق رواتها، وهو أمر غير مقطوع به ما دام بعضهم يقدر في بعض ويتهمه بالكذب والوضع، أو بسوء الحفظ وعدم الضبط، وأما متواتر وهو نادر وقليل جداً، وهو مع ندرته وقلته يحتاج الى السلامة من المعارض العقلي. هذه هي الشبه التي أدت بهم الى تلك الفرية الكبرى، وهي عزل جميع الألفاظ عن أن تكون نصاً في معانيها تفيد القطع بها والحكم عليها جميعاً بالاحتمال وافادة الظن، ولزمهم بذلك عزل القرآن والسنن والآثار السلفية عن أفادة العلم، ولكن ذلك انما يستفاد عندهم بالدلائل العقلية التي تتركب على قواعد المنطق اليوناني. ولهذه الشناعة التي ارتكبوها، وهي سد باب الهدى والبيان من جهة النصوص الشرعية، حذرنا المؤلف من مقالاتهم، ووصفهم بأنهم شيعة الشيطان أي حلفاؤه في الاضلال والاعواء، وقال سل بهم خبيراً، يعنى نفسه، فانه درس هذه المذاهب كلها دراسة تعمق واستيعاب،

وكان من علماء المذهب الأشعري قبل أن يتصل بشيخه شيخ الاسلام ابن تيمية
رحمها الله تعالى، وجزاها عن دينه خير ما يجزي به الناصحين الأمناء.

★ ★ ★

فانظر الى الاسلام كيف بقاؤه وانظر الى القرآن معزولاً وانظر الى قول الرسول كذاك مع الله ما عزلوه تعظيماً له يا ليتهم اذ يحكمون بعزله يا ويلهم ولوا نتائج فكرهم ورذالهم ولوا اشارات ابن سـ وانظر الى نص الكتاب مجندلاً بالطعن بالاجمال والاضمار والاشترك وبالمجاز وحذف ما وانظر اليه ليس ينفذ حكمه وانظر اليه ليس يقبل قوله لكنما المقبول حكم العقل لا يبيكى عليه أهله وجنوده

من بعد هذا القول ذي البطلان سديهم عن نفوذ ولاية الايقان زولا لسديهم ليس ذا سلطان أيظن ذلك قط ذو عرفان لم يرفعوا رايات جنكسخان وقضوا بها قطعاً على القرآن سينا حين ولوا منطق اليونان وسط العريين ممزق اللحمان والتخصيص والتأويل بالبهتان شاؤوا بدعواهم بلا برهان بين الخصوم وما له من شان في العلم بالاوصاف للرحمن أحكامه لا يستوى الحكمان بدمائهم ومدامع الاجفان

الشرح: فانظر يا أبا الاسلام كيف هدم هؤلاء بمقاتلتهم الجائرة بناء الاسلام وانظر كيف عزلوا القرآن الذي أخبر الله عنه أنه أنزله بياناً للناس وبلاغاً لهم، وسماه هدى ورحمة وموعظة وشفاء وروحاً ونوراً، وسماه بينة وبرهاناً وبصائر الى غير ذلك من الأسماء الواردة في القرآن، كيف عزلوه عن سلطته في افادة العلم والايقان، وكيف عزلوا الأحاديث الصحيحة كذلك عن افادة البرهان، فأبي هوان لها وراء هذا الهوان؟ ومهما تصنع هؤلاء التوقير للكتاب والسنة بصيانتها عن تناول العقول والأفهام، فلن يجوز ذلك على أحد من أهل

المعرفة فانهم في الوقت الذي يعزلون فيه النصوص الشرعية يقيمون سُرائع المغول والتتار فويل لهم حيث حكموا نتائج عقولهم وقدموا حكمها على القرآن، وجعلوها قاضية عليه، وردالهم أي أخسأؤهم يولون اشارات ابن سينا ويتخذونها آيات مقدسة، حين قدموا منطق اليونان وجعلوا له الولاية والسلطان، في الوقت الذي جعلوا فيه نصوص الكتاب مزقاً وطعنوا فيها باحتمال الاجال والاضمار، والتخصيص والتأويل، والاشترك والمجاز والحذف، الى غير ذلك مما زعموه بلا بينة ولا برهان، ثم عزلوها عن الحكم فيما شجر من خلاف بين أرباب المذاهب ولم يردوا اليها ما تنازعوا فيه، اعتقاداً منهم أنها لا تصلح لأن تكون حكماً في موارد الخلاف. ولم يقبلوا كذلك قولها في صفات الرحمن جل شأنه. لأنها تثبت له من الصفات ما تقتضي عقولهم نفيه، فهم يرجعون في ذلك الى حكم العقل وحده اثباتاً ونفياً ويرفضون أحكام القرآن حتى تركوه وسط المعركة صريعاً ممزق اللحمان يبكي عليه أهله وجنوده بدمائهم ومدمع الاجفان.

★ ★ ★

عهدوه قدماً ليس يحكم غيره	وسواه معزول عن السلطان
ان غاب نابت عنه أقوال الرسو	لها لهم دون الورى حكمان
فأتاهم ما لم يكن في ظنهم	في حكم جنكسخان ذي الطغيان
بجنود تعطيل وكفران من المفع	ول ثم اللاص والعلان
فعلوا بملته وستته كما	فعلوا بأمته من العدوان
والله ما انقادوا لجنكسخان حتى أع	رضوا عن محكم القرآن
والله ما ولوه الا بعد عز	ل الوحي عن علم وعن ايقان
عزلوه عن سلطانه وهو اليق	ين المستفاد لنا من السلطان
هذا ولم يكف الذي فعلوه حتى	تمموا الكفران بالبهتان
جعلوا القرآن عضين اذ عض	هوه أنواعاً معددة من النقصان

الشرح: يعني أن أهل القرآن وجنوده كان عهدهم به في الزمان الأول أنه

هو وحده الحكم والفيصل في قضايا الدين كلها أصلها وفرعها وسواه من مصادر العلم والمعرفة لا سلطان لها بجانبه، بل كلها خاضعة لحكمه، فان غاب ولم يوجد فيه الحكم المطلوب نابت عنه أقوال الرسول وسنته، فالكتاب والسنة هما وحدهما الحكمان عند أهل الايمان لا يقدمون على حكمهما قول فلان ولا رأي علان. ولكن الآية انعكست ووقع ما لم يكن في حساب أحد حين وقعت البلاد الاسلامية تحت حكم جنكيز خان ملك التتار الطاغية حيث أتى مع جيشه المحارب بالسيف والسنان بجنود تعطيل وكفران ليفعلوا بالملة الاسلامية، والطريقة المحمدية مثل ما فعلت جيوشهم بأمة الاسلام من التنكيل والعدوان. فهم وان تظاهروا بالدخول في الاسلام، لكنهم لم ينقادوا لحكم الكتاب والسنة. بل بقوا على شريعة الغاب التي قدموا بها من بلادهم. فمن انقاد لهم ودخل في طاعتهم على ما هم فيه فقد أعرض عن محكم القرآن. وعزله عما هو مختص به ونازل لأجله من افادة العلم والايقان. فان ذلك هو سلطانه ومناط ولايته أن يفيد اليقين بما فيه من حجة وبرهان وبما اشتمل عليه من تفصيل وبيان.

وليتهم اكتفوا بهذا الذي فعلوه بعزله عن ولايته في افادة اليقين بل تمموا هذا الكفر المبين بهتان عظيم، وهو جعلهم القرآن مزقاً وعضين فرموه بأنواع من النقص فعل الجاهلية المارقين يضاهئون به قول من تقدمهم من المشركين كما حكاها الله عنهم في كتابه المبين.

★ ★ ★

لم يبد من رب ولا رحمن	منها انتفاء خروجه من ربنا
أو جبرئيل أو الرسول الثاني	لكنه خلق من اللوح ابتدا
ليس الكلام بوصف ذي الغفران	ما قاله رب السموات العلى
عضهوه عضه الريب والكفران	تبا لهم سلبوه أكمل وصفه
بشر ونسبته الى الرحمن	هل يستوى بالله نسبه الى
الله أكبر ليس يستويان	من أين للمخلوق عين صفاته

بين الصفات وبين مخلوق كما هذا وقد عضهوه أن نصوصه لكن غايتها الظنون وليته لكن ظواهر ما يطابق ظنها الا اذا ما أولت فمجازها أو بالكناية واستعارات وتشـ فالقطع ليس يفيد والظن فلم الملامة اذ عزلناها

بين الاله وهذه الأكوان معزولة عن امرة الايقان ظناً يكون مطابقاً ببيان ما في الحقيقة عندنا بوازن بزيادة فيها أو النقصان بيه وأنواع المجاز الثاني منفى كذلك فانتفى الأمران ووليننا العقول وفكرة الأذهان

الشرح: فما عضهوا به القرآن العظيم انهم نفوا خروجه من الرب الكريم ولم يقولوا بما قال السلف انه كلام الله منزل غير مخلوق منه بدا واليه يعود ، بل قالوا أنه مخلوق كسائر الأشياء المخلوقة في الوجود ، وأنه لم يبتدىء نزوله من عند الله ، بل من اللوح المحفوظ الذي هو مكتوب فيه ، ومنهم من يقول أن جبريل هو الذي أنشأ ألفاظه وتكلم بها ، ومنهم من يقول: بل الرسول الثاني وهو محمد صلى الله عليه وآله فان القرآن أوحى اليه معاني فقط وهو الذي عبر عنها بألفاظ من عنده ، بل معنى كونه متكلماً عندهم أنه خالق للكلام ، وأضافه القرآن اليه انما هي اضافة تشريف لمزيد اختصاص به كاضافة البيت والناقة ، وليست اضافة لموصوف ، فهلاكاً لهؤلاء الملحدون الذين أهدوا في آيات الله ونفوا تكلمه بها فسلبوا ربهم أكمل صفاته وهي الكلام والبيان والافهام ، فان من لا يقدر على الكلام لا يصلح أن يكون الها معبوداً للأنام ، ولهذا أنكر الله على بني اسرائيل عبادتهم للعجل الذي صاغه لهم السامري بأنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً .

وعجبا لهؤلاء كيف تستوي في عقولهم النسبتان . نسبته الى البشر ، ونسبته الى الرحمن ، مع أن الله توعد رأساً من رؤوس الكفر وهو الوليد بن المغيرة بأنه سيصليه سقر لقوله في القرآن: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٥] وكيف يضاف كلامه الذي هو صفته الى مخلوق فيكون صفة لذلك المخلوق

وأنى للمخلوق بمثل صفاته؟ وكيف تستوي صفة الخالق وصفة المخلوق مع أن
بينها من البعد كما بين الخالق والمخلوق سبحانه هذا بهتان عظيم.

ومما عضدوه به أيضا أنهم عزلوا نصوصه عن امرتها في افادة العلم واليقين،
وقالوا أنها دلائل لفظية قصاراها أن تفيد الظن والتخمين وليتها حين تفيد الظن
يكون ظنها مطابقاً لما في الواقع ونفس الأمر ببيان واضح. بل هي ظواهر لفظية
لا تطابق معانيها الحقائق الخارجية فلا بد من تأويلها بما يصرّفها عن تلك المعاني
الظاهرة منها الى معانٍ آخر فتحمل على أنها مجاز بالزيادة أو النقصان أو على أنها
كنايات يراد منها لوازم معناها دون المعنى الأصلي أو على أنها استعارات
استعملت في غير ما وضعت له لعلاقة مع امتناع ارادة معانيها الحقيقية أو على
أنها تشبيهات أو مجاز ثان وهو المجاز المرسل الخ. وعلى الجملة فهي لا تفيد الا
الظن والظن المستفاد منها ليس هو المقصود، وبذلك انتفت عندهم افادتها للقطع
وللظن معاً، فهي لا تفيد شيئاً، وبذلك يقولون لا لوم علينا اذا عزلناها عن
ولايتها ولم نحتكم في باب العقائد اليها. وولينا بدلا منها العقول والأذهان لأنها
هي التي تعطينا البرهان المفيد للعلم والايقان. هكذا يقول هؤلاء الثيران فما
أعظمه من افك، وما أقبحه من بهتان.

★ ★ ★

يا أمة الآثار والقرآن
أبدأ ولا تحيهم لهوان
والمعقول والمنقول والبرهان
لى وسنة ربنا الرحمن
هم بالخطاب لمقصد التبيان
بكلامه من أهل كل لسان
هذا مع التقصير في الانسان
هو دونه في ذا بلا نكران

فالله يعظم في النصوص أجوركم
ماتت لدى الأقوام لا يحيونها
هذا وقولهم خلاف الحس
مع كونه أيضاً خلاف الفطرة الأو
فالله قد فطر العباد على التفا
كل يدل على الذي في نفسه
فترى المخاطب قاطع بمراده
اذ كل لفظ غير لفظ نبينا

حاشا كلام الله فهو الغاية القصوى له أعلى ذرى التبيين

الشرح: المقصود من الالفاظ هو الدلالة على المعانى، واللفظ بلا معنى كالجسد بلا روح، فاذا كان هؤلاء قد سلبوا النصوص دلالتها على معانيها، وأوجبوا صرفها عنها الى معان آخر بالتأويل. فقد حكموا بموتها، وجردوها من الروح التي به حياتها، وتلك مصيبة من أعظم المصائب، دونها فقد كل عزيز وصاحب، فالله يعظم أجور أهل الايمان في مصيبتهم في النصوص التي لا خلف منها ولا عوض، فقد أماتها القوم موتاً لا قيامة بعده، ولم يريدوا أن يحيوا بها لهوانها عليهم، على أنهم فيما ذهبوا اليه من سلب النصوص خاصية الدلالة والافهام مكابرون للحس والعيان، ومخالفون للعقل والنقل وفطرة الانسان التي هي سنة ربنا الرحمن، فان الله قد فطر العباد على التفاهم بالخطاب لقصد الايضاح والبيان لما يضمره الجنان. فكل متكلم بكلام من أهل كل لغة ولسان انما يريد بكلامه التعبير عما في نفسه حتى يفهمه المخاطب فاذا سمع الكلام وكان عارفاً بوضع الألفاظ قطع بمراد المتكلم منها مع قصوره في البيان، فانه مهما كانت درجته في الفصاحة والبلاغة فلا بد أن يكون في بيانه قصور، وانما تمام البيان له وحده صلى الله عليه وسلم، فكل كلام هو دون كلامه في ذلك الا كلام ربنا جل وعلا فهو الغاية القصوى التي لا تنال وهو الذي يتطامن عنده كل مقال.

لم يفهم الثقلان من لفظ كما فهموا من الأخبار والقرآن
فهو الذي استولى على التبيين كاستيلائه حقاً على الاحسان
ما بعد تبيان الرسول لناظر إلا العمى والعيب في العميان
فانظر إلى قول الرسول لسائل من صحبه عن رؤية الرحمن

كالبدر ليل تمامه والشمس في
بل قصده تحقيق رؤيتنا له
ونفى السحاب وذاك أمر مانع
فأتى بالمقتضى ونفى الموا

صلى عليه الله ما هذا الذي يأتي به من بعد ذا بيان
ماذا يقول القاصد التبيان يا أهل العمى من بعد ذا التبيان

الشرح: فنصوص الكتاب والسنة هي الغاية في البيان والدلالة على المعنى المقصود، بحيث لا يمكن ان يتسامى إلى رتبها في ذلك كلام أحد من الناس، فاختصاصها بالإيضاح والبيان كاختصاصها بالجودة والإتقان، فليس بعد بيان الرسول مطمح لناظر ولا غاية لمستدل، فمن لم يهتد به ولم يدرك المراد منه فليتهم نفسه، فإنه إنما أتى من جهة عماء وفساد نظره، وإن شئت دليلاً على ذلك فانظر إلى ما أجاب به الرسول ﷺ من سأله من أصحابه عن رؤية المؤمنين لله عز وجل في الجنة حيث قال « إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب وكما ترون الشمس صحوا ليس دونها سحاب » ولم يرد الرسول ﷺ بذلك تشبيه المرئي بالمرئي، فإن الله عز وجل لا يشبهه شيء من خلقه، وإنما قصد إلى تحقيق الرؤية وتأكيدا، فشبهُ رؤيتنا له برؤية الشمس والقمر وهما في أم أحوالهما من حيث الجلاء والظهور، وهو أن يكون القمر بديراً، وأن تكون الشمس في نحر الظهيرة، وقد انتفى عنها كل ما يحول دون رؤيتها من سحاب وقتر، فجمع ﷺ في كلامه بين وجود المقتضى للرؤية وانتفاء المانع منها خشية ان يقع في كلامه نقص أو قصور، فإذا كان يمكن ان يأتي به ﷺ من زيادة على هذا البيان، وماذا عسى ان يقوله القاصد للتبيان من بعد هذا التبيان؟ اللهم إنه العمى والخذلان وغرور الإنسان، يحول بينه وبين رؤية الحق الظاهر للعيان.

★ ★ ★ ★

فبأي لفظ جاءكم قلم له ذا اللفظ معزول عن الإيقان
وضربتم في وجهه بعسا ساكر التأويل دفعاً منكم بليان
لو أنكم والله عاملمت بهذا أهل العلوم وكتبهم بوزان
فسدت تصانيف الوجود بأسرها وغدت علوم الناس ذات هوان

هذا وليسوا في بيان علومهم
والله لو صح الذي قد قلمت
فالعقل لا يهدي إلى تفصيلها
فإذا غدا التفصيل لفظياً ومع
فهنالك لا علم أفادت لا ولا
مثل الرسول ومنزل القرآن
قطعت سبيل العلم والإيمان
لكن ما جاءت به الوحيان
زولاً عن الإيقان والرجحان
ظناً وهذا غاية الحرمان

الشرح: ولكنكم مع بلوغ الرسول ﷺ ذروة البيان ووضوح مراده من كلامه كأنه مرئي للعيان، كلما جاءكم بلفظ مهما كان صريحاً في معناه قلمت أنه لا يفيد اليقين، لأن دلالة أي لفظ على معناه عندكم دلالة ظنية، فتضربون في وجهه بعساكر التأويل دفعاً له عن معناه الحق بليان، أي بملاينة ولطف. وصرفاً له إلى ما تريدون من معان باطلة تزعمونها عقلية. وهذا الحكم منكم بقصور الألفاظ عن الدلالة على معانيها يترتب عليه من الفساد ما لا يحصىه إلا الله، فلو أنكم أجريتم قاعدتكم هذه على أهل العلوم وكتبهم لما أمكن فهم مسألة واحدة من مسائل العلوم، ولفسدت تصانيف الوجود كلها، ولأصبحت العلوم شيئاً تافهاً لا يؤبه له، مع أن علوم هؤلاء العلماء لا يمكن أن تساوي في البيان ما جاء عن الرسول من سنة وقرآن، ولو صح أيضاً ما قلمت لانسد باب العلم والإيمان، فإن العقول لا تهدي إلى تفاصيلها، بل إنما يعرف ذلك مما جاء به الوحيان من سنة ومن قرآن، فإذا كان ذلك التفصيل لفظياً ومعزولاً عنكم عن إفادة الإيقان، بل عن إفادة الظن والرجحان كانت النتيجة أن هذه النصوص التي لا بد منها لمعرفة تفاصيل العقائد لا تفيد علماً ولا ظناً، وهذا غاية الحرمان، بل غاية الجهل والخذلان.

★ ★ ★

لو صح ذاك القول لم يحصل لنا
وغدا التخاطب فاسداً وفساده
ما كان يحصل علمنا بشهادة
قطع بقول قط من إنسان
أصل الفساد لنوع ذا الإنسان
ووصية كلا ولا إيمان

وكذلك الإقرار يصبح فاسداً
وكذا عقود العالمين بأسرها
أيسوغ للشهدا شهادتهم بها
إذ تلكم الألفاظ غير مفيدة
بل لا يسوغ لشاهد أبداً شها
بل لا يراق دم بلفظ الكفر من
بل لا يباح الفرج بالاذن الذي
أيسوغ للشهداء جزمهم بأن
هذا وجلة ما يقال بأنه

الشرح: ولو صح قولكم أيضاً لما أمكن القطع بمراد أي متكلم بكلامه
لاحتماله لهذا المعنى ولغيره، وحينئذ يفسد التخاطب بين الناس ولا يمكن لأحد
أن يفهم مراد الآخر من كلامه وفساد التخاطب الذي هو ميزة الإنسان
وخاصيته التي اختصه الله بها من بين سائر الحيوان يقتضي فساد أحوال ذلك
النوع كلها واضطراب أموره، فإذا شهد شاهد مثلاً على أمر ما لم تكن شهادته
موجبة لإثبات ذلك الأمر إذ لم يحصل لنا علم بمضمون تلك الشهادة، وحينئذ
لا يمكن إثبات حق ما عن طريق الشهادة.

وكذلك إذا أوصى إنسان بوصية لا يمكن فهم ما أوصى به على وجهه،
وبذلك لا يمكن إنفاذ وصيته، ولو حلف على يمين لا ينعقد يمينه لعدم العلم
بالمحلف عليه ولو أقر بشيء لا يؤخذ بإقراره كذلك لاحتماله لعدة معان،
وكل عقد حصل بين اثنين عن طريق التخاطب والمشافهة هو أيضاً فاسد على
رأيكم لعدم علم كل منهما بما يريد الآخر بكلامه، ولا يسوغ لشاهد سمع ذلك
منها الشهادة عليه لعدم علمه بمدلولات تلك الألفاظ، فإنها عندكم غير مفيدة لا
لعلم ولا لظن، بل يسوغ لشاهد شهادته على مدلول أي كلام، بل لو تلفظ أحد
بما هو صريح في الكفر لا يحكم بردته ولا يجب قتله، بل لو تزوج إنسان من
امرأة وتلفظت بما يدل على أذنها وقبولها للنكاح منه لا يكون ذلك مبيحاً للوطء

لعدم إفادة ذلك اللفظ للعلم برضاها، ولو استشهد على ذلك شهود لم يمكنهم الجزم بأنها رضيت ما دام اللفظ محتملاً لمعان كثيرة. وبالجملة فإن هذه القاعدة التي سيء يائمتها من قعدها وقصد من ورائها صرف الناس عن أخذ دينهم من الكتاب والسنة بحجة أن دلالتها لفظية يترتب عليها من فساد العقول والأديان ما لا يدخل تحت عد ولا حسابان، بل هي هذيان لا يليق بكرامة الإنسان.

★ ★ ★

هذا ومن بهتانهم أن اللغات فانظر إلى الألفاظ في جريانها أتظنها تحتاج نقلاً مسنداً أم قد جرت مجرى الضروريات لا إلا الأقل فإنه يحتاج للنقل ومن المصائب قول قائلهم بخلافهم فيه كثير ظاهر وكذا اختلافهم امشتقاً يرى والأصل ماذا فيه خلف ثابت هذا ولفظ الله أظهر لفظة فانظر بحق الله ماذا في الذي هل خالف العقلاء أن الله ما فيه إجمال ولا هو موهم

ت أتت بنقل الفرد والوحدان في هذه الأخبار والقرآن متواتراً أو نقل ذي وحدان تحتاج نقلاً وهي ذات بيان للنقل الصحيح وذلك ذو تبيان أن الله أظهر لفظة بلسان عربي وضع ذلك أم سرياني أم جامداً قولان مشهوران عند النحاة وذلك ذو ألوان نطق اللسان بها مدى الأزمان قالوه من لبس ومن بهتان رب العالمين مدبر الأكوان نقل المجاز ولا له وضعان

الشرح: ومن جملة افتراء هؤلاء ادعاؤهم أن اللغات في دلالتها على معانيها إنما نقلت بأخبار آحاد، وخبر الواحد إنما يفيد الظن. وهذا كذب فإننا نجد الألفاظ المتداولة في الكتاب والسنة لا تحتاج في العلم بوضعها لمعانيها إلى رواية أحد من الناس لا تواتراً ولا آحاداً، بل إن ذلك يجري مجرى الضروريات التي لا تحتاج إلى نقل، اللهم إلا قليلاً من الألفاظ الشاذة الغربية، فقد يحتاج في العلم

بوضعها الى نقل صحيح، وهذه قد بينها علماء اللغة ونقلوا الشواهد الدالة على معانيها.

وأدهى من ذلك وأمر قول بعضهم مستشهداً على قصور اللغات وعدم إفادتها العلم بالمعاني أن الاسم الكريم (الله) مع كونه أظهر لفظة نطق بها لسان قد اختلفوا فيه اختلافاً كثيراً، فاختلفوا أولاً هل هو عربي أم سرياني، ثم اختلفوا ثانياً هل هو مشتق أم جامد؟ والذين قالوا بأنه مشتق اختلفوا في أصل اشتقاقه، هل هو من إله ياله آلهة، بمعنى عبد، أو من إله ياله إلهاً إذا تحير، أو من وله يوله إذا أصابه الوله، وهو شدة الحب الخ.

قالوا فإذا كانت أظهر لفظة نطق بها لسان، هذا حظها من الخلاف والشقاق فكيف يمكن الثقة بمعنى أي لفظ مما هو دونها في الظهور والبيان. وهذا منهم تلبيس مكشوف وبهتان مفضوح فإن أحداً من العقلاء لم يختلف في مدلول هذه اللفظة، وأنها علم على رب العالمين مدبر الخلائق أجمعين ليس فيها إجمال يحتاج إلى تفصيل ولا هي موهمة معنى آخر بطريق النقل المجازي ولا لها وضعان، بل لم توضع إلا لهذا المعنى وحده، يعرف ذلك كله من له علم بالوضع اللغوي لها، فأين إذا ما ادعوه من خلاف على معناه؟ اللهم أن القوم في ضلال مبين.

★ ★ ★ ★

والخلف في أحوال ذاك اللفظ لا	في وضعه لم يختلف رجلا
وإذا هم اختلفوا بلفظة مكة	فيه لهم قولان معروفان
أفبينهم خلف بأن مرادهم	حرم الإله وقبله البلدان
وإذا هم اختلفوا بلفظة أحمد	فيه لهم قولان مذكوران
أفبينهم خلف بأن مرادهم	منه رسول الله ذو البرهان
ونظير هذا ليس يحصر كثرة	يا قوم فاستحيوا من الرحمن
أبمثل ذا الهذيان قد عزلت نصو	ص الوحي عن علم وعن إيقان
فالحمد لله المعافي عبده	مما بلاكم يا ذوي العرفان

فلاجل ذا نبذوا الكتاب وراءهم ومضوا على آثار كل مهان
ولأجل ذاك غدوا على السنن التي جاءت وأهلها ذوي أضغان
يرمونهم كذباً بكل عزيمة حاشاهم من أفك ذي بهتان

الشرح: فالخلاف الواقع في ذلك اللفظ ليس في المعنى الموضوع له، فإن ذلك لم يختلف فيه إثنان، وإنما الخلاف فيما يعتريه من أحوال من حيث الجمود والاشتقاق والأصل الذي يرجع إليه الاشتقاق ونحو ذلك، كما اختلفوا في لفظة مكة على قولين من حيث الأصل الذي اشتقت منه، فمنهم من قال أنها من مكته بمعنى أهلته لأنها تهلك كل من قصدها بسوء، وقيل من أمتك الفضيل الضرع إذا امتص كل ما فيه لذهابها بالفضل على سائر القرى.

ولكن أحداً لم ينازع في أن هذه اللفظة علم على حرم الله الآمن وقبلته التي ارتضاها لعباده، وكذلك اختلفوا في اشتقاق لفظة أحمد، وهل هي بمعنى اسم الفاعل أو المفعول، ولكنهم متفقون على أن المراد بها هو رسول الله المبعوث بالبراهين والبيانات. ومثل هذا كثير لا يمكن حصره، ولكن القوم قل منهم الخياء من الله جل وعلا. فقالوا على كتابه وسنة رسوله بهتاناً عظيماً. وقضوا عليها بمثل هذه الهذيان ف عزلوا نصوصها عن إفادة العلم واليقين، فالحمد لله الذي عافانا مما ابتلى به هؤلاء الأعداء للمعرفة وهم في الغاية القصوى من الجهل والغباء الذين نبذوا كتاب ربهم وراء الظهر وصاروا أعداء للسنة وأهلها يرمونهم بكل قبيح من الألقاب، وبكل فاحش من السباب من أجل قاعدة موهومة يحسبونها شيئاً وهي سراب، ولكن هؤلاء مبرؤون مما يبهته به هؤلاء الأفاكون، وهم عند الله أولوا الألباب.

★ ★ ★ ★

فصل في تنزيه أهل الحديث والشريعة عن الألقاب القبيحة الشنيعة

فرموهم بغياً بما الرامي به
يرمي البريء بما جناه مباحتهماً
سموهم حشوية ونوابتها
وكذاك أعداء الرسول وصحبه
نصبوا العداوة للصحابة ثم ساءوا بالنواصب شيعة الرحمن
وكذا المعطل شبه الرحمن بالمعدوم فاجتمعت له الوصفان
وكذاك شبه قوله بكلامنا
وكذاك شبه وصفه بصفاتنا
وأتى إلى وصف الرسول لربه
بالله من أولى بهذا الاسم من
إن كان تشبيهاً ثبوت صفاته
لكن نفي صفاته تشبيهاً
بل بالذي هو غير شيء وهو
فمن المشبه بالحقيقة أنتم

الشرح: ثم إن هؤلاء المعطلة الجاحدين لصفات رب العالمين يرمون أهل الإثبات من المحدثين بغياً بما هم أحق به وأجدر من ألقاب السوء ليدفعوا الذم عن أنفسهم فعل الجناة المجرمين فيرمونهم، وهم برآء بما جنوه هم مكابرين مباهتين، ولذلك يشبه الأمر على الإغرار الجاهلين فيظنونهم فيما بهتوا به أهل الحق صادقين. وهم عند الله والمؤمنين من أكذب الكاذبين فسموهم حشوية يعنون أنهم من حشو الناس أو خلاطهم، فليس عندهم علم ولا تحقيق، وسموهم نوابتها يقصدون أنهم نبتوا في الإسلام بعد اختلاط الأعاجم وفساد اللسان العربي وسموهم مجسمين وعابدي أوثان، لأنهم يقولون أن ربهم في السماء وفوق العرش

بذاته فما أشبههم في ذلك بالرافضة الخبيثاء أعداء الرسول وأصحابه حيث نصبوا
العداوة للصحابة رضي الله عنهم وأسرفوا في سبهم وتنقيصهم، ثم كل من
والاهم وعرف لهم أقدارهم وسوالفهم في الدين ناصيبا، فمن أولى بهذا الاسم من
الفريقين؟ ورحم الله ابن تيمية حيث يقول:

إن كان نصباً حب صحب محمد فليشهد الثقلان أني ناصبي

وكذلك هؤلاء المعطلة النافون لصفات الاثبات التي جاء بها الكتاب والسنة
يصفون ربهم بصفات سلبية عدمية لا تكون إلا للمعدوم والممتنع ويزعمون
ذلك تنزيهاً. فيقولون: أنه ليس بجسم ولا عرض ولا جوهر ولا شخص، وليس
له مقدار ولا صورة ولا أين ولا يشار اليه ولا يقبل الاتصال والانفصال والقرب
والبعد والصعود والهبوط والحركة والنقلة، ولا يقال داخل العالم ولا خارجه إلى
غير ذلك مما أجروه عليه من صفات السلب التي تقتضي عدمه فشبوه في ذلك
بالمعدوم فاجتمع لهم الوصفان من التشبيه والتعطيل، بل إذا حقق عليهم الأمر
كانوا مشبهة أولاً، فإن الذي حملهم على التعطيل والإنكار توهمهم أن إثبات
الصفات تشبيه والصفات ثابتة في نفس الأمر فلزمهم التشبيه وما نفعمم التعطيل
بل أوقعهم في تشبيه شر مما فروا منه فإنهم ما زادوا على أن شبوه بالجامدات
والمعدومات.

فهم لما توهموا أن إثبات القول لله يقتضي تشبيهه بكلام المخلوقين نفوه
عنه، وقالوا: ليس لله قول ولا كلام، فشبوه في ذلك بالجامدات التي لا تنطق
وبالعجاوات الخرساء، فهذا تشبيهان.

وكذلك ظنوا أن إثبات الصفات له مستلزم أن تكون كصفات المخلوقين،
فنفوها كذباً وهتاناً، ولم يستطيعوا أن يثبتوا بلا تمثيل، فوقعوا في التشبيه
والتعطيل، وهم مع ذلك يعمدون إلى ما وصف به الرسول ﷺ ربه من صفات
الاثبات، فيسمون ذلك تشبيهاً. فمن أولى بهذا الاسم من الفريقين؟ الذين مثلوا
فعطلوا فمثلوا، أن الذين أثبتوا بلا تمثيل ونزهوا بلا تعطيل، مصدق قوله

تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] فإن كان ذلك الإثبات يسمى عندهم تشبيهاً - وحاشاه - فهو على كل حال خير من تشبيههم، فإنه تشبيه له بالأشياء الكاملة ذوات الشأن والرفعة، وأما نفهم للصفات فيقتضي تشبيهه بالناقصات من الجمادات وغيرها، بل بالمعدوم الذي لا حقيقة له، والذي لا يصح فرضه إلا في الأذهان فمن المشبه إذا على الحقيقة منكم، ومن مثبتي الصفات للرحمن؟

★ ★ ★

فصل

في نكتة بديعة تبين ميراث الملقبين والملقبين من المشركين والموحدين

هذا وثم لطيفة عجب سأبديها لكم يا معشر الأخوان
فاسمع فذاك معطل ومشبه
لا بد أن يرث الرسول وضده
فالعوارثون له على منهاجه
أحداها حرب له ولحزبه
فرموه من ألقابهم بعظائم
فأتى الألى ورثوهم فرموا بها
هذا يحقق إرث كل منها
والآخرون أولوا النفاق فاضمروا
وكذا المعطل مضمّر تعطيله
هذي موارد العباد تقسمت

واعقل فذاك حقيقة الإنسان
في الناس طائفتان مختلفان
والوارثون لضده ففتان
ما عندهم في ذاك من كتان
هم أهلها لا خيرة الرحمن
وراثه بالبغي والعدوان
فاسمع وعه يا من له أذنان
شيئاً وقالوا غيره بلسان
قد أظهر التنزيه للرحمن
بين الطوائف قسمة المنان

الشرح: بعد أن بين المؤلف ما وقع فيه هؤلاء المعطلة من التشبيه الذي رموا به أهل الإثبات كذباً وبهتاناً أراد أن يقفنا على لطيفة من اللطائف الخفية التي

تدل على عجيب صنع الله في خلقه، فقال إن الناس منذ كانوا: ثلاثة أقسام: معطل يمجّد الخالق جل وعلا وينكر وجوده أو ينكر ما ينبغي له من الصفات.

ومشبه يؤمن بوجود الله سبحانه، ولكنه يثبت له مثل صفات المخلوقين. ومؤمن موحد يثبت لله ما يليق به من الأسماء والصفات مع تنزيهه عن مشابهة المخلوقات. وإذا علم هذا فينبغي لكل ذي عقل تتحقق به إنسانيته وتميزه عن سائر الحيوان أن يدرك أن الرسول ﷺ له ورثة من أمته، ولخصومه أيضاً وراث، فالوارثون له هم السائرون على منهجه، الواقفون عند ما حده لهم دون زيادة أو ابتداء، والوارثون لصدده فريقان: فريق جاهر بالعداوة له ولحزبه دون تستر أو كتمان، فرموه وهو خيرة الله من خلقه من شنيع الألقاب بما هم أولى به وأهله.

ثم أتى الذين ورثوهم في الضلال والعداوة، فرموا بهذه الألقاب وراث الرسول وحزبه بغياً وعدواناً، فهذا يحقق إرث كل منها عند كل من عقل وتدبر وألقى السمع وهو شهيد.

وأما الفريق الثاني فهم أهل النفاق الذين يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم فهم يضمرون في قلوبهم الكفر والعداوة للحق، ويظهرون الإيمان والمسالمة. وما أشبه المعطلة بهذا الفريق الثاني، فإنهم يضمرون التعطيل والإنكار، ويسمون ذلك تنزيهاً لله جل شأنه، قولاً بألسنتهم مع إنطواء قلوبهم على خلافه، فهذه هي موارد العباد قسمها الله بين خلقه على وفق حكمته وعلمه، والله في خلقه شؤون.

اللغة: اللطيفة، المعنى الخفي من اللطافة التي هي ضد الظهور. والحرب مصدر بمعنى إسم الفاعل أي محارب، والعظام جمع عظيمة وهي الأمر الشنيع.

★ ★ ★

هذا وثم لطيفة أخرى بها
تجد المعطل لاعناً لمجسم
والله يصرف ذاك عن أهل الهدى
هم يشتمون مذمماً ومحمد
صان الإله محمداً عن شتمهم
كصيانة الاتباع عن شتم المعطل للمشبه هكذا الإرثان
والسب مرجعه إليهم اذ هم
وكذا المعطل يلعن اسم مشبه
سلوان من قد سب بالبهتان
ومشبهه لله بالإنسان
كمحمد ومذمم اسمان
عن شتمهم في معزل وصيان
في اللفظ والمعنى هما صنوان
شتم المعطل للمشبه هكذا الإرثان
أهل لكل مذمة وهوان
واسم الموحد في حمى الرحمن

الشرح: ومع هذه اللطيفة التي تقدمت هناك لطيفة أخرى يتسلى بها أهل
الحق عن شتم هؤلاء المجرمين لهم وبهتهم إياهم مما هم منه براء، وهي أنك تجد
المعطل لاعناً لكل من يقول بالتجسيم وتشبيهه الله بخلقه، ولكن هذا اللعن لا
يضير أهل الحق، فقد صرفه الله عنهم بتطهير عقيدتهم من اعتقاد التجسيم
والتشبيه، وإنما يلحق هذا اللعن من يطلق الجسم على الله أو يشبهه بخلقه، وذلك
كمحمد ومذمم، فإنها اسمان متقابلان، والثاني منها هو الحقيق بالشم
والتنقيص، فإذا شتم الكفار رسول الله ﷺ فإنهم لا يضيرونه بشتمهم، فإن
شتمهم إنما يلحق مذمماً، ولكنه هو محمد لا مذمم، فهو من شتمهم في حصن
حصين وحرم مصون وقد صانه الإله عن شتمهم لفظاً ومعنى، أما لفظاً
فبتسميته محمداً، وأما المعنى فبتطهيره عن كل ما يذم ويعاب من العقائد
والأخلاق والأعمال، والضمير في قوله هما للفظ والمعنى، ومعنى كونها صنوان
أن أصلها واحد كما في قوله تعالى: ﴿وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ﴾
[الرعد: ٤] وكما في قوله عليه الصلاة والسلام في شأن عم العباس « أن عم
الرجل صنو أبيه ».

وكما صان الله عز وجل نبيه عن شتم الكفار وتنقيصهم، فقد صان أتباعه عن
شتم المعطل للمشبه، فلا يلحقهم من معرته شيء، بل هو في الحقيقة راجع إلى

هؤلاء الشائمين، فإنهم هم أحق بكل مذمة وتنقيص، فالمعطل يلعن اسم المشبه، فلا يلحق لعنه إلا كل من صدق عليه هذا الإسم وهو غير صادق على أحد من أهل الحق، بل الذي يصدق عليه أنه موحد، فهو في حمي الله من كل ما يتلاعن به المبطلون.

★ ★ ★

هذي حسان عرائس زفت لكم
والعلم يدخل قلب كل موفق
ويرده المحروم من خذلانه
يا فرقة نفت الإله وقوله
موتوا بغيظكم فربي عالم
فالله ناصر ديمه وكتابه
والحق ركن لا يقوم لهذه
توبوا إلى الرحمن من تعطيلكم
من تاب منكم فالجنان مصيره
ولدى المعطل هن غير حسان
من غير أبواب ولا استئذان
لا تشقنا اللهم بالحرمان
وعلوه بالجحد والكفران
بسرائر منكم وخبث جنان
ورسوله بالعلم والسلطان
أحد ولو جمعت له الثقلان
فألرب يقبل توبة الندمان
أو مات جهمياً ففي النيران

الشرح: يخاطب المؤلف إخوانه من أهل الحق بأن تلك اللطائف التي أبدأها لهم هي في جالها وروعها كحسان العرائس المجلوة، حثاً لهم على تأملها والنظر فيها، ولكنها عند المعطل ليست بذاك لبلادة عقله وغبائه، فهو لا يدرك ما فيها من معنى رائع لطيف، لأنه لا حظ له في إدراك جواهر العلم وفرائده، إذ العلم لا يناله إلا كل موفق مسدد، وأما المخذول المطرود فإن قلبه عن ذلك في صدود، نعوذ بالله من الخذلان والحرمان.

ثم ينادي هذه الفرقة الضالة من أهل الجحد والتعطيل التي نفت الإله وكلامه وعلوه على خلقه بأن يموتوا غيظاً وحسرة، فإن الله عالم بخبث طواياهم ودخن قلوبهم، وهو لا بد ناصر دينه وكتابه ورسوله بالعلم الصحيح والحجة الظاهرة، فإنها الحق الذي من أوى إليه فقد أوى إلى ركن شديد لا يقدر أحد على النيل

منه ولو أجمعت على حربته الثقلان من أنس ومن جان، ثم هو بعد ذلك يعرض عليهم أن يتوبوا إلى الله ويرجعوا إليه من إثم تعطيلهم وجرم إنكارهم، فإن الله يقبل توبة من تاب نادماً على ما فعل، فمن تاب منكم فإن مآله إلى جنة عرضها السموات والأرض، ومن مات منكم على تجهمه وتعطيله فإن مأواه جهنم وبئس المصير.

★ ★ ★

فصل في بيان اقتضاء التجهم والجبر والإرجاء للخروج عن جميع ديانات الأنبياء

واسمع وعه سرأ عجيباً كان مكتوماً من الأقوام منذ زمان
فأذعته بعد اللتيا والتي نصحا وخوف معرفة الكتان
جيم وجيم ثم جيم معها مقرونة مع أحرف بوزان
فيها لدى الأقوام طلسم متى تحلله تحلل ذروة العرفان
فإذا رأيت الثور فيه تقارن الجيمات بالتثليث شر قران
دلت على أن النحوس جميعها سهم الذي قد فاز بالخذلان
جبر وارجاء وجيم تجهم فتأمل المجموع في الميزان
فاحكم بطالعها لمن حصلت له بخلاصة من ربقة الإيمان

الشرح: هذه الأبيات تدل على تمكن المؤلف رحمه الله من علم الفلك والهيئة وحساب الجمل، وأنا لست ممن يصدقون هذه الفنون، فلا أحسن أن أعبر عما يريد به هذه الأبيات إلا على سبيل الإجمال، فهو يطلب منا أن نسمع ونعي هذا السر العجيب الذي كتبه في صدره مدة طويلة، ثم أذاعه بعد اللتيا والتي، أي بعد ما سمرت العداوة بينه وبين خصومه، واستعرت المعركة، فأيداه على جهة النصح لهم، وخروجاً من عهدة الكتان ومعرفته، وهذا السر هو أن هناك ثلاث جيمات في ثلاث كلمات، هي الجبر والإرجاء والتجهم، فكل جيم منها مقرونة مع

أحرف بوازنها، أي بقدرها، وأن في هذه الجيمات الثلاث عند القوم لغزاً بديعاً من يحلله، فقد حل ذروة المعرفة وركب سنام الحقيقة، فإذا رأيت الثور - وهو أحد البروج التي تقطعها الشمس في حركتها الظاهرية جنوبي مدار السرطان في فصل الربيع - تتقارن فيه الجيمات الثلاث وتجتمع شر اجتماع، فاعلم بأن النحس كله نصيب الذي قد باء بالخذلان، فإن كل جيم منها نحس على صاحبها، فإذا اجتمعت كانت نحوساً وكانت أشأم طالع، فاحكم بطالعها النحس لمن حصلت له هذه الجيمات الثلاث واقرنت فيه بأن جمع بين القول بالجبر والإرجاء والتجهم بانخلاعه من ربقة الإيمان وعري اليقين.

★ ★ ★

فاحل على الأقدار ذنبك كله	حل الجذوع على قوى الجدران
وافتح لنفسك باب عذر إذ ترى	الأفعال فعل الخالق الديان
فالجبر يشهدك الذنوب جميعها	مثل ارتعاش الشيخ ذي الرجفان
لا فاعل أبداً ولا هو قادر	كالميت أدرج داخل الأكفان
والأمر والنهي اللذان توجهها	فهما كأمر العبد بالطيران
وكأمره الأعمى بنقط مصاحف	أو شكلها حذراً من الألحان
وإذا ارتفعت دريجة أخرى	رأيت الكل طاعات بلا عصيان
إن قيل قد خالفت أمر الشرع قل	لكن أطعت إرادة الرحمن
ومطيع أمر الله مثل مطيع ما	يقضي به وكلاهما عبدان
عبد الأوامر مثل عبد مشيئة	عند المحقق ليس يفترقان
فانظر إلى ما قادت الجيم الذي	للجبر من كفر ومن بهتان

الشرح: هذا خطاب لصاحب الجيم الأولى وهي جيم الجبر الذي يزعم بأن الإنسان لا قدرة له ولا اختيار، وأنه مجبور على ما يقع منه من أفعال فهي ليست أفعالاً له على الحقيقة، وإنما تنسب إليه على جهة المجاز، كما يقال: طلعت الشمس وهبت الريح، فالأفعال والتكليف بها والثواب والعقاب عليها، كل ذلك

جبر على العبد لا اختيار له فيه فيلزم هذا الجبر أن لا يقر على نفسه بذنب ، وأن يحمل ذنوبه كلها على القدر كما يحمل السقف على قوي الجدر . وأن يفتح لنفسه باب العذر في كل ما يرتكب من وزر إذ يرى أنه لا فعل له . وأن الأفعال كلها صادرة من الله جل شأنه ويلزمه أيضاً أن يسوي بين ما يصدر عنه بإرادته واختياره ، وبين ما يصدر منه على جهة الضرورة كحركة الرعدة والارتعاش ، فلا يحس فرقاً بين الذنوب التي تصدر عنه باختياره ، وبين رعشة الشيخ الكبير التي تصدر عنه بلا قصد منهن بل بسبب الهرم والضعف فالعبد عنده ليس بفاعل على الحقيقة . ولا هو قادر على الفعل بل هو كالميت المدرج في أكفانه لا قدرة له على حركة أصلاً . ويلزمه أيضاً أن الله كلف العباد ما لا يطيقونه ، وأنه أمرهم ونهاهم بما لا قدرة لهم على فعله أو تركه ، فهو كأمر العبد بأن يطير في الهواء مع عجزه عنه إذ لا أجنحة له تساعد على الطيران ، أو كأمر الأعمى الذي لا يبصر بأن يضع النقط على حروف المصحف أو يشكله خوفاً من وقوع اللحن في قراءته . ومعلوم أن الأعمى لا قدرة له على ذلك . وفي هذا نسبة العبث إلى الله جل شأنه .

وهذا الذي ذكرناه من مذهب الجبرية ، إنما هو قول عامتهم ، وأما متصوفتهم ممن يزعمون الترقى في مقام الشهود للحقيقة الكونية والربوبية الشاملة فيرون كل ما يصدر من العبد من ظلم وكفر وفسوق هو طاعة محضه لأنها إنما تجري وفق ما قضاه الله وقدره ، وكل ما قضاه وقدره فهو محبوب لديه مرضي عنده . فإذا كان قد خالف أمر الشرع بارتكابه هذه المحظورات فقد أطاع إرادة الله ونفذ مشيئته . فمن أطاع الله وقضاه وقدره هو كمن أطاعه في أمره ونهيه كلاهما قد قام بحق العبودية لله إلا أن هذا عبده بامتثال أمره وهذا عبده بتنفيذ مشيئته . فمن حقق الأمر لم يجد فرقاً بين العبوديتين بل وجد العبادة بالمشيئة أليق بمن لا يرون لأنفسهم فعلاً وأن الأفعال كلها من الله .

فانظر يا أخا العقل والدين إلى ما انتهت جيم الجبر إليه ، وكيف قادت صاحبها إلى شر أنواع الكفر والبهتان ، فجعلته يسوي في النهاية بين الإيمان

والكفر والطاعة والمعصية وينفض يده من أحكام الشريعة كلها ولا يفرق بين أمر ونهي ولا يرى ذلك لازماً لأحد بل يرى ارتكاب المنهيات عبادة يتقرب بها إلى الله ما دامت موافقة للإرادة، فأى كفر أقبح من هذا. نعوذ بالله من الضلال والخذلان. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

★ ★ ★

وكذلك الأرجاء حين تقرب بالمعبود تصبح كامل الإيمان
فارم المصاحف في الحشوش وخرب البيت العتيق وجد في العصيان
واقتل إذا ما اسطعت كل موحد وتمسحن بالقس والصلبان
واشم جميع المرسلين ومن أتوا من عنده جهراً بلا كتمان
وإذا رأيت حجارة فاسجد لها بل خر للأصنام والأوثان
وأقر أن الله جل جلاله هو وحده الباري لذي الأكوان
واقر أن رسوله حقاً أتى من عنده بالوحي والقرآن
فتكون حقاً مؤمناً وجميع ذا وزر عليك وليس بالكفران
هذا هو الأرجاء عند غلاتهم من كل جهمي أخي الشيطان

الشرح: الأرجاء في اللغة معناه التأخير، ومنه سميت المرجئة لأنهم يؤخرون الأعمال عن الإيمان، ويقولون لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا تنفع مع الكفر طاعة. والإيمان عندهم هو مجرد الاقرار بأن الله هو الخالق للموجودات فمتى أقر العبد بذلك أصبح عندهم كامل الإيمان، وليس عليه بعد ذلك حرج أن يرتكب ما شاء من معصية أو يقصر في طاعة فليرم المصاحف إن شاء في الحشوش أي في بيوت الخلاء امتهاناً لها، وليخرب الكعبة البيت الحرام وينقض بنيانها، وليجتهد في ارتكاب كل موبقة، وليقتل إن استطاع كل نفس مؤمنة، وليذهب إن شاء إلى الكنيسة متبركاً بالقس عابداً للصليب وليسب جميع المرسلين ومن أرسلهم سبحانه علناً ومجاهرة، وليسجد لكل ما قابله من صنم ووثن فإن ذلك كله وغيره لا ينقص من إيمانه مقدار خردلة عندهم ما دام يقر بأن الله جل

شأنه هو الفاطر للكائنات وما دام يقر بأن محمداً رسول الله الذي أرسله بالوحي والقرآن، فإن كل ما عدا ذلك ليس إلا ذنباً لا توقع صاحبها في الكفر. هذا هو معنى الإرجاء عند غلاة المرجئة الجهمية إخوان الشيطان وأهل البهت والكفران، وأما الإرجاء الذي ينسب إلى بعض السلف كالحسن البصري وغيره، فمعناه التفويض في أمر مرتكب الكبيرة إذا مات ولم يتب منها بمعنى عدم القطع له بشيء، بل إن شاء الله عذبه عليها وإن شاء عفا عنه، فهذا الإرجاء لا يضر بل هو مذهب أهل الحق قابلوا به قول الخوارج إن مرتكب الكبيرة إذا مات ولم يتب منها فهو كافر مخلد في النار.

★ ★ ★

فأضف إلى الجيمين جيم تجهم	وانف الصفات وألق بالارسان
قل ليس فوق العرش رب عالم	بسرائر منا ولا إعلان
بل ليس فوق العرش ذو سمع ولا	بصر ولا عدل ولا إحسان
بل ليس فوق العرش معبود سوى العدم الذي لا شيء في الأعيان	
بل ليس فوق العرش من متكلم	بأوامر وزواجر وقران
كلا ولا كلم إليه صاعد	أبداً ولا عمل لذي شكران
إني وحظ العرش منه كخط ما	تحت الثرى عند الحضيض الداني
بل نسبة الرحمن عند فريقهم	للعرش نسبتته إلى البنيان
فعليتها استولى جميعاً قدرة	وكلاهما من ذاته خلوان
هذا الذي أعطته جيم تجهم	حشوا بلا كيل ولا ميزان

الشرح: عرفنا ما جنته جيم الجبر من نفي مسؤولية العبد عن فعله وإلقاء اللوم كله على القدر وما انتهت إليه من التسوية بين الإيمان والكفر والطاعة والمعصية، وعرفنا كذلك ما جنته جيم الإرجاء من الإغراء بفعل المعاصي والمنكرات والتراخي وفي أداء الواجبات اتكالا على الإيمان لناقص المتبور، وأما ثالثها وهي جيم التجهم نسبة إلى رأس الفتنة الجهم بن صفوان الترمذي أمام أهل

التعطيل فتقتضي نفس صفات الرب جل وعلا والانطلاق في هذا النفي إلى أبعد حد كما أشار إليه المصنف بقوله (وألق بالارسان) فإن الأرسان جمع رسن وهو الحبل الذي تقاد به الدابة ليمنعها من الجري والجموح.

فقوله (وألق بالارسان) كناية على الانطلاق في النفي والايغال فيه، فينفي فوقية الرب على عرشه وعلوه على خلقه، كما ينفي علمه الشامل المحيط بأحوال عبادته في سرهم وجهرهم وينفي سمعه الذي وسع أصواتهم مهما خافتوا بها وينفي رؤيته لهم رؤية لا يحول دونها حجاب ولا ظلمة، ولا يؤثر فيها بعد ولا يغنى منها تخف واستتار، وينفي عدله الذي قامت به السموات والأرض واحسانه الذي وسع جميع خلقه، بل لو حقق الأمر على هذا الجهمي الخبيث لوجد أنه لا يعبد الا عدماً لا حقيقة له في عالم الأعيان، بل انما يفرض في الأذهان، ولا يؤمن بأن فوق العرش الهاً متكلاً على الحقيقة بأوامر ونواه، ومتكلاً بالقرآن والتوراة والانجيل بل يقول ان معنى كونه متكلاً أنه خالق للكلام، ولا يؤمن كذلك بأن كلام العباد يصعد اليه، ولا أن أعمالهم ترفع عنده، كما قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠].

وكيف يؤمن بذلك وهو لا يقر بوجوده فوق عرشه، بل يرى أن حظ العرش منه سبحانه كحظ أسفل مكان، وهو الذي عند مركز الأرض المسمى بالحضيض، وأن نسبه تعالى للعرش كنسبته الى بيته الحرام، فكما أنه ليس ساكناً في البيت مع اضافته اليه، فكذلك ليس مستوياً على العرش، بل هو مستول عليها جميعاً بقدرته، وكلاهما خال من وجوده بذاته فيه.

هذا هو ما أفادته جيم الجهم من تعطيل الواحد الديان حشوا بلا كيل ولا ميزان.

★ ★ ★

تالله ما استجمعن عند معطل جياتها ولديه من ايمان
والجهم أصلها جميعاً فاغتدت مقسومة في الناس بالميزان

والوارثون له على التحقيق هم
لكن تقسم الطوائف قوله
لكن نجا أهل الحديث المحض أتبعوا
عرفوا الذي قد قال مع علم بما
وسواهم في الجهل والدعوى مـ
مدوا يداً نحو العلى بتكلف
أترى ينالوها وهذا شأنهم

أصحابها لا شيعـة الايمان
ذو السهم والسهمين والسهمان
تبع الرسول وتابـعوا القرآن
قال الرسول فهم أولوا العرفان
مع الكبر العظيم وكثرة الهذيان
وتخلف وتكبر وتـوان
حاشا العلى من ذا الزبون الغاني

الشرح: يقسم المؤلف بالله العظيم أن هذه الجيـات الثلاث ما اجتمعت عند
أحد وبقى عنده شيء من الايمان . وكيف يبقى له ايمانه ، وقد رأيت ما ترتب
على كل واحدة منها من أنواع الكفر والضلال ، فكيف بها اذا لو اجتمعت ؟ لا
شك أن من كتب عليه أن تجتمع هذه الخلايا فيه فيكون جبريا مرجئاً جهمياً
يصير بها من العتاة في الكفر والاحاد .

والجهم بن صفوان الترمذي قبـحه الله هو الذي أسس قواعد هذه الضلالات
الثلاث ، فعدت من بعده قسمة بين أصحاب المذاهب والمقاتلات ، كل منهم يأخذ
منها بنصيب مقدور ، وهؤلاء الذين شايـعوا جهماً في ضلالاته هم وراؤه على
الحقيقة وان كان نصيب كل منهم من هذه التركة الوبيئة يختلف عن الآخر ،
فمنهم صاحب السهم الواحد ، ومنهم صاحب السهمين ، ومنهم صاحب السهمان
الكثيرة .

وأما أهل الحديث الصرف من اتباع الرسول وجند القرآن فقد نجوا من
التلبس بشيء منها ، لأنهم عرفوا ما قاله القرآن وما جاء به الرسول ﷺ ،
فاستمسكوا بنصوص الوحيين ، واستضاؤوا بدينك النورين ، ولم يكثرثوا لما
خالفها . وأما سواهم فهو يرتع في جهله ودعاواه العريضة ، مع ما فيه من الصلف
والتكبر وكثرة الخلط والهذيان . ومن العجيب أنه ينشد المعالي ويمد إليها يده مع
تكلفه وتخلفه وتكبره وتوانيه ، فهل تظنه ينالها الا كل من قدم لها غالي الأثمان ،

من جد وصبر ومثابرة وتواضع وتقوى وإيمان.

★ ★ ★

فصل

في جواب الرب تبارك وتعالى يوم القيامة إذا سأل المعطل والمشبه عن قول كل منها

فتتان عند الله يختصمان
بعقولها وبفكرة الأذهان
أولى من المنصوص بالبرهان
نا وفوضنا لنا قولان
فينا ولست بخارج الأكوان
ق العرش لست بقابل لمكان
قد قاله بشر عظيم الشأن
ريف تعظيماً لذي القرآن
ان النزول صفات ذي الجئان
سمع ولا بصر فكيف يدان
ما ولا يوم المعاد الثاني
من أجلها خصصته بزمان
مثلا على مثل بلا رجحان
ليست بوصف قام بالرحمن
وعقول أشياخ ذوي عرفان
ر الوحين تنسلخوا من الايمان
أو فاقبلوا آراء عقل فلان
ثار ولا خير ولا قرآن
معزولة عن مقتضى البرهان

وسل المعطل ما تقول اذا أتى
احداها حكمت على معبودها
سمته معقولا وقالت أنه
والنص قطعاً لا يفيد فنحن أول
قالت وقلنا فيك لست بداخل
والعرش أخليناه منك فلست فو
وكذاك لست بقائل القرآن بل
ونسبته حقا اليك بنسبة التش
وكذاك قلنا لست تنزل في الدجى
وكذاك قلنا لست ذا وجه ولا
وكذاك قلنا لا ترى في هذه الدنيا
وكذاك قلنا ما لفعلك حكمة
ما ثم غير مشيئة قد رجحت
لكن منا من يقول بحكمة
هذا وقلنا ما اقتضته عقولنا
قالوا لنا لا تأخذوا بظواهر
بل فكروا بعقولكم ان شئتم
فلأجل هذا لم نحكم لفظ آ
اذ كل تلك أدلة لفظية

الشرح: يصور لنا المؤلف في هذه الأبيات الرائعة مشهداً من مشاهد يوم القيامة حين يجمع الله المتخاصمين فيه ليحكم بينهم فيما كانوا فيه يختلفون، هنالك يظهر الحق ويعلو ويذهب بأصحابه الى الجنة بررة مكرمين، ويسفل الباطل ويخزي ويذهب بأتباعه الى العذاب المهين، فيقول سل هذا المعطل الجاحد لصفات رب العالمين، ماذا يكون جوابك عندما تجتمع الفئتان المختصمتان عند الله.

أما احدهما وهي فئة التعطيل والانكار فقد كذبت على ربها وقالت عليه ما لا تعلم، وعولت في ذلك لا على القرآن والآثار، بل على ما عندها من زبالات الأذهان والأفكار، وسمت ذلك دلائل عقلية وقدمتها على النصوص الصريحة من الكتاب والسنة، وزعمت أنها أولى باسم البرهان من تلك النصوص لأنها يقينية، وأما النصوص، فلا تفيد الا غلبة ظن لا يغني في باب الاعتقاد، ولهذا تراهم اذا تعارض ظاهر النص مع ما يزعمونه قواطع عقلية، فانهم اما أن يؤولوا النص بما يصرفه عن هذا الظاهر الى معنى آخر يكون موافقاً لما حكم به العقل. واما أن يفوضوا في معنى النص فيقولوا لا نعم المراد به، وان كنا نعلم ان هذا الظاهر غير مراد.

وكذلك تجيب هذه الفئة الجاحدة ربما يوم القيامة بأنها كانت تقوم عليه بأنه ليس داخل هذا العالم ولا خارجه، وأن العرش خلو منه، فهو ليس فوق العرش بذاته، زعما منهم أنه لا يجوز عليه الحلول في المكان، لأن ذلك عندهم من خصائص الأجسام، وبأنه ليس هو المتكلم بالقرآن، اذ لا يجوز عليه الحرف والصوت، بل انما هو قول رسوله ﷺ، وانما نسبه سبحانه الى نفسه تشرifaً له وتعظيماً لقارته، وبأنه لا ينزل كل ليلة الى سماء الدنيا، كما صرح الحديث الصحيح بذلك، لأن النزول من صفات الأجسام، وبأنه ليس له وجه ولا سمع ولا بصر، ومن باب أولى لا يكون له يدان، وبأن رؤيته بالأبصار مستحيلة في هذه الدنيا وفي الآخرة، اذ لا جهة له، وما لا يكون في جهة لا تمكن رؤيته، وبأنه ليس لأفعاله حكمة تفعل من أجلها، ويخصص كل فعل منها بزمانه

بسببها، بل ليس هناك الا مجرد مشيئة ترجح احد المتساويين على الآخر بلا مرجح دون أن يكون في أحدهما ما يقتضي رجحانه وتعلق المشيئة به .

ومنهم من يثبت الحكمة، لكن لا يجعلها صفة قائمة بذاته سبحانه، بل يجعلها قائمة بالمفعول، وتجب أيضاً هذه الفئة الباغية ربما بأننا انما حكمنا عليها بما اقتضته عقولنا، وبما أخذناه من شيوخنا الذين كنا نظن فيهم التحقيق والعرفان، والذين كانوا يحدروننا من الأخذ بظواهر الوحيين من الكتاب والسنة ويرون ذلك خروجاً من ربة الايمان، ويزعمون لنا أن العقائد لا يرجع فيها الا الى حكم العقل فيقولون لنا فكروا بعقولكم والا فقلدوا في عقيدتكم من سبقكم من العقلاء، فلاجل هذا الذي قالوه لنا لم نحكم في عقيدتنا لفظ آثار ولا أخبار ولا قرآن، وانما جرينا معهم فيما أسسوه لنا من أفك ومن بهتان .

★ ★ ★

فصل

والآخرين أتوا بما قد قاله قالوا تلقينا عقيدتنا ع فالحكم ما حكما به لا رأى أه آراؤهم احداث هذا الدين نا آراؤهم ريح المقاعد أين تلك قالوا وأنت رقيننا وشهيدنا انا أينان ندين ببدعة لكن بما قد قلته أو قاله وكذلك فارقتاهم حين احتيا كيلا تصير مصيرهم في يومنا

من غير تحريف ولا كتمان من الوحيين بالأخبار والقرآن ل الاختلاف وظن ذي الحسبان قصة لأصل طهارة الايمان الريح من روح ومن ريجان من فوق عرشك يا عظيم الشأن وضلالة أو افك ذي بهتان من قد أتانا عنك بالفرقان ج الناس للأنصار والأعوان هذا ونطمع منك بالغفران

الشرح: وأما الآخرون وهم أهل الحق، فقد أتوا الى ربهم سليمة عقائدهم

من أدران التعتيل والاحاد، لم يتبعوا فيها الا ما قاله هو سبحانه، من غير تحريف له عن أصل وضعه، ولا صرف له عن ظاهره، ومن غير ما جحد له ولا كتمان، قالوا لربهم حين سأهم: انما تلقينا عقيدتنا عن الوحيين من القرآن والأخبار، فهما مصدر ديننا كله، فلا حكم عندنا الا لهما، ولا مرجع الا اليهما فلا نقدم عليهما قول أحد ولا رأيه ولا نعارض حكمهما بقضية عقل ولا غيره ولا نعدل عنهما الى رأى هؤلاء المختلفين المضطربين الذين يحسبون أنهم على شيء وهم ضلال عن الحق المبين، آراؤهم مفسدة للدين افساد الحدث لطهارة المتطهرين فكما ينقض الحدث الطهارة الحاصلة بالوضوء تنقض آراؤهم أصل طهارة الايمان فهي كهذا الفساء والضراط الخارجين من الدبر، فأين تلك الريح المنتنة مما جاء به الوحيان من روح وريحان، وقال أهل الحق لربهم كذلك أنت كنت الرقيب علينا من فوق عرشك تسمعنا وترانا وتعلم سرنا وعلانيتنا لا يخفى عليك شيء من أمرنا. فأنت تعلم أنا قد أبينا أن ندين بالبدع والضلالات أو نقول بقول الافاكين ذوي البهتان والجهالات، بل لم نقل الا بما قلته أنت في كتابك الحكيم، أو قاله رسولك محمد ﷺ فيما صح عنه لم نتجاوز ذلك قيد أمثلة ولم نركن الى هؤلاء المبتدعة بل عاديناهم فيك وفارقناهم رغم احتياجنا الى الانصار والاعوان. وانا خشينا ان تجر علينا صحبتهم أن نصير الى ما صاروا اليه من ذلة وهوان في يوم نطمع منك فيه بالغفران.

فمن الذي منا أحق بأمنه	فاختر لنفسك يا أبا العرفان
لا بد نلقاه نحن وأنتم	في موقف العرض العظيم الشأن
وهناك يسألنا جميعا ربنا	ولسيده قطعنا نحن مختصمان
فنقول قلت كذا وقال نبينا	أيضا كذا فأمامنا الوحيان
فافعل بنا ما أنت أهل بعد ذا	نحن العبيد وأنت ذو الاحسان
أفتقدرون على جواب مثل ذا	أم تعدلون على جواب ثان
ما فيه قال الله قال رسوله	بل فيه قلنا مثل قول فلان
وهو الذي أدت اليه عقولنا	لما وزنا الوحي بالميزان

ان كان ذلكم الجواب مخلصاً فامضوا عليه يا ذوي العرفان
تالله ما بعد البيان لمنصف الا العناد ومركب الخذلان

الشرح: يعني اذا كنا نحن معشر اهل الحق قد وقفنا عند نصوص الوحيين
واستضأنا بنورها، ولم نقل الا بقولها وكنتم أنتم معشر أهل التعطيل قد عزلتم
هذه النصوص وجعلتموها وراءكم ظهيراً وعولتم على عقولكم وحدها وجعلتم لها
الحكم فيما يثبت وينفي، ولم ترفعوا بالوحي رأساً، فمن أحق منا ومنكم أن يأتي
ربه آمناً يوم القيامة.

واذا ظهر الحق على جلته وبان الفرق الهائل بيننا وبينكم فليختر كل عاقل
لنفسه ما يعتقد أن فيه نجاته من عذاب الله، فاننا لا بد ملاقوه نحن وأنتم في
مشهد يوم عظيم يوم يوقفنا بين يديه للعرض والحساب فيسألنا جميعاً عما قدمناه
لهذا اليوم، فنختصم عنده ويقول كل منا ما كان يدين به ويعتقده أما نحن
فنقول له سبحانه: انك قلت في كتابك كذا فاتبعنا، وقال نبينا ﷺ أيضاً كذا
فأطعنا قد جعلنا الوحي امامنا وقدوتنا، وقد قدمنا عليك وأنت رب كريم
فافعل بنا ما أنت أهل له من الكرم والجود فنحن العبيد وأنت الرب ذو الفضل
والاحسان ولكنكم لن تقدروا على مثل هذا الجواب بل ستجدون أنفسكم
مضطرين للعدول عنه الى جواب آخر ليس فيه اعتراف باتباع ما قاله الله
ورسوله بل ستقولون لربكم حين يسألكم قلنا مثل ما قاله فلان أو فلان، مما
اهتدينا اليه بعقولنا حين وزنا الوحي فرأيناه لا يصلح للاهتمام به في هذا
المجال، فهل تظنون أن مثل هذا الجواب يصلح أن يكون مخلصاً لكم من عذاب
الله؟ ان كان ذلك فاستمروا عليه وغداً سترون أنه لن يغني عنكم شروي نكير.
أما نحن فقد أعدرنا اليكم وبيننا لكم الحق فأبيتم الا العناد واللجاجة في الباطل
وتلك علامة الخذلان ونفخة الشيطان.

فصل في تحميل أهل الاثبات للمعطلين شهادة تؤدي عند رب العالمين

يا أيها الباغي على أتباعه
قد حلوك شهادة فاشهد بها
واشهد عليهم ان سئلت بأنهم
فوق السموات العلى حقا على العـ
والأمر ينزل منه ثم يسير في الا
واليه يصعد ما يشاء بأمره
واليه قد صعد الرسول وقبله
وكذلك الاملاك تصعد دائما
وكذاك روح العبد بعد مماتها

بالظلم والبهتان والعدوان
ان كنت مقبولا لدى الرحمن
قالوا اله العرش والأكوان
ررش استوى سبحان ذي السلطان
قطار سبحان العظيم الشان
من طيبات القول والشكران
عيسى ابن مريم كاسر الصلبان
من ها هنا حقا على الديان
ترقى اليه وهو ذو ايمان

الشرح: ينادي المؤلف هؤلاء البغاة الخارجين عن مذهب أهل الحق المتجنين عليهم بالظلم والعدوان والرامين لهم بالافك والبهتان بأنهم قد حلومهم شهادة يؤدونها عنهم عند الله يوم القيامة ان كانوا أهلا لتحمل الشهادة بأن كونوا عدولا أمناء ، فليشهدوا عليهم ان سئلوا عنهم بأنهم كانوا يصرحون بأن الله فوق سمواته مستو على عرشه يدبر شؤون خلقه ، وأن الأمور تنزل من عنده ينزل بها ملك الوحي ، ثم تسير في أقطار السموات والأرض ، وأنه يصعد اليه ما يشاء من كلام العباد وأعمالهم كما قال تعالى : ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر : ١٠] وأن الرسول ﷺ قد صعد اليه ليلة المعراج حتى كان قاب قوسين أو أدنى ، فكلمه وناجاه وفرض عليه وعلى أمته الصلاة ، وأنه سبحانه قبل ذلك قد رفع اليه عيسى ابن مريم بجسده حيا كما قال تعالى : ﴿يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ خُذْ الصَّلَاطَ وَارْتَقِ الصَّلَابَ﴾ [آل عمران : ٥٥] وسينزل قرب قيام الساعة فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية كما ورد الحديث بذلك ،

وأن الملائكة الموكلين بأعمال العباد يصعدون بها على الدوام متعاقبين بالليل والنهار ويعرضونها على رب العالمين، وقد سبق ذكر الحديث الدال على ذلك من رواية أبي هريرة وأن روح المؤمن ترقى بها ملائكة الرحمة حتى يبلغوا بها الرب جل شأنه فتعرض عليه، ثم ترد إلى روح وريحان. فسبحان من له العلو كله ذات وقهر وقدرة ورفعة شأن.

★ ★ ★

متكلم بالوحي والقرآن	وأشهد عليهم أنه سبحانه
اه إلى المبعوث بالفرقان	سمع الأمين كلامه منه وأد
لفظاً ومعنى ليس يفتقران	هو قول رب العالمين حقيقة
قد كالم المولود من عمران	وأشهد عليهم أنه سبحانه
منه إليه مسمع الأذان	سمع ابن عمران الرسول كلامه
الله نـاداه بلا كتمان	وأشهد عليهم أنهم قالوا بأن
الله نادى قبله الأبوان	وأشهد عليهم أنهم قالوا بأن
الله يسمع صوته الثقلان	وأشهد عليهم أنهم قالوا بأن
اني أنا الله العظيم الشان	والله قال بنفسه لرسوله
أذهب إلى فرعون ذي الطغيان	والله قال بنفسه لرسوله
طه ومع يس قول بيان	والله قال بنفسه حم مع

الشرح: وليشهدوا عليهم كذلك بأنه سبحانه تكلم القرآن بصوت نفسه كلاماً حقيقياً سمعه منه الأمين جبريل عليه السلام، ثم أداه إلى النبي ﷺ كما سمعه، فهو قول الله على الحقيقة لفظه ومعناه لا يجوز القول بأن معناه من عند الله. وأما ألفاظه فمن اختراع جبريل أو محمد عليها السلام إلى آخر ما يقوله المفترون الذين جعلوا القرآن عضين، وليشهدوا عليهم كذلك انه سبحانه كالم موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام بكلام حقيقي مؤلف من حروف وأصوات سمعها موسى عليه السلام بأذنه، وعلم أن الذي يكلمه هو الله عز وجل

وليس بكلام خلقه في الهواء أو في الشجرة أو بالقاء المعاني في قلب موسى مجردة عن الألفاظ، كما يزعم أهل التعطيل.

وليشهدوا عليهم أنهم قالوا بأن الله سبحانه نادى موسى بصوت سمعه، وأنه قربه نجياً، كما صرحت الآيات بذلك وأنه نادى من قبله الأبوان آدم وحواء معاتباً لهما على الأكل من الشجرة واقتراف الخطيئة كما قال تعالى: ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ﴾ [الأعراف: ٢٢] وأنه ينادى عباده يوم القيامة بصوت يسمعه الثقلان من الانس والجن كما في الحديث، وأنه هو سبحانه الذي قال بنفسه لرسوله وكليمه موسى عليه السلام: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤] وهو الذي قاله له بنفسه: ﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ [طه: ٢٤] وهو الذي تكلم وقال بنفسه حم وطه ويس وغيرها من الفواتح قولاً بيناً لا خفاء فيه ولا اشتباه.

★ ★ ★

وأشهد عليهم أنهم وصفوا الاله	ه بكل ما قد جاء في القرآن
وبكل ما قال الرسول حقيقة	من غير تحريف ولا عدوان
وأشهد عليهم أن قول نبيهم	وكلام رب العرش ذا التبيان
نص يفيد لديهم علم اليقين	ين افادة المعلوم بالبرهان
وأشهد عليهم أنهم قد قابلوا التعطيل	والتمثيل بالنكران
ان المعطل والممثل ما هما	متيقنين عبادة الرحمن
ذا عابد المعدوم لا سبحانه	أبدأ وهذا عابد الأوثان
وأشهد عليهم أنهم قد أثبتوا الأ	سواء والأوصاف للديان
وكذلك الأحكام أحكام الصفا	ت وهذه الأركان للايمان

الشرح: وليشهد هؤلاء المعطلة على أهل الحق بأنهم يصفون الله عز وجل بكل ما وصف به نفسه في كتابه، وبكل ما وصفه به رسوله ﷺ، ويعتقدون حقيقة ما دلت عليه النصوص من تلك الصفات، لا يجرفون الكلم عن مواضعه،

ولا يعتقدون على النصوص بصرفها عن حقيقتها الى المجاز، ويعتقدون أن كلام الله عز وجل وكلام رسوله ﷺ في باب الأسماء والصفات نصوص صريحة في معانيها، فهي تفيد من العلم اليقيني ما تفيده البراهين العقلية القائمة على الضروريات.

وليشهدوا عليهم بأنهم ينكرون أشد الإنكار كلا من التعطيل والمجحد للصفات والتمثيل والتشبيه بالمخلوقات، ويعتقدون أن كلا من المعطل والممثل ليسوا من عبادة الرحمن على يقين، بل الأول يعبد عدماً حيث نفى عن ربه من الصفات ما لا يعقل وجود الموصوف بدونه ووصفه بصفات المعدوم. والثاني وهو الممثل يعبد صنماً، لأنه يعبد الله على الصورة التي رسمها له في خياله، وهي لا تفرق عن تلك المنحوتة من الحجارة.

وليشهدوا عليهم بأنهم في باب الاثبات لا يثبتون الأسماء دون الصفات كالمعتزلة، ولا يثبتون الصفات دون الأحكام، بل يثبتون كلا من الأسماء والصفات والأحكام، وهذه كلها عندهم أركان للايمان.

★ ★ ★

قالوا علم وهو ذو علم يع	لم غاية الاسرار والاعلان
وكذا بصير وهو ذو بصر ويص	ر كل مرئي وذو الأكوان
وكذا سميع وهو ذو سمع ويسم	ع كل مسموع من الأكوان
متكلم وله كلام وصفه	ويكلم المخصوص بالرضوان
وهو القوي بقوة هي وصفه	ومليك يقدر يا أخاً السلطان
وهو المريد له الارادة هكذا	أبدأ يريد صنائع الاحسان
والوصف معنى قائم بالذات والاس	ماء أعلام له —وزان
أسمائه دلت على أوصافه	مشتقة منها استقاق معان
وصفاته دلت على أسمائه	والفعل مرتبط به الامران
والحكم نسبتها الى متعلقا	ت تقتضي آثارها ببيان

ولربما يعني به الأخبار عن آثارها يعني به أمران
والفعل اعطاء الارادة حكمها مع قدرة الفعال والامكان
فاذا انتفت أوصافه سبحانه فجميع هذا بين البطلان

الشرح: فهم يثبتون الاسم الكريم، فيقولون هو علم، ويثبتون الصفة
فيقولون هو ذو علم، ويثبتون الحكم الذي هو تعلق الصفة بمتعلقاتها التي هي
آثارها، فيقولون أنه يعلم كل شيء من الظواهر والخفيات والماضيات
والمستقبلات والواجبات والجائزات والمستحيلات.

وكذلك يقولون هو بصير وذو بصر وبصيرة، متعلق بكل ما تصح رؤيته من
الأشخاص والأكوان مها لطف، ويقولون هو سميع يسمع وسمعه يتعلق بكل
مسموع من الأصوات مها خفتت، ويقولون هو متكلم وله كلام هو صفة قائمة
به، وهو قدرته على أن يتكلم متى شاء وكيف شاء، وأنه يكلم بالفعل من خصه
من عباده بالرضى وجعله أهلاً لسماح كلامه.

ويقولون هو قوي بقوة هي وصفه، وقوته قاهرة لكل ذي سلطان من خلقه
وبها يقدر على كل شيء، ويقولون هو مرید بإرادة هي صفة قائمة به وتحدث
في ذاته آحادها، فهو لم يزل مریداً لما يشاء، كونه وأحداثه ومریداً لنفع خلقه
والإحسان إليهم.

والوصف هو المعنى القائم بالذات، من العلم والقدرة والسمع والبصر الخ،
وأما الأسماء فهي أعلام له سبحانه مشتقة من صفاته، إلا أن منها ما غلبت عليه
العلمية حتى صار كالأسماء الجامدة، مثل الإسم الجليل (الله) ولهذا يقع موصوفاً
مخبراً عنه ولا يقع صفة ولا خبراً، فأسماءه تدل على صفاته من حيث أنها مشتقة
منها، فعلم مشتق من العلم، وقدير من القدرة، ومرید من الإرادة، وهكذا.

وكذلك صفاته تدل على أسمائه، وذلك لأن ثبوت الصفة لموصوفه يدل على
ثبوت المشتق منها له كذلك، فثبوت العلم له يدل على اسمه العلم، وثبوت القدرة
يدل على اسمه القدير وهكذا.

وأما الفعل وهو كونه يعلم ويقدر ويريد ويسمع ويبصر إلخ. فله ارتباط بكل من الإسم والصفة جميعاً، فهو يعلم لأنه عليم وذو علم، ويقدر لأنه قدير وذو قدرة، وهكذا.

وأما الحكم فهو نسبة الصفات إلى متعلقاتها، بحيث تقتضي آثارها اقتضاء ظاهراً، فنسبة العلم إلى المعلومات التي هي متعلقاته، بحيث تصير معلومة له بالفعل بذلك العلم هو ما يسمى بالحكم وتعلق القدرة بالمقدور، بحيث يقع ذلك المقدور بها هو ما يسمى بالحكم وكذلك تعلق الإرادة بالمرادات والسمع بالمسموعات إلخ. وقد يراد بالحكم الأخبار عن آثار الصفة، كقولنا الله يعلم كذا ويريد كذا، فهذا معلوم لله وهذا مراد لله. فظهر أن الحكم قد يعني به هذا كما قد يعني به ما تقدم من نسبة الصفة إلى متعلقها.

وأما الفعل هو إعطاء الإرادة حكمها، أي تعلقها بالمراد مع شرط في الفاعل، وهو القدرة على إبراز ذلك المراد وشرط في المراد نفسه، وهو أن يكون ممكناً غير مستحيل.

فإذا قيل بانتفاء صفاته تعالى كما تقول المعتزلة لم يمكن إثبات الأسماء والأحكام وكان ذلك كله ظاهر البطلان.

وأشهد عليهم أنهم قالوا بهذا
وأشهد عليهم أنهم برآء من
وأشهد عليهم أنهم يتأولوا
هم في الحقيقة أهل تأويل الذي
وأشهد عليهم أن تأويلاتهم
وأشهد عليهم أنهم حملوا النص
إلا إذا ما اضطروهم لمجازها المضطر من حس ومن برهان
ف هناك عصمتها بإباحته بغير تجانف للإثم والعدوان

واشهد عليهم أنهم لا يكفروا
 إذ أنتم أهل الجهالة عندهم
 لا تعرفون حقيقة الكفران بل
 إلا إذا عاندتم ورددتم
 فهناك أنتم أكفر الثقلين من
 نكم بما قلتم من الكفران
 لستم أولي كفر ولا إيمان
 لا تعرفون حقيقة الإيمان
 قول الرسول لأجل قول فلان
 إنس وجن ساكني النيران

الشرح: وأشهد أيها المعطل على أهل الحق عند الله كذلك أنهم يثبتون لله جميع الأسماء الحسنى والصفات العليا وأحكام الصفات وآثارها في غير موارد ولا خفاء . وأنهم من تأويل أهل الباطل الذين يحرفون الكلم عن مواضعه براء . وأشهد عليهم كذلك أنهم متأولون، ولكن تأويلهم هو صرف اللفظ إلى حقيقته وبيان المعنى المراد منه، لا ما يقوله المعطلة من الهذيان والهراء، فتأويلهم إنما يقوم على صرف الألفاظ إلى معانيها الراجحة المتبادرة منها، لا حملها على معان بعيدة مرجوحة، وهم لا يحملون النصوص إلا على معانيها الحقيقية التي هي الأصل ولا يصرفونها إلى المجاز إلا إذا اضطروهم إلى ذلك ضرورة من الحس أو البرهان، فهناك تستباح ما للنصوص من عصمة، لكن بغير إفراط ولا مجاوزة للحد، بل بالقدر الذي أوجبه الضرورة، كما في أكل المضطر للميتة، ولكن النصوص التي يجب فيها ذلك من الكتاب والسنة قليلة جداً ومع كل نص منها القرينة التي تدل على أنه مصروف عن حقيقته، ومع وجود القرينة لا يكون النص قد فهم منه إلا معناه المراد للمتكلم، وبذلك لا يكون هناك صرف للفظ عن معناه بل هناك حمل له على المعنى الذي يفيد السياق وتدلل عليه الفحوى، وحينئذ فلا صرف ولا مجاز.

واشهد عليهم كذلك أنهم لا يكفرون أهل التأويل والتعطيل بما يقولونه من كلمات الكفر حين ينفون عن الله ما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله من صفات الكمال لأنهم عندهم أهل جهالة يعذرون لجهلهم فليسوا بكفار ولا مؤمنين إلا إذا أظهروا المشاقة والعناد، وردوا قول رسول الله ﷺ رداً صريحاً

من أجل قول أحد من الناس فهناك يحكم عليهم بالكفر، بل يكونون أكفر
الثقلين من الإنس والجن الذين هم أصحاب النار.

★ ★ ★

واشهد عليهم انهم قد اثبتوا الأ
واشهد عليهم أن حجة ربهم
واشهد عليهم انهم هم فاعلو
والجبر عندهم محال هكذا
واشهد عليهم ان إيمان الورى
ويزيد بالطاعات قطعاً هكذا
والله ما إيمان عاصينا كإيمان الأمين منزل القرآن
كلا ولا إيمان مؤمننا كإيمان الرسول معلم الإيمان
واشهد عليهم أنهم لم يخلدوا
بل يخرجون بإذنه بشفاعة
واشهد عليهم أن ربهم يرى
واشهد عليهم أن أصحاب الرسو
حاشا النبيين الكرام فإنهم
وخيارهم خلفاؤه من بعده
والسابقون الأولون أحق
كل بحسب السبق أفضل رتبة

قـدار واردة من الرحمن
قامت عليهم وهو ذو غفران
ن حقيقة الطاعات والعصيان
نفي القضاء فبئست الرأيان
قول وفعل ثم عقد جنان
بالضد يسي وهو ذو نقصان
كإيمان الأمين منزل القرآن
إيمان الرسول معلم الإيمان
أهل الكبائر في حيم آن
وبدونها لمساكن بجنان
يوم المعاد كما يرى القمران
ل خيار خلق الله من إنسان
خير البرية خيرة الرحمن
وخيارهم حقاً هما العمران
بالتقديم ممن بعدهم ببيان
من لاحق والفضل للمنان

الشرح: واشهد عليهم أنهم لا ينفون القدر السابق على حصول الأشياء كما
نفته القدرية والمعتزلة، بل يؤمنون بالقدر خيره وشره حلوه ومره من الله تعالى
كما قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي
كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢] وفي
الحديث الصحيح: «أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب، قال وما أكتب؟ قال

اكتب كل ما هو كائن، فجرى القلم بما هو كائن». والآيات والأحاديث في إثبات القدر من الكثرة والصرحة بحيث لا تتحمل إنكاراً ولا تأويلًا.

ولكنهم مع إثبات القدر يرون أنه لا يصلح حجة لأحد على ما يقع فيه من الكفر والظلم وسائر المعاصي، بل يرون أن حجة الله قائمة على عباده بعد أن أوضح السبيل وأزاح العلل وأرسل الرسل مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، وقد رد الله على المشركين في تعللهم بالقدر وبين أن ذلك تخرص بغير علم، قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ، كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا، قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ * قُلْ فَلِلَّهِ الحُجَّةُ البَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٨، ١٤٩].

ويرون أن العباد هم الفاعلون حقيقة لأفعالهم من الطاعات والمعاصي، وإن كانت واقعة بقدر الله ولهذا يستحقون عليها المدح والذم والثواب والعقاب.

ومذهبهم في ذلك وسط بين مذهب الجبرية الذين يرون أن العبد لا قدرة له ولا اختيار، وأنه ليس فاعلاً على سبيل الحقيقة، بل تنسب إليه أفعاله على أنه محل لجريانها، فيقال صلى فلان وصام كما يقال: طلعت الشمس وهبت الريح. وبذلك لا يكون مسؤولاً عنها ولا مستحقاً عليها ثواباً أو عقاباً، وبين مذهب القدريّة نفاة القدر الذين يزعمون أن العباد مستقلون بخلق أفعالهم الاختيارية دون تدخل أصلاً لقدرة الله ولا لإرادته فيها، وأنه لم يشأها منهم ولا قدرها عليهم فبئس الرأيان من غال في إثبات القدر إلى حد الجبر، ومقصر فيه إلى حد نفي المشيئة عن فعل العبد، وأشهد عليهم بأنهم يرون أن الإيمان تصديق بالجنان وقول باللسان وعمل بالأركان وأنه يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي كما دلت على ذلك الآيات والأحاديث الكثيرة بل هو قابل للزيادة والنقص باعتبار ركنه الأول الذي هو التصديق فإنه لا يعقل أن يكون إيمان أحد العصاة من هذه

الأمة كإيمان جبريل الأمين عليه السلام ولا أن يكون إيمان أحد المؤمنين منا كإيمان النبي الذي هو معلم الإيمان عليه السلام، واشهد عليهم أنهم لا يحكمون بتخليد مرتكب الكبيرة في النار، كما تزعم الخوارج والمعتزلة، بل سيخرج منها سائر العصاة من الموحدين إما بشفاعة الشافعين من الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين. وأما برحة أرحم الراحمين، ثم يدخلون الجنة بعد أن يتطهروا في نهر الحياة فينبتوا فيه كما تنبت الحبة في حmil السيل كما وردت بذلك الأحاديث الصحيحة، واشهد عليهم أنهم يؤمنون برؤية المؤمنين لربهم عز وجل في الجنة بأبصارهم كما يرى القمران أي الشمس والقمر ليس دونها سحاب ولا ضباب، فلا ينك ون الرؤية كما تنكرها المعتزلة، ولا يؤولونها بنوع من الكشف العلمي، كما يزعمه بعض من يسمونهم بالمحققين من الأشاعرة. واشهد عليهم أنهم يعتقدون أن أصحاب رسول الله ﷺ هم أفضل خلق الله من الناس بعد النبيين، فالنبيين هم خير البرية على الإطلاق وخيرة الله في خلقه، وأن الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم هم خيار الصحابة وخيار الخلفاء هما العمران، يعني أبا بكر وعمر، وقد روى عن علي رضي الله عنه أنه قال على منبر الكوفة (ما مات رسول الله ﷺ حتى علمنا أن أفضلنا بعده أبو بكر، وما مات أبو بكر حتى علمنا أن أفضلنا بعده عمر) وأن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار أحق بالتقديم ممن أسلم بعدهم، وكل منهم في الفضل على حسب سبقه إلى الإسلام قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتَلُوا﴾ [الحديد: ١٠] والفضل بعد ذلك بيد الله وحده يؤتيه من يشاء. والله ذو الفضل العظيم.

★ ★ ★

فصل

في عهود المشبتين مع رب العالمين

يا ناصر الإسلام والسنن التي جاءت عن المبعوث بالقرآن

يا من هو الحق المين وقوله
أشرح لديك صدر كل موحد
واجعله مؤتماً بوحيك لا بما
وانصر به حزب الهدى واكبت به
وانعش به من قصده إحياءه
واضرب بحقك عنق أهل الزيغ
فوحق نعمتك التي أوليتني
وكتبت في قلبي متابعة الهدى
ونشلتني من حب أصحاب الهوى
وجعلت شرني المنهل العذب الذي
وعصمتني من شرب سفل الماء
وحفظتني مما ابتليت به الألى
نبذوا كتابك من وراء ظهورهم
وأريتني البدع المضلة كيف يلقىها
شيطانه فيظل ينقشها له
فيظنها المغرور حقاً وهي في التحقيق مثل اللال في القيعان

يناجي المؤلف رحمه الله ربه بهذه الأبيات الروائع معاهداً له على نصره دينه
وجهاد أعدائه لقاء ما أنعم به عليه من نعمة الهداية والتوفيق إلى متابعة السنة
والقرآن فيقول: يا ناصر الإسلام ومظهر حجته ومانعه من كيد أعدائه الخانقين،
ويا ناصر سنة رسولك الذي بعثته بالقرآن العظيم بما قضيت بها في كل عصر من
أئمة هداة يذبون عنها كيد أهل البدع ويحفظونها من تزيد الكاذبين وتأويل
الجاهلين وإنكار الفاسقين، ويا من أنت الحق البين الذي لا شيء أبين منه بشهادة
ما نصبته من الأدلة على وجودك وحكمتك، وعلى جودك ونعمتك، وعلى
عزتك وقدرتك، وعلى أنك الواحد الأحد الذي لا شريك له في ربوبيته ولا في
إلهيته، يا من لقاءك أيضاً حق لا شك فيه، فإنك لم تخلق هذا الخلق عبثاً ولا

باطل بل لتجزى الذين أسأؤوا بما عملوا وتجزى الذين أحسنوا بالحنسى .
ورسولك هو كذلك حق أرسلته بالبينات والهدى على حين فترة من الرسل
فضلا منك ورحمة . ليخرج الناس من الظلمات إلى النور وليهديهم صراطك
المستقيم ، اشرح لدينك الحق الذي لا تحريف فيه ولا التواء صدر كل من وحدك
في ربوبيتك ، فعمل أنك المنفرد بالخلق والتدبير ، ووحدك في إلهيتك فبعدك
وحدك ولم يجعل لك في العبادة شريكاً من خلقك ، ووحدك في أسمائك
وصفاتك فأثبت لك كل ما أثبتته لنفسك أو أثبتته لك رسولك من غير تشبيه ولا
تمثيل ، اشرحه شرحاً يصل به إلى أعلى مراتب الإيمان ، واجعله ممن يأتمون
بوحيك ويتبعون ما شرعته على لسان عبدك ورسولك لا ممن ينقادون لأهل
الأهواء وأصحاب الزور والبهتان ، وانصر بقلمه ولسانه حزب أهل الحق
والإيمان ، واكتب به حزب الضلال وفرقة الشيطان ، وانهض بوحيك من كان
قصده إلى إحيائه ونصرته واعصمه من كيد كل من يريد لإضلاله وفتنته ،
واضرب بسيف حقتك البتار أعناق أهل الزيغ والتبديل والتكذيب والطغيان .

ثم يقسم المؤلف رحمه الله على ربه بحق نعمته التي أولاه إياها ، وبما جعل قلبه
وعاء لعلوم القرآن العظيم ، وبما كتب في قلبه من متابعة الهدى حتى قرأ فيه
سطور الإيمان ، وبما أنقذه من صحبة أرباب الهوى بما مد إليه من أسباب الهدى
وحبائل النجاة المستمدة من محكم الفرقان ، وبما جعل ربه ، بكسر الشين ، أي
موضع شربه هو المنهل العذب الذي هو أصل الماء وينبوعه الصافي لكل وارد
ظمان ، والمراد به الكتاب والسنة ، وبما حماه من شرب أهل الضلال الذي هو
أسفل الماء تحت نجاسة الأفكار والأذهان ، والمراد به علوم أهل الباطل
ومذاهبهم ، وبما حفظه مما ابتلي به الذين حكموا على ربهم بشريعة الهوى والجهل
بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ، حيث طرحوا كتاب الله وراء ظهورهم ولم
يرفعوا به رأساً ، واتبعوا من دونه أقوالاً مزخرفة مموهة كلها خرافة وهذيان .
وبما أراه حقيقة البدع المضلة وكيف يلقيها الشيطان في قلوب أوليائه بعد أن
يزحزحها لهم وينقشها في أذهانهم ، كما يفعل المثال بالصورة التي يصنعها ، حيث

يضفي عليها من الدهون والطلاء ما يحسنها في أعين النظار، حتى يظنها الجاهل
المغرور حقاً، وما هي إلا كسراب بقية يحسبه الظآن ماء، حتى إذا جاءه لم
يجده شيئاً.

★ ★ ★

لأجاهدن عداك ما أبقيتني
ولأفضحنهم على روس الملا
ولأكشفن سرائراً خفيت على
ولأتبعنهم إلى حيث انتهوا
ولأرجنهم بأعلام الهدى
ولأقعدن لهم مراصد كيدهم
ولأجعلن لحومهم ودماءهم
ولأحلن عليهم بعساكر
بعساكر الوحين والفطرات والمعقول والمنقول بالإحسان
حتى يبين لمن له عقل من الأولى بحكم العقل والبرهان
ولأنصحن الله ثم رسوله
إن شاء ربي ذا يكون بجوله
إن لم يشأ فالأمر للرحمن
وكتابه وشرائع الإيمان

شرح المفردات: العدا بكسر العين الأعداء جمع عدو - والديدن الدأب
والعادة، يقال جعل هذا ديدنة، يعني استمر عليه - والملا بالتسهيل أصله الملا،
وهم الجماعة، سميت بذلك لأنها تملأ العين، ولأفرين، أي لأقطعن يقال فراه
يفريه، بمعنى قطعه ومزقه - والأديم الجلد، وعبادان تشية عباد وكان أميراً
فهجاه أحد الشعراء وفر فلم يلحق به، فقال الشاعر لبغلته:

عدس ما لعباد عليك امارة أمنست وهذا تحملين طليق

والرجم: القذف بالحجارة، والمريد بفتح الميم الشيطان، بمعنى المتمرد،
والثاقب النافذ، والشهبان جمع شهاب، وهو النجم الذي ترمي به الشياطين حين

يحاولون استراق السمع . والمرصد جمع مرصد ، وهو مكان الرصد ، قال تعالى : ﴿وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ﴾ [التوبة : ٥] والحصر الحبس والتضييق ، والقربان ما يتقرب به من الذبائح ، والزحفان جمع زحف ، وهو الجيش الزاحف من وضع المصدر موضع اسم الفاعل ، والوحيان الكتاب والسنة ، والفطرات جمع فطرة .

الشرح : هذا هو ما يقسم عليه المؤلف رحمه الله أن يجاهد أعداء الله المارقين عن دينه الناكبين عن صراطه ما بقي فيه رمق من حياة ، وأن يجعل قتالهم وجهادهم ديدنه وهجيره ، وأن يظهر للناس عوارهم ويهتك أستارهم ، ويكشف ما خفي على الجهال من مخازيهم ، ويفري أعراضهم بمجديد لسانه إن كان قد بقي لهم أعراض .

ويقسم كذلك لبيالغن في طلبهم وتتبع آثارهم إلى حيث بلغوا ، لا يني في ذلك ولا يقصر ، حتى يقول القائل : أياكون هناك عبادان ، وليقذفنهم بسهام الهدى يرجمهم بها رجم الشياطين بالشهب الثاقبة . وليقعدن لهم كل مرصد يمكن أن يكيدهم فيه وليضيقن عليهم الخناق ، وليجعلن من لحومهم ودمائهم التي فراها بسهام الحق أعظم قربان يتقرب به إلى الله ، وليحملن عليهم بجند لا تعرف الفرار ولا تولي يوم اللقاء الأدبار ، وهي عساكر الوحيين من الكتاب والسنة وما تقر به الفطرة السليمة التي خلقها الله مستعدة لقبول الحق والإذعان له ، وما تهدي إليه العقول بالنظر الصحيح ، وما تفيده النقول الثابتة ، حتى يظهر لكل من له عقل من أولى منا ومنهم بأن ينسب كلامه إلى حكم العقل والبرهان ؟ ولينصحن ما عاش لله ، فيبين العقيدة الصحيحة التي يجب على كل أحد أن يعتقدها في ربه عز وجل ، ويبين كذلك حقوقه التي يجب أن يقوم بها العباد نحوه ، ولينصحن لرسوله ببيان ما يجب له على الناس من محبة وتوقير وطاعة واتباع ، وما يجب عليهم أن يعرفوه من أخلاقه وسيرته وهديه وسنته . ولينصحن كذلك لكتاب الله ، فيبين ما يجب على الناس نحو كلام ربهم ، من حسن الاستماع إليه وكمال التعقل والتدبر لآياته ، والوقوف عند حدوده وأحكامه ، والاتعاظ

بمواظبه والتخلق بأدابه، ولينصحن لشرائع الإسلام والإيمان كلها ببيانها للناس
أتم بيان، وهذا كله رهن بمشيئة الله، فهو الذي إن شاء كان وما لم يشأ لم يكن،
ولا قوة إلا به.

تم الجزء الأول ويليه الجزء الثاني إن شاء الله وأوله
فضل في شهادة أهل الإثبات على أهل التعطيل

فهرس

الجزء الأول من شرح

القصيدة النونية للإمام ابن القيم

٣ مقدمة الشارح
٥ خطبة القصيدة النونية للإمام ابن القيم
٦٧ فصل في قدوم ركب آخر
١١٥ فصل في مجامع طرق أهل الأرض واختلافهم في القرآن
١١٧ فصل في مذهب الاقترانية
١١٩ فصل في مذاهب القائلين بأنه متعلق بالمشيئة والإرادة
١٢٢ فصل في مذهب الكرامية
١٢٤ فصل في ذكر مذهب أهل الحديث
١٣١ فصل في إلزامهم القول بنفي الرسالة إذا انتفت صفة الكلام
١٣٣ فصل في إلزامهم التشبيه للرب بالجهد الناقص إذا انتفت صفة الكلام
 فصل في إلزامهم بالقول بأن كلام الخلق حقه وباطله عين كلام الله
١٣٤ سبحانه
١٣٦ فصل في التفريق بين الخلق والأمر
١٣٨ فصل في التفريق بين ما يضاف إلى الرب تعالى من الأوصاف والأعيان
١٤٥ فصل في كلام الفلاسفة والقرامطة في كلام الرب جلّ جلاله
١٥١ فصل في مقالات طوائف الإتحادية في كلام الربّ جلّ جلاله
 فصل في اعتراضهم على القول بدوام فاعلية الربّ تعالى وكلامه
١٧٣ والانفصال عنه
١٨٦ فصل في الرد على الجهمية المعطلة
١٩٥ فصل في سياق هذا الدليل على وجه آخر

	فصل في الإشارة إلى الطرق الثقيلة الدالة على أن الله تعالى فوق سماواته
١٩٨	على عرشه
٢٧٣	فصل في الإشارة إلى ذلك من السنة
٢٨٥	فصل في جنابة التأويل على ما جاء به الرسول
٢٩٩	فصل فيما يلزم مدعي التأويل لتصحيح دعواه
٣٠١	فصل في طريقة ابن سينا وذويه من الملاحدة في التأويل
٣٠٨	فصل في شبه المحرفين للنصوص باليهود
٣١٢	فصل في بيان بهتانهم في تشبيه أهل الإثبات بفرعون
٣١٦	فصل في بيان تدليسهم وتلييسهم الحق بالباطل
٣٢١	فصل في بيان سبب غلطهم في الألفاظ والحكم عليها
٣٢٨	فصل في بيان شبه غلطهم في تجريد اللفظ بغلط الفلاسفة
	فصل في بيان تناقضهم وعجزهم عن الفرق بين ما يجب تأويله وما
٣٣٠	لا يجب
٣٤١	فصل في المطالبة بالفرق بين ما يتأول وما لا يتأول
٣٤٢	فصل في ذكر فرق لهم آخر وبيان بطلانه
٣٤٥	فصل في بيان مخالفة طريقهم لطريق أهل الاستقامة عقلاً ونقلاً
٣٥١	فصل في بيان كذبهم ورميهم أهل الحق بأنهم أشباه الخوارج
٣٦٤	فصل في تلقيبهم أهل السنة بالحشوية
٣٦٧	فصل في بيان عدوانهم في تلقيب أهل القرآن والحديث بالمجسمة
٣٧١	فصل في بيان مورد أهل التعطيل
	فصل في بيان هدمهم لقواعد الإسلام والإيمان بعزلهم نصوص السنة
٣٧٣	والقرآن
	فصل في بطلان قول الملحدين أن الاستدلال بكلام الله ورسوله لا يفيد
٣٨٥	العلم واليقين
٣٩٩	فصل في تنزيه أهل الحديث والشريعة عن الألقاب القبيحة الشنيعة ..

- فصل في نكته بديعة تبين ميراث الملقبين والملقبين من المشركين
والموحدين ٤٠١
- فصل في بيان إقتداء التجهم والجبر والإرجاء للخروج عن جميع ديانات
الأنبياء ٤٠٥
- فصل في جواب الرب تبارك وتعالى إذا سأل المعطل والمشبه عن قول كل
منها ٤١٢
- فصل في تحميل أهل الإثبات للمعطلين شهادة تؤدي عند رب العالمين ٤١٧